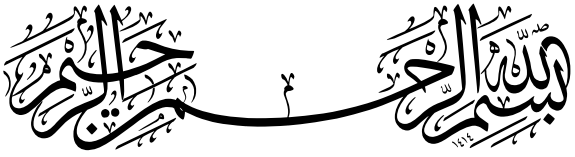


المؤتمر العلمي الدولي الثالث

عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِيْنَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام



وَلَهُ الحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَبِهِ نَسْتَعِينُ



فَاطِمَةُ الزَّهراء عليها السلام

جُرْحٌ فِي قَلْبِ الإِسْلَامِ لَمْ يَنْدَمِلْ بَعْدُ










بُحُوثُ الْمُؤْتَمَرِ العِلْمِيِّ الدَّوْلِيِّ الثَّالِثِ

عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام بِشِعَارِ

فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ عليها السلام

(مِشْكَاةُ الْأَنْوَارِ وَمُسْتَوْدَعُ الْأَسْرَارِ)

الْجُزْءُ الْخَامِسُ

بِرِعَايَةِ العَتَبَتَيْنِ الحُسَينِيَّةِ والعَبَّاسِيَّةِ المُقَدَّسَتَيْنِ

بِمُنَاسَبَةِ المَوْلِدِ المُبَارَكِ لِلسَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام

أَقَامَهُ قِسْمُ الشُّؤُونِ الْفِكْرِيَّةِ فِي مَقَامِ مُعْجِزَةِ رَدِّ الشَّمْسِ

لِلْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام

بِالتَّعَاوُنِ مَعَ مَرْكَزِ تُرَاثِ الحِلَّةِ التَّابِعِ لِلعَتَبَةِ العَبَّاسِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

وكُلِّيَّةِ التَّربِيَةِ لِلعُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ / جَامِعَةِ بَابِلَ

مِنْ ٢٠-٢١ جُمَادَى الآخِرَةَ ١٤٤٥هـ/٣-٤ كَانُونُ الثَّانِي ٢٠٢٤م

الْمُشْرِفُ الْعَامُّ عَبْدُ الرَّسُولِ الْمُوسَوِيُّ

مُرَاجَعَةُ وَضَبْطُ

مَرْكَزُ تُرَاثِ الْحِلَّةِ

وَثُلَّةٌ مِنْ فُضَلَاءِ الْحَوْزَةِ الْعِلْمِيَّةِ

العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
قسم شؤون المعارف والاستكشاف والابتكار
مركز تراث الحلة
موبايل: 009647602320073
E-mail: hilla@alkafeel.net

العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة. قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة في مقام معجزة ردِّ الشمس. المؤتمر العلميّ الدوليّ عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام (الثالث : ٢٠٢٤ : الحِلَّة، العراق)، مؤلِّف.

بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثالث عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام : بشعار فاطمة الزَّهراء عليها السلام مشكاة الأنوار ومستودع الأسرار. الجزء الخامس.-الطبعة الأولى.- الحِلَّة، العراق : العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة، ١٤٤٦ هـ. = ٢٠٢٤.

٦ مجلَّد: إيضاحيَّات ؛ ٢٤ سم

يتضمَّن ملاحق.

يتضمَّن إرجاعات ببليوجرافيَّة.

أغلب النص باللغة العربيَّة مع نصوص باللغة الإنجليزيَّة والفارسيَّة ؛ ومستخلصات باللغة العربيَّة والإنجليزيَّة.

١. فاطمة الزَّهراء، فاطمة بنت محمَّد بن عبد الله عليها السلام، ٨ قبل الهجرة-١١هجريّ--مؤتمرات. أ. العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة. قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة، مؤلِّف. ب. جامعة بابل. كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة، مؤلِّف. ج. العنوان.

LCC : BP80.F36 . A833 2024

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة

فهرسة أثناء النشر

٨٠١/٢٢٤
ح/ مركز تراث الحِلَّة - قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة - العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثالث عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام
الجزء الخامس
E-mail: hilla@alkafeel.net
الحِلَّة/ مركز تراث الحِلَّة/ العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
١٧,٥ × ٢٤سم
بحوث - دراسات
م/ و
٧٤٧/ ٢٠٢٥م
المكتبة الوطنيَّة/ الفهرسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٤٧) لسنة ٢٠٢٥م

الكتاب: بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثالث عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام. بشعار: فاطمة الزَّهراء مشكاة الأنوار ومستودع الأسرار (الجزء الخامس).

جهة الإصدار: العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة.

الطَّبعة: الأُولى. المطبعة: دار الكفيل للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع.

سنة الطَّبع: ١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م.

محورُ الدِّراساتِ التَّربويَّة والاجتِماعيَّة

شخصيَّة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام
وأثرها في قدوة النُّخب النسويَّة

د. وفاء كاظم جبَّار عبد البديريّ
جامعة بغداد/ قسم علم النَّفس

الملخَّص

قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ الأنعام: ٩٠.

بحمد الله أبتدي، وإيَّاه أستهدي، وبتوفيقه أكتفي، وأصلِّي على محمَّد النبيّ وآله أجمعين، كلَّما ذكرهم الذاكرون، وغفل عنهم الغافلون.

بدايةً عندما نناقش شخصيَّة المرأة، فهي أهم المحاور في المناقشات المجتمعيَّة، فالمرأة تمثِّل إحدى أهمّ الدعامات الأساسيَّة التي لا يمكن التخلِّي عنها لبناء أي مجتمع، على الرغم من اختلاف الرؤى الفكريَّة حول طبيعة التعامل مع قضايا المرأة في المجتمعات.

فنتساءل: كيف تبني المرأة شخصيَّتها لكي تكون عضوًا فاعلًا في المجتمع؟ وكيف تتعلَّم اكتساب خصائص معيَّنة تساعدها على بناء شخصيَّتها على نحوٍ ايجابيٍّ في المجتمع؟.

وربَّما من الصعوبة أن يتوجَّه الإنسان في بناء شخصيَّته نحو الكمال المنشود، دون وجود النموذج (القدوة)؛ لأنَّ طبيعة الإنسان تتوجَّه عادةً نحو ما هو ملموس وواقعيّ،

فالشخصيَّة التي يطمح الإنسان أن يتأسَّى بها سوف تبقى حلمًا، ما لم يكن لها مصداق خارجيّ وحقيقيّ، فسوف يُصاب الإنسان باليأس والخنوع.

ولعلَّنا نتساءل: هل هناك شخصيَّة نموذجيَّة واقعيَّة لتكون قدوة للنخب النسويَّة؟.

ومن منطلق هذا الكلام يتكلَّم البحث عن (شخصيَّة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وأثرها في قدوة النخب النسويَّة).

وعليه حريٌّ بنا أن نتعرَّف معًا على حياة السيِّدة فاطمة عليها السلام، لكي نتربَّى من سيرتها، ومن هذا المنطلق يمكن تقسيم البحث على ثلاثة مباحث:

المبحث الأوَّل: شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام ومراحل تكوينها، ضمَّ مطالب، منها:

المطلب الأوَّل: مراحل تكوين شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام في مرحَلتي الطفولة، والبلوغ.

المطلب الثاني: شخصيَّة الزَّهراء في مرحلة الرشد، وتتفرَّع إلى: الزوجة (القدوة)، والأم المربِّية (القدوة).

المبحث الثاني: شخصية الزَّهراء عليها السلام القياديَّة في المجتمع، ضمَّ مطالب:

١. صفات القدوة.

٢. الأبعاد النفسيَّة للقدوة.

المبحث الثالث: صور النخب النسويَّة التي أكَّدتها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

ثمَّ الاستنتاجات والتوصيات.

الكلمات المفتاحيَّة: الشخصيَّة، السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، القدوة، النخب النسويَّة.

المقدِّمة

المشكلة

أُدخلت في الآونة الأخيرة على الثقافة العربيَّة تغيُّرات سريعة، ومفاهيم تخصُّ المرأة، منها الجندر، والفردانيَّة، وغيرها من المفاهيم الغربيَّة الضيِّقة، المثقلة بالكثير من المشكلات التي تُربِك تمكين قيام المراة بدورها في المجتمع كفتاة جامعيَّة، أو زوجة أو مربِّية أجيال، بل جعلتها سلعة رخيصة مبتذَلة، فضلًا عن تراكمات المخلَّفات الفكريَّة لبعض المنظَّمات المدنيَّة، بما تطرحه للواقع الاجتماعيّ العربيّ المعاش وللساحة العراقيَّة، من اتِّجاهات فكريَّة، يتصوَّر البعض أنَّها تنمية فردية، إلَّا أنَّها في حقيقتها الضمنيَّة تسعى إلى كسب الأموال من خلال التشهير بالمشكلات التي تخصُّ المرأة، لتجعلها متماهية مع ما يُطرَح من أفكار مسمومة، فضلًا عمَّا تحمل من الانحلال الأخلاقيّ كالحريَّة الشخصيَّة غير الواعية في الجنس.

أضف إلى ذلك الإعلانات البليدة التي تهين وتمسُّ كرامة المرأة المسلمة، واللباس الفاضح الخالي من الحشمة، وسط التجاذبات وجموع الأصوات من المنظَّمات الغربيَّة الداعيَّة ضمنًا إلى الانحطاط، وسحق كرامة المرأة المسلمة.

ولعلَّ الانبهار بالحضارة الغربيَّة والشعور بالدونيَّة، قد يجعل الاقتداء بالغرب أكثر من التفتيش عن القدوة في مجتمعاتنا، وربَّما تخفق بعض النسوة في اتِّخاذ القدوة الصحيحة لهنَّ في بناء شخصيَّتهنَّ، فتتَّخذ المغنِّية، أو تذهب خلف المظاهر البرَّاقة، وتخفق في تحقيق المضمون.

فضلًا عن ورود الأفكار والمفاهيم الغامضة، بما تحمله في داخلها من مضامين خطيرة بعيدة المدى، لاسيما أنَّها تضرب القيم الأخلاقيَّة نحو تفكير الجنس الثالث أو الجنس الاخر، مثلًا للكاتبة الفرنسيَّة سيمون، ومصطلحات فضفاضة خفيَّة، مثل المثليَّة تحت رعاية القانون الدوليّ مع الاسف.

ولعلَّ هذه المفاهيم لها علاقة فيما نلمسه في العصر الحالي من مشكلات متنوِّعة مرتبطة بالتوافق النفسيّ لدى فئة الشابَّات، كزيادة انتشار الأمـراض النفسيَّة، والمخدِّرات، والانحلال الأخلاقيّ، ممَّا أدَّى إلى إضعاف منظومة القيم الأخلاقيَّة والأنموذج الإسلاميّ (القدوة) للمرأة، وإبدالها بتجاذبات غربيَّة مثل الفردانيَّة، كلُّ ذلك أربك أدوارها الاجتماعيَّة، فاصبح المجتمع يبحث عن خلاص لهذا الواقع المعاش الذي صدَّرته إلينا الدول الغربيَّة.

لذلك نتساءل: هل يوجد أنموذج تقتدي به المرأة (شخصيَّة نموذجيَّة في جميع أدوارها الاجتماعيَّة)؟.

الأهميَّة

إنَّ القصد من القدوة هو الاقتداء بنموذج معيَّن يمتلك جميع المواصفات القياديَّة، فنقول: فلان من الناس قدوة لنا في العمل الصالح.

وإن اختلفت مصاديق القـدوة بينهم وتنوَّعت طرائق الاقـتـداء، ومعايير اختيار القدوة، فإنَّه تبقى مسألة القدوة على درجة كبيرة من الأهميَّة في حياة الأفراد والمجتمعات[1].

ذلك أنَّ للقدوة أهميَّة في الحياة الاجتماعيَّة؛ لأنَّها تتَّخذ أدوار معيَّنة وفق مفهوم الدور ووظيفته، وهذه الأدوار لها تأثير في السلوك الفرديّ والاجتماعيّ معًا، لتحقيق المصلحة

(١) دار المعارف الإسلامية الثقافيَّة، السيِّدة فاطمة الزَّهراء قدوة وأسوة، ٢٠١٨، ص٣.

الاجتماعيَّة، سواء كانت وظيفة الدور في بيتها نحو الزوجة الصالحة، وتنشأة الأسرة الصالحة، أو خارج بيتها، نحو المساهمة في إعلاء كلمة الحقِّ، كما فعلت الزَّهراءعليها السلام[1].

واقعًا إنَّ السيِّدة الزَّهراءعليها السلام أفضل قدوة نموذجيَّة يمكن أن تقدَّم للمرأة اليوم، فالمرأة اليوم تحتاج إلى هذه القدوة ومعرفة أدوارها، وبلا شك أنَّ العالم سيُقبِل على الاقتداء بهذا النموذج، إن نحن نجحنا في تعريف العالم المعاصر بشخصيَّة الزَّهراءعليها السلام، كونها أنموذجًا إلهيًّا يتضمَّن جميع السمات الإنسانيَّة الراقية للمرأة التي تمثِّل الأم والأخت والزوجة والبنت، كما نجدها أيضًا النموذج الإلهيّ للإنسان المسلم[2].

ولأهميَّة سيرة الزَّهراءعليها السلام وأدوارها الاجتماعيَّة في تنمية شخصيَّة النساء، فإنَّ النساء اليوم بها حاجة إلى دراسة شخصيَّتهاعليها السلام كنموذج لهنَّ، ليصلن إلى السعادة الأبديَّة، والوصول إلى شحصيَّة المرأة الهادفة.

وقد يتوهَّم البعض أنَّ التاريخ الزَّهراءعليها السلام مقتصر على مجالس العزاء والرِّثاء، على الرغم من أنَّ هذه المظاهر تعبِّر عن مظلوميَّة الصدِّيقة فاطمة، إلَّا أنَّ البُعد الأهم في التاريخ الفاطميّ، هو البحث والاستقصاء في التنمية المجتمعيَّة، وتنمية الفرد المسلم، وعليه تأتي أهميَّة البحث في كيفيَّة صيانة المرأة من العوامل الخارجيَّة التي تريد الإضرار بها، من خلال مدِّ المرأة بالأبعاد الإيجابيَّة التي تساهم في التوازن العقليّ والروحيّ والنفسيّ والوجدانيّ[3].

وبناء المواطنة الصالحة، ومساندة الفتاة الجامعيَّة في تأدية رسالتها في الحياة، وعليه

(١) السودانيّ، هناء، ٢٠١٦، أثر القدوة في تحقيق أهداف المرأة الرساليَّة، السيِّدة زينب أنموذجًا، المؤتمر العلميّ النسويّ الدوليّ.

(٢) نفس المصدر، ص٢٥٦.

(٣) محمَّد نوري محمَّد، ببلوغرافيا السيرة الفاطميَّة- موسوعة الموسم، ٢٠٠٥، ص٤٥، جامعة الكوفة.

يجب أن يكون لهذه الفتاة أنموذجًا تستمدُّ منه طاقاته في صقل شخصيَّتها؛ لتستطيع أن تصل إلى أهدافها في الحياة، وأسمى نموذج هو سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ومنهجها المعرفيّ قدوةً لنا، لتكوين نخبة من النساء قادرات على التنمية والإبداع(١).

وبالتالي التركيز على أدوار النخبة يسعفنا في فهم المجتمع، ومعرفة أسباب اختلاله واضطرابه، بهدف إيجاد مختلف الحلول لمعالجة المشكلات، لتحقيق نوع من التوازن الاجتماعيّ. وعليه فإنَّ معرفة حقيقة النخبة يؤدِّي إلى معرفة حقيقة الأثر الذي تؤدِّيه، ولكي تكون النخبة لها قدرة تغييريَّة ينبغي أن تنطلق من أصول أفضليَّة(٢).

فهل نأخذ التشريعات من الغرب أم من الدين الحنيف، ومن القدوة صاحبة الحضور؟ من هنا لا ينبغي لنا أن نقلِّد الغرب في السلوك الاجتماعيّ، وإنَّما في العلم الماديّ فقط، وذلك لاختلاف الثقافات والدين، وعندما تنحرف السلوكيَّات، وتقوم على رؤى ماديَّة خاطئة، تكون النتيجة أنَّ جميع تحرُّكات المجتمع تتَّجه نحو نزعة منحرفة(٣).

تعريف المصطلحات

١. **الشخصية/ التعريف اللغويّ**: الشخص الذي تراه بعيدًا.

عرَّفها ألبورت: بأنَّها ذلك التنظيم الديناميّ داخل الفرد، والذي ينظِّم جميع الأجهزة النفسيَّة والجسميَّة التي تملي على الفرد طابعه الخاص في السلوك والتفكير(٤).

الزَّهراء عليها السلام: فاطمة بنت محمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، النبيّ الذي أرسله الله رحمةً للعالمين،

(١) جبَّار، وفاء كاظم، أثر الانموذج الإلهيّ (السيِّدة الزَّهراء عليها السلام) في تكوين شخصيَّة المرأة المسلمة)، ٢٠١٧، ص٤.
(٢) حميد عامر حسين، النخبة مفهومها ودورها في الحكم، مجلَّة الجامعة العراقية، ع٤٣، ص٢١٧.
(٣) الولي، خطاب، مركز نون للتأليف والترجمة، ط١، ٢٠١٢م ص٢٩٦.
(٤) ربيع، محمَّد شحاته، ٢٠١٢، علم نفس الشخصيَّة، مصر، ص٣٧.

بعلها الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، الذي ميَّزه الله سبحانه بأنَّه الوحيد الذي ولِد في الكعبة الشريفة. للسيِّدة الزَّهراء اثنين من البنين، هما الحسن والحسين، ومن البنات أمُّ كلثوم، وزينب عليهم السلام جميعًا[1].

٢. **القدوة**: القدْوَةُ، بضمِّ القاف وكسرها: بمعنى الأُسْوَةُ[2].

القدوة اصطلاحًا: الاقتداء بالغير ومتابعته، والتأسِّي به[3].

النُّخب النسويَّة: منتخب أي مختار، يقصد بها طبقة أو أقليَّة من الصفوة المختارة من أفراد المجتمع، تتمتَّع بمؤهِّلات وقدرات طبيعيَّة أو مكتسبة، وتُعرَف بامتيازاتها العلميَّة والثقافيَّة[4].

أهداف البحث

١. تعرُّف مراحل شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام كأنموذج إلهيّ يُقتدَى به.

٢. تعرُّف أدوار السيِّدة الزَّهراء الاجتماعيَّة، وأثرها في إنتاج نخبة للفائدة المجتمعيَّة.

منهج البحث

اتَّبعت الباحثة المنهج الوصفيّ، واختارت طريقة تحليل المحتوى؛ لملائمتها وتحقيق أهدف البحث.

---

(١) شعبة التبليغ، قسم الشؤون الدينيَّة، شذرات من حياة فاطمة الزَّهراء، ٢٠١٦، ص١٠.

(٢) محمَّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ الإفريقيّ (ت٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

(٣) المناوي، زين الدين محمَّد (ت١٠٣١هـ)، التوقيف على مهمَّات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٢٦٩.

(٤) حميد عامر حسين، النخبة مفومها ودورها في الحكم، ص٢١٦.

المبحث الأوَّل

شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام ومراحل تكوينها

وتتفرَّع إلى مراحل الطفولة، والمراهقة، والرشد.

أوَّلًا: مرحلة الطفولة

أكَّدت الروايات أنَّ نشأة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام نوريَّة وليست بدنيَّة، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: **خُلق نور فاطمة قبل أن تُخلق السماء والأرض**. فقال بعض الناس: يا نبيَّ الله فليست هي إنسيَّة؟ فقال صلى الله عليه وآله: **فاطمة حوراء إنسيَّة**(١).

وفي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال صلى الله عليه وآله: **لمَّا عرج بي إلى السماء، أخذ بيدي جبرئيل عليه السلام فأدخلني الجنَّة، فناولني من رطبها فأكلته، فتحوَّل ذلك نطفةً في صُلبي، فلمَّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة؛ فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسيَّة، فكلَّما اشتقت إلى رائحة الجنَّة شممت رائحة ابنتي فاطمة**(٢).

وفي المناقب لابن شهرآشوب: ولِدت فاطمة عليها السلام بعد النبوَّة بخمس سنين، وقريش تبني الكعبة، والمشهور يوم ولادتها ٢٠ جمادى الآخرة من السنة الخامسة بعد البعثة النبويَّة، ويؤكِّد ذلك عن حبيب السجستانيّ، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «**ولِدت فاطمة بنت محمَّد صلى الله عليه وآله بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس سنين**»(٣).

(١) العلَّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص٤.
(٢) الشيخ الصدوق، الأمالي، المكتبة الشيعيَّة، ص٥٤٦.
(٣) الكلينيّ، الكافي، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، دار الكتب الإسلاميَّة،=

وقد نشأت مولاتي فاطمة عليها السلام في بيت النبوَّة وتكامل التربية المحمَّديَّة، تكوَّنت شخصيَّتها من شخصيَّة أبيها محمَّدًا صلى الله عليه وآله وأمّها خديجة الكبرى عليها السلام، فكان عمرها العقليّ أكبر من مرحلة السنِّ التي فيها، وهذا ما نلاحظه من استطلاع الكتب التاريخيَّة، نحو مساندتها لأبيها في حصار آل هاشم في شِعب أبي طالب. كانت السيِّدة فاطمة في مرحلة الطفولة، صبيَّة عمرها ستّ أو سبع سنوات على هذا النحو، إلَّا أنَّه كان لديها شعور مبكِّر بالمسؤوليَّة والتفاعل إزاء القضايا المحيطة بها، حيث كانت عليها السلام في تلك الظروف بمثابة الأم والمشارك والممرضة بالنسبة إلى أبيها صلى الله عليه وآله، فتواسيه وهي تزيل بحنان غبار الهمِّ والحزن عن وجه أبيها الذي تجاوز، وتحملت الجوع والأذى معه، وهو حينذاك في الخمسين من عمره الشريف[1]. ثمَّ هاجرت مع الفواطم إلى المدينة المنوَّرة، وتحمَّلت مشاق السَّفر في الصحراء.

وينقل صاحب كتاب كنز العمَّال: «إنَّما سمِّيت فاطمة بالزَّهراء؛ لأنَّها إذا قامت إلى محرابها، أزهر نورها لأهل السماء كما يزهر الكوكب الذريّ لأهل الأرض»[2].

مرحلة الرشد

ينبغي علينا أن نتَّخذ حياة السيِّدة عليها السلام درسًا وأسوة، لا كمجرَّد ذكريات قيِّمة وعظيمة حدثت في تاريخ مضى، وهذا لا يتحقَّق إلَّا بالاهتمام والتركيز على منهج وأسلوب سيرتها.

فهي تضيف شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله الخلقية والخلقية والنفسيَّة، فالسمت في الهيبة والوقار، والهدي في الحركة والسكون، والدل في الحثيثة والكيفيَّة والهويَّة، والحديث في الصدق، ونبرات الصوت والكلام في البلاغة والأداء والتبليغ.

=طهران، ج١، ص٤٥٧.

(١) مركز المعارف، المرأة والأسرة في فكر الإمام الخامنئي، ٢٠١٧، ص١٥٢

(٢) المتَّقي الهنديّ، كنز العمَّال، (ت٩٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ بكري حيَّاني، ج٦، ص٢١٩.

إنَّ مختلف الأبعاد التي يمكن تصوُّرها للقدوة تجسَّدت في شخصيَّة فاطمة الزَّهراء عليها السلام. لم تكن امرأة عاديَّة[1].

١. الزوجة النموذج:

اتَّصفت في مرحلة شبابها بأنها شريفة الملكة، نبيلة النفس، جليلة الحس، سريعة الفهم، وفي الذروة العليا من العفاف، طاهرة مطهَّرة، عفيفة المآزر، سليلة الشَّرف. ولـمَّا بلغت فاطمةُ سنَّ الرشد، خطبها الكثير، في طليعتهم أبو بكر وعمر، وكان رسول الله يردُّ الخاطبين قائلًا: إنَّني انتظر في أمرها الوحي. وجاء جبريل يخبره بأن الله قد زوَّجها من عليّ عليه السلام، وهكذا تقدم عليّ، والحياء يغمر وجهه إلى خطبة فاطمة عليها السلام، فدخل رسول الله على فاطمة ليرى رأيها، وقال لها: **يا فاطمة إنَّ عليّ بن أبي طالب مَن قد عرفْتِ قرابته وفضْله وإسلامه، وإنِّي قد سألتُ ربِّي أن يزوِّجكِ خيْرَ خلْقه وأحبَّهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئًا فما ترين؟**.

سكتت فاطمة وأطرقت برأسها إلى الأرض حياءً، فهتف رسول الله صلى الله عليه وآله: **سكوتها رضاها**، وقال الرسول صلى الله عليه وآله: «**لولا عليّ لم يكن لفاطمة كفوء**»[2].

وذكر الذهبيّ في سير أعلام النبلاء[3]، وذكر المسبَّحي: أنَّ فاطمة تزوَّج بها عليّ بعد عرس عائشة بأربعة أشهر ونصف، ولفاطمة يومئذٍ خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف[4].

(١) مركز المعارف للتأليف، إنسان بعمر ٢٥٠، جمعيَّة المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة، ٢٠١٥، ص١٠٣.

(٢) المسعوديّ، محمَّد فاضل، الأسرار الفاطميَّة، ١٤١٩هـ، مؤسَّسة الزائر في الروضة المقدَّسة، قم.

(٣) الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص١٢٨.

(٤) السيِّد المرعشيّ، نور الله الحسيني، شرح إحقاق الحقِّ، ج١٩، ص١٧٦، مكتبة آية الله المرعشيّ، مطبعة الخيام، قم: ١٤٠٦هـ، المكتبة الشيعيَّة.

وتمَّت مراسم العقد والـزواج ببساطة تعكس سماحة الإسـلام، فقد كان الإمام عليّ عليه السلام لا يملك غير سيفه ودرعه، فأراد أن يبيع السيف، فمنعه رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنَّ الإسلام في حاجة إلى سيف عليّ عليه السلام، ولكنَّه وافق صلى الله عليه وآله على بيع الدرع، فباعه الإمام عليّ عليه السلام ودفع ثمنه مهرًا لسيِّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام، وهكذا تمَّ زواج النور من النور، وانتقلت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام إلى بيت الزوجيَّة، وكان انتقالها من بيت الرسالة والنبوَّة إلى دار الإمام والوصيّ، فبعد أن كانت تعيش تحت شعاع النبوَّة، أصبحت تعيش قرينة الإمام[1].

تمثَّلت علاقتها عليها السلام الزوجيَّة بالسكن النفسيّ والطمأنينة، وأروع صور الاستقرار الزوجي، ونستدلُّ في ذلك من خطاب لها مع أمير المؤمنين عليه السلام، نتعلَّم منه كيف تخاطب الزوجة زوجها، فخاطبته قائلةً: «**يا بن عمّ، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني**»، فقال عليه السلام: «**معاذ الله أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفًا من الله [من] أن أوبِّخك بمخالفتي**»[2].

لقد اجتمعت فيها فضائل الأخلاق ومكارمها، ما لم تجتمع في أيِّ امرأة في العالم جميعه، من حيث النَّسب الشريف، وكرامتها عند الله سبحانه، وعبادتها وعلمها وديانتها، وزهدها، وتقواها، وطهارتها، ونفسيَّتها وشخصيَّتها، وغير ذلك من مئات المزايا ممَّا يطول الكلام بذِكرها، حيث قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ، نِعمَ الزوجة زوجتك».

نستنتج من ذلك صفاتها الخاصَّة بها، وهي صفات فوق صفات القدوة. هكذا عاش الزوجان العظيمان النموذجيَّان في الاسلام، مؤدِّيان واجبهما، وقد كانا المثل الأعلى للقدوة.

(١) شبكة المعارف الثقافية الإسلاميَّة، ٢٠٢٠، موقع نت.

(٢) المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، تحقيق: محمَّد الباقر البهبوديّ، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص١٩١.

وسرعان ما سعد هذا البيت بالذريَّة الصالحة، فقد رُزِق الأبوان نصيبًا طيِّبًا طاهرًا من البنين والبنات، الحسن، والحسين، وزينب، وأمُّ كلثوم[1].

فنلاحظ من أقلام الأدباء في السيرة الطاهرة، كيف تكون المعاملة الزوجيَّة، وكيف تؤثِّر على النمو النفسيّ والمعنويّ، ليس للزَّوجَين فقط، وإنَّما تأثيرها على جميع أفراد الأسرة.

ومن المعروف أنَّ سعادة الرجل ونجاحه أو فشله في الحياة له علاقة وثيقة بالمعاملة الزوجيَّة والسكن النفسيّ والروحيّ بين الزوجَين، فكان بيت الزَّهراء هو الملجأ الذي يلجأ إليه الإمام عليه السلام من متاعب الحياة ومصاعبها؛ ليستريح في هناءٍ ودفء، ولتسكن نفسه، حيث تضمِّد السيِّدة جراحه، وتغسل الدَّم عن جسده عندما يعود من المعارك، وبهذا فهي تشترك في جهاد الامام عليه السلام أيضًا من خلال حسن الإرشاد في الإدارة الأسريَّة، حتَّى قال الإمام عليّ عليه السلام: «**لقد كنت أنظر إليها فتنجلي عنِّي الغموم والأحزان بنظرتي إليها**»[2].

لم تكن حياة الزَّهراء في بيت زوجها مُترفة، بل كانت توصَف بالخشونة والفقر، ولم يستطع زوجها أن يؤجِّر لها خادمة تساعدها، فكان عليها أن تعمل العمل الشاق في البيت، ولم تطلب شيئًا من الإمام عليّ، عملًا بوصيَّة أبيها، إلَّا أنَّ الإمام عليّ كان يساعدها ما مكَّنته ظروفه من ذلك[3].

وفي رواية تعزيزيَّة أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله دخل على ابنته فاطمة عليها السلام ذات يوم ووجدها تطحن شعيرًا، فجعل يحدِّثها، وبدأ يقصُّ عليها أجر المرأة العاملة في منزلها، فقال: «**يا فاطمة! ما من امرأة طحنت بيديها إلَّا كتب الله لها بكلِّ حبَّة حسنة، ومحا عنها بكلِّ**

(١) المجلسيّ، ص١٣٤.
(٢) الخوارزميّ، أحمد بن محمَّد المكِّيّ، المناقب، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، د.ت، قم، ص٣٥٣.
(٣) شبكة المعارف الإسلاميَّة، ٢٠٢٠، موقع نت.

حبَّة سيِّئة. يا فاطمة! ما من امرأة عرقت عند خبزها، إلَّا جعل الله بينها وبين جهنَّم سبعة خنادق من الرحمة. يا فاطمة! ما من امرأة غسلت قِدرها، إلَّا غسلها الله من الذنوب والخطايا.. يا فاطمة! ما من امرأة نسجت ثوبًا إلَّا كتب الله لها بكلِّ خيط واحد مئة حسنة، ومحا عنها مئة سيِّئة. يا فاطمة! أفضل أعمال النساء المغازل. يا فاطمة! ما من امرأة برمت مغزلها إلَّا كان له دويٌّ تحت العرش، فتستغفر لها الملائكة في السماء. يا فاطمة! ما من امرأة غزلت لتشتري لأولادها أو عيالها، إلَّا كتب الله لها ثواب مَنْ أَطعمَ ألف جائع، وأكسى ألف عريان»[1].

وفي كتاب الاحتجاج[2] للرضويّ النجفيّ، عندما أخذ أبو بكر الإمام عليًّا عليه السلام؛ ليجبره على البيعة، فلمَّا امتنع الإمام عن البيعة احتُجِز، وفي رواية العيَّاشيّ: غضبت السيِّدة فاطمة وقالت لأبي بكر: **أتريد ان ترمِّلني من زوجي؟ والله إن لم تكفَّ عنه؛ لأنشرنَّ شعري، ولأشقنَّ جيبي، ولآتينَّ قبر أبي، ولأصيحنَّ إلى ربِّي**. فنصحه القوم بترك الإمام عليّ، فلمَّا تركوه أتاها مهرولًا، فلمَّا وصل إليها قبَّلت أكتافه، وقالت بدموع جارية: «روحي لروحك الفداء، ونفسي لنفسك الوقاء يا أبا الحسن، إن كنت في خيرٍ كنت معك، وإن كنت في شرٍّ كنت معك»[3].

حاكت السيِّدة فاطمة عليها السلام الثياب وغزلتها بيدها، وقد كان للإمام عليّ عليه السلام قميص من غزل فاطمة عليها السلام يرتديه أثناء الحروب، ويقي به نفسه، وهو أمرٌ يدلُّ على عنايتها الفائقة بأموره عليه السلام[4].

(١) الأصفهانيّ، أبو الفرج، الأغاني، مكتبة مدرسة الفقاهة، ١٩٩٤، بيروت، ص٥٢٤.

(٢) الرضويّ النجفيّ، الاحتجاج، ص١٤٠.

(٣) القزوينيّ، محمَّد، فاطمة من المهد إلى اللحد ١٤١٤، ص٢٧٦، مكتبة بصيرتي، قم.

(٤) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ج٣، ١٩٥٦، ص٤١.

ونستنتج من استطلاعنا للكتب التاريخيَّة أنَّ حياة السيِّدة فاطمة في بيت الزوجيَّة لم تكن مترفة، بل كانت توصَف بالخشونة والفقر، وورد في اللمعة البيضاء أنَّ عليًّا عليه السلام اقتسم أشغال البيت مع فاطمة عليها السلام، فكان عليّ يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة تطحن وتعجن وتخبز[1].

وفي يوم سألوا الإمام عليًّا عليه السلام عن علاقته الزوجيَّة بالزَّهراء عليها السلام، قال عليّ عليه السلام: «**فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتَّى قبضها الله عزَّ وجلَّ، ولا أغضبتني، ولا عصت لي أمرًا، لقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنِّي الهموم والأحزان**»[2].

٢. دورها في تربية أبنائها:

إنَّ البيئة هي أوَّل من تشكِّل شخصيَّة الفرد، وعندما نقول البيئة، فإنَّنا نركِّز على الأم، فهي مرتكز العمليَّة التربويَّة، ومعتمد التنشئة الاجتماعيَّة للفرد في أيَّام طفولته.

زرعت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام القيم الأخلاقيَّة والآداب السامية الإسلاميَّة، فأنبتت في نفوس أولادها عمل الخير والحبِّ المطلق، وعلمتهم أنَّ هذه القيم الأخلاقيَّة تقرِّبهم إلى الله سبحانه، وجعلتهم يتوجَّهون إلى الله بكلِّ جوارحهم، وجعلت نقطة انطلاقهم تتركَّز على الاخلاص لله سبحانه، وعلَّمتهم العواطف المهذَّبة، وقيم الجمال الروحيّ[3].

وفيما بعد هذه الافكار المعرفيَّة التنمويَّة اتَّفق عليها جميع علماء النفس في أنَّها أفكار تنمويَّة تزوِّد الأفراد بالنمو المعرفيّ والوجدانيّ، وينعكس صداها على التنمية المجتمعيَّة.

(١) التبريزيّ الأنصاريّ، اللمعة البيضاء، تحقيق: السيِّد هاشم الميلانيّ، ١٤١٨، ص٢٧٧.
(٢) المجلسيّ، د.ت، ص١٣٤، المناقب، الخوارزميّ: ٣٥٣.
(٣) القرشيّ، باقرشريف، موسوعة أهل البيت عليهم السلام، ط٢، النجف، مؤسَّسة الإمام الحسن عليه السلام، ٢٠١٢م، ص٥٠.

وهناك ركن تربويّ أسريّ بالغ الأهميَّة يجب أن تنتبه له الأمَّهات انتباهًا شديدًا وجادًّا، وهو ما يتعلَّق بإظهار الاحترام الجيِّد للأطفال وتعليمهم، وإشعار الأم لطفلها بالتقبُّل والاحترام، وأنَّ كرامته ومكانته كبيرة لديها، هذا السلوك الإرشاديّ المهمّ سوف يكبر وينمو مع الطفل، وسوف يعيش حياته كلّها في شخصيَّة وقورة محترمة خالية من العقد النفسيَّة. هذا بالضبط ما كانت تقوم به السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام مع أبنائها، فامتلأت قلوبهم ونفوسهم وعقولهم بهذا التعامل الكريم، ونضجت شخصيَّاتهم محترمة موقَّرة متوازنة واثقة؛ لأنَّهم نهلوا من أمِّهم عليها السلام، الطِّيبة والاحترام والمحبَّة والشعور بالاكتمال النفسيّ، وذِكر فضائلهم، كما كانت تفعل الزَّهراء عليها السلام مع أولادها، ويشهد لها ما في حديث الكساء من قولها عليها السلام للحسنَين عليهما السلام: **يا قرَّة عيني وثمرة فؤادي**[1].

قدَّمت عليها السلام لنا أفضل تفاعل اجتماعيّ بين المربِّي والأبناء، وتظهر هنا البنية النفسيَّة والفكريَّة في الحوار التفاعليّ الاجتماعيّ، فأعطتنا أعظم نموذج فيما يخصُّ تربية الأبناء، حيث كان مضمون التربية الفاطميَّة قائمًا على القيم الحقَّة المنبثقة من الدين، وزرعها في نفوس الأولاد، وجَبْلِ كيانهم عليها، كالتربية على قيمة الارتباط بالله..[2].

وقدَّمت السيِّدة فاطمة عليها السلام لأولادها، بل لكلِّ البشريَّة أنموذجًا كاملًا قابلًا للتأسِّي، فهي بتجسيدها القيم والمفاهيم الدينيَّة في حياتها تُدلُّ المربِّين بشكلٍ عمليٍّ على ما ينبغي القيام به، وهو أسلوب نراه يتكرَّر في مواقفها مع أولادها. وما يحتاج له مجتمعنا اليوم هو أن يعرف ما معنى الأمومة؟ هو ليس الأمّ التي تنجب فقط، ولو تمعنَّا في حديث السيِّدة زينب عليها السلام في مرحلة الطفولة في حوار دار بينها وبين أبيها الإمام عليّ عليه السلام،

(١) الشيرازيّ، صادق حسن، ٢٠٠ كلمة عن فاطمة الزَّهراء، ٢٠٠٣، موقع نت.

(٢) الطبرسيّ، النوريّ، مستدرك الوسائل، ١٩٨٨، ج٢، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ص٦٣٥.

عندما قالت له: **يا أبتاه أتحبُّنا؟** قال: **نعم يا بنيَّتي أولادنا أكبادنا**. فقالت: **يا أبتي حبَّان لا يجتمعان في قلب المؤمن، حبُّ الله وحبُّ الاولاد، وإن كان البدُّ فالشفقة لنا والحبُّ لله خالصًا**[1].

ومن هنا ندرك مدى أهميَّة النمو المعرفيّ في التنشئة الاجتماعيَّة في مرحلة الطفولة، والسماح للحوار البنَّاء مع الأبناء؛ لأنَّ هذا الحوار لا يُنسى من قبل الطفل عندما يصل إلى مرحلة الرشد؛ ليصبح شخصًا معتمدًا عليه في المستقبل، ويحمل شخصيَّة قويَّة مطمئنة، وهذه الأفكار المعرفيَّة التنمويَّة اتَّفق عليها جميع علماء النفس في أنَّها افكار تنمويَّة تزوِّد الأفراد بالنمو المعرفيّ والوجدانيّ، وينعكس صداها على التنمية المجتمعيَّة[2].

وهكذا كانت السيِّدة فاطمة عليها السلام صانعة قادة، من خلال قيامها بإدارة شؤونهم، وتغذيهم بالفضيلة والتقوى، وإرشادهم بأحسن ما يكون. وقد ورد أنَّ الإمام الحسين عليه السلام، عندما كان يرجع من مسجد جدِّه الرسول صلى الله عليه وآله، وكان طفلًا صغيرًا، كانت السيِّدة فاطمة عليها السلام تستفسره عن كلام الرسول صلى الله عليه وآله وخطبته في المسجد، فقد كانت تهيِّء أولادها لمختلف ميادين العبادة والتقوى، وتُشبع حاجاتهم النفسيَّة والجسديَّة[3].

فعن الحسنين عليهما السلام كانا يذهبان كلَّ يوم إلى المسجد، ويجلسان إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله يتعلمان منه الامور الفقهية، والعلوم الإسلاميّة، ويسألان النبيّ صلى الله عليه وآله عن أمور كثيرة، لذلك لا بد أن يسبق ذهابهما إلى النبيّ صلى الله عليه وآله تعلُّم وإرشاد من قِبَل الأم، إضافة إلى بناء الشخصيَّة، وتحمُّل المسؤوليَّة، وهذه السمات تغرسها الأم في أبنائها منذ الطفولة، في هذا المنظور تقدِّم السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لنا الأنموذج الراقي للمرشدة الواعية التي تكفَّلت

(١) الطبرسيّ، ١٩٨٨، ص٦٣٥.
(٢) الواسطيّ، زينب شاكر، الفكر التربويّ للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ٢٠١٧، مجلَّة الكليَّة الإسلاميَّة الجامعة، العراق، مج٧، ع٢٠، ص٧٦.
(٣) الشيرازيّ، صادق حسن، ٢٠٠ كلمة عن فاطمة الزَّهراء، ص٣٥.

بتربية وإرشاد أبنائها أحسن تربية، وتمكَّنت من توفير الأجواء الأسريَّة الحميمة، على الرغم من انشغالها بأمور عمليَّة أخرى، كتعليم النساء وإرشادهنَّ، والمساهمة في نشر الرسالة المحمَّديَّة(١).

اعتمدت في تنشئة أولادها وصناعة شخصيَّاتهم على الرسالة المحمَّديَّة، والعقيدة الإسلاميَّة، فكانت أرقى نموذج نسويّ للاقتداء به، فكانت تحرص على اصطحابهم إلى محراب عبادتها في دجى الليل وخلود الآخرين للنوم، فهي تعمل على إرشاد أولادها، وتزرع قوَّة التحمُّل، وعذوبة العبادة والطاعة لله في الوقت نفسه فيهم، كانت تُجلِس الإمام الحسين عليه السلام إلى جانبها في المحراب، ثمَّ يغرقان في التبتُّل إلى الله سبحانه، فأدركت أنَّ الشخصيَّة المؤمنة لا بدَّ لها من صناعة تعتمد على العقيدة الإسلاميَّة، فعلَّمت أولادها خُطَب الرسول صلى الله عليه وآله وهم أطفال، وأدركت أنَّ الإرشاد والتعليم له مراحل ومستويات، لذلك طلبت من أولادها أن يسمعوها وينتبهوا لها، وعلَّمتهم كيفيَّة إقناع الآخرين وإيصال المعلومة إليهم، فعلَّمتهم حُسن الحديث وقوَّة الحجَّة، ومهارة الكلام، ولم تقف عند ذلك فقط، وإنَّما زوَّدتهم بالحكمة والأخلاق الفاضلة، ولم تقتصر على تعليم الحسنَين عليهما السلام، بل شملت السيِّدة زينب عليها السلام.

أدركت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام كيف تصنع الرابطة الأخويَّة القويَّة، فطلبت من السيِّدة زينب عليها السلام مساندة أخيها الحسين عليه السلام، وعلَّمتها كيفيَّة الخطاب، فامتلكت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام الدرجات الرفيعة في التوجيه والإرشاد وثقافة الأمومة وكأنَّها تدرك أنَّ صناعة الشخصيَّة ترتكز في أحد أركانها على مرحلة الطفولة، فوجَّهت أبناءها وكأنَّهم أشخاص تجاوزوا سنَّ البلوغ، ولم تنتظر وصولهم إلى هذا السنِّ، فكانت الزَّهراء عليها السلام مثال الأمِّ النموذجيَّة في فكرها وسلوكها(٢).

(١) المدرِّسي، محمَّد تقي، منهج الزَّهراء في التربية، د.ت، ص٥٤.
(٢) المصدر نفسه، ص٥٥.

٣. دور الزَّهراء عليها السلام مع أبيها صلى الله عليه وآله:

إنَّ النبيّ صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله عامل السيِّدة فاطمة عليها السلام معاملة المشاركة، ولم يعاملها معاملة الرعاية فقط؛ لذلك صنع منها عليها السلام عضوًا فاعلًا في المجتمع، وجعلها قدوة لنساء المسلمين، ولقد عانت مع النبيّ صلى الله عليه وآله، وهي بمثابة الأمّ للنبيّ عليهما السلام، فقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله يعود إلى البيت منهكًا بالجراح والآلام، والزَّهراء عليها السلام هي التي تستقبله وتمسح جراحه، وتخفِّف آلامه، يصارحها بهمومه، ويلقي عليها ما في قلبه، وكانت تخفِّف عنه هذه الهموم والغموم. لقد كانت الزَّهراء عليها السلام أوَّل من يستقبل النبيّ صلى الله عليه وآله، وآخر من يودِّعه.

فكانت قمَّة العاطفة، بل السكن النفسيّ الذي تملؤه المودَّة والدفء وينبوعًا للعاطفة، حتَّى أصبحت أمًّا لجميع المؤمنين والمؤمنات، بل كناها النبيّ صلى الله عليه وآله بأمِّ أبيها، عندما قال: «**فاطمة أمُّ أبيها**».

حرصت السيِّدة فاطمة على أن تكنَّى باللقب الذي كنَّاها به والدها الرسول صلى الله عليه وآله (أم أبيها)؛ لتوظيف هذا اللقب في تنمية الأمَّة الإسلاميَّة، ومعنى هذا اللقب لو نرجع إلى التاريخ العربيّ، نجد أمّ القرى مكَّة؛ لأنَّها قبلة جميع الناس يؤمُّونها، وسمِّيت بذلك لأنَّها أعظم القرى شأنًا، وفي التنزيل: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ﴾ القصص: ٥٩.

وكلمة مدينة هي أمُّ ما حولها من القرى، وعند العرب أنَّ كلّ شيء يضمُّ إليه سائر ما يليه، فإنَّ العرب تسمِّي ذلك الشيء أمًّا، مثل أمّ القرى مكَّة، وأمّ الكتاب فاتحة الكتاب؛ لأنَّها المقدَّمة أمام كلِّ سورة، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ الزخرف: ٤، وفي قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾ آل عمران: ٧.

فإنَّ الأم هي الأصل، والرسول صلى الله عليه وآله كنَّى ابنته فاطمة بأمِّ أبيها، وهي كنية في غاية الأهميَّة بما فيها من العمق والأبعاد الدلاليَّة على مستوى الخصوصيَّة، ذلك لوجود السمات التي تؤهِّلها لهذا التشبيه، وله آثاره الواقعيَّة على المجتمع المسلم بشكلٍ عامٍّ، فهي بهذا تكون حتَّى أمّ زوجات النبيّ صلى الله عليه وآله على نحو التشريف والاحترام، باستثناء أمّها السيِّدة خديجة، فكانت قدوة للنساء، تُراعي أباها صلى الله عليه وآله، وتشترك مع نساء المسلمين في إعداد الطعام وسقاية الجرحى ومداواتهم في الغزوات الإسلاميَّة، وفي غزوة أُحد هي التي داوت جراح أبيها صلى الله عليه وآله حينما رأت أنَّ الدم لم ينقطع، فأخذت قطعة حصير وأحرقتها وذرَّتها على الجرح حينما صارت رمادًا، فاستمسك الدم، وقدَّمت عليها السلام الإسناد العاطفيّ للنبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله بعد وفاة أمِّها خديجة عليها السلام، ولهذا كان يعاملها معاملة الأم، فيقبِّل يديها ويبدأ بزيارتها عند عودته إلى المدينة، وينطلق من عندها عند غزواته ورحلاته[1].

وجاءته في حفر الخندق بقطعة خبز وقدَّمتها إليه، فقال لها: **ما هذه يافاطمة؟** فقالت: **مِن قرصٍ اختبزته لابنَيَّ، جئتك منه بهذه الكسرة.** فقال لها: «**يابنية: أما أنَّها لأوَّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيَّام**»[2].

أخذ الرسول بيد السيِّدة فاطمة، وقال: «**من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي بضعة منِّي، هي قلبي وروحي التي بين جنبيَّ، فمن آذاها فقد آذاني**»[3].

(١) المجمع العلميّ لأهل البيت، ص٤٣.
(٢) المجلسيّ، بحار الأنوار، ص٢٢٥.
(٣) المجلسيّ، بحار الأنوار، ص٥٤.

المبحث الثاني

السيِّدة الزَّهراء عليها السلام القدوة

عندما نقول: فلَان يتأسَّى بفلانٍ، أَي: يرضى لنَفسِهِ مَا رَضيه، ويقتَدى بِهِ[1].

ومن هنا فإنَّ الاقتداء هو اتِّباع شخصيَّة تنتمي إلى القيم نفسها التي يؤمن بها المقتديان نحو التعرُّف إلى القيم التي حكمت تصرُّفات القدوة ومكانته الشرعيَّة[2].

وعليه ينشأ الاقتداء بالقدوة الصالحة التوازن والاعتدال في سلوك الأفراد؛ وصولًا إلى قوَّة إيجابيَّة فاعلة في المجتمع.

ومن آثار القدوة الصالحة أنَّه يُبصِّرك بعيوبك، ويرشدك إلى الأسلوب الأمثل في التخلُّص منها، من خلال مقارنة أعمالك وسلوكك بما عليه قدوتك الصالح، فتتأسَّى به، وتصلح تلك العيوب، فيدلُّك على أمور واجبة كنت غافلًا عنها أو متكاسلًا عن أدائها[3].

ولعلَّ الشخصيَّة التي يطمح الإنسان أن يتأسَّى بها سوف تبقى حلمًا، وربَّما يُصاب الإنسان باليأس والخنوع ما لم يكن لها مصداق خارجيّ وحقيقيّ، ولايستلزم

(١) الهرويّ، محمَّد بن أحمد بن الأزهريّ (ت٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمَّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ٢٠٠١م، ص٩٥.

(٢) عصام العبد زهد: القدوة الصالحة وأثرها على الفرد والمجتمع، الجامعة الإسلاميَّة، ٢٠١٠م، ص١١.

(٣) المرزوقيّ، آمال، النظريَّة التربويَّة الإسلاميَّة، ١٩٨٢، جدَّة، ص١٠٨.

الاقتداء أن يعيش المقتدي والقدوة في الزمن نفسه، كما أنَّه لا يستلزم أن يمرَّا بالأحداث نفسها، بل إنَّ التعرُّف إلى المنهج والقيم التي حكمت تصرُّفات القدوة كفيل بأن يحقِّق الاقتداء[1].

تميزت السيِّدة فاطمة عليها السلام بصفات لتقتدي بها النساء النخبة:

لقد مهَّد الرسول صلى الله عليه وآله إلى صفات السيِّدة فاطمة عليها السلام بأحاديث كثيرة؛ ليأمر الناس بالاقتداء بها بعده، وهذه الأحاديث تبيِّن منزلتها عند الرسول، وهو لا ينطق عن الهوى، فكانت نقطة تحوُّل عظيمة، وإشراقة نور إلهيّ على الأمَّة الإسلاميَّة.

١. كوثر العصمة:

أراد صلى الله عليه وآله أن يوحي للناس رجالًا ونساءً أنَّ المرأة يمكن أن ترتفع وتسمو في تكريم الله لها، فتصل إلى أعلى المراتب، وهي مرتبة العصمة، وأنَّ الوصول إلى مقام العصمة لا فرق فيه بين الرجل والمرأة، وحقيقة العصمة، أنَّها قوَّة نوريَّة ملكوتيَّة تعصم صاحبها عن كلِّ ما يشينه من رجس الذنوب والأدناس والسهو والنسيان، ونحوها من الرذائل النفسانيَّة[2].

والعصمة تعطي الشرعيَّة للمقتدي بالاقتداء، إذ تجعل المسلم على اتِّصال دائم بالخالق؛ لأنَّه يُذكِّره بالطاعة والإخلاص في النيَّة والعمل، وتربِّي الشخصيَّة المسلمة القويَّة ذات الشكيمة والإرادة؛ لأنَّها تنشئ وتُنمِّي الفضائل والأخلاق الحميدة في نفوس الأفراد المقتدين[3].

(١) دار المعارف الإسلاميَّة، السيِّدة فاطمة الزَّهراء قدوة وأسوة، ٢٠١٨، سلسلة المعارف العلميَّة، ص٨٥

(٢) محمَّد حسين فضل الله، الزَّهراء عليها السلام القدوة، ١٤٢١هـ، دار الملاك للنشر.

(٣) عصام العبد زهد، الجامعة الإسلاميَّة، القدوة الصالحة وأثرها على الفرد والمجتمع، ٢٠١٠م، ص١٢.

وفي ذلك روى الحاكم النيسابوريّ في مستدركه عن عمر بن علي عن جعفر بن محمَّد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي عليه السلام قال، قال صلى الله عليه وآله لفاطمة: «**إنَّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك**»(١).

وهذا الحديث خير دليل على عصمتها (صلوات الله وسلامه عليها)؛ لأنَّها لو لم تكن معصومة، فلا معنى لأن يرضى الله تعالى لرضاها، ويغضب لغضبها، ثمَّ لو لم تكن معصومة، فما هو الفرق بينها وبين إنسان مؤمن عادي، فلماذا يغضب الله لغضبها، ولا يغضب لغضب شخص آخر؟!

فهذا يعني أنَّ رضاها وغضبها يوافقان الموازين الشرعيَّة في جميع الأحوال، وأنَّها لا تعدو الحقَّ في حالَتَي الغضب والرِّضا، وفي ذلك دليل ساطع على عصمتها عليها السلام(٢).

وما رواه محمَّد بن أحمد بن عليّ بن شاذان قال: حدَّثنا الحسن بن حمزة، عن عليّ ابن محمَّد بن قتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن محمَّد بن زياد عن حميد بن صالح -يرفع الحديث بأسماء رواته، وتركت ذلك اختصار- قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: **فاطمة بهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمَّة من ولدها أمناء ربِّي، وحبلٌ ممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم بهم نجا، ومن تخلَّف عنهم هوى**(٣).

وهذا الحديث يدلُّ أنَّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام مكانة عظيمة لا تُدرَك بالعقول، لكنَّها ليست بنبيَّة، إذ لا ملازمة بين العصمة والنبوَّة، فهذه مريم البتول معصومة بنصِّ الكتاب الحكيم، لكنَّها ليست بنبيَّة(٤).

(١) الحاكم النيسابوريّ، المستدرك، تحقيق وإشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشليّ، ج٣، ص١٥٤.
(٢) الكعبيّ، عليّ موسى، سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام، مركز الرسالة، د.ت، ص٨٩.
(٣) المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٢٣، ص١١٠.
(٤) عصمة الزَّهراء عليها السلام، موقع منتدى الكفيل.

٢. الفقيهة:

في حديث محمَّد بن يعقوب عن الصنعانيّ، وصولًا إلى المنهال بن عمرو، عن السيِّدة عائشة بنت طلحة عن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله قالت: «ما رايت أحدًا كان أشبه كلامًا وحديثًا من فاطمة برسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت إذا دخلت عليه رحَّب بها، وقام إليها، وأخذ بيديها، وقبَّل يدها، وأجلسها في مجلسه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله، إذا دخل عليها، رحبَّت وقامت وأخذت بيده فقبَّلتها، فدخلت عليه في مرضه الذي توفِّي فيه، فرحَّب بها وقبَّلها وأسرَّ إليها فبكت، ثمَّ أسرَّ إليها فضحكت. فقلت: كنت أحسب لهذه المرأة فضلًا، فإذا هي منهنَّ، بينا هي تبكي إذ هي تضحك. فسالتها، فقالت: إنِّي إذا لبذرة. فلمَّا توفِّي رسول الله صلى الله عليه وآله سألتها، فقالت: أسرَّ إليَّ وأخبرني أنَّه ميت، فبكيت، ثمَّ أسرَّ إليَّ وأخبرني أنِّي أوَّل أهله لحوقًا به»، وهو حديث عند العامَّة صحيح الإسناد على رأي الشيخَين، وهذا الحديث يصرِّح بأنَّ مولاتي فاطمة عليها السلام أفضل علمًا وفقهًا من عائشة زوج الرسول صلى الله عليه وآله، إذ لم تخبر بالسرِّ في حياة من أسرَّ اليها، وهذا فقه الحديث، وقد أخفي على عائشة، وإنَّما ذكرت هذه الرواية ليعلم الشحيح من دينه مكانة مولاتي فاطمة عليها السلام، فلا تُقاس بها أي شخصيَّة من نساء الأمَّة[١].

٢. المعلِّمة:

مولاتي الزَّهراء عليها السلام، لم تمنعها أعباء البيت وتربية الأولاد من وظيفة تعليم أحكام الشريعة، والقيام بهذه المسؤوليَّة[٢].

كانت مولاتي عليها السلام، مبلِّغة ومعلِّمة للمرأة المسلمة في عصر أبيها، وكانت أفضل نموذج إلهي للمرأة، فقد جمعت بين شرف العلم والتقوى، ومشاركتها في الدعوة في

(١) الحاكم النيسابوريّ، فضائل فاطمة، المحقِّق: عليّ رضا بن عبد الله بن عليّ رضا، دار الفرقان، ٢٠٠٨ ص٣٦.

(٢) فضل الله، ص١٨٨.

تبليغها النساء إلى كتاب الله [١]

تعلَّمت التعاليم على يد رسول الله، فقد كانت تدوِّن ما تسمعه منه، لاسيما الأمور التي كان يذكرها في مجالسه ولقاءاته الخاصَّة، وبعض الأحاديث لم يبيِّنها النبيّ صلى الله عليه وآله بشكلٍ عامّ ليحفظها الناس، وإنَّما ذكرها بشكلٍ خاصّ، إضافة لذلك، كان يتحدَّث إليها بشكلٍ خاصّ ويعلِّمها الأحكام الفقهيَّة، وكانت تدوِّنها، ومن خلال التدوين تكوَّن عندها كتاب أُطلق عليه مصحف فاطمة، فكانت أوَّل مؤلِّفة في الإسلام، وامتازت بتفسير القرآن، وكلّ مفاهيم الإسلام لقربها من أبيها صلى الله عليه وآله [٢].

٤. المكرَّمة:

إنَّ الله سبحانه كرَّمها في الدنيا والآخرة، ففي الآخرة حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، عن العدل، عن العبديّ، عن الحافظ، وصولًا إلى الإمام عليّ عليه السلام قال: «**سمعت النبيّ يقول: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من وراي الحُجب (يا أهل الجمع غضُّوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمَّد حتَّى تمرّ)**»[٣].

٥. سيِّدة نساء العالمين:

يروى حديث عن إسحاق الهاشميّ، عن الحسين الحيريّ، عن أبي نعيم عن ابن زائدة، وصولًا إلى مسروق، عن السيِّدة عائشة قالت: «أقبلت فاطمة تمشي كأنَّ مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: مرحبا بابنتي، فأجلسها عن يمينه، ثمَّ قال: **يافاطمة إلَّا ترضين انك سيِّدة نساء العالمين وسيِّدة نساء هذه الأمَّة، وسيِّدة نساء المؤمنين.** فضحكت»[٤].

(١) الساعديّ، نعمة هادي، فاطمة بنت النبوَّة أمّ الإمامة، ص٦٨.
(٢) الطباطبائيّ، محمَّد سعيد الحكيم. alhakeem.com.2020.
(٣) فضائل فاطمة، ص٣٩.
(٤) المصدر نفسه، ص٤٢.

وقد ورد على لسان أصدق البشر وأكملهمﷺ، ما يحدِّد منزلتها النموذجيَّة عند الله تعالى، ومنه أنَّها هبة إلهيَّة، وحوراء إنسيَّة، وممَّا روي عنهﷺ قوله: «**يا فاطمة! ألا ترضين أن تكوني سيِّدة نساء العالمين، وسيِّدة نساء هذه الأمَّة، وسيِّدة نساء المؤمنين؟**»[1].

وفي حديث عن دحيم الشيبانيّ، عن محمَّد الحنينيّ، عن منصور بن أبي الأسود، عن أبي نعيم الخدريّ، قال قال رسول اللهﷺ: «**فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنَّة إلَّا ما كان لمريم بنت عمران**»[2].

وفي رواية عن حمشاد العدل عن إسحاق القاضي عن عارم عن داوود بن أبي الفرات، وصولًا إلى ابن عبَّاس، قال: خطَّ رسول اللهﷺ في الأرض أربعة خطوط، ثمَّ قالﷺ: **أتدرون ما هذا؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول اللهﷺ: «**أفضل نساء أهل الجنَّة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمَّد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**»[3].

وعن محمَّد القطَّان عن إسحاق القاضي عن عبد الله الزهريّ عن جعفر بن محمَّد عن عبد الله بن أبي رافع، وصولًا إلى المسور بن مخرمة، قالﷺ: «**إنَّما فاطمة شجنة منِّي، يبسطني ما أبسطها، ويقبضني ما قبضها**»[4]

٦. الصدِّيقة:

الصدِّيقة في حديثٍ عن الزكيّ والحافظ في التاريخ، قالا عن أبي العبَّاس الثقفيّ عن محمَّد بن حميد عن سلمة عن أبي إسحاق، وصولًا إلى الزبير أنَّ عائشة كانت إذا ذكرت

(١) النيسابوريّ، ٢٠١٦، ص١٥٦.
(٢) النيسابوريّ، المستدرك، ج٣، ص١٦٨.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٩٥.
(٤) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٩٥٦، ج٣، ص١١٢.

فاطمة بنت محمَّد صلى الله عليه وآله، قالت: «ما رأيت أحدًا كان أصدق لهجة منها، إلَّا أن يكون الذي وَلَدَها»[1].

وخصائص مولاتي فاطمة عليها السلام أجبرت الجميع بالشهادة لها بهذه الخصائص الفريدة، حتَّى قالت عائشة عن مولاتي الزَّهراء عليها السلام: ما رايت أحدًا أشبه كلامًا وحديثًا برسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة، كانت إذا دخلت عليه رحَّب بها، وقبَّل يديها، وأجلسها في مجلسه، فإذا دخل عليها، قامت إليه فرحَّبت به[2].

٧. الطاهرة:

عن محمَّد الصفَّار عن الحسن بن عرفة عن عليّ الجزريّ عن بكير بن مسمار، قال: سمعت عامر بن سعد يقول: قال سعد: نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله الوحي، فأدخل عليّ وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه، ثمَّ قال: «**اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي وأطهار عترتي وأطائب أرومتي من لحمي ودمي، إليك لا إلى النار، أذهِب عنهم الرِّجس وطهِّرهم تطهيرًا**»، وكرَّر هذا الدعاء ثلاثًا[3]

ثمَّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣.

٨. حربٌ لمن حاربَها:

عن محمَّد بن يعقوب عن العبَّاس الدوريّ عن مالك بن إسماعيل عن أسباط الهمذانيّ عن السدِّيّ عن صبيح مولى أم سلمة عن زيد بن أرقم عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «**أنا حرب لمن حاربتم، وسلم لمن سالمتم**»[4].

(١) الحاكم النيسابوريّ، المستدرك، ج٣، ص١٦١.
(٢) ابن أبي الحديد المعتزليّ، شرح نهج البلاغة، ٢٠٠٧، دار الكتاب العربيّ، بغداد، ص٢٥٨.
(٣) المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٣٥، ص٢٣٢.
(٤) النيسابوريّ، المستدرك، ج٣، ص١٦١.

٩. الأبرار:

ركَّز الرسول صلى الله عليه وآله على شخصيَّة مولاتي الزَّهراء عليها السلام لهدف مقدَّس ومصلحة اجتماعيَّة، ليأمر الناس الاقتداء بها بعده، وهذه الأحاديث تبيِّن منزلتها عند الرسول، وهو لا ينطق عن الهوى[١].

فكانت أنموذجًا حيًّا في العبادة والعطاء والإيثار، ونزلت فيها وأهل بيتها سورة الأبرار، فكانت نقطة تحوُّل عظيمة وإشراقة نور إلهيّ على الأمَّة الإسلاميَّة، فجمعت بين رجاحة العقل وقوَّة الشخصيَّة في الحقِّ وصلابة العزيمة وعمق الوعي والإدراك والبلاغة والمعرفة.

١٠. الإنفاق على الفقراء قربةً لله سبحانه:

برغم أنَّ مولاتي الزَّهراء عليها السلام بعد فتح بني النضير وخيبر وتمليكها فدكًا، ورغم الدخل الوافر، فإنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام لم تلبس الحرير أو تشترط على زوجها تغيير السكن، بل كانت تنفق كلّ ذلك المال على الفقراء والمساكين، وفي سبيل الدعوة الإسلاميّة[٢]

١١. العالمة:

قال السيِّد الخامنئيّ دام ظله: وفي أجواء العلم، كانت فاطمة الزّهراء عليها السلام عالمةً عظيمة، فتلك الخطبة الَّتي ألقتها في مسجد المدينة بعد رحيل النبيّ، هي خطبة، بحسب كلام العلَّامة المجلسيّ، يحتاج فطاحل الفصحاء والبلغاء والعلماء إلى أن يجلسوا ليفسِّروا معاني كلماتها وعباراتها، لقد كانت بمثل هذا العمق، وبلحاظ جماليَّة الفنّ، فهي من أجمل كلمات نهج البلاغة وأرقاها.

(١) جبَّار، وفاء كاظم، أثر الأنموذج الإلهيّ (السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في تكوين شخصيَّة المرأة المسلمة)، ٢٠١٧، ص١٥٩.

(٢) شبكة المعارف الثقافيَّة الإسلاميَّة، ٢٠٢٠، ص٩٧.

ولنتطرَّق إلى بعض أساليب خطبها من ناحية قوَّة الحجَّة والصياغة اللفظيَّة والبلاغة، حيث لا يمكن أن تجيدها امرأة عادية، إلَّا أن تكون عالمة غير معلَّمة، فسأذكر من خطبة السيِّدة عليها السلام الإرشاديَّة ما له علاقة بموضوع البحث (القدوة)، فكانت أساليبها الإرشاديَّة التنمويَّة باعثًا لصقل النفوس، وتخليصها من شوائبها.

١. **أسلوب التقابل**: هو أسلوب كان العرب يستعملونه في العقاب والثواب، وأتبعته بدلالات تعريفيَّة لمفاهيم ثابتة؛ لتزيد الموصوف توكيدًا، فقالت عليها السلام: «**فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيرًا لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزِيهًا لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ**».

٢. **العتاب والتوبيخ مع المهاجرين والأنصار، واستنباط المعاني والأفكار المؤثِّرة في السامعين**، فقالت عليها السلام: «**وَأَطْلَعَ الشيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتفًا بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ. ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافًا، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ غِضابًا، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ اِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ**»[1]

٣. **أسلوب التنبيه والإرشاد**: فنبَّهت إلى تنزيه الخالق عن كلِّ الصفات والأفعال البشريَّة كان خطابًا تنمويًّا إفهاميًّا، ثمَّ انبرت إلى العلَّة من خلق الخلق، وهو المعاد والحساب وأثارت في النفوس قوَّة دافعيَّة داخليَّة رغم شدَّة خطابها[2].

٤. **التعريف بمقام الإمامة**: بيَّنت مولاتي فاطمة عليها السلام حكم بعض التشريعات والواجبات التي ترتبط بالمجتمع وآثارها، فبدأت عليها السلام بأصل أصول انتظام المجتمع، وهو طاعة ولي الأمر، فقالت: «**وطاعتنا نظامًا للملَّة، وإمامتنا أمانًا**

(١) الأنصاريّ الزنجانيّ، إسماعيل، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزَّهراء، منشورات دليل ما، ١٤٣٨هـ، ص ١٦٨.

(٢) مهدي، جنان محمَّد، الايحاء والتصوير في خطبة الزَّهراء دراسة في البنى الأسلوبيَّة موسوعة الموسم، ص١٥٣.

من الفُرقة»[1]. وقد بيَّنت بشكلٍ جليٍّ من خلال هاتين العبارَتَين المقتَضَبَتين أنَّه لا انتظام ولا استقرار للمجتمع ولا وحدة دون أهل البيت عليهم السلام، وأكَّدت من خلالها أنَّ الإمامة محصورةٌ فيهم (إمامتنا)، فانتظام الملَّة واستقرارها ووحدتها منوطٌ بكون أهل البيت عليهم السلام هم أولياء الأمر، وليس أيّ أحد غيرهم[2].

٥. **الحجَّة البيانيَّة في شؤون الخلافة**: كان خطابها يحمل المعاناة النفسيَّة الكبيرة التي بدأت بأنَّة أجهشت كلَّ الحاضرين؛ للدلالة على الاحتراق النفسيّ والمعاناة التي كانت تعانيها. بعد خطبة السيِّدة الزَّهراء جعلت أبا بكر في زاوية حرجة، حيث أعلنت الاعتصام أمام الملأ حين قالت لأبي بكر: «**والله لا أُكلِّمك بكلمة ما حييت**»[3].

فأثَّرت مقاطعتها على أبي بكر، وانتشر الخبر أنَّ مولاتي فاطمة عليها السلام ساخطة على أبي بكر، فازدادوا نفورًا من الخليفة، بعدها اضطرب المجلس، وأحدثت ضجَّة استفهاميَّة، وأصبح الخطاب حديث تداول الناس آنذاك، حتَّى أنَّ أبا بكر حينما رآى التغيير الذي أحدثه خطاب السيِّدة الزَّهراء في تغيير أفكار الناس، وخوفه من انقلاب الرأي ضدَّه قال لعمر بعدها: تربت يداك ما كان عليك لو تركتني، فربَّما مات الخرق ورتقت الفتق، ألم يكن ذلك بنا أحق؟ فقال عمر: لقد كان في ذلك تضعيف سلطانك وتوهين كافتك، وما أشفقت إلَّا عليك. فقال له أبو بكر: ويلك فكيف بابنة محمَّد؟.

---

(١) الطبرسيّ، ١٩٨٨، ص٩٩، مصدر سابق.

(٢) سلسلة المعارف التعليميَّة، السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قدوة وأسوة، دار المعارف الإسلاميَّة الثقافية، مركز المعارف للتأليف والتحقيق، شبكة المعارف الإسلامية، ٢٠١٨، ص١٦٥.

(٣) بنت الشاطي، تراجم سيِّدات بيت النبوَّة رضي الله عنهنَّ، ٢٠٠٨، ، ص٥٩٠، الأربلِّيّ، عليّ ابن عيسى بن أبي الفتح (ت٦٩٣هـ)، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، ج٢، دار الأضواء، بيروت، ص٤٧٧.

الأبعاد النفسيَّة للقدوة

كانت مولاتي فاطمة عليها السلام نموذجًا للقدوة في جميع أدوارها أُسريَّة واجتماعيَّة، وإنَّه لمن قصر النظر أن نختزل السيِّدة فاطمة عليها السلام بما ظهر منها من سلوكيَّات وأفعال في حقبة زمنيَّة معيَّنة من التاريخ، ذلك لأنَّ سلوكها أعطى أبعادًا نفسيَّة نتعلَّم منها، استمرَّت ولا تزال تستمر مع الزمن.

لهذا ركَّز الرسول صلى الله عليه وآله على شخصيَّة مولاتي الزَّهراء عليها السلام، واهتمامه بها لهدف مقدَّس ومصلحة اجتماعيَّة، فجعل لوجودها ودورها أبعادًا أوسع بكثير من البُعد الذي يرى في الشخصيَّات المؤمنة أمثال السيِّدة مريم وآسيا، فقد أعطاها النبيّ عليه السلام درجة كبيرة من الحبِّ والتقبُّل لا تشبهها الدرجات العالية جدًّا من المودَّة والمحبَّة المعروفة بين الأب وبنته، ذلك لأنَّه عدها قدوة في المجتمع[1].

١. بُعد الدافعيَّة:

إنَّ وجود الأنموذج في حياة الإنسان، يتيح له إمكانيَّة الوصول إلى الأهداف العالية، ويبعث في نفسه أملًا بأنَّ هناك من استطاع الوصول قبله، فيشعل في قلبه حماسة تدفعه للاستمرار دومًا وعدم التوقُّف؛ لأنَّ حياة النموذج تمثِّل له الطريق الأصحّ[2].

جاءت السيِّدة فاطمة عليها السلام بعوامل نفسيَّة لها دافعيَّة في نموِّ الشخصيَّة المسلمة، والارتقاء بها إلى مراحل الكمال، وأنَّ عالم القدوة ليس هو أن تصل إلى مستوى من تقتدي به، وإنَّما أن تعتبر بمن تقتدي به وتعدُّه النموذج الإعلى؛ ليدفعك للفضائل والقيم من خلال اتِّصافه بها، فإذا إراد الإنسان أن يتكامل في سلوكه وسماته، فعليه التأسِّي بشخصيَّة الأنموذج، وهي شخصيَّة الرسول صلى الله عليه وآله، وبعده ابنته فاطمة عليها السلام، فهي

(١) جبَّار، وفاء كاظم، ص١٥٩.
(٢) الأصفهانيّ، أبو الفرج، الأغاني، مكتبة مدرسة الفقاهة، بيروت، ١٩٩٤، ص٥٢٤.

الأنموذج الأفضل للنساء، حصلت على كلِّ صفات الكمال الإنسانيّ[١].

٢. البُعد العمليّ:

أعطت بُعدًا خاصًّا للنساء لكي يترشَّح من أقوالها وأفعالها وحتَّى صمتها المحور الأساس في تكامل المرأة لتمثِّل نموذجًا لتطبيقات عمليَّة للمرأة، لا يمكن للأنبياء والمعصومين إيصالها إلى النساء عن طريق الأقوال فقط، بل لا بدَّ من أن يكون نموذج إلهيّ واقعيّ تقتدي به النساء، يمثِّل بُعدًا عمليًّا بمنظورٍ إنسانيّ، يؤكِّد إمكانيَّة تطبيق ما مطلوب من المرأة[٢].

وبما أنَّ المرأة تختلف عن الرجل في التكوين البايولوجيّ، وكذلك في بعض الأحكام التشريعيَّة التكليفيَّة، فيستدعي هذا الأمر أن يكون هناك جانب عمليّ يوضِّح للمرأة السلوك الذي عليها أن تحاكيه من أجل الوصول إلى الكمال الإنسانيّ، فإذا كان الرجال ينظرون إلى الرسول والأئمَّة من بعده للاقتداء بهم، فكان من الضروريّ أن يكون للنساء نموذج يقتدين به، وتكون هي المعيار الذي يحدَّد به تكامل المرأة، فمثلًا كيفيَّة لبس الحجاب يحتاج المجتمع إلى امرأة تؤدِّي هذا العمل؛ لإظهار صورة ذلك الحجاب[٣].

من الخصائص المهمَّة في شخصيَّة مولاتي فاطمة عليها السلام شخصيَّتها القياديَّة التي امتازت بها، والتي ظهرت في حركتها خلال حياتها عمومًا، وفي ذلك قال السيِّد الخامنئيّ: لقد قامت فاطمة الزَّهراء عليها السلام بدور القائد الحقيقيّ. وكذلك قال السيِّد الخمينيّ: لو كانت فاطمة الزَّهراء رجلًا لكانت رسولًا..[٤]، حتَّى أنَّها كانت محلًّا

(١) خليل، عماد الدين، أصول تشكيل العقل المسلم، دار ابن كثير، بيروت، ٢٠٠٥، ص١٧٣.
(٢) المصدر نفسه، ص١٣٤.
(٣) الواسطيّ، ص١٣٤.
(٤) فاضل، موقع نت.

لحلِّ الخصومات، فقد جاء في رواية أن «اخْتَصَمَ إِلَيْهَا امْرَأَتَانِ، فَتَنَازَعَتَا فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، إِحْدَاهُمَا مُعَانِدَةٌ، وَالْأُخْرَى مُؤْمِنَةٌ، فَفَتَحَتْ عَلَى الْمُؤْمِنَةِ حُجَّتَهَا، فَاسْتَظْهَرَتْ عَلَى الْمُعَانِدَةِ، فَفَرِحَتْ فَرَحًا شَدِيدًا. فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: **إِنَّ فَرَحَ الْمَلَائِكَةِ بِاسْتِظْهَارِكِ عَلَيْهَا أَشَدُّ مِنْ فَرَحِكِ، وإِنَّ حُزْنَ الشَّيْطَانِ وَمَرَدَتِهِ بِحُزْنِهَا عَنْكِ أَشَدُّ مِنْ حُزْنِهَا، وَإِنَّ اللهَ عزوجل قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: أَوْجِبُوا لِفَاطِمَةَ بِمَا فَتَحَتْ عَلَى هَذِهِ الْمِسْكِينَةِ الْأَسِيرَةِ مِنَ الْجِنَانِ أَلْفَ أَلْفِ ضِعْفٍ مِمَّا كُنْتُ أَعْدَدْتُ لَهَا، وَاجْعَلُوا هَذِهِ سُنَّةً فِي كُلِّ مَنْ يَفْتَحُ عَلَى أَسِيرٍ مِسْكِينٍ، فَيَغْلِبُ مُعَانِدًا مِثْلَ أَلْفِ أَلْفِ مَا كَانَ لَهُ مُعَدًّا مِنَ الْجِنَانِ**»[1].

ومن التطبيق العمليّ في حياة السيِّدة فاطمة عليها السلام، يذكر التاريخ أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بعد فتح بني النضير وخيبر وتمليكها فدكًا، ورغم الدَّخل الوافر، فإنَّ السيِّدة فاطمة لم تلبس الحرير أو تشترط على زوجها تغيير السكن، بل كانت تنفق كلَّ ذلك المال على الفقراء والمساكين، وفي سبيل الدعوة الإسلاميَّة[2].

٣. البُعد المعرفيّ:

علَّمها الرسول صلى الله عليه وآله القرآن وتفسيره، وعلَّمها الأحكام الشرعيَّة لتكون سفيرته ونائبته لتعليم النساء الأحكام الشرعيَّة والقرآن، فكانت السيِّدة الزَّهراء هي رائدة الفكر والحركة الفكريَّة، في وقت كانت ظروف الناس صعبة، والمجتمع كان مجتمعًا أميًّا، إلَّا ما ندر من وجود من يجيدون القراءة والكتابة وهم معدودون، لذلك فقد حاول رسول الله عليه السلام فتح مشاريع لمحو الأميَّة، لإيجاد نخبة متعلِّمة تقرأ وتكتب، حيث كانت الثقافة حينذاك معدومة، وليس من المتيسَّر للمسلمين الحصول على امرأة تجيد القراءة والكتابة، وتجيد الأحكام الشرعيَّة وتفهيمها للنساء، فأسهمت السيِّدة فاطمة عليها السلام، إذ

(١) الطبرسيّ، مستدرك الوسائل، ج٢، ص١٩، مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، ١٩٨٨.
(٢) اعلام الهدايا، ص٩٧، موقع نت.

إنَّها كانت المتصدِّي الأوَّل والوحيد لنشر القراءة والكتابة، والعلم والفقه، والشريعة بين النساء[١].

يروي أبو محمَّد العسكريّ، أنَّه حضرت امرأة عند السيِّدة فاطمة عليها السلام، فقالت: إنَّ لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك اسألك؟ فاجابتها السيِّدة فاطمة عليها السلام، ثمَّ سألت فأجابتها، ثمَّ سالت فاجابتها إلى أكثر من عشر مرَّات، فاستحت المرأة، وقالت: لا أشقُّ عليك يا بنت النبيّ. فقالت السيِّدة فاطمة عليها السلام: **اسألي ما بدا لك، فإنِّي سمعت رسول الله يقول: إنَّ علماء شيعتنا يحشرون، فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدِّهم في إرشاد عباد الله سبحانه حتَّى يُخلع على الواحد منهم ألف ألف خِلعة من نور**[٢].

امتلكت شخصيَّتها بعدًا معرفيًّا، فكانت داعية للرسالة الإسلاميَّة، ومعلِّمة يقصدها طلَّاب العلم؛ لتجيب على اسئلتهم، وكانت تعطي دروسًا لنساء المهاجرين والأنصار، اللواتي كنَّ يجتمعن عندها في حلقة تشبه الدروس الحوزويَّة، فهي أوَّل من كتبت حديث رسول الله صلى الله عليه وآله بمسمع ومرأى منه[٣].

٤. البُعد العقائديّ:

العقيدة من أقوى وأخطر العلاقات الداخليَّة مع النفس، ويدخل النشاط العقليّ المعرفيّ في تنظيم العقيدة، ومن أقوى الروابط الإنسانيَّة المجتمعيَّة في انعكاساته النفسيَّة والاجتماعيَّة والسلوكيَّة العمليَّة، بحيث تمتدُّ آثاره من البناء الاجتماعيّ إلى الإصلاح والحفاظ على الهوية الشخصيَّة والمجتمعيَّة، لذا نجد القرآن الكريم يوضِّح هذا الترابط العقائديّ بقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

(١) بنت الشاطي، تراجم سيِّدات بيت النبوَّة رضي الله عنهنَّ، ٢٠٠٨، ص٥٩٠.
(٢) الشيرازيّ، حسن، ٢٠٠ كلمة عن فاطمة الزَّهراء، ص١١٣.
(٣) شبكة المعارف، ص٩٧.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ التوبة: ٧١.

مثلَّت السيِّدة فاطمة عليها السلام (كوثر العصمة) نموذجًا يُقتدى به، وصورة مجسِّدة لخطوات الرسول صلى الله عليه وآله الإيمانيَّة، فوقفت مواقف حياديَّة مجاهدة بالكلمة الحقَّة، ومرشدة رساليَّة إلى المجتمع؛ لتنمية المجتمع الإسلاميّ، فأعطت للفكر الإنسانيّ فكرًا تربويًّا إرشاديًّا شاملًا، مستشهدة بالقرآن الكريم تارةً، وتارةً أخرى بأقوال رسول الله صلى الله عليه وآله، كما أوضحت بخطبها الإرشاديَّة التنمويَّة الشروط الأساسيَّة ليسلك الفرد طريق الحقِّ[1].

عملت السيِّدة فاطمة عليها السلام على إدخال النشاط العقليّ المعرفيّ في تنظيم العقيدة، باحتجاجها بسور من القرآن الكريم، فكانت السيِّدة عليها السلام إلى جانب الإمام عليّ عليه السلام في موقفها من البيعة، وانضمَّ إليها جمعٌ من الأنصار والمهاجرين، فتشكَّل ذلك الوجود العقديّ الرافض لبيعة السقيفة، والداعي لإعادة البيعة إلى الإمام عليّ عليه السلام، فقد سجَّلت كتب التاريخ حوارت دارت بين أبي بكر والسيِّدة فاطمة، ونجد أنَّ في خطبتها أساسًا في توجيه الرأي العام، ونفهم من ذلك جواز مشاركة المرأة بقدر الكفاية في الأنشطة والمؤسَّسات الفكريَّة والاصلاحيَّة، إذا تعذَّر أداء هذا الواجب بشكله الفاعل الآمن خلال ذلك على الرجل[2].

٥. البُعد الإرشاديّ:

حملت السيِّدة فاطمة عليها السلام رسالة إلهيَّة للنساء وللعالم أجمع، أدَّتها حين خطبت الناس بالمسجد، وعرفت الحقَّ من الباطل، ومفادها أنَّ خِدر المرأة لا يمنعها من أن تدافع عن القضيَّة العادلة.

(١) الواسطي، زينب شاكر: الفكر التربويّ للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ٢٠١٧، مجلَّة الكليَّة الإسلاميَّة الجامعة، العراق، مج٧، ع٢٠، ص٧٥.
(٢) مؤسَّسة البلاغ، ١٩٩٧، ص١٦.

والسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، كان لها إرشاد جماعيّ من خلال الخطبة الفدكيَّة التي أيقظت في نفوس الناس الشعور بالمسؤوليَّة الشخصيَّة والمجتمعيَّة، والابتعاد عن المصالح الذاتيَّة الضيِّقة، فكان منهجها في الحياة ينطلق من منطلق إيمانيّ، وكانت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مثال للمرأة صاحبة القضيَّة، قائدة تربويَّة بالشكل النموذجيّ المثالي في مجتمعها[1].

قرَّرت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أن تخطب الخطبة الإرشاديَّة في المسجد وهي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهزَّ الخبر أرجاء المدينة، واحتشد الناس في المسجد؛ ليسمعوا هذا الخطاب المهمّ، ويروي عبد الله بن الحسن عن آبائه كيف خرجت جدَّته فاطمة إلى المسجد، فروى أنَّها لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لـمَّة من حَفَدَتها ونساء من قومها، تطأ ذيلها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، حتَّى دخلت المسجد على أبي بكر، وكانت خطبتها الإرشاديَّة الأولى، وذكرت الخطبة لأهميَّتها الإرشاديَّة في كتاب نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وكتاب كشف الغمَّة للأربليِّ، وكتاب الشافي في الإمامة للسيِّد المرتضي. كما أنَّ بعض المصادر قامت بذكر نصِّ الخطبة بشكلٍ تامٍّ، ككتاب (بلاغات النساء)، لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المعروف بابن أبي طيفور، وكتاب (السقيفة وفدك)، لأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ (ت٣٢٣ق)، ويعدُّ هذان المؤلِّفان من علماء أهل السنَّة.

فأرشدت الناس حين عرفت أنَّهم مكرهين على قبول خلافة أبي بكر، فقالت لهم: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾، فهنا جمعت بين ولاية الإمام عليّ عليه السلام وبين حثِّها لهم للتمسُّك بامامته، والملفت للنظر أنَّها ابتدت الخطبة من موقع مسؤوليَّتها، ثمَّ بيَّنت إمامة الإمام، ثمَّ ذكرت العواقب الوخيمة عن الابتعاد عن ولايته، فجاء إليها بعض رجال المهاجرين بعد خطبتها معتذرين، فلم تقبل عذرهم بل قالت لهم إنَّكم مقصِّرون[2].

(١) جبَّار، وفاء كاظم، ص٣٢.

(٢) السند، محمَّد، الإمامة الإلهيَّة، مركز البحوث العقائديَّة، ص٢٥.

ومن مبدأ مسؤوليَّتها وقوفها بجانب الحقِّ، إذ اتَّخذت السيِّدة الزَّهراء أسلوبًا فريدًا في تعاملها مع الآخرين (المنافقين)، فكانت- رغم أنَّها ظُلِمت- قويَّة، وهذه القوَّة تركت أثرًا عليهم، وكان إرشادها لهم له هدف معيَّن، من جهة أخرى فإنَّ مواقف الزَّهراء إزاء خصومها ومخالفيها أصبحت درسًا أخلاقيًّا، ومنهجًا رائعًا لأتباعها؛ ليتعلَّموا أسلوب كيفيَّة التمسُّك بالمبادئ، فاصبح لها مستمسك عليهم في التمسُّك بمبادئ الإسلام، وكان واضحًا لا ريب فيه.

المبحث الثالث

النُّخب النسويَّة

يعوِّل كثير من المفكِّرين على النخبة، وهي مجموعة من الناس الذين يظهرون صفات استثنائيَّة، ويثبتون تمتُّعهم بكفاءات عالية في بعض المجالات أو النشاطات الاجتماعيَّة، وجاء تعريف أُكسفورد للنخبة بأنَّها مجموعة من الناس في المجتمع يتميَّزون بالقوَّة والتأثير بسبب كونهم أذكياء، كذلك النخبة هم جماعة من الأفراد معروفة اجتماعيًّا، وذات خصائص قيميَّة مثل القدرة العقليَّة العالية، والأخلاق، وامتلاك الهيبة والنفوذ، والوعي وتقديم الخدمات الاجتماعيَّة بإخلاص، ممَّا يجعلهم يستطيعون قيادة المجتمع من أجل إحداث تغيير وتحديث حضاريّ منشود للبشريَّة[1].

وعليه، قال الجوينيّ (ت٤٧٨هـ): تشغل النخبة قمَّة المواقع في الترتيب الهرميّ للقيادة[2].

وعندما نعود إلى قول الرسول صلى الله عليه وآله إنَّ فاطمة سيِّدة النساء، فإنَّنا نجد فيه علاقة ترابطيَّة بين مكانة فاطمة والنساء النخبة، فمن الناحية الأخلاقيَّة لا يمكن للمرأة أن تنفكَّ عنها، ولزام الاقتداء بها عليها السلام، كونها صاحبة البُعد التكامليّ للمرأة، ومن هنا تحويل الاتِّجاه إلى السيِّدة فاطمة على اعتبار أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله هو الهادي، فكانت المصلحة الاجتماعيَّة والنفسيَّة أن يتحوَّل الاحتياج النسويّ في التكامل الأخلاقيّ والشخصيّ إلى

(١) علي أسعد وطفة، في مفهوم النخبة مقاربة بنائيَّة، ٢٠١٥، مجلَّة الجامعة العراقيَّة.

(٢) جميل حمداوي، سوسيولوجيا النخب النخبة المغربيَّة أنموذجًا، الألوكيَّة، ٢٠١٥، ص٦.

السيِّدة فاطمة لتقود النساء إلى مرضاة الله سبحانه، فكانت قدوة، ولم ترتقِ أي امرأة إلى مقامها أو لتقاربه[1].

أراد الاسلام أن يجعل المرأة، ممثلة بالزَّهراء عليها السلام، مثلًا أعلى للناس جميعًا لتكون قدوةً للنساء والرجال، والنموذج الأمثل الذي يحمل عقلًا وقلبًا نورانيًّا وعلمًا ينفتح على الناس، هكذا كرَّم الإسلام الزَّهراء عليها السلام، ومن خلالها المرأة، كما كرَّم الرجل.

وقد تركت لنا سيِّدة النساء سيرة غنيَّة بالتجارب والدروس، توزَّعت على مجالات الحياة كافَّة، منها العلميَّة، والخطابيَّة، والأخلاقيَّة، والتربويَّة، وصلابة المواقف، وغيرها ممَّا تعلَّمته في مدرسة أبيها صلى الله عليه وآله، فكانت زوجة متعاونة تشدُّ على ساعد زوجها، وأم ومعلِّمة فاضلة لاولادها ولنساء المسلمين، ولا نعجب إذا امتلكت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام جميع تلك الصفات.

إذن ما هي الصفات الرئيسة التي يمكن بموجبها أن نحدِّد من هي النخبة أو التي يمكن أن نقول عنها إنَّها من النخبة، هل الشهادات العليا مثلًا، أم وظيفة مرموقة وزيرة أو نائبة في البرلمان؟ أبدًا إنَّ هذه المناصب وأجورها الكبيرة لا تمثِّل النخبة وبالمقارنة أو المفاضلة بين هذه الصفات، نجد أنَّ صفة الإخلاص في العمل والعطاء والاستعداد للتضحية تُعدُّ من أهمِّ الصفات الواجب توافرها في الرموز الإنسانيَّة، بل حتَّى العلميَّة منها، وذلك لأنَّ بقيَّة الصفات لا يمكن أن تؤثِّر في الآخرين إن لم يكن هذا الرمز أو القدوة مستعدًّا للتضحية.

وبذلك استطاعت السيِّدة فاطمة عليها السلام استنهاض النساء النخبة الباحثات عن الكمال والتكامل الإنسانيّ، ومنهنَّ:

١. السيِّدة الشهيدة بنت الهدى آمنة الصدر، شقيقة المفكِّر والمرجع الشيعيّ السيِّد محمَّد باقر الصدر، كما أنَّها كاتبة، ولها العديد من المقالات التي كانت تنشر

(١) عليّ الزيديّ، مفاهيم عصريَّة عن فاطمة، دار الكتاب العربيّ، بغداد، ٢٠١٢، ص١٥٢.

في مجلَّة الأضواء النجفيَّة، والتي حملت همَّ العقيدة والإسلام، وتصدَّت إلى مغريات الغرب، الذي يدعو إلى حثِّ النساء على التبرُّج والرذيلة، فكانت بحقٍّ من النساء النخبة اللواتي اقتدين بالسيِّدة فاطمة عليها السلام. اتَّصفت السيِّدة بنت الهدى رحمها الله بأسلوب مؤثِّر، وبكلمات لطيفة منطقيَّة تدخل إلى أعماق النفس الإنسانيَّة، وأُعدِمت تحت التعذيب مع أخيها السيِّد محمَّد باقر الصدر على يد البعثيين.

٢. النساء الحوزويَّات يتميَّزنَ بأنهنَّ من النساء النخبة، وأنهنَّ مرئيات لهنَّ حضور ووجود علنيّ يفرضه الانتماء للمذهب الشيعيّ، حيث تمثِّل الحوزة تعزيز لوجدهنَّ الـذاتيّ، والانتقال من البعد اللامرئيّ إلى العلنيَّة، والتفاعل مع السياقات الجديدة، والخبرات المتغيِّرة[1].

٣. النساء النخبة صاحبات الأفكار والأقلام الأدبيَّة، والعلميَّة، والمفكِّرات في مجـالات الثقافة والـفـن، والتدريسيَّات وطالبات الجامعة من غير المتبرِّجات.

٤. أمَّهات الشهداء اللواتي أنجبن رجالًا وقفوا بوجه داعش، واستشهدوا لتحرير الأرض والعرض، وهنَّ كثيرات.

٥. الأخوات المثقَّفات والكاتبات الملتزمات بالحجاب والعفَّة، امثال (آمنة بنت المجلسيّ)، من النساء العالمات، وهي بنت محمَّد تقي المجلسي وأخت محمَّد باقر المجلسيّ، وزوجة محمَّد صالح المازندراني. ساعدت العلَّامة المجلسي في جمع أحاديث بحار الأنوار، ولها شرح على ألفيَّة بن مالك، وشرح على شواهد السيوطيّ، ومجموعة المسائل الفقهيَّة.

(١) إلهام مكِّي حامد، الحوزة العلميَّة وتجربة النساء الإسلاميَّات الشيعيَّات في المجال العام العراقيّ، مركز العصر الإسلاميّ للدراسات الإستراتيجيَّة في الحوزة، ٢٠٢٠، ص١٧.

٦. ربابة الإلهيّ، من الكاتبات الشيعيَّات، وإحدى طالبات السيِّدة أمين في أصفهان، كانت السيِّدة الإلهيّ تدرِّس في حوزة أصفهان العلميَّة، ومن مؤلَّفاتها: الهي نامه، الأربعون حديثًا، الجنَّة والرضوان.

الاستنتاج

تكمن أهميَّة القدوة عندما يكون للفرد رسالة تربويَّة في الحياة عليه أن يؤدِّيها، فيجب أن يكون لهذا الفرد نموذجًا سلوكيًّا، حيث يتأثَّر الفرد بالذي يقتدي به، ويحاول تقليده في سلوكه وأسلوب حياته، وبالتالي يستمد منه طاقاته في صقل شخصيَّته الذاتيَّة؛ ليستطيع أن يصل إلى أهدافه في الحياة. وكانت السيِّدة فاطمة عليها السلام القدوة التاريخيَّة المستمرَّة للنساء في جميع مراحل حياتهنَّ الاجتماعيَّة (مرحلة البنت التي نشأت في بيت النبوَّة، ومرحلة الزوجة، ومرحلة الأم التي يمكن أن تقتدي بها، وهي المربِّية للأجيال التي لا مثيل لها، وهي المبلِّغة للدين التي يمكن أن تقتدي بها المرأة المبلِّغة، وهي القدوة التي دافعت عن الولاية من باب المسؤوليَّة الشرعيَّة).

اتَّصفت السيِّدة عليها السلام بالأخلاق الفاضلة والكمال الإنسانيّ، استأنست أذنها الواعية بالقرآن من ابيها، وقد تركت لنا سيِّدة النساء سيرة غنيَّة بالتجارب والدروس، توزَّعت على مجالات الحياة كافَّة، منها العلميَّة، والخطابيَّة، والأخلاقيَّة، الإرشاديَّة، وصلابة المواقف في الحقِّ وغيرها ممَّا تعلَّمته في مدرسة أبيها صلى الله عليه وآله.

فكانت مبلِّغة وخطيبة في نفس الوقت، وزوجة متعاونة تشدُّ على ساعد زوجها، وأم ومعلِّمة فاضلة لاولادها ولنساء المسلمين، ولا نعجب إذا امتلكت الزَّهراء عليها السلام جميع تلك الصفات، فهي نشأت في بيت النبوَّة ومعدن الرسالة.

فكانت المعلمِّة والفقيهة والصدِّيقة، وقد مثلَّت قدوة للنُّخب النسويَّة.

وأمَّا **توصيات البحث**، فتتمثل في:

- الاهتمام بنشر الوعي الثقافيّ في المجتمع عن الشخصيَّات القياديَّة من النساء، وأنَّه لا تقتصر القيادة على الرجال فقط.
- الاهتمام بتقديم الدعم الثقافيّ والمعنويّ للمرأة بوصفها نصف المجتمع ومربِّية الأجيال.

المصادر

* القرآن الكريم.

١. أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، المسند، ج٤، المكتبة الشيعيَّة.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، د.ت.

٣. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ج٣، ١٩٥٦.

٤. بنت الشاطي، تراجم سيِّدات بيت النبوَّة رضي الله عنهنَّ، ٢٠٠٨.

٥. دار المعارف الإسلامية الثقافيَّة، السيِّدة فاطمة الزَّهراء قدوة وأسوة، ٢٠١٨.

٦. التبريزيّ الأنصاريّ، اللمعة البيضاء، تحقيق: السيِّد هاشم الميلانيّ ١٤١٨.

٧. جبَّار، وفاء كاظم، أثر الأنموذج الإلهيّ (السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في تكوين شخصيَّة المرأة المسلمة)، ٢٠١٧.

٨. جميل حمداوي، سوسيولوجيا النخب- النخبة المغربيَّة أنموذجًا، الألوكة، ٢٠١٥.

٩. حميد عامر حسين: النخبة مفومها ودورها في الحكم، مجلَّة الجامعة العراقيَّة، العدد٤٣، ٢٠١٩.

١٠. الحاكم النيسابوريّ، أبو عبد الله، فضائل فاطمة، المحقِّق: عليّ رضا بن عبد الله ابن عليّ رضا، دار الفرقان، ٢٠٠٨.

١١. خليل، عماد الدين، أصول تشكيل العقل المسلم، دار ابن كثير، بيروت، ٢٠٠٥.

١٢. الخوارزميّ، أحمد بن محمَّد المكّيّ، المناقب، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، د.ت، قم.

١٣. السند، محمَّد، الإمامة الإلهيَّة، مركز البحوث العقائديَّة.

١٤. الساعديّ، نعمة هادي: فاطمة بنت النبوَّة أم الإمامة.

١٥. السودانيّ، هناء، أثر القدوة في تحقيق أهداف المرأة الرساليَّة السيِّدة زينب أنموذجًا، المؤتمر العلميّ النسويّ الدوليّ، ٢٠١٦.

١٦. شعبة التبليغ، قسم الشؤون الدينيَّة، شذرات من حياة فاطمة الزَّهراء، ٢٠١٦.

١٧. شبكة المعارف الثقافية الإسلاميَّة، سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ٢٠٢٠، موقع نت.

١٨. الشيرازي، حسن، ٢٠٠ كلمة عن فاطمة الزَّهراء، ٢٠٠٣.

١٩. الشيخ الصدوق، الأمالي، المكتبة الشيعيَّة.

٢٠. ربيع، محمَّد شحاته، علم نفس الشخصيَّة، مصر، ٢٠١٢.

٢١. الطبرسيّ: مستدرك الوسائل، ج٢، مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، ١٩٨٨.

٢٢. عصام العبد زهد، القدوة الصالحة وأثرها على الفرد والمجتمع، الجامعة الإسلاميَّة، ٢٠١٠م.

٢٣. عامر حميد حسين، النخبة مفهومها ودورها في الحكم، مجلَّة الجامعة العراقيَّة، العدد٤٣.

٢٤. على أسعد وطفة، في مفهوم النخبة مقاربة بنائيَّة، ٢٠١٥، مجلَّة الجامعة العراقيَّة.

٢٥. عليّ الزيديّ، مفاهيم عصريَّة عن فاطمة، دار الكتاب العربيّ، بغداد ٢٠١٢.

٢٦. المناوي زين الدين محمَّد (ت١٠٣١هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠م.

٢٧. مركز المعارف، المرأة والأسرة في فكر الإمام الخامنئي، ٢٠١٧.

٢٨. المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٢٣.

٢٩. محمَّد نوري محمَّد، بيبلوغرافيا السيرة الفاطميَّة، موسوعة الموسم، جامعة الكوفة، ٢٠٠٥.

٣٠. محمَّد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ الإفريقيّ (ت٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٣١. مركز المعارف للتأليف، إنسان بعمر ٢٥٠، جمعيَّة المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة، ٢٠١٥.

٣٢. المدرِّسيّ، محمَّد تقي، منهج الزَّهراء في التربية، د.ت.

٣٣. المتَّقي الهنديّ، كنز العمَّال، (ت٩٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ بكري حيَّاني، ج٦.

٣٤. المسعوديّ، محمَّد فاضل: الأسرار الفاطميَّة، مؤسَّسة الزائر في الروضة المقدَّسة، قم، ١٤١٩هـ.

٣٥. المجمع العلميّ لأهل البيت.

٣٦. المرزوقيّ، آمال، النظريَّة التربويَّة الإسلاميَّة، ١٩٨٢، جدَّة.

٣٧. منتدى الكفيل، عصمة الزَّهراء عليها السلام موقع نت.
٣٨. الأصفهانيّ، أبو الفرج، الأغانى، مكتبة مدرسة الفقاهة، ١٩٩٤، بيروت.
٣٩. القزوينيّ، محمَّد، فاطمة من المهد إلى اللحد، مكتبة بصيرتي، قم، ١٤١٤.
٤٠. القرشيّ، باقرشريف، موسوعة أهل البيت عليهم السلام، ط٢، النجف، مؤسَّسة الإمام الحسن، ٢٠١٢م.
٤١. الكلينيّ، الكافي، تحقيق وتصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ج١.
٤٢. الكعبيّ، عليّ موسى، سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام، مركز الرسالة، د.ت.
٤٣. الواسطيّ، زينب شاكر، الفكر التربويّ للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، مجلَّة الكليَّة الإسلاميَّة الجامعة، العراق، مج٧، ع٢٠، ٢٠١٧.
٤٤. الأنصاريّ الزنجانيّ، إسماعيل، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزَّهراء، منشورات دليل ما، ١٤٣٨هـ.
٤٥. النيسابوريّ، الحاكم (ت٤٠٥هـ)، المستدرك، ج٣، تحقيق: عليّ رضا عبد الله عليّ رضا، دارالفرقان، مصر، ٢٠٠٨.
٤٦. إلهام مكّي حامد، الحوزة العلميَّة وتجربة النساء الإسلاميَّات الشيعيَّات في المجال العام العراقيّ، مركز العصر الإسلاميّ للدراسات الإستراتيجيَّة في الحوزة، ٢٠٢٠.
٤٧. الهرويّ، محمَّد بن أحمد بن الأزهريّ، تهذيب اللغة (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمَّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ٢٠٠١م.
٤٨. الولي، خطَّاب، مركز نون للتأليف والترجمة، ط١، ٢٠١٢م.

الكرامات الإلهيَّة سمة المؤمنين
(فاطمة الزَّهراء أنموذجًا)

م.م. حسين عبد الحسن ضامن

مديريَّة تربية ميسان

ملخَّص البحث

إنَّ ما يجري على يد الأولياء من المؤمنين الذين أخلصوا لله في إيمانهم وعملهم من الكرامات، لا يقلُّ شأناً عمَّا يجري على أيدي الأصفياء من أنبيائه ورُسله عليهم السلام، غاية الأمر أنَّ ما يجري على أيديهم يهدف إلى إثبات صدق مدَّعاهم، كدليل لتحقيق أهدافهم من بعثتهم للناس برسالات ربِّهم، فالكرامة تتمتَّع بوجه من وجوه الإعجاز، التي لا يمكن أن تتحقَّق لأحد ما لم يتحقَّق بمقام العبوديَّة الصالحة، قال تعالى: ﴿.. وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ الكهف: ٦٣، ثمَّ قال: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ الكهف: ٦٥، وهنا وصفَ الحقُّ أحد أوليائه بالعبوديَّة، ثمَّ إنَّه يتمتَّع بالصبر على ما آتاه الله تعالى، ولـمَّا طلب منه موسى الرِّفقة، قال له: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ الكهف: ٦٧، بالإضافة إلى ما أتحفه الله تعالى بعلم الباطن، حتَّى قال عنه: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ الكهف: ٦٨. فمقام العبوديَّة هو أعلى مراتب الكمال الوجوديّ الذي يمكن أن يناله الإنسان، فإذا ناله أذِن له الحقُّ تبارك وتعالى بالدخول في جنَّته، قال تعالى: ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ (الفجر: ٢٩-٣٠)؛ ولهذا

قال الله تعالى حكايةً عن نبيِّه عيسى عليه السلام: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ..﴾ النساء: ١٧٢.

فهذه المرتبة من الكمال الإلهيّ الوجوديّ تجعل من صاحبها محل لتجلِّي الكرامات الإلهيَّة العظيمة التي يتمنَّاها كلُّ مَن لم يكن من أهلها؛ ولهذا نسمع الكثير يقول: يا ليت لنا واحدة منها، لما أتحف الله تعالى الإمام عليّ عليه السلام بعظيم الكرامات، وجليل المناقب والفضائل.

وبعد هذه المقدِّمة الموجزة، نقول: لا يشكُّ أحد بعبوديَّة سيِّدة نساء العالمين، وما تتَّصف به من مراتب الكمال الإلهيّ؛ فما حظيت به من الكرامات الإلهيَّة يكشف عن عظيم منزلتها، وجليل قدرها، وعلوِّ مكانتها بين سائر خلق الله تعالى، ولولا كمال مرتبتها وعلاقتها بالله تعالى، لما أجرى على يدها من الكرامات الإلهيَّة العظيمة، فطينتها ليست كطين سائر المخلوقين، فكانت نتيجتها (حوريَّة أنسيَّة)، ونشأتها لم تكن كنشئة سائر المخلوقين، فكانت تحدِّث أمها وتتحدَّث معها، ولا زالت في بطنها، فعلها ربَّانيّ، وخلقها محمَّديّ، وعبادتها علويَّة، فاستحقَّت أن تكون مستودع سرّ الله، فلها من الكرامات الإلهيَّة ما لا يحصى عدّها، ولا يسع المجال لذِكرها، ولكن ما لا يدرك كلُّه لا يترك جلُّه، وهذا ما سنحاول بيانها كأنموذج واقعيّ حي للكرامات الإلهيَّة، وفي كونه سمة من سماتها الإيمانيَّة، تتجلَّى من خلالها شخصيَّتها الإيمانيَّة، فأوسمتها كثيرة، ويكفيها أنَّها أمُّ أبيها، وروحه التي بين جنبيه، وأنَّها سيِّدة نساء العالمين، يرضى الله لرضاها، ويسخط لسخطها.

الكلمات المفتاحيَّة: الكرامة، الكرامة الإلهيَّة، السمة، المؤمنين، فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

المقدِّمة

إنَّ ما يجري على يد الأولياء من المؤمنين الذين أخلصوا لله في إيمانهم وعملهم من الكرامات، لا يقلُّ شأناً عمَّا يجري على أيدي الأصفياء من أنبيائه ورُسله عليهم السلام، غاية الأمر أنَّ ما يجري على أيديهم يهدف إلى إثبات صدق مدَّعاهم، كدليل لتحقيق أهدافهم من بعثتهم للناس برسالات ربِّهم، فالكرامة تتمتَّع بوجه من وجوه الإعجاز، التي لا يمكن أن تتحقَّق لأحد ما لم يتحقَّق بمقام العبوديَّة الصالحة، قال تعالى: ﴿.. وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ الكهف: ٦٣، ثمَّ قال: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ الكهف: ٦٥، وهنا وصفَ الحقُّ أحد أوليائه بالعبوديَّة، ثمَّ إنَّه يتمتَّع بالصبر على ما آتاه الله تعالى، ولـمَّا طلب منه موسى الرِّفقة، قال له: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ الكهف: ٦٧، بالإضافة إلى ما أتحفه الله تعالى بعلم الباطن، حتَّى قال فيه: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ الكهف: ٦٨. فمقام العبوديَّة هو أعلى مراتب الكمال الوجوديّ الذي يمكن أن يناله الإنسان، فإذا ناله أذِن له الحقُّ تبارك وتعالى بالدخول في جنَّته، قال تعالى: ﴿فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر: ٢٩-٣٠)؛ ولهذا قال الله تعالى حكايةً عن نبيِّه عيسى عليه السلام: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ..﴾ النساء: ١٧٢.

فهذه المرتبة من الكمال الإلهيّ الوجوديّ تجعل من صاحبها محل لتجلِّي الكرامات الإلهيَّة العظيمة التي يتمنَّاها كلُّ مَن لم يكن من أهلها؛ ولهذا نسمع الكثير يقول: يا ليت لنا واحدة منها، لما أتحف الله تعالى الإمام عليًّا عليه السلام بعظيم الكرامات، وجليل المناقب والفضائل.

وبعد هذه المقدِّمة الموجزة، نقول: لا يشكُّ أحد بعبوديَّة سيِّدة نساء العالمين، وما تتَّصف به من مراتب الكمال الإلهيّ؛ فما حظيت به من الكرامات الإلهيَّة يكشف عن عظيم منزلتها، وجليل قدرها، وعلوِّ مكانتها بين سائر خلق الله تعالى، ولولا كمال مرتبتها وعلاقتها بالله تعالى، لما أجرى على يدها من الكرامات الإلهيَّة العظيمة، فطينتها ليست كطين سائر المخلوقين، فكانت نتيجتها (حوريَّة أنسيَّة)، ونشأتها لم تكن كنشئة سائر المخلوقين، فكانت تحدِّث أمها وتتحدَّث معها، ولا زالت في بطنها، فعلها ربَّانيّ، وخلقها محمَّديّ، وعبادتها علويّ، فلم يضاهي بشيء ممَّا تتميَّز به عن غيرها، فاستحقَّت أن تكون مستودع سرّ الله، فلها من الكرامات الإلهيَّة ما لا يحصى عدّها، ولا يسع المجال لذِكرها، ولكن ما لا يدرك كلُّه لا يترك جلُّه، وهذا ما سنحاول بيانها كأنموذج واقعيّ حي للكرامات الإلهيَّة، وفي كونه سمة من سماتها الإيمانيَّة، تتجلَّى من خلالها شخصيَّتها الإيمانيَّة، فأوسمتها كثيرة، ويكفيها أنَّها أمُّ أبيها، وروحه التي بين جنبيه، وأنَّها سيِّدة نساء العالمين، يرضى الله لرضاها، ويسخط لسخطها.

مفهوم الكرامة في اللغة والاصطلاح

الكرامة لغةً مأخوذة من كرُم بضمِّ الراء، وهو ضدّ اللؤم، وهي صفة لازمة على وزن فُعل[1]. وإلى هذا المعنى ذهب الزبيديّ، وأضاف أنَّ الكرم لا يقال إلاَّ في المحاسن الكبيرة، كإنفاق المال في تجهيز غزاة[2].

وقال الطريحي: «وقد كرم الرجل فهو كريم، وكرم الشيء كرمًا: نفس وعز، فهو كريم، والجمع كرام وكرماء، والأنثى كريمة، وجمعها كريمات. وكرائم الأموال: نفائسها وخيارها.. والاسم منه الكرامة، ودار الكرامة: الجنذَة»[3].

أمَّا اصطلاحا: فقد ذكرت لها عدَّة توضيحات، ولعلَّ الأقرب منها ما ذكره الشيخ محمَّد السند؛ إذ قال: «إنَّ كون الشيء آية لعموم النوع والجنس، مثل خلق الإنسان، فلا تكون الحجِّيَّة لكلِّ واحدٍ من الناس بخصوصه في خلقته، في حين لو كان الإعجاز لشخصٍ معيَّن من حيث هو فعل الله تعالى لشخص من باب التكريم والرحمة، فإنَّ هذه الكرامة هي قدرة الله تعالى تظهر في الشخص الذي هو في مقام الحجَّة الإلهيَّة. على أنَّ الذي يُحبى بالمعجزة الإلهيَّة لا يمكن أن يكون غير حجَّة؛ لأنَّ ذلك سيكون تغريرًا بالمكلَّفين، نعم، فيما إذا كانت المعجزة لا من باب التكريم، بل من باب النقمة، فإنَّ الذي تقع عليه المعجزة عندئذ ليس بحجَّة، كما حدث لفرعون وأمثاله من الظالمين»[4].

---

(١) القاموس المحيط، الفيروز آباديّ، ج٤، ص١٧٠.

(٢) تاج العروس، مرتضى الزبيديّ، ج١٧، ص٦٠٧.

(٣) مجمع البحرين، فخر الدين الطريحيّ، ج٦، ص١٥٣.

(٤) الإمامة الإلهيَّة، تقرير بحث الشيخ محمَّد السند للسيِّد بحر العلوم، ج٢-٣، ص٥٤٠.

وقال الشيخ داوود البغداديّ: «الكرامة هي أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد عبده الصالح»[1]، هذا بعد معرفة الفرق بين المعجزة والكرامة، على ما سيأتي إن شاء الله تعالى.

فتعريف الكرامة يتَّضح في تعريف المعجزة، قال السيِّد حيدر الآمليّ: «والمعجز: كلُّ فعلٍ خارقٍ للعادة يعجز عن أمثاله البشر، والتحدِّي هو أن يقول النبيّ لأمَّته: إن لم تقبلوا قولي فافعلوا مثل هذا الفعل أو بالعكس، أعني تقول أمَّته هذا القول بعينه معارضة له، مثلما قالوا لنبيِّنا: افعل كذا وكذا حتَّى نصدِّق بنبوَّتك، كشقِّ القمر، وإنطاق الحجر، وغير ذلك من المعجزات، والفعل الَّذي يظهر من أحد على غير التحدِّي والتعارض يسمَّى بالكرامة، وهو المختصُّ بالأولياء، كما أنَّ المعجزة مختصَّة بالأنبياء»[2].

لا يخفى أنَّ المعجزة والكرامة يجتمعان في أمرٍ واحد، وهو الخارق للعادة، ويفترقان في إطلاق المعجزة على فعل الأنبياء احترامًا وتقديرًا لهم عليهم السلام، أو اصطلاحًا في العُرف، وتُطلق الكرامة على فعل غيرهم من الأولياء والصالحين، قال الطباطبائيّ في تبيين معنى الكرامة بالمعنى الواسع المعروف في الدين: «إنَّ الكرامة الإلهيَّة ليست بذاك المبتذل السهل التناول، حتَّى ينالها كلُّ من انتسب إليه انتسابًا أو يحسبها كلُّ محتال أو مختال كرامة جنسيَّة أو قوميَّة، بل يشترط في نيلها الوفاء بعهد الله وميثاقه، والتقوى في الدين، فإذا تمَّت الشرائط، حصلت الكرامة، وهي المحبَّة والولاية الإلهيَّة التي لا تعدو عباده المتَّقين، وأثرها النصرة الإلهيَّة والحياة السعيدة التي تعمِّر الدنيا، وتصلح بال أهلها، وترفع درجات الآخرة»[3].

(١) أشدُّ الجهاد، داوود البغداديّ، ص٢٦.
(٢) تفسير المحيط الاعظم، حيدر الآمليّ، ج٣، ص٢٤٢.
(٣) تفسير الميزان، محمَّد حسين الطباطبائيّ، ج٣، ص٢٦٤.

وقال الشيخ السبحانيّ في توضيحها بشكلٍ واضح: «وأمَّا إذا صدر العمل الخارق للعادة من عبد لله صالح، لم يدِّعِ النبوَّة، سمِّي (كرامة). وممَّا يشهد بأنَّ عباد الله الصالحين من غير الأنبياء قادرون أيضًا على الإتيان بالأعمال الخارقة للعادة، نزول مائدة سماويَّة على السيِّدة مريم أمّ النبيّ السيِّد المسيح عليه السلام، وانتقال عرش بلقيس ملكة سبأ في سرعة خاطفة من اليمن إلى فلسطين على يد فردٍ بارزٍ من أنصار النبيّ سليمان (آصف بن برخيا)، وقد أخبر القرآن الكريم بِكِلَا الحدَثَين، إذ قال في شأن مريم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]. وقال حول حادثة عرش بلقيس أيضا: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾[2]»[3].

على كلِّ حال، فالكرامة هي: ظهور الفعل الخارق للعادة، يجريه الله تعالى على يد شخص لا يدَّعي النبوَّة، وإن جاءت الكرامة منه تحدِّيًا في بعض الأحيان، وتدلُّ على كون ذلك الإنسان إنسانًا صالحًا، ومبرَّءًا من المعصية، ومؤمنًا جامعًا لكلِّ صفات الخير، والكمال، فيكرمه الله تعالى، بكرامة تظهر على يديه.

مفهوم الإلهيَّة في اللغة والاصطلاح

الإلاهيَّة لغةً: مأخوذة من كلمة إله، والتألُّه يقتضي التعبُّد، قال الفراهيدي: «إله: إنَّ اسم الله الأكبر هو: الله، لا إله إلَّا هو وحده. وتقول العرب: الله ما فعلت ذاك تريد: والله ما فعلته، والتألُّه: التعبُّد. قال رؤبة: سبحن واسترجعن من تألهي»[4]، وذكر ابن

(١) آل عمران: ٣٧.

(٢) النمل: ٤٠.

(٣) العقيدة الإسلاميَّة على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، الشيخ جعفر السبحانيّ، ص١٢٣.

(٤) كتاب العين، الخليل الفراهيديّ، ج٤، ص٩٠.

فارس بأنَّ «إله، الهمزة واللام والهاء، أصل واحد، وهو التعبُّد»، وسمِّي الله بالإله؛ لكونه معبود، ويُقال للرجل تألَّه إذا تعبَّد[1].

وأمَّا الإلهيَّة اصطلاحًا: فهي سمة لكلِّ ما يُنسَب إلى الله تعالى، وفي المقام يكون معنى الكرامة الإلهيَّة، فو كلُّ ما وهبه الله تعالى لعبده، هذا بالمعنى العام، وبالمعنى الخاص هي أمر خارق للعادة مقترن بالتحدِّي ولا معارض له غير يقترن بدعوة النبوَّة، بخلاف المعجزة التي يكون لها هذا المعنى مع اقترانها بدعوة النبوَّة[2].

مفهوم السِّمة في اللغة والاصطلاح

السِّمة هي العلامة، وسمت الشيء، قال الفيوميّ: «وسمت الشيء وسمًا من باب وعد، والاسم السِّمة، وهي العلامة، ومنه الموسم؛ لأنَّه معلم يجتمع اليه، ثمَّ جعل الوسم اسمًا، وجمع على وسوم. وجمع السمة سمات.. ووسم بالضمِّ: حسن وجهه»[3]، وقال ابن فارس: «وسم أصل واحد يدلُّ على أثر ومَعلَم. ووسمت الشيء وسمًا: أثَّرت فيه بسِمَة. والوسميّ: أوَّل المطر؛ لأنَّه يسمُ الأرض بالنبات. وسمِّي موسم الحاجِّ موسمًا؛ لأنَّه معلم يجتمع إليه الناس، وفلان موسوم بالخير، وفلانة ذات ميسم: إذا كان عليها أثر الجمال. ووسَّم الناس: شهدوا الموسم، كما يقال عيَّدوا. والمتوسِّمون الناظرون في السِّمة الدالَّة»[4].

وقال الفراهيديّ: «الوسم، والوسمة الواحدة: شجرة ورقها خضاب. والوسم: أثرُ كيّ، وبعير موسوم: وُسِم بسِمة يُعرَف بها، من قطع أُذن أو كيّ. والميسم: المكواة أو

(١) معجم مقايس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريَّا، ج١، ص١٢٧؛ لسان العرب، ابن منظور، ج١٣، ص٤٦٩.
(٢) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة للألكائيّ، محمَّد حسن عبد الغفَّار، ج٧٢، ص٥.
(٣) المصباح المنير، للفيُّوميّ، ص٦٦٠.
(٤) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج٦، ص١١٠.

الشيء الَّذى يوسم به سمات الدوابِّ. وفلان موسوم بالخير والشرِّ»[1].

وقال في معجم ألفاظ الفقه الجعفريّ: السِّمة: العلامة[2]. وقريب منها هذه الألفاظ: الطابع، الصبغة، السِّمة، العلامة المميَّزة، الميزة: الصفة الغالبة عليها، الطباع، الطبع، وهو السجيَّة التي جُبِل عليها الإنسان، ولا تزول منه.

وقال الطبرسيّ في بيان معنى: «الوسم والمتوسِّم: الناظر في السِّمة الدالَّة، وهي العلامة. ويقال: وسمت الشيء وسمًا: إذا أثَّرت فيه بِسِمَة. ومنه الوسميّ: أوَّل المطر؛ لأنَّه يسِمُ الأرض بالنبات.. وتوسَّم فيه الخير: إذا عرف سمة ذلك فيه»[3].

أمَّا اصطلاحًا: فلم يختلف الاستعمال عن المعنى اللغويّ، قال المجلسيّ في تفسير وقوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، أي السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود، أو التراب على الجباه؛ لأنَّهم يسجدون على التراب لا على الأثواب، أو الصفرة والنحول، أو نور وجوههم في القيامة[4]. وقال جعفر مرتضى العامليّ: إنَّ الوفاء بالنذر يكشف بصورة واقعيَّة عن كمال حضور الله سبحانه في قلب هؤلاء الأبـرار.. حتَّى أصبح الوفاء بتعهُّداتهم هو السمة المميِّزة لهم، ولكن لا خوفًا من عقاب، ولا طمعًا في ثواب، بل لأنَّ هذا هو خلقهم الأصيل[5]. وقال أيضًا: إنَّ طاعة عليّ عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله، والخضوع المطلق لأوامره ونواهيه، لهو السِّمة المميِّزة له عن كلِّ صحابته صلى الله عليه وآله[6]، وروى الشيخ الصدوق، بسنده عن عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضَّال، عن أبيه، قال: سألت الرِّضا عليّ بن موسى عليهما السلام عن «بسم الله»، قال: **معنى قول**

(١) كتاب العين، أحمد الفراهيديّ، ج٧، ص٣٢١.
(٢) معجم ألفاظ الفقه الجعفريّ، أحمد فتح الله، ص٢٣٢.
(٣) مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسيّ، ج٦، ص١٢٦.
(٤) بحار الأنوار، محمَّد باقر المجلسيّ، ج٣٦، ص١٨٨.
(٥) تفسير سورة هل أتى، جعفر مرتضى العامليّ، ج١، ص١٧٧.
(٦) موقف عليّ في الحديبية، جعفر مرتضى العامليّ، ص١٩.

القائل: «**بسم الله**» **أي أسِمُ على نفسي سمة من سمات الله**ﷻ، **وهي العبادة**. قال: فقلت له: ما السمة؟ فقال: **العلامة**[1].

وعليه فلا يختلف المعنى الاصطلاحيّ للسِّمة كثيرًا عن معناه اللغويّ، وهو العلامة، كما قال ابن منظور: والعَلامةُ: السِّمَةُ، والجمع عَلامٌ[2].

المؤمنون لغةً واصطلاحًا

الإيمان لغةً: هو بمعنى التصديق، قال ابن منظور: «وأَمَّا الإِيمانُ فهو مصدر آمَنَ يُؤْمِنُ إيمانًا، فهو مُؤْمِنٌ. واتَّفق أَهلُ العلم من اللُّغَوِيِّين وغيرهم أَن الإِيمانَ معناه التصديق.. والإِسْلامُ إظهارُ الخضوع والقبول لما أَتى به النبيّ ﷺ، وبه يُحْقَنُ الدَّمُ، فإن كان مع ذلك الإِظْهارِ اعتِقادٌ وتصديقٌ بالقلب، فذلك الإِيمانُ الذي يُقال للموصوف به هو مؤمنٌ مسلمٌ»[3].

ولا يختلف **المعنى الاصطلاحيّ** عن المعنى اللغويّ في الاستعمال.

الكرامة في المسار الدينيّ

تتَّفق كلُّ الأديان السماويَّة، على وجود صفة الكرامة للمؤمنين في الدين، وقد تحدث لبعض الأولياء، فيكرمهم الله تعالى بها، ويكونوا محلًّا للفيض الإلهيّ، وذلك لجملة من الأهداف المتوخَّاة منها؛ فإنَّ الكرامة لا تحدث جزافًا وبلا هدف؛ بل هي هادفة مؤثرة.

الكرامة في الروايات الشريفة

وردت بعض الألفاظ لها في الروايات الشريفة لها صلة ببحث الكرامة، ولاسيما

(١) بحار الأنوار، محمَّد باقر المجلسيّ، ج٩٢، ص٢٣٠.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج١٢، ص٤١٩.
(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج١٣، ص٢٣.

ما جاء منها في روايات أهل البيت عليهم السلام، وهي تدلُّ على صنف من أصناف الكرامة الإلهيَّة، واليك بعضها:

١. دار الكرامة:

روى الحرُّ العامليّ بسنده إلى الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تنفَّلوا في ساعة الغفلة ولو بركعَتَين خفيفَتَين، فإنَّهما يورثان دار الكرامة. قيل: يا رسول الله وما ساعة الغفلة؟ قال: ما بين المغرب والعشاء**»[١].

٢. أهل الكرامة:

روى الفتَّال النيسابوريّ بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، أنَّه قال: «**وجُعِلتم فيه من أهل الكرامة، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعائكم فيه مُستجَاب**»[٢]. وجاء في دعاء ليلة الثلاثاء «اللهمَّ فزِد محمَّدا صلى الله عليه وآله مع كلِّ فضيلةٍ فضيلة، ومع كلِّ كرامةٍ كرامة، حتَّى تعرف بها فضيلته وكرامته أهل الكرامة عندك يوم القيامة»[٣].

٣. (حلل، لباس، بُرد) الكرامة:

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**ما من مؤمن يعزِّي أخاه بمصيبة إلَّا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة**»[٤]. وعنه صلى الله عليه وآله: **من عزَّى ثكلى كُسِي بُردًا في الجنَّة**[٥]. وعَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام عَنْ آبَائِه عليهم السلام، قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: **مَنْ عَزَّى حَزِينًا كُسِيَ فِي الْمَوْقِفِ حُلَّةً يُحَبَّرُ بِهَا**[٦]. قال مكارم الشيرازيّ: «وبمجرَّد أن ذاق آدم وزوجته من تلك الشجرة الممنوعة،

(١) الوسائل، محمَّد بن الحسن الحرُّ العامليّ، ج٥، ص٢٤٩.
(٢) روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوريّ، ص٣٤٥.
(٣) بحار الأنوار، محمَّد باقر المجلسيّ، ج٨٧، ص١٨٢.
(٤) تذكرة الفقهاء، العلَّامة الحِلِّيّ، ج٢، ص١٢٤.
(٥) بحار الأنوار، محمَّدباقر المجلسيّ، ج٧٩، ص٩٤.
(٦) الكافي (مشكل)، محمَّد بن يعقوب الكلينيّ، ج٣، ص٢٠٥.

تساقط عنهما ما كان عليهما من لباس، وانكشفت سوءاتهما، فلمَّا ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما.. وأنَّهما بمجرد أن ذاقا من ثمرة الشجرة الممنوعة أُصيبا بهذه العاقبة المشؤومة، وفي الحقيقة جُرِّدا من لباس الجنَّة الذي هو لباس الكرامة الإلهيَّة لهما»[1].

٤. مطايا الكرامة:

قال الجوهريّ: «المطو: المد. يقال: مطوت بالقوم مطوًا، إذا مددت بهم في السير. قال الأصمعيّ: المطيَّة: التي تمطُّ في سيرها. قال: وهو مأخوذ من المطو، أي المد. قال أبو زيد: يقال منه: امتطيتها، أي اتَّخذتها مطيَّة[2]. وقال النيسابوريّ: المَطِيَّةُ اسْمٌ جَامِع لِكُلِّ مَا يُمْتَطَى مِنَ الإِبِلِ[3]، وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: **دفع إليَّ جبرئيل عن الله تبارك وتعالى هذه المناجاة في الاستعاذة: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من ملمَّات نوازل البلاء.. واحملني على مطايا الكرامة**»[4].

٥. منتهى الكرامة:

قال ابن منظور: «ومنتهى كلّ شيء: حَدُّه؛ ومنه: أَحد حُدود الأَرضين وحُدود الحرم؛ وفي الحديث في صفة القرآن: لكلِّ حرف حَدٌّ ولكلِّ حَدٍّ مطلع؛ قيل: أَراد لكلِّ منتهى نهاية. ومنتهى كلّ شيءٍ: حَدُّه)[5]، وجاء في الدعاء عن أحدهما عليه السلام: «**اللهمَّ ارزقني العافية إلى منتهى أجلي**»[6]، وروى هشام بن الحكم عن الكاظم عليه السلام علَّة أخرى، وهي: «**أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمَّا أسري به إلى السماء، قَطَعَ سبعة حُجب، فكبَّر عند كلِّ حجابٍ تكبيرة، حتَّى وصل إلى منتهى الكرامة**»[7].

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم شيرازيّ، ج٤، ص٥٩٦.
(٢) الصِّحاح، الجوهريّ، ج٦، ص٢٤٩٥.
(٣) فقه اللغة وسرُّ العربيَّة، عبد الملك الثعالبيّ النيسابوريّ، ص١٥٥.
(٤) الدعوات (سلوة الحزين)، قطب الدين الراونديّ، ص٨٢.
(٥) لسان العرب، ابن منظور، ج٣، ص١٤٠.
(٦) مصباح المتهجِّد، محمَّد بن الحسن الطوسّي، ص٧٠٦.
(٧) من لا يحضره الفقيه، محمَّد بن عليّ الصدوق، ج١، ص٣٠٥.

شروط الكرامة

إنَّ الله تعالى لا يصطفي أحدًا بالاستخلاف في الارض، أو يكرِّم عبدًا من عباده الصالحين جُزافًا بغير موازين، ولا يكرِّم أحدًا إكرامًا مطلقًا من غير شرطٍ ولا قيد؛ لأنَّ الكرامة الإلهيَّة ليست بذاك المبتذَل السهل التناوُل، حتَّى ينالها كلُّ طالبٍ أو ناعقٍ، أو يحسبها كلُّ محتال، أو مختال، كرامة جنسيَّة، أو قوميَّة، بل يشترط في نيلها شروط معيَّنة، منها:

١. الوفاء بعهد الله وميثاقه.

٢. التقوى في الدين.

فإذا ما تمَّت هذه الشروط المطلوبة، حصلت الكرامة، وصار من أولياء الله، تلك الولاية التي لا تعدو عباده المتَّقين، فتظهر الكرامة الإلهيَّة لهؤلاء في الدنيا، وتُصلح بال أهلها، وترفع درجاتهم في الآخرة، قال عليّ الكورانيّ العامليّ: «وهكذا كانت عبوديَّة الإنسان الكامل وإطاعته للخالق العظيم الحكيم، مطلقةً من الشروط، بريئةً من الذات، خالصةً نقيَّةً من رواسب الطين.. فكان التكريم الربَّانيّ بمستوى تسليمهم المطلق لإرادته»[1]

منزلة المؤمن عند الله تعالى

لا يشكُّ أحد يؤمن بالله واليوم الآخر، في أنَّ للمؤمن حرمة عند الله تعالى، وأن ميزان المسلم هو ايمانه، الذي يتَّصف به، فكلَّما كان المسلم أكثر إيمانا، كان أقرب إلى الله تعالى، وهنا يكرِّمه الله تعالى بأنواع الكرامات، على هذا الجهاد الذي يمارسه العبد في الوصول اليه، والذي منها العزوف عن ملذَّات الدنيا، وحبُّ الشهوات، ولذا ورد في القرآن الكريم وروايات أهل البيت بيان عَظَمة شأن المؤمن وبيانه حرمته عند الله، قال تعالى:

(١) الانتصار، عليّ العامليّ، ج٧، ص١٦٣.

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[1]، وقال: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴾[2]، ففي الخبر الصحيح عن الصادق عليه السلام، يقول لاحد أصحابه: **يا عثمان إنَّك لو علمت ما منزلة المؤمن من ربِّه ما توانَيت** (أي ما قصَّرت في حاجته)، **ومَن أدخل على مؤمنٍ سرورًا فقد أدخل على رسول الله** صلى الله عليه وآله[3]. وفي الصحيح عن عليّ بن جعفر أنَّه سمع أخاه الكاظم عليه السلام يقول: **من أتاه أخوه المؤمن في حاجة، فهي رحمة من الله ساقها إليه، فإن قبل ذلك، فقد وصله بولايتنا، وهو موصول بولاية الله، وإن ردَّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها، سلَّط الله عليه شجاعًا من نارٍ ينهشه في قبره إلى يوم القيامة، مغفورًا له أو معذَّبا، فإن عَذَره الطالب كان أسوأ حالا**[4]. وعن عبد الله بن سنان قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: **مِن إجلال الله تعالى إجلال المؤمن ذي الشَّيبة، ومَن أكرم مؤمنًا فبكرامة الله بدأ، ومن استخفَّ بمؤمن ذي شيبة، أرسل الله إليه من يستخفَّ به قبل موته**[5].

هذه بعض النصوص الدينيَّة، التي توثِّق كرامة المؤمن عند الله تعالى، ولو أردنا بيان كلِّ ما ذُكِر من معانٍ في شأن المؤمن؛ لطال بنا الكلام، ولم تجفَّ الأقلام.

كرامة أهل البيت عليهم السلام عند الله تعالى ومنزلتهم

إنَّ الكلام حول منزلة أهل البيت عليهم السلام كلام واسع، ومتشعِّب الأطراف؛ لأنَّه كلام عن أناس جعلهم الله تعالى خلفاء في أرضه، بعد النبيّ، والكلام عنهم، لا يمكن

(١) النساء: ٩٣.
(٢) طه: ٧٦.
(٣) روضة المتَّقين، محمَّد تقي المجلسيّ، ج٣، ص٣٩.
(٤) وسائل الشيعة، الحرُّ العامليّ، ج١٢، ص٢٦٥.
(٥) الوافي، الفيض الكاشانيّ، ج٥، ص٤٥٥.

لأيِّ كاتب أو متحدِّث أن يحيط به، أو يلَّم بأطرافه، ومن هنا ذكرت بعض الروايات عنهم عليهم السلام لتتحدَّث عنهم، وتذكر لنا بعض فضلهم ومناقبهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مثل أهل بيتي، كمثل نجوم السماء، فهم أمان لأهل الأرض، كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم، طويت السماء، وإذا ذهب أهل بيتي خربت الأرض، وهلك العباد**»(١).

وروى الحاكم النيسابوري- وحكم بصحَّته- عن أبي ذر، وهو آخذ بباب الكعبة، قال: من عرفني فقد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «**ألا أنَّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها هلك**»(٢). وقال أمير المؤمنين عليه السلام: **ذِكرُنا أهل البيت شفاء من الوعك والأسقام ووسواس الريب، وحبُّنا رِضا الربِّ تعالى**(٣). وروى أبو يحيى عن جعفر بن محمَّد عليهما السلام قال: سُئِل الباقر عليه السلام عن فضل ليلة النصف من شعبان فقال: **هي أفضل ليلة.. وإنَّها الليلة التي جعلها الله لنا أهل البيت بإزاء ما جعل ليلة القدر لنبيِّنا** صلى الله عليه وآله(٤). وروي أنَّ أبا حنيفة سأل الصادق عليه السلام:.. قال: فما (النعيم) عندك؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: **نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد، بنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألَّف الله بين قلوبهم، وبنا أنقذهم الله من الشِّرك والمعاصي، وبنا جعلهم الله أخوانًا، وبنا هداهم الله، فهي النِّعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حقِّ النعمة التي أنعم عليهم، وهو النبيّ وعترته**(٥). وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحبنا أهل البيت فليحمد الله على أوَّل النِّعم. قيل: فما أوَّل النِّعم؟ قال: طيب الولادة، ولا يحبُّنا إلَّا من طابت**

(١) المعتبر، أبو القاسم، المحقِّق الحِلِّيّ، ج١، ص٢٣.
(٢) المستدرك على الصحيحَين، الحاكم النيسابوريّ، ج٣، ص١٥٠.
(٣) بحار الأنوار، محمَّد باقر المجلسيّ، ج٢، ص١٤٥.
(٤) مصباح المتهجِّد، محمَّد بن الحسن الطوسيّ، ص٨٣١.
(٥) الدعوات (سلوة الحزين)، قطب الدين الراونديّ، ص١٥٩.

ولادتـه[1]. وعن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: يا عليّ أُوصيك بوصيَّة فاحفظها، فلا تزال بخير ما حفظت وصيَّتي.. يا عليّ.. وأساس الإسلام حبُّنا أهل البيت عليهم السلام[2].

هذا شيء يسير ذكرته من فضائل أهل البيت عليهم السلام، التي لا تعدُّ ولا تُحصى، لو نظرنا إلى مقامهم الرفيع عند الله تعالى، وأنَّ ما ذكرته هو من باب التذكير بحقِّهم والتبرُّك بذِكرهم عليهم السلام.

الهويَّة الشخصيَّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

اسمها:

هي فاطمة بنت محمَّد صلى الله عليه وآله بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم.

ولادتها:

اتَّفق الجميع على أنَّها عليها السلام ولِدت في مكَّة المكرمة، لكن قد اختلفت الروايات في سنة ولادتها على أقوال:

الأوَّل: ولدت بعد البعثة بسنتَين

قال الشيخ المفيد رحمه الله: «في اليوم العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتَين من المبعث كان مولد السيّدة الزَّهراء فاطمة عليها السلام، وفي اليوم الثالث منه سنة إحدى عشرة من الهجرة كانت وفاتها»، انتهى[3].

الثاني: ولدت في ٢٠ جمادى الآخرة، سنة (٤٥) من مولد النبيّ صلى الله عليه وآله

روى ابن جرير الطبريّ الإمامي في (تاريخه) بسنده.. عن أبي عبد الله جعفر بن محمَّد صلَّى الله عليهما وآلهما، قال: **ولِدت فاطمة في جمادى الآخرة يوم العشرين منه سنة**

(١) روضة المتَّقين، محمَّد تقي المجلسيّ، ج٧، ص٦٤٧.
(٢) مستطرفات السرائر، ابن إدريس الحِلِّيّ، ص٢١٠.
(٣) مسار الشيعة، محمَّد المفيد، ج٧، ص٥٤.

خمس وأربعين من مولد النبيّ صلى الله عليه وآله. وأقامت بمكَّة ثماني سنين، وبالمدينة عشر سنين، وبعد وفاة أبيها خمسة وسبعين يومًا، وقُبِضت في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاثٍ خَلَون منه سنة إحدى عشرة من الهجرة.. إلى أن قال ابن همَّام: روي أنَّها قُبِضت لعشرٍ بقين من جمادى الآخرة، وقد كمل عمرها يوم قُبِضت ثماني عشرة سنة وخمسة وثمانين يومًا بعد وفاة أبيها، وغسَّلها أمير المؤمنين عليه السلام[1].

الثالث: ولدت قبل المبعث بخمس سنوات

هذا القول هو ما يراه علماء جمهور أهل السنَّة، إذ يروون أنَّ مولدها قبل المبعث بخمس سنين، ولكن قد اختلفت الأقوال أيضًا في يوم وفاتها اختلافًا كثيرًا، فقيل: إنَّها عاشت بعد أبيها أربعين يومًا، فيكون الثامن من شهر ربيع الثاني[2]. وقيل: عاشت بعد أبيها خمسة وتسعين يومًا[3]، فيكون الثالث من جمادى الآخرة. وقيل: عاشت بعد أبيها صلى الله عليه وآله ستَّة أشهر[4]، وهذا أقرب إلى قول العامَّة، بل هو من أقوالهم. والصحيح أنَّها عاشت بعد أبيها خمسة وسبعين يومًا، كما رواه في الكافي بسند صحيح عن الصادق عليه السلام[5]، فيكون الثالث عشر من جمادى الأولى[6]، وقال آل طوق القطيفي: وبالجملة، فالمشهور رواية وفتوى من الخاصَّة والعامَّة في عام مولدها أنَّه السنة الخامسة من البعثة صلَّى الله على المبعوث وآله وسلَّم، وفي المشهور بين أصحابنا أنَّه جمادى الآخرة، وفي يومه من الشهر أنَّه العشرون من جمادى الآخرة، ومن الأُسبوع أنَّه الجمعة. واتَّفقت الأُمَّة على

(١) رسائل آل طوق القطيفيّ، أحمد بن صالح آل طوق القطيفيّ، ج٤، ص٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ح٤، ص٦٤.

(٣) مصباح المتهجِّد، الشيخ الطوسيّ، ص٧٣٣.

(٤) مرآة العقول، محمَّد باقر المجلسيّ، ج ٥، ص٣١٤.

(٥) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يومًا. الكافي، محمَّد بن يعقوب الكلينيّ، ج١، ص٤٥٨.

(٦) ينظر: رسائل آل طوق القطيفيّ، أحمد بن صالح آل طوق القطيفيّ، ج٤، ص٦٣.

أنَّها توفِّيت عام وفاة أبيهاﷺ. والمشهور بين أصحابنا أنَّ موتها في الثالث من جمادى الآخرة. ولكن الرواية من الخاصَّة والعامَّة عن أهل البيت بأنَّها سلام الله عليها عاشت بعد أبيها خمسة وسبعين يومًا أكثر وأصحُّ سندًا، وعمل بها جمع من المعاصرين، ومن متأخِّري المتأخِّرين، ولعلَّ العمل بها أرجح[1].

وعلى هذه الاقوال الثلاثة (دون رأي العامَّة) جرى عمل الشيعة في إحياء مناسبة شهادة السيِّدة الزَّهراءعليها السلام.

أمُّها:

هي أمُّ المؤمنين السيِّدة خديجةعليها السلام بنت خويلد بن أسد بن عبد العزَّى التي تزوَّجها النبيّﷺ قبل بعثته بخمسة عشرة سنة، وكان عمره خمس وعشرين سنة.

زوجها:

وهو الإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام، تزوَّجها في أوَّل يوم من ذي الحجَّة، في السنة الثانية من الهجرة، زوَّجه رسول اللهﷺ منها، وروي أنَّه كان يوم السادس، وروي غير ذلك. وكان عمرها أكثر من تسع سنين، ولم يتزوَّج أمير المؤمنينعليه السلام على فاطمةعليها السلام حتَّى توفِّيت عنده.

أولادها:

كان للإمام عليّعليه السلام أولادًا منها، هم: الإمامان الحسن والحسينعليهما السلام سيِّدا شباب أهل الجنَّة، وقرطا العرش، ومن أولادها محسن، سمَّاه بذلك رسول اللهﷺ وهي حامل به، وأسقطته يوم أحرقوا باب دارها، ومن البنات زينب وأمّ كلثوم، ولا بنت له منها غيرهما.

(١) رسائل آل طوق، أحمد آل طوق، ج٤، ص٦٤.

منزلة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

إنَّ الحديث عن منزلة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، حديث مترامي الأطـراف، بعيد المنال، صعب في الوصول إلى حقيقتها؛ وذلك لأنَّها سرٌّ من الأسرار الإلهيَّة، وقد أجمع المسلمون كلُّهم، من يحبّها ومن لا يحبّها منهم، أنَّها سيِّدة نساء العالمين، فكيف لقاصر أن يحيط بسيِّدة النساء الطاهرة المطهَّرة بنصِّ القرآن، ولكنَّنا نذكر شيئًا يسيرًا من منزلتها.

أ. منزلتها عند الله تعالى:

في الحقيقة يمكننا التعرف إلى جزء يسير من منزلتها عند الله تعالى من خلال ما ورد من الآيات التي نزلت في حق أهل البيت عليهم السلام بشكل عام، أو الآيات التي نزلت في حقها بالخصوص، فما نزل في حقها بالخصوص، ذكره كثير من المفسرين أن بعض الآيات نزلت في شأنها عليها السلام منها:

١. **سورة الكوثر بالكامل**، يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾[1]، قال الطبرسيّ: «وقيل: هو كثرة النسل والذريَّة، وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمة عليها السلام، حتَّى لا يحصى عددهم، واتَّصل إلى يوم القيامة مددهم»[2]. وقال مكارم شيرازيّ: «فاطمة عليها السلام والكوثر قلنا إنَّ (الكوثر) له معنى واسع يشمل كلَّ خير وهبه الله لنبيِّه صلى الله عليه وآله، ومصاديقه كثيرة، لكن كثيرًا من علماء الشيعة ذهبوا إلى أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام من أوضح مصاديق الكوثر؛ لأنَّ رواية سبب النزول تقول: إنَّ المشركين وصموا النبيَّ بالأبتر، أي بالشخص المعدوم العَقِب، وجاءت الآية لتقول: إنَّا أعطيناك الكوثر. ومن هنا نستنتج أنَّ الخير الكثير أو الكوثر هو فاطمة الزَّهراء عليها السلام؛ لأنَّ نسل الرسول صلى الله عليه وآله انتشر في العالم بواسطة هذه البنت

(١) الكوثر: ١-٣.

(٢) مجمع البيان، الشيخ الطبرسيّ، ج١٠، ص٤٦٠.

الكريمة.. وذريَّة الرسول من فاطمة لم يكونوا امتدادا جسميًّا للرسول صلى الله عليه وآله فحسب، بل كانوا امتدادًا رساليًّا، صانوا الإسلام، وضحُّوا من أجل المحافظة عليه، وكان منهم أئمَّة الدين الاثني عشر، أو الخلفاء الاثني عشر بعد النبيّ، كما أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله في الأحاديث المتواترة بين السنَّة والشيعة»[1]. وقال جعفر مرتضى العاملّي: «أنَّها أخبرت عن أنَّ الله سبحانه، قد أعطى نبيَّه كوثرًا من النَّسل من خلال فاطمة الزَّهراء عليها السلام.. نعم، أعطاه تعالى كوثرًا من الخير، والبركات، وامتداد الدعوة»[2].

٢. **سورة الإسراء، الآية (٢٦)**، وهي قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[3]، فعن عليّ بن أسباط قال: لـمَّا ورد أبو الحسن موسى عليه السلام على المهديّ، رآه يردُّ المظالم، فقال: **يا أمير المؤمنين ما بال مظلمتنا لا تردُّ؟** فقال له: وما ذاك يا أبا الحسن؟ قال: **إنَّ الله تبارك وتعالى لـمَّا فتح على نبيِّه صلى الله عليه وآله فدك وما والاها، لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فأنزل الله على نبيِّه صلى الله عليه وآله ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، فلم يدرِ رسول الله صلى الله عليه وآله مَن هُم، فراجع في ذلك جبرئيل، وراجع جبرئيل عليه السلام ربَّه، فأوحى الله إليه أن ادفع فدك إلى فاطمة عليها السلام، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: يا فاطمة إنَّ الله أمرني أن أدفع إليك فدك، فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك**[4]. وعن أبي سعيد قال: لـمَّا نزلت: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاها فدكًا[5].

٣. **سورة النور، الآية (٣٥)**، وهي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم شيرازيّ، ج٢٠، ص٥٠٢.
(٢) تفسير سورة الكوثر، جعفر مرتضى العامليّ، ص١٨.
(٣) الإسراء: ٢٦
(٤) الكافي، محمَّد بن يعقوب الكلينيّ، ج١، ص٥٤٣، تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسيّ، ج٤، ص١٤٨، وغيرهما من المصادر.
(٥) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكانيّ، ج١، ص٤٣٩.

مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾[1]، فعن عليّ بن جعفر قال: سألت أبا الحسن- الإمام الكاظم عليه السلام- عن قول الله عزّ وجلّ ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌ﴾، قال: **المشكاة فاطمة، والمصباح الحسن والحسين، ﴿كَأَنَّهَا كَوۡكَبٌ دُرِّيٌّ﴾، قال: كانت فاطمة كوكبا دريا من نساء العالمين. ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ﴾، الشجرة المباركة إبراهيم. ﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾، لا يهوديّة ولا نصرانيّة، ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ﴾ قال: يكاد العلم أن ينطق ﴿وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾، قال: يهدي الله عزّ وجلّ لولايتنا من يشاء**[2].

أمَّا ما نزل في منزلة أهل البيت بشكل عام، وهي عليهم السلام محور هذا البيت من النساء حين النزول، فهي كثيرة، اكتفي بذِكر آيتَين فقط:

الآية الاولى: قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾[3]، وقد روى أبو سعيد الخدريّ، وشهر بن حوشب عن أمِّ سلمة، أنَّها قالت: «نزلت في بيتي، وفيه علي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله عباءة فجلَّلهم بها، ثمَّ قال: **هؤلاء أهل بيتي، أذهب اللهُ عنهم الرِّجس، وطهَّرهم تطهيرًا.** فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله ألست من أهل البيت؟ فقال: **إنَّكِ على خير**[4]. وقال ابن حنبل: «أخذ رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) ثوبه، فوضعه على عليّ وفاطمة وحسن وحسين، فقال: **إنَّما يريد الله ليُذهِب عنكم الرِّجس أهل البيت ويطهِّركم تطهيرًا**[5]. وروى في مسنده: عن أنس بن مالك أنَّ النبيّ (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) كان يمرُّ

(١) النور: ٣٥.
(٢) الكافي، محمَّد الكليني، ج١، ص١٩٥، الأسرار الفاطميَّة، محمَّد المسعوديّ: ٣٧٢.
(٣) الأحزاب: ٣٣.
(٤) المعتبر، المحقِّق الحِلِّيّ، ج١، ص٢٣.
(٥) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج١، ص٣٣١.

ببيت فاطمة ستَّة أشهر إذا خرج إلى الفجر، فيقول: **الصلاة يا أهل البيت، إنَّما يريد الله ليُذهب عنكم الرِّجس أهل البيت ويطهِّركم تطهيرًا**[1]. وروى مسلم النيسابوريّ عن صفيَّة بنت شيبة، قالت قالت عائشة: خرج النبيّ صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم غداةً، وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ فإدخله، ثمَّ جاء الحسين فدخل معه، ثمَّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمَّ جاء عليّ فأدخله، ثمَّ قال: **إنَّما يريد الله ليُذهب عنكم الرِّجس أهل البيت ويطهِّركم تطهيرًا**[2]

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾[3]، عن إسماعيل بن عبد الخالق، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأبي جعفر الأحول وأنا أسمع: **أتيت البصرة؟** فقال: نعم.. ثمَّ قال: **ما يقول أهل البصرة في هذه الآية**: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾؟ قلت: جُعِلت فداك إنَّهم يقولون: إنَّها لأقارب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: **كذبوا إنَّما نزلت فينا خاصَّة في أهل البيت، في عليّ وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء** عليهم السلام[4]. وقال الهيثمي: وعن ابن عبَّاس قال: لـمَّا نزلت ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ قالوا: يا رسول الله مَن قرابتك هؤلاء الذين وجَبت علينا مودَّتهم؟ قال: **عليّ وفاطمة وابناهما**. رواه الطبرانيّ[5].

ب) منزلتها عليها السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله

كانت الزَّهراء عليها السلام من أحبِّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان من حبِّه لها أنَّه صلى الله عليه وآله يقوم لها إن دخلت عليه، ويهشُّ لها، ويرحِّب بها، وكان إذا أراد السَّفر من المدينة، كان

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج٣، ص٢٥٩.
(٢) صحيح مسلم، مسلم النيسابوريّ، ج٧، ص١٣٠.
(٣) الشورى: ٢٣.
(٤) الكافي، محمَّد بن يعقوب الكلينيّ، ج٨، ص٩٣.
(٥) مجمع الزوائد، الهيثميّ، ج٧، ص١٠٣، ورواه في المعجم الكبير، الطبرانيّ، ج٣، ص٤٧.

آخر عهده بفاطمة، وإذا رجع كان أوَّل عهده بها. وعندما نراجع أحاديثه الشريفة وسيرته العطرة، نرى ذلك الحبّ و الاحترام لها واضحًا أشدَّ الوضوح، فقد روي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه، قال: كان أحبُّ النساء إلى رسول الله فاطمة، ومن الرجال عليّ[١]. وعن عائشة قالت: ما رأيت أحدًا كان أشبه كلامًا وحديثًا برسول الله ﷺ من فاطمة، وكان إذا دخلت عليه قام إليها فقبَّلها، ورحَّب بها، وكذلك كانت هي تصنع به[٢].

وفيما يأتي بعض الأحاديث التي تبيِّن منزلتها عند أبيها رسول الله ﷺ:

١. قوله ﷺ: «**إنَّ فاطمة بضعة منِّي، وهي روحي التي بين جنبيَّ، يسوؤني ما ساءها، ويسرُّني ما سرَّها**»[٣].

٢. قوله ﷺ لعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام: «**أنا حربٌ لمن حاربكم، وسلمٌ لمن سالمكم**»[٤]. وقدرواه أيضًا باللفظ نفسه أبي هريرة، وعن أبي هريرة[٥].

٣. قوله ﷺ: «**يا عليّ، إنَّ فاطمة بضعة منِّي، وهي نور عيني، وثمرة فؤادي، يسوءني ما ساءها، ويسرُّني ما سرَّها**»[٦]. وعن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: سمعت سعد بن مالك- يعني ابن أبي وقاص- يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **فاطمة بضعة منِّي، من سرَّها فقد سرَّني، ومن ساءها فقد ساءني، فاطمة أعزُّ البريَّة عليَّ**[٧].

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج٣، ص١١١.
(٢) سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستانيّ، ج٢، ص٥٢٢.
(٣) الاعتقادات في دين الإماميَّة، الشيخ الصدوق، ص١٠٥.
(٤) المصدر نفسه، ص١٠٥.
(٥) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج٢، ص٤٤٢.
(٦) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص٥٧٥.
(٧) الأمالي، الشيخ المفيد، ص٢٦٠.

٤. قوله صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعة منِّي من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله**»[١].

وهذا المقدار من الأحاديث التي توضِّح منزلة الزَّهراء عند رسول الله صلى الله عليه وآله كافٍ في إثبات هذه الحقيقة في حياة الزَّهراء القصيرة.

ج) منزلتها عليها السلام عند الأئمَّة عليهم السلام

أمَّا منزلتها عند الأئمَّة، فالحديث طويل يصحبه في بعض الأحيان شجون وأحزان، تظهر على ملامح بعض الأئمَّة عندما يذكر أمّه الزَّهراء عليها السلام، ونبدأ بالكلام عن منزلتها عند أمير المؤمنين عليه السلام، فقد روى الشريف الرضيّ مِنْ كَلَامٍ لَه عليه السلام في نهج البلاغة، فقد رُوِيَ عَنْه أَنَّه قَالَه عِنْدَ دَفْنِ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ فَاطِمَةَ عليها السلام، كَالْمُنَاجِي به رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله عِنْدَ قَبْرِه: **السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله عَنِّي، وعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ، والسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ، قَلَّ يَا رَسُولَ الله عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، ورَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنَّ فِي التَّأَسِّي لِي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ، وفَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وصَدْرِي نَفْسُكَ، فَ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ، أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ الله لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ، وسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ واسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ، هَذَا ولَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ، ولَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ، والسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ لَا قَالٍ ولَا سَئِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ، وإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ الله الصَّابِرِينَ**[٢].

وقال جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ بن أبي طالب قبل موته بثلاث: **سلام الله عليك يا أبا الريحانَتَين أوصيك بريحانتَيَّ من الدنيا، فعن قليلٍ ينهدُّ ركناكَ، والله خليفتي عليك**. فلمَّا قُبِض رسول الله صلى الله عليه وآله، قال عليّ: **هذا أحد ركنيَّ الذي قال**

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٦، ص٢٧٣.
(٢) نهج البلاغة، تحقيق: صبحي صالح، ص٣٢٠.

لي رسول الله صلى الله عليه وآله. فلمَّا ماتت فاطمة عليها السلام، قال عليّ: **هذا الركن الثاني الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله**[1].

وأكتفي بهذَين الحديثَين عن منزلة الزَّهراء عند أمير المؤمنين.

وأمَّا منزلتها عند أولادها، فيكفي في ذلك مقام حجيَّتهاعليهم، فإذا كان أهل البيت عليهم السلام حجج الله على الخلق، فإنَّ أمّهم الزَّهراء حجَّة الله عليهم، وهذا ما صرَّحت به رواية العسكريّ عليه السلام: «**نحن حجَّة الله على الخلق، وفاطمة عليها السلام حجَّة علينا**»[2]، ويشهد لهذا المعنى- أي مقام الحجيَّة- ما ورد عن مصادر علومهم عليهم السلام، كالجفر والصحيفة والجامعة، وأنَّ منها مصحف فاطمة عليها السلام، ممَّا يدلُّ على كونها واسطة علميَّة بين الأئمَّة عليهم السلام وبين الله تعالى في العلم المحفوظ في مصحفها المتعلِّق بما كان ويكون إلى يوم القيامة، فهي حجَّة في هذا العلم الجمِّ على الأئمَّة عليهم السلام يأخذون به، نظير حجيَّة النبيّ صلى الله عليه وآله في شأن القرآن الكريم، الذي هو مصدر علوم الأئمَّة عليهم السلام، كما في الروايات الآتية: عن السكونيّ قال: دخلت عليّ أبي عبد الله عليه السلام وأنا مغموم مكروب، فقال لي: **يا سكونيّ ما غمك؟** فقلت: ولدت لي ابنة.. فقال: ما سمَّيتها؟ قلت: فاطمة، قال: **آه آه آه، ثمَّ** وضع يده على جبهته.. إلى أن قال: ثمَّ قال: قال لي: **أمَّا إذا سمَّيتها فاطمة، فلا تسبَّها ولا تلعنها ولا تضربها**[3]. وفي هذا المقدار كفاية لبيان منزلتها عند أولادها.

د) منزلتها عليها السلام عند المسلمين:

نحن نعلم أنَّ المسلمين انقسموا إلى فريقَين، فريق يوالي أهل البيت عليهم السلام، ويراهم الأحقَّ بالخلافة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، تبعًا للنصوص كتابًا وسنَّةً، وهم شيعة آل البيت عليهم السلام، وفريق آخر على خلاف ذلك، وهم جمهور أهل السنَّة أجمع.

(١) روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوريّ، ص١٥٣.
(٢) الأسرار الفاطميَّة، محمَّد المسعوديّ، ص٢٦٥.
(٣) وسائل الشيعة، الحرُّ العامليّ، ج٢١، ص٤٨٢.

أمَّا الشيعة، فلا يختلفون في ثبوت الكرامة للزَّهراءعليها السلام بعد ما نزل في شأنها، وشأن أهل البيتعليهم السلام من الآيات، وما قاله النبيّصلى الله عليه وآله في شأنها، من الأحاديث التي قد لا يفوق شأنها شأن إلَّا أبوها وبعلها (صلوات الله عليهما).

وأمَّا أهل السنَّة، فهم أيضًا يؤمنون بحصول الكرامة للأولياء، حتَّى كثر إدِّعاء ذلك من المتصوِّفة منهم، يقول البغداديّ:

«.. ولما كان ما يحصل من التوسُّل والتشفُّع بالأنبياء والأولياء، إنَّما هو من طريق الكرامة، مع كونهم متسبِّبين في دار برازخهم، والكرامة لما أجمع عليها المسلمون من أهل السنَّة والجماعة، وهي من واجب الاعتقاد على العباد، وأصلها في كتاب الله تعالى باتِّفاق أهل السنَّة، وذلك طلب سليمانعليه السلام إحضار عرش بلقيس من سبأ إلى الشام في طرفة عين، ولم يتخلخل منه شيء، وهو من الجواهر والذهب، وكان مَن أتى به أصف بن برخيا، وهو ولي بلا شك، وكذلك رزق مريم، كلَّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا، وغير ذلك ممَّا ذكره أهل عقائد كلِّ مذهب من مذاهب أهل السنَّة، وقد اتَّفق أهل السنَّة والجماعة على أنَّ كرامات الأولياء من معجزات الأنبياءعليهم السلام؛ لأنَّ المعجزة لـمَّا كانت في الأنبياء المتبوعين، بقيت آثارها في التابعين الأحياء والميِّتين، بل هي في الأنبياء والأولياء بعد الانتقال إلى دار البقاء أدلُّ وأقوى على صدقهم وحقيقة دينهم، وذلك أنَّ النبيّ الحي والوليّ الحي قد يظنُّ العدو الكافر والمنافق أنَّ المعجزة والكرامة من تعملهم وتحيلهم، وأمَّا بعد الانتقال، فلم تبقَ هذه الشبهة بوجه لعلم ذوي العقول أنَّ هذا من محض خلق الله وقدرته، أجراه تعالى على يد نبيِّه أو وليِّه كرامةً له بخرق العادة، ثمَّ إنَّما تُنسب المعجزة أو الكرامة لنبيٍّ ظاهر أو وليٍّ معلوم اتِّباعه للنبيِّ المعصوم صلوات الله عليه، وهؤلاء لا يمكن للشيطان أن يتصوَّر بصورهم. أمَّا الأنبياء فمعلوم لمكان العصمة، ولقوله

تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[1]»[2].

وقد اتَّفق أهل السنَّة والجماعة على أنَّ كرامات الأولياء هي من صنف معجزات الأنبياء عليهم السلام، إلَّا ببعض الفوارق، ومنها ادِّعاء النبوَّة.. يقول البغداديّ: «وأهل السنَّة والجماعة يثبتونها في دار الدنيا، ولا اشتباه بين الكرامة والمعجزة؛ لأنَّ المعجزة إنَّما تكون من النبيّ مقرونةً بالتحدِّي، وهي ادِّعاء النبوَّة، والولي لا يتحدَّى، بل لو تحدَّى لخرج عن ولاية الله»[3].

الكرامات الإلهيَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام

عندما نقرأ التراث الاسلاميّ بشكلٍ عامٍّ، والشيعيّ بشكلٍ خاصّ، ونتصفَّح أوراقه، نجد فيه من الكرامات الإلهيَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام الشيء الكثير، وإليك بعض هذه الكرامات:

أوَّلًا: كرامة التكوين المقدَّس لها عليها السلام

إنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي المرأة التي ليس لها مثيل في تكوينها المبارك، فقد ذكرت الروايات في قضيَّة تكوينها ما لا يصدِّقه إلَّا من امتحن الله قلبه بالإيمان، ويكفي في بيان ذلك، أن نذكر ما رواه المجلسيّ، في كيفيَّة تكوينها عليها السلام بشكلٍ مختصر؛ إذ قال: بينما النبيّ صلى الله عليه وآله جالس بالأبطح، ومعه جماعة من أصحابه، إذ هبط عليه جبرئيل عليه السلام في صورته العظمى، فناداه: **يا محمَّد، العليُّ الأعلى يقرأ عليك السلام، وهو يأمرك أن تعتزل عن خديجة أربعين صباحًا**. فشقَّ ذلك على النبيّ صلى الله عليه وآله، وكان لها محبًّا، وبها وامقًا، قال: فأقام النبيّ صلى الله عليه وآله أربعين يومًا، يصوم النهار، ويقوم الليل.. فلمَّا كان في كمال الأربعين، هبط

(١) الحجر: ٤٢.

(٢) المنحة الوهبية، داود بن سليمان البغدادي، ج ١، ص ٣٢.

(٣) المصدر نفسه. ص٣٣.

جبرئيل عليه السلام فقال: **يا محمَّد العليُّ الأعلى يُقرِؤك السلام، وهو يأمرك أن تتأهَّب لتحيَّته وتحفته.** قال النبيّ صلى الله عليه وآله: **يا جبرئيل وما تحفة ربِّ العالمين؟ وما تحيَّته؟** قال: **لا عِلمَ لي.** قال: فبينا النبيّ صلى الله عليه وآله كذلك، إذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطًّى بمنديل سندس، أو قال: إستبرق، فوضعه بين يدَي النبيّ صلى الله عليه وآله، وأقبل جبرئيل عليه السلام وقال: **يا محمَّد يأمرك ربُّك أن تجعل الليلة إفطارك على هذا الطعام.** فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: **كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يفطر أمرني أن افتح الباب لمن يَرِدُ إلى الإفطار، فلمَّا كان في تلك الليلة أقعدني النبيّ صلى الله عليه وآله على باب المنزل، وقال: يا بن أبي طالب إنَّه طعامٌ محرَّم إلَّا عَلَيَّ.** قال عليّ عليه السلام: **فجلست على الباب، وخلا النبيّ صلى الله عليه وآله بالطعام، وكشف الطبق، فإذا عذق من رطب، وعنقود من عنب، فأكل النبي صلى الله عليه وآله منه شبعًا، وشرب من الماء ريًّا، ومدَّ يده للغسل، فأفاض الماء عليه جبرئيل، وغسل يده ميكائيل، ومندله إسرافيل، وارتفع فاضل الطعام مع الإناء إلى السماء، ثمَّ قام النبيّ صلى الله عليه وآله ليصلِّي فأقبل عليه جبرئيل، وقال: الصلاة محرَّمة عليك في وقتك حتَّى تأتي إلى منزل خديجة فتواقعها، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ آلى على نفسه أن يخلق من صُلبك في هذه الليلة ذريَّة طيِّبة.** فوثب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى منزل خديجة.. قالت السيِّدة خديجة: **فلا والذي سَمَك السماء وأنبع الماء، ما تباعد عنِّي النبيّ صلى الله عليه وآله حتَّى أحسست بثقل فاطمة في بطني**[1].

ثانيًا: كرامة النطق قبل أن تولد عليها السلام

إنَّ من عجائب الكرامات الإلهيَّة للزَّهراء عليها السلام، هو ما رواه بعض العلماء، في شأن حديثها وتكلُّمها مع أمِّها السيِّدة خديجة عليها السلام، وهي حمل في بطنها، وإليك نصُّ ما رواه المجلسيّ في هذا الشأن، قال: عن المفضَّل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله بن جعفر بن محمَّد عليهما السلام: كيف كانت ولادة فاطمة عليها السلام؟ قال: **نعم، إنَّ خديجة عليها رضوان الله لـمَّا تزوَّج بها رسول الله صلى الله عليه وآله، هجرتها نسوة مكَّة، فكنَّ لا يدخلن عليها ولا يسلِّمن عليها**

(١) ينظر: بحار الأنوار، محمَّد باقر المجلسيّ، ج١٦، ص٨٠ بتصرُّف

ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة من ذلك، فلمَّا حملت بفاطمة عليها السلام، صارت تحدِّثها في بطنها وتصبِّرها، وكانت خديجة تكتم ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل يومًا وسمع خديجة تحدِّث فاطمة، فقال لها: يا خديجة مَن يحدِّثك؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدِّثني ويؤنسني، فقال لها: هذا جبرئيل يبشِّرني أنَّها أنثى، وأنَّها النسمة الطاهرة الميمونة، وأنَّ الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمَّة في الأمَّة، يجعلهم خلفاؤه في أرضه بعد انقضاء وحيه. فلم تزل خديجة رضي الله عنها على ذلك إلى أن حضرت ولادتها[1].

ثالثًا: كرامة الزواج الإلهيّ المقدَّس

إنَّ زواج فاطمة الزَّهراء عليها السلام من أمير المؤمنين عليه السلام كان كرامة إلهيَّة واضحة، كما ذكرت الروايات، فقد خطبها شخصيَّات من قريش، والنبيّ يردّهم، ولكن أن ينزل الوحي فيأمر النبيّ بأن يزوِّج النور من النور، فهذا شيء لم يحدث في تاريخ الأنبياء من قبل، ومن جملة ما ذكره التاريخ، أنَّ النبيّ ردَّ عمر وأبا بكر، حينما خطبا السيِّدة فاطمة عليها السلام، حتَّى عتبا على النبيّ، فقال لهما: «**ما أنا منعتكم وزوجته، بل الله منعكم**»، ولكنَّه لم يردَّ عليًّا، بل أظهر السرور والفرح والابتهاج بذلك، بل إنَّه صلى الله عليه وآله كان هو الذي يرتِّب أمور الزواج، على خلاف العادة السارية في المجتمع.

ومن جميل ما قرأت في هذه القضيَّة، التحليل الذي ذكره جعفر العامليّ، في ردِّ عمر وأبي بكر، وقبول عليّ بالزواج منها، أذكره في هذا البحث باختصار؛ لما فيه من الفائدة، قال: «وقد تضمَّنت هذه الإجابة:

أوَّلًا: إنَّ هذا التصرُّف النبويّ لم يكن نابعًا من شخص النبيّ صلى الله عليه وآله، بحيث يجعله رأيًا شخصيًّا له، لا ارتباط له بالوحي، ليمكن أن يتوهَّم أحد أنَّ هذا الرأي قد لا يكون

(١) بحار الأنوار، محمَّد باقر المجلسيّ، ج١٦، ص٨٠.

مستجمعًا لسائر الشرائط التي تجعله يعبِّر عن أمور واقعيَّة، لها مساس بأهليَّة ومزايا الخاطبين.

ثانيًا: هل يدلُّ التدخُّل الإلهيّ في هذا الأمر، لمنع هذا أو ذاك.. على وجود ما يقتضي هذا المنع في واقع أولئك الخاطِبين، بسبب منافرته لواقع وحقيقة العصمة القائمة في تلك الذات الطاهرة، أو يدلُّ على أنَّه لا يصحُّ الجمع بين هذا القاصر الناقص مع تلك الذات المعصومة، التي بلغت الغاية في الكمال؛ لأنَّه يوجِب إخلالًا بل إعاقةً لمسيرة الكمال الإنسانيّ نحو الله.

ثالثًا: هل لنا أن نقول إنَّ التزويج الإلهيّ لعليّ بفاطمة عليهما السلام يمثِّل شهادة له بأن لديه من المزايا ما يجعله في موقع النقيض لأولئك الخاطبين الذين منعهم الله تبارك وتعالى؟.

ولتكن هذه الشهادة الإلهيَّة من أدلَّة انحصار الأهليَّة للإمامة والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله به عليه السلام.

رابعًا: قد عرفنا أنَّ هذا التزويج الإلهيّ لم يكن استجابةً لداعي النسب.. وإنَّما كان سياسة إلهيَّة لخَّصها رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «**إنَّما أنا بشر مثلكم، أتزوَّج فيكم، وأزوِّجكم، إلَّا فاطمة فإنَّ تزويجها نزل من السَّماء**»[1].

رابعًا: كرامة الرزق الإلهيّ لها عليها السلام

من الكرامات الإلهيَّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام هو حديث الرزق الإلهيّ، الذي قد كرَّم الله به فاطمة الزَّهراء عدَّة مرَّات، وفي حوادث متكرِّرة، أنقل لكم واحدة منها باختصار منِّي؛ لنتبيَّن عظمة تلك الكرامة، على مولاتنا الزَّهراء بشكلٍ خاص، وعلى أهل بيت النبيّ بوجهٍ عام، عن أبي سعيد الخدريّ، قال: «أصبح عليّ عليه السلام ذات يوم فقال: **يا فاطمة عندك شيء تغدِّينه؟** قالت: **لا والذي أكرم أبي بالنبوَّة، وأكرمك بالوصيَّة،**

(١) الصحيح من سيرة النبيّ، جعفر مرتضى العامليّ، ج٣، ص١٩.

ما أصبح اليوم عندي شيء.. فخرج عليّ من عند فاطمة عليها السلام واثقًا بالله.. فاستقرض دينارًا فأخذه يشتري لعياله ما يصلحهم، فعرض المقداد بن الأسود في يومٍ شديد الحرِّ، قد لوَّحته الشمس من فوقه، وآذته من تحته، فلمَّا رأه علي عليه السلام أنكر شأنه، فقال: **يا مقداد ما أزعجك هذه الساعة من رحلك؟** فقال: يا أبا الحسن خلِّ سبيلي ولا تسألني عمَّا ورائي. قال: **يا أخي لا يسعني أن تجاوزني حتَّى أعلم علمك**. فقال: يا أبا الحسن رغبت إلى الله عزوجل وإليك أن تُخلي سبيلي ولا تكشفني عن حالي. قال: **يا أخي لا يسعك أن تكتمني حالك**. فقال: يا أبا الحسن.. ما أزعجني من رحلي إلَّا الجهد، وقد تركت عيالي جياعًا.. فقال عليّ عليه السلام: **أحلفُ بالذي حلفت به ما أزعجني إلَّا الذي أزعجك، وقد اقترضت دينارًا فهاك هو فقد آثرتك على نفسي**. فدفع الدينار إليه ورجع حتَّى دخل المسجد، فصلَّى الظهر والعصر والمغرب، فلمَّا قضى رسول الله صلى الله عليه وآله المغرب مرَّ بعلي وهو في الصفِّ الأوَّل، فغمزه برجله، فقام عليّ عليه السلام فلحقه في باب المسجد، وسلَّم عليه، فردَّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: **يا أبا الحسن هل عندك عشاء تعشيناه فنميل معك؟** فمكث مطرقا.. فلمَّا نظر إلى سكوته، قال: **يا أبا الحسن ما لك لا تقول لا، فانصرف، أو تقول نعم، فأمضي معك؟** فقال: **حبًّا وتكرُّمًا فاذهب بنا**. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله يده فانطلقا حتَّى دخل عليّ على فاطمة عليها السلام وهي في مصلَّاها، قد قضت صلاتها وخلفها جفنة تفور دخانًا، فلمَّا سمعت كلام رسول الله صلى الله عليه وآله خرجت من مصلَّاها، فسلَّمت عليه، وكانت أعزّ الناس عليه، فردَّ السلام ومسح بيديه على رأسها، وقال لها: **يا بنتاه كيف أمسيت رحمك الله؟** قالت: **بخير**. قال: **عشِّينا رحمك الله**. وقعد، فأخذت الجفنة ووضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليّ عليه السلام. فلمَّا نظر عليّ إلى الطعام وشمَّ ريحه، رمى فاطمة ببصره رميًا شحيحًا، قالت له فاطمة: **سبحان الله ما أشحَّ نظرك وأشدَّه! هل أذنبت فيما بيني وبينك ذنبًا أستوجبُ به منك السَّخط؟!**.. فقال لها: **يا فاطمة أنَّى لك هذا الطعام الذي لم أنظر إلى مثل لونه، ولم أشمَّ مثل رائحته قطُّ، ولم آكل أطيب منه؟** قال: فوضع رسول

الله صلى الله عليه وآله كفَّه الطيِّبة المباركة بين كتفي عليّ عليه السلام فغمزها، ثمَّ قال: **يا عليّ هذا بدل من دينارك إنَّ الله يرزق من يشاء بغير حساب**. ثمَّ استعبر النبيّ صلى الله عليه وآله باكيًا، ثمَّ قال: **الحمدُ لله الذي أتى لكما قبل أن تخرجا من الدنيا حتَّى يُجريك يا عليّ مجرى زكريا، ويُجري فاطمة مجرى مريم بنت عمران ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾**»[1].

خامسًا: كرامة النور الإلهيّ لها عليها السلام ولثوبها

إنَّ من الكرامات الإلهيَّة التي حَبا الله تعالى بها وجود فاطمة الزَّهراء عليها السلام، هو ذلك النور الإلهيّ، النور الذي كما يظهر من الرواية الآتية، يرتبط بحقيقتها وشخصيَّتها الذاتيَّة قبل أن تكون نطفة في صُلب النبيّ، فقد جاء في الرواية عن ابن عبَّاس، قال: جاء رجل من أشراف العرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: يا رسول الله، بأي شيء فُضِّلتم علينا وأنت ونحن من ماءٍ واحد؟ فقال: **يا أخا العرب، إنَّ الماء لمَّا أحب الله جلَّ ذكره عند خلقنا، تكلَّم بكلمة صار نورًا، وتكلم بأخرى صار روحًا، فخلقني وخلق عليًّا وخلق فاطمة وخلق الحسن وخلق الحسين. ثمَّ إنَّ الله تعالى ابتلى الأرض بالظلمات، فلم تستطع الملائكة ذلك، فشكت إلى الله عزَّ وجلَّ، فقال عزَّ وعلا لجبرئيل عليه السلام: خذ من نور فاطمة وضعه في قنديل وعلِّقه في قرط العرش، ففعل جبرئيل عليه السلام ذلك، فأزهرت السماوات السبع والأرَضين السبع**[2].

وعن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **خلق نور فاطمة عليها السلام قبل أن يخلق الأرض والسماء**. فقال بعض الناس: يا نبيَّ الله فليست هي إنسيَّة؟ فقال: **فاطمة حوراء إنسيَّة**. قالوا: يا نبيَّ الله وكيف هي حوراء إنسيَّة؟ قال: **خلقها الله عزَّ وجلَّ من نوره قبل أن يخلق آدم، إذ كانت الأرواح، فلمَّا خلق الله عزَّ وجلَّ آدم عرضت على آدم.. فلمَّا خلق الله عزَّ وجلَّ آدم وأخرجني من صُلبه، وأحبَّ الله عزَّ وجلَّ أن يُخرجها من صلبي، جعلها تفَّاحة في**

(١) مدينة المعاجز، هاشم البحرانيّ، ج١، ص٣٣١.
(٢) نوادر المعجزات، محمَّد بن جرير الطبريّ الشيعيّ، ص٨٣.

الجنَّة وأتاني بها جبرئيل عليه السلام فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا محمَّد! قلت: وعليك السلام ورحمة الله حبيبي جبرئيل، فقال: يا محمَّد إنَّ ربَّك يقرئك السلام. قلت: منه السلام وإليه يعود السلام. قال: يا محمَّد إنَّ هذه تفَّاحة أهداها الله عزَّ وجلَّ إليك من الجنَّة. فأخذتها وضممتها إلى صدري، قال: يا محمَّد يقول الله جلَّ جلاله: كُلهَا. ففلقتها فرأيت نورًا ساطعًا ففزعت منه، فقال: يا محمَّد ما لك لا تأكل؟ كُلها ولا تخف، فإنَّ ذلك النور للمنصورة في السماء، وهي في الأرض فاطمة[1].

وهذا النور نفسه ظهر منها عليها السلام حين ولادتها وبعد الولادة أيضًا، كما تشير إلى ذلك بعض الروايات المرويَّة عن أهل البيت عليهم السلام، قال المجلسي: «فوضعت خديجة فاطمة عليها السلام طاهرة مطهَّرة، فلمَّا سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتَّى دخل بيوتات مكَّة، ولم يبقَ في شرق الأرض ولا غربها موضع إلَّا أشرق فيه ذلك النور.. وحدث في السماء نورٌ زاهر لم تَرَه الملائكة قبل ذلك اليوم، فلذلك سمِّيت الزَّهراء عليها السلام»[2].

وهذا النور استمرَّ بالظهور في وجودها المقدَّس، حتَّى جاء في سبب تسميتها بالزَّهراء عدَّة أسباب وعِلَل، منها ما يأتي: عن جعفر بن محمَّد بن عمارة عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن فاطمة لم سمِّيت الزَّهراء؟ فقال: **لأنَّها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما تزهر نور الكواكب لأهل الأرض**[3]. وعن أبان ابن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا بن رسول الله لم سمِّيت الزَّهراء عليها السلام زَّهراء؟ فقال: **لأنَّها تزهر لأمير المؤمنين عليه السلام في النهار ثلاث مرَّات بالنور، كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة والناس في فرشهم، فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينة، فتبيضُّ حيطانهم فيعجبون من ذلك، فيأتون النبيّ صلى الله عليه وآله فيسألونه عمَّا رأوا، فيرسلهم إلى منزل**

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص٣٩٦.
(٢) بحار الانوار، محمَّد باقر المجلسيّ، ج١٦، ص٨٠.
(٣) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج١، ص١٨١.

فاطمة عليها السلام فيأتون منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلِّي والنور يسطع من محرابها من وجهها، فيعلمون أنَّ الذي رأوه كان من نور فاطمة..[1] وقد روي عن عائشة أنَّها كانت تقول: كنت أسلك الخيط في سم الخياط في الليلة المظلمة من نور وجه فاطمة[2].

وهذا النور انعكس وظهر حتَّى في متعلَّقاتها كثيابها أيضًا، فقد روي أنَّ عليًّا عليه السلام استقرض شعيرًا من يهوديّ، فاسترهنه شيئًا، فدفع إليه ملاءة فاطمة رهنا.. فأدخلها اليهوديّ إلى داره ووضعها في بيت، فلمَّا كانت الليلة دخلت زوجته البيت الذي فيه الملاءة لشغل فرأت نورًا ساطعًا أضاء به البيت، فانصرفت إلى زوجها وأخبرته.. فتعجَّب زوجها اليهوديّ من ذلك.. فعلم أنَّ ذلك النور من ملاءة فاطمة، فخرج اليهوديّ يعدو إلى أقربائه، وزوجته تعدو إلى أقربائها، واستحضرهم دارهما، فاستجمع نيف وثمانون نفرًا من اليهود، فرأوا ذلك، وأسلموا كلّهم[3].

وهذا الوجود المقدَّس الذي كان مصدره عالم ما وراء المادَّة، كان يذكِّر النبيّ بذلك العالم، فقد جاء أنَّه صلى الله عليه وآله كان يكثر من تقبيلها، حتَّى جلب أنظار أصحابه، فعن جابر ابن عبد الله الأنصاريّ قال: قيل يا رسول الله إنَّك تلثم فاطمة وتشمّها ولا تفعل ذلك بغيرها من بناتك؟ فقال صلى الله عليه وآله: **إنَّ جبرئيل أهدى تفَّاحة من تفَّاح الجنَّة، فأكلتها فتحوَّلت ماء في صلبي فأودعتها خديجة فحملت فاطمة، وأنا أشمُّ منها رائحة الجنَّة**[4].

آثار الكرامات الإلهيَّة

نحن نعلم من دراسة حالات هذه الكرامات أو أصحابها، أنَّ الله تعالى، عندما يجريها للأولياء أو على يدهم، لا بدَّ وأن يكون لها آثار، إمَّا على صاحب الكرامة أو على

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج١، ص١٨١.
(٢) نخبة الآلي شرح بداية الآمالي، محمَّد بن سلمان الحلبيّ، ص٨٥.
(٣) الخرائج و الجرائح، قطب الدين الراونديّ، ج٢، ص٥٣٨. نقلًا عن البحار.
(٤) عيون المعجزات، حسين عبد الوهاب، ص٤٩.

من شاهد تلك الكرامة، ومن هذا المنطلق نقول: تنقسِّم الآثار على قسمَين:

القسم الأوَّل: آثارها على صاحب الكرامة

١. حسن العبادة:

من المؤكَّد بأنَّ أصحاب الكرامات هم في درجة مميَّزة من العبادة، والعبودية لله تعالى، قبل أن تظهر الكرامة لهم، ولكن بعد أن تظهر لهم الكرامة تزداد عبادتهم حينما تصبح الأمور الغيبيَّة أمورًا حسيَّة أمام أعينهم، ويروا بأمِّ أعينهم الفيوضات الإلهيَّة، إما من باب الشكر لله تعالى تلك الكرامة لهم، أو على إجرائها على أيديهم.

٢. الزُّهد في الدنيا وزخارفها:

من صفات وعلامات أهل الصلاح، البُعد عن مغريات الدنيا وملذَّاتها، كلُّ ذلك رغبةً بما عند الله تعالى، فلمَّا علم الله صدق نيَّاتهم في ذلك، أتحفهم بكراماته التي لا حدَّ وحدود لها، وعندما يتعلَّق قلب الإنسان بالدنيا، يبتعد عن ساحة القدس والكرامة الإلهيَّة، فيحرم من الفيوضات الربَّانيَّة، فقد روي عنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَال: «**أَبْعَدُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الله عزَّ وجلَّ إِذَا لَمْ يُهِمَّه إِلَّا بَطْنُه وفَرْجُه**»(١)، وعن ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **مَن أصبح وأمسى والدنيا أكبر همِّه جعل الله تعالى الفقر بين عينيه، وشتَّت أمره، ولم ينل من الدنيا إلَّا ما قُسِم له، ومن أصبح وأمسى والآخرة أكبر همِّه، جعل الله تعالى الغناء في قلبه وجمع له أمره**(٢)، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **من كثر اشتباكه**(٣) **بالدنيا، كان أشد لحسرته عند فراقها**(٤). **فلمَّا ابتعدوا عن الدنيا، كانوا مصداقًا قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ**

(١) الكافي (مشكل)، محمَّد بن يعقوب الكلينيّ، ج٢، ص٣١٩.
(٢) مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، عليّ الطبرسيّ، ص٤٦٣.
(٣) الاشتباك: الاختلاط، يقال: شبكه فاشتبك، أي أعلق بعضه في بعض
(٤) الوافي، الفيض الكاشانيّ، ج٥، ص٨٩٧. نقلاً عن الكافي، ج٢، ص٣٢٠.

وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[1]، ولذلك أشار سيِّد الزَّاهدين أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: **إنَّ الزهادة قصر الأمل، والشكر على النِّعم، والورع عن المحارم، فإن عزب [غرب] ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم**[2].

ولو تحقَّقنا هذه المعاني، لعلمنا أنَّ الزهَّاد، إنَّما كانوا طريقًا إلى الله، وعلامة يقتدى بها؛ لأنَّهم حازوا على صفة من صفات الأولياء، بل أعظم صفة يتَّصف بها المؤمن؛ لأنَّ الإنسان لو خلي وطبعه طويل الأمل، حريصًا على الدنيا وملذَّاتها، كما أخبر عن ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله: **يشيب ابن آدم ويشبُّ فيه خصلتان: الحرص وطول الأمل**[3]. والزُّهد خلافهما، ولا يحصل الإنسان على هذه الصفة، إلَّا بجهادٍ عسير، وتفكُّر طويل، سواء في غاية الخلق أو في سيرة الماضين، والاعتبار من أحوالهم وأخبارهم، عند ذلك يتمكَّن الإنسان من ترويض نفسه على قصر الأمل.

٣. التقوى والورع عن محارم الله:

إنَّ التقوى هي الطريق إلى الجنَّة، وميزان الكرمة، والتفاضل بين أفراد الإنسان؛ وذلك عندما يقتدي بالنبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في الأقوال والأفعال، والمتَّقي من يجعل بينه وبين ما يخاف منه وقاية تقيَّة منه، تمنعه من الوقوع في ذلك المحذور، فأصل التقوى الخوف من الله، بملاحظة جلال الله، وعظمته وقبح مخالفته، وشدَّة عقوبته على المعاصي، يقول تعالى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾[4]. وعن أبي ذر عن النبيّ صلى الله عليه وآله: **إن سرَّك أن تكون أكرم الناس فاتَّقِ الله**[5]. فلو أنَّ المتَّقي قام بالتَّقوى على ما ينبغي المشار إليه في قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ

(١) النور: ٣٧.
(٢) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمَّد الليثي الواسطيّ، ص١٤٨.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحرانيّ، ج٥، ص٣.
(٤) النساء: ٣١.
(٥) جامع أحاديث الشيعة، السيِّد البروجرديّ، ج١٤، ص٢٧٤.

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]، وأدَّى حقَّها على ما هو عليها في نفس الأمر، وزال عن قلبه بعد ذلك الحجاب، واضمحلَّ نفسه رين الظلمة والغفلة، ووصل إلى حدِّ الصَّفاء التامِّ الكامل، أفاض عليه تعالى نورًا من أنواره، وانفسح عين بصيرته، وانكشف له عالم الملكوت والجبروت، ونزَّل عليه من سماء وجوده وفضله الحكمة والمعارف والعلوم والحقائق، وعندئذٍ يرى على نفسه من آثار الكرامة الإلهيَّة.

٤. الحصول على الشفاعة:

إنَّ من جملة الآثار التي يعطيها الله تعالى لصاحب الكرامة، هو مقام الشفاعة، الذي هو اسمى المقامات، والمنازل الرفيعة للشافع؛ فيشفعه الله بمن يريد أن يغفر له، فتظهر بسببها الكرامة الإلهيَّة له، وقد نصَّت بعض الروايات على أنَّ المقصود وبالوسيلة، هو المقام المحمود الذي هو مقام نبينا صلى الله عليه وآله وللأئمَّة عليهم السلام وللمؤمنين، وقد أثبتت الروايات أنَّ الشفاعة تثبت لجملة من الناس ممَّن حضوا بالكرامة الإلهيَّة. عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **ثلاثة يشفعون إلى الله عزَّ وجلَّ فيشفعون: الأنبياء، ثمَّ العلماء، ثمَّ الشهداء**[2]. وعنه صلى الله عليه وآله: **الشفاعة للأنبياء والأوصياء والمؤمنين والملائكة**[3].

٥. نزول السكينة عليها:

إنَّما كانت السكينة، حالة يعطيها الله سبحانه لأوليائه المؤمنين، كرامة منه تعالى لهم، وهذا ما يفسِّر لنا السبب في أنَّه سبحانه يمتنُّ بهذه السكينة على خصوص عباده المؤمنين، ويتفضَّل بها عليهم، ومن قبلهم على رسوله الكريم صلى الله عليه وآله. وهذه السكينة تحتاج إلى أن يكون من تنزل عليه أهلًا لتلقِّيها، متَّصفًا بالتَّقوى، وطهارة القلب، وصدق الإيمان، وبعيدًا عن الذنوب وما إلى ذلك.. وهي من موجِبات زيادة الإيمان، كما صرَّحت

(١) آل عمران: ١٠٢.
(٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ص١٥٦.
(٣) ميزان الحكمة، محمَّد الريشهريّ، ج٢، ص١٤٧٤.

بذلك في سورة الفتح: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1]. ومن هنا نقول: مثلاً إنَّ الذين ثبتوا مع النبيّ صلى الله عليه وآله في ساعة الشدَّة، هم المستحقُّون لنزول هذه الكرامة الإلهيَّة، لاتِّصافهم بالصدق والإيمان، وأمَّا من ارتكب جريمة الفرار من الزحف، فلا يصحُّ إشراكه مع المؤمنين المجاهدين في هذه الكرامة الإلهيَّة.

القسم الثاني: آثارها على الآخرين

لا ريب أنَّ الكرامات الإلهيَّة للأولياء والصالحين، لها آثار كثيرة على الناس، ولكن يختلف بعضهم عن بعض في التعامل معها، ومن هذا المنطلق نعرض بعضًا من هذه الآثار.

١. زيادة الإيمان بالله تعالى:

إنَّ كثيرًا من الناس في مختلف الدهور، وعلى مرِّ العصور، ليسوا قادرين على تحليل ومحاكمة الأمور بطريقة عقليَّة وعلميَّة واستدلاليَّة صحيحة؛ وذلك بسبب محدوديَّة معارفهم وعلومهم التي تستفيد منها عقولهم، في الوصول إلى النتائج الصحيحة الواضحة، فلا يكفي أن يقرأ عليهم مثلًا القرآن؛ ليدركوا إعجازه، وأنَّه فوق قدرتهم، حتَّى يؤمنوا بالله وبرسوله، بل هم يحتاجون إلى ما هو أسهل، وأيسر من ذلك، وأقرب إلى الحسِّ.

ومن الواضح أنَّ أقرب الأشياء على تفكيرهم، وأشدَّها لصوقًا، وقربًا بأحاسيسهم، هي تلك التي يشعرون بها، من خلال حاجة الجسد، ودعوته لهم لتلبيتها، بما يثيره فيهم من الشعور بالخطر على الحياة، أو التماس اللذَّة، أو سدِّ الحاجة، وليس ذلك إلَّا ما يتَّصل بالطعام والشراب، الذي به قوام الجسد، وحفظ الوجود، فإذا جاءت المعجزة؛ لتعطيهم

(١) الفتح: ٤.

هذه الحاجة بالذات، فإنَّ التفاعل معها، وإدراك قيمتها، لا بدَّ أن يعطي الإيمان الناشئ عنها عمقًا، ورسوخًا في الروح، وتجذُّرًا في الوجدان، قد يتجاوز في مداه وفي قدرته، ما تعطيه المعادلات الفكريَّة، والبراهين العقليَّة.

وهذا المعنى يؤكِّده لنا النصّ التاريخي الآتي باختصار، فقد روي عن كريمة بنت المقداد قالت: سمعت أمِّي ضباعة بنت الزبير بن عبد المطَّلب تقول: قدِم وفد بهراء من اليمن على رسول اللهﷺ، وكانوا ثلاثة عشر رجلًا. فأقبلوا يقودون رواحلهم، حتَّى انتهوا إلى باب المقداد بن عمرو.. فخرج إليهم المقداد، فرحَّب، وأنزلهم، وقدَّم لهم جفنة من حَيس[1]. قالت ضباعة: كنَّا قد هيَّأناها قبل أن يحلُّوا لنجلس عليها، فحملها المقداد وكان كريمًا على الطعام، فأكلوا منها حتَّى نهلوا، ورُدَّت إلينا القصعة وفيها شيء، فجُمِع في قصعة صغيرة، ثمَّ بعثنا بها مع سدرة مولاتي إلى رسول اللهﷺ، فوجدته في بيت أم سلمة. فقالﷺ: ضباعة أرسلت بهذا؟ قالت سدرة: نعم يا رسول الله. قال: ضعي. ثمَّ قال: ما فعل ضيف أبي معبد؟ قلت: عندنا. فأصاب منها رسول اللهﷺ هو ومن معه في البيت حتَّى نهلوا، وأكلت معهم سدرة. ثمَّ قال: اذهبي بما بقي إلى ضيفكم. قالت سدرة: فرجعت بالقصعة إلى مولاتي. قالت: فأكل منها الضيف ما أقاموا. فردَّدها عليهم وما تغيض، حتَّى جعل الضيف يقولون: يا أبا معبد، إنَّك لتنهلنا من أحبِّ الطعام إلينا، وما كنَّا نقدر على مثل هذا إلَّا في الحين. وقد ذُكِر لنا أنَّ بلادكم قليلة الطعام، إنَّما هو العُلْق أو نحوه، ونحن عندكم في الشبع. فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول اللهﷺ.. وهذه بركة أصابعهﷺ. فجعل القوم يقولون: نشهد أنَّه رسول الله، وازدادوا يقينًا.. فأتوه، فأسلموا، وتعلَّموا الفرائض، وأقاموا أيَّامًا. ثمَّ جاؤوا إلى رسول اللهﷺ يودِّعونه، فأمر لهم بجوائز، وانصرفوا إلى أهليهم[2].

(١) لَحيس: تمر يُعجن بسمن وأقط.

(٢) الصحيح من سيرة الإمام عليّ، جعفر مرتضى العامليّ، ج٢٨، ص٢٧٠.

قال جعفر العاملي: «إنَّ إظهار الكرامة الإلهيَّة لرسول اللهﷺ، ليس أمرًا عشوائيًّا، بحيث يكون بمناسبة وبلا مناسبة.. بل هو أمر هادف، يُراد منه أيضًا الربط على القلوب، وصيانة الإيمان من التعرُّض للاهتزاز»[1].

٢. إزالة الشكِّ والترديد من النفوس:

إن من الآثار التي تتركها الكرامة الإلهيَّة على نفوس الآخرين، هو إزالة الشكِّ من النفوس، عندما يمنعها الرين، وهوى النفس، وحجاب الغفلة، عن إدراك الحقائق، فتأتي الكرامة، حتَّى تزيل ذلك الشكّ من نفوسهم المريضة، فمثلًا قد ذكرت بعض المصادر أنَّ كرامة قد حصلت للنبيّﷺ حين سار إلى بني قريظة، فهي تقول: فسار المسلمون إليهم، فوجدوا النخل محدقًا بقصرهم، ولم يكن للمسلمين معسكر ينزلون فيه. ووافى رسول اللهﷺ، فقال: ما لكم لا تنزلون؟! فقالوا: ما لنا مكان ننزل به، من اشتباك النخل. فوقف في طريق بين النخل، فأشار بيده يمنة، فانضمَّ النخل بعضه إلى بعض، وأشار بيده يسرة، فانضمَّ النخل كذلك، واتَّسع لهم الموضع: فنزلوا. قال جعفر العاملي: «إنَّ هذه الكرامة، لا بدَّ من أن تزيد من يقين المسلمين، وتزيل من نفوسهم، وبتعبير أدقّ من نفوس بعضهم، أي تردُّد أو شكّ يمكن أن يراودهم ويعترض سبيل يقينهم»[2].

٣. إزالة أثر الإعلام المضلِّل

قد تأتي الكرامة الإلهيَّة من أجل رفع آثار الإعلام الضالِّ والمنحرف، والذي دائمًا يشوِّه ويزيِّف الحقائق، فتأتي الكرامة لتزيل تلك الآثار؛ قال جعفر العامليّ: «وإذا كان ثمَّة من مبرر لحصول هذه الكرامة الإلهيَّة في هذا الظرف الحسَّاس بالذات.. وهو كذلك يكشف كلِّ زيف وخداع يمارسه اليهود لتضليل الناس فيما يرتبط بنبوة نبينا

(١) الصحيح من سيرة الإمام عليّ، ج١٥، ص٨٧.
(٢) المصدر نفسه، ج١٢، ص٩.

الأكرمﷺ[1]، فالكرامة قد تأتي، من أجل المواجهة للإعلام المضلِّل المسموم، أو رفع آثاره الهدَّامة في المجتمع، كما كانت قريش ومن ورائهم اليهود والنصارى تشنِّع على النبيّﷺ، مختلف الاشاعات الباطلة، فكان بعض الناس يهتدي إلى الإسلام عندما يشاهد كرامة من كرامات النبيّ.

٤. التمسُّك بصاحب الكرامة:

إنَّ من جملة الآثار التي تتركها الكرامة الإلهيَّة على الآخرين، هو انكشاف الواقع، والحقيقة لهم، بحيث لا يبقى عندهم أيّ شك، أو وهم، أو تردُّد، تجاه صاحب الكرامة فيما يدَّعي، أو يؤمن به، فيتمسَّكون به ويأخذون بهديه، بعد مشاهدة تلك الكرامة، يقول الشيخ الصدوق: «كنت إذا حضرت مجلس أستاذي محمَّد بن الحسن بن الوليد في قم، كانت له حلقة دراسيَّة كبيرة في قم، كنت أحضر وأنا صغير، فإذا رأى علمي وأجوبتي أعجب بها، وقال: لا غرو وأنت دعاء صاحب الأمر»[2]. يعني لا عجب أن تنبغ وأنت ولدت بفضل دعاء صاحب الأمر صلوات الله وسلامه عليه. وهناك كرامات كثيرة من هذا القبيل ذُكِرت، هذه الكرامات كانت تعزِّز صدق نيابة هؤلاء النوَّاب وسفارتهم عن الإمام سلام الله عليه[3].

ومن هنا كان الشيعة يتمسَّكون بهم، ويأخذون منهم معالم دينهم، ذلك أنَّ هذه الكرامات تؤكِّد وبقوَّة صدق دعواهم النيابة عن الامام عليه السلام، يروي الشيخ الطوسيّ عن محمَّد بن شاذان بن نعيم رضوان الله عليه، يقول: اجتمع عندي من الحقوق الشرعيَّة خمسمائة درهم إلَّا عشرين درهمًا، فاستحييت أن أبعث بها للإمامعليه السلام دون أن أتمَّها، فأتممتها بخمسمائة وأوصلتها إلى الإمام سلام الله عليه، الظاهر عن طريق

(١) الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم، جعفر مرتضى العامليّ، ج١٢، ص٩.
(٢) كمال الدين، الشيخ الصدوق،ص٥٠٢ ح ٣١، بتصرُّف.
(٣) الغيبة الصغرى و السفراء الأربعة، فاضل المالكيّ، ص٥٨.

نائبه؛ لأنَّ القضية في زمن الغيبة، والمفروض اللقاء المباشر في مثل هذه القضايا عن طريق النوَّاب، وإن كان يمكن أن يكون التقى به سلام الله عليه مباشرة، فجاء الجواب عن الإمام: وصلت خمسمائة درهم لك منها عشرون درهمًا[1]. مثل هذه الكرامات كانت تظهر للإمام سلام الله عليه، فكانت تعزِّز وجوده الحسِّيّ[2]، أي في نفوس أتباع الأئمَّة عليهم السلام.

٥. إزالة الشبهة من الأذهان:

قد يراد من الكرامة، إزالة الشبهة[3]، عمَّن غطَّت على بصر بصيرته غشاوة الشبهات؛ لأنَّه في بعض الأحيان تحجز المحاذير المختلفة عن التصريح ببعض الحيثيَّات، والغايات لبعض المواقف، بسبب حساسيَّة الظرف تارةً، ولتلافي سوء استفادة الأعداء من ذلك أخرى، وربَّما يكون ذلك بسبب عدم توفُّر المستوى المطلوب من الوعي، وعدم توفُّر حسن تقدير الأمور، والعجز عن التدقيق في مناشئها وفي غاياتها، وإدراك ذلك وتوظيفه في حركة الواقع بصورة سليمة وقويمة. فتلتبس الأمور على البعض كما لو التبس الحقّ بالباطل، ولم يتمكَّنوا من معرفة الباطل، فلا تبقى هناك وسيلة تحفظ للمؤمنين إيمانهم، حين تختلط عليهم الأمور، سوى أن يتلمسوا بوجدانهم، ويشعروا بكلِّ وجودهم، وأن يحسُّوا بكلِّ قواهم الباطنيَّة، ويشاهدوا بأمِّ أعينهم الكرامة الربَّانيَّة لبعض عباده الصالحين وأولياءه المصطفين؛ ليكون هذا الارتباط بالغيب عن طريق الحواس الظاهريَّة، هو الضمانة لحفظ التوازن في الباطن، بعد أن عجزت عقولهم عن الإمساك بأسباب هذا التوازن، بسبب فقدها لبعض ما يفيدها في ذلك.

---

(١) الغيبة، الشيخ الطوسيّ، ص٤١٦.

(٢) الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة، فاضل المالكيّ، ص٥٨.

(٣) الشبهة: هو أن لا يتميَّز أحد الشَّيئَين من الآخر؛ لما بينهما من التشابه. وجاء معنى الشبهة في حديث عليّ عليه السلام: **إنَّما سُمِّيت الشُّبهةُ شُبهةً؛ لأنَّها تُشبه الحقَّ.**

النتيجة النهائيَّة

لقد توصَّلنا في هذا البحث وموضوعه (الكرامات الإلهيَّة سمة المؤمنين، فاطمة الزَّهراء أنموذجًا) إلى مجموعة من النتائج الكليَّة نلخِّصها بما يأتي:

١. تبيَّن لنا في مدلول الكرامة الإلهيَّة في اللغة والاصطلاح، أنَّها من الأمور المعنويَّة التي يحبي الله تعالى بها بعض عباده من الأنبياء والأولياء والصالحين.

٢. تعدُّ الكرامة الإلهيَّة من الأمور الواقعيَّة، كما يكشف عن ذلك تاريخها في الدين، تكريمًا للمؤمنين من عباده.

٣. ممَّا يكشف عن عظيم مكانة أهل البيت عليهم السلام عند الله، ورسوله والأئمَّة والمسلمين جميعًا، ما يجري على أيديهم عليهم السلام من الكرامات الإلهيَّة.

٤. إنَّ شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام من الناحية الأسريَّة، تعدُّ من أرقى شخصيَّات النسويَّة، لامتلاكها إرثًا عظيمًا من جهة الآباء، كما أنَّها حظيت بجريان الكرامات الإلهيَّة على أيديها، على أنَّ ذلك يكشف عن رفيع مكانتها وعلوِّ مقامها عند الله.

٥. هناك ثمَّة فرق جوهريّ بين المعجزة والكرامة مع اشتراكها بعدم القدرة على الإتيان بهما، وفي التأثير الإيجابيّ على صاحبهما أو من يشاهدهما، كالهداية أو زيادة الإيمان ونحوهما.

تمَّ بحمد الله تعالى في مساء يوم الأحد ٨ ربيع الأوَّل ١٤٤٥هـ، الموافق ٢٤ أيلول ٢٠٢٣م.

المصادر

* القرآن الكريم.

١. الأسرار الفاطميَّة، محمَّد فاضل المسعوديّ، الناشر: (مشترك)، مؤسَّسة الزائر في الروضة المقدَّسة لحضرة فاطمة المعصومة عليها السلام للطباعة والنشر، قم المقدَّسة، ورابطة الصداقة الإسلاميَّة، لندن، مطبعة أمير، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢. أشدُّ الجهاد، داوود البغداديّ، مطبعة بغداد، ط١، د.ت.

٣. أصول عامَّة في معرفة الإمامة الإلهيَّة، بحوث سماحة الأستاذ الشيخ محمَّد السند، صادق محمَّد رضا الساعديّ، منشورات لسان الصدق، قم المقدَّسة، ط١، ٢٠٠٦م.

٤. الاعتقادات في دين الاماميَّة، محمَّد بن عليّ الصدوق، تحقيق: عصام عبد السيِّد، دار المفيد، للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٤هـ.

٥. الأمالي، محمَّد بن عليّ الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ.

٦. الأمالي، محمَّد بن محمَّد بن النعمان المفيد، تحقيق: الحسين أستاد ولي، عليّ أكبر الغفاريّ، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة، قم المقدَّسة، د.ت.

٧. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم شيرازيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٥م.

٨. الانتصار مناظرات الشيعة في شبكات الانترنت، بقلم: عليّ الكورانيّ العامليّ، دار السيرة، بيروت، لبنان، ط١، ذو الحجَّة الحرام ١٤٢٢هـ.

٩. بحار الأنوار، محمَّد باقر المجلسيّ، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط٢ المصحَّحة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٠. بـراءة آدم حقيقة قرآنيَّة، جعفر مرتضى العامليّ، مزيدة ومنقَّحة، المركز الإسلاميّ للدراسات، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٣م.

١١. تاج العروس من جواهر القاموس، محمَّد مرتضى الحسينيّ الزبيديّ الحنفيّ، دراسة وتحقيق: عليّ شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.

١٢. تذكرة الفقهاء، الحسن بن يوسف العلَّامة الحِلِّيّ، تحقيق ونشر: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، مطبعة مهر، ط١، ١٤١٤هـ.

١٣. تفسر المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، سيِّد حيدر آملى، العناية والنشر: المعهد الثقافيّ نورٌ على نور، مطبعة الأسوة، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٤. تفسير الميزان، محمَّد حسين الطباطبائيّ قدس سره، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة في قم المقدَّسة، د.ت.

١٥. تفسير سورة الكوثر، جعفر مرتضى العامليّ، المركز الإسلاميّ للدراسات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ.

١٦. تفسير سورة هل أتى، جعفر مرتضى العامليّ، المركز الإسلاميّ للدراسات، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

١٧. تهذيب الاحكام، محمَّد بن الحسن الطوسيّ (ت٤٦٠هـ، حقَّقه وعلق عليه سيِّدنا الحجة السيِّد حسن الموسوي الخرسان، الناشر: دار الكتب الإسلاميَّة، تهران بازار سلطاني، ١٣٩٠هـ.

١٨. جامع أحاديث الشيعة، أُلِّف تحت إشراف آية الله العظمى الحاج آقا حسين الطباطبائيّ البروجرديّ أعلى الله مقامه الشريف، مطبعة مهر، قم، ١٤١٠هـ.

١٩. الخرائج و الجرائح، قطب الدين الراونديّ، تحقيق ونشر: مؤسَّسة الإمام المهديّ عليه السلام، إيران، قم المقدَّسة.

٢٠. خلفيَّات كتاب مأساة الزَّهراء، جعفر مرتضى العامليّ، دار السيرة، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٢٢.

٢١. الدعوات (سلوة الحزين)، سعيد بن هبة الله قطب الدين الراونديّ (ت٥٧٣هـ)، قم المقدَّسة، تحقيق ومنشورات مدرسة الإمام المهدي، د.ت.

٢٢. رسائل آل طوق القطيفي، أحمد آل طوق، تحقيق ونشر وتوزيع: شركة دار المصطفى صلى الله عليه وآله لإحياء التراث، لبنان بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢٣. روضة المتَّقين في شرح من لا يحضر الفقيه، محمَّد تقي المجلسيّ، علَّق عليه وأشرف على طبعه، السيِّد حسين الموسويّ الكرمانيّ والشيخ عليّ پناه الإشتهارديّ، الناشر: بنياد فرهنك اسلامي حاج محمَّد حسين كوشانپور، د.ت.

٢٤. روضة الواعظين، محمَّد بن الفتَّال النيسابوريّ، منشورات الرضي، قم المقدَّسة.

٢٥. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزيّ، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ.

٢٦. سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستانيّ (ت٢٧٥هـ)، تحقيق وتعليق: سعيد محمَّد اللحَّام، طبعة جديدة منقَّحة ومفهرسة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

٢٧. شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة للالكائيّ، محمَّد حسن عبد الغفار، طبعة الرياض، السعوديَّة، ط١، د.ت.

٢٨. شرح نهج البلاغة، ميثم بن عليّ بن ميثم البحرانيّ، مؤسَّسة النصر، ط١، ١٣٦٢ش.

٢٩. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة، ط١، ١٣٧٨هـ.

٣٠. شواهد التنزيل، الحاكم الحسكانيّ، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، طهران، ١٤١١هـ.

٣١. الصِّحاح، إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ، بيروت دار العلم للملايين، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٣٢. صحيح مسلم، مسلم النيسابوريّ، الناشر: دار الفكر، بيروت، د.ت.

٣٣. الصحيح من سيرة الإمام عليّ، جعفر مرتضى العامليّ، الناشر: ولاء المنتظر عجل الله فرجه الشريف، مطبعة دفتر تبليغات إسلامي، ط١، ١٤٣٠هـ.

٣٤. الصحيح من سيرة النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله، جعفر مرتضى العامليّ، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، مطبعة دار الحديث، ط١، ١٤٢٦هـ.

٣٥. العقيدة الإسلاميَّة على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، جعفر السبحانيّ، بقلم: جعفر الهادي، الناشر: مؤسَّسة الصادق عليه السلام، مطبعة اعتماد، قم، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ م

٣٦. علل الشرائع، محمَّد بن عليّ بن الحسين، منشورات المكتبة الحيدريَّة، النجف، ١٩٦٦ م

٣٧. العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ، تحقيق: الدكتور مهدي المخزوميّ، الدكتور إبراهيم السامرَّائيّ الناشر: مؤسَّسة دار الهجرة، ط٢، إيران، ١٤٠٩هـ.

٣٨. عيون الحكم والمواعظ، عليّ بن محمَّد الليثيّ الواسطيّ، الناشر: دار الحديث، قم المقدَّسة، ط١، د.ت.

٣٩. عيون المعجزات، حسين عبد الوهاب، منشورات المطبعة الحيدريَّة، النجف، ١٣٦٩هـ.

٤٠. الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة، فاضل المالكيّ، مركز الأبحاث العقائديَّة، إيران، قم، ط١، ١٤٢٠هـ.

٤١. الغيبة، محمَّد بن الحسن الطوسيّ، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهرانيّ والشيخ عليّ أحمد ناصح، الناشر: مؤسَّسة المعارف الإسلاميَّة، ايران، قم المقدَّسة، مطبعة بهمن، ط١ المحقَّقة، شعبان ١٤١١هـ.ق.

٤٢. فقه الرضا، عليّ بن بابويه القمِّيّ، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرَّفة، نشر: المؤتمر العالميّ للإمام الرضا عليه السلام، مشهد المقدَّسة، ط١، شوَّال ١٤٠٦هـ.

٤٣. فقه اللغة وسرُّ العربيَّة، أبو منصور الثعالبيّ، (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: الدكتور فائز محمَّد، مراجعة: الدكتور إميل يعقوب، الناشر: دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.

٤٤. القاموس المحيط، القاضي مجد الدين محمَّد بن يعقوب الفيروزآباديّ، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان.

٤٥. الكافي (مشكل)، محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ الرازي، صحَّحه وعلَّق

عليه: عليّ أكبر الغفاريّ، الناشر: دار الكتب الإسلاميَّة، مرتضى آخوندي، تهران، بازار سلطاني، ط٣، ١٣٨٨هـ.

٤٦. كتاب الخصال، محمَّد بن عليّ بن الحسين الصدوق، صحَّحه وعلَّق عليه: عليّ أكبر الغفاريّ، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة، قم المقدَّسة، ط٢، ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣هـ.

٤٧. كمال الدين وتمام النعمة، محمَّد بن عليّ الصدوق، صحَّحه وعلَّق عليه: عليّ أكبر الغفاريّ، الناشر: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، إيران، محرَّم الحرام ١٤٠٥هـ.

٤٨. لسان العرب، محمَّد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ المصريّ، نشر: أدب الحوزة، قم، ط١، ١٤٠٥هـ.

٤٩. مجمع البحرين، فخرالدين الطريحيّ، تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ، عنيت بنشره: المكتبة المرتضويَّة لإحياء الآثار الجعفريَّة، ط١، ١٣٨٦هـ.

٥٠. مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسيّ، حقَّقه وعلَّق عليه: لجنة من العلماء والمحقِّقين الأخصَّائيِّين، قدَّم له: الإمام الأكبر السيِّد محسن الأمين العامليّ، منشورات مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، د.ت.

٥١. مجمع الزوائد، نور الدين عليّ بن أبي بكر الهيثميّ، بتحرير الحافظَين الجليلَين: العراقيّ وابن حجر، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميَّة، ١٩٨٨م.

٥٢. مدينة المعاجز، هاشم بن سليمان البحرانيّ، تحقيق ونشر: مؤسَّسة المعارف الإسلاميَّة، بإشراف الشيخ عزَّة الله المولائيّ، إيران، قم، مطبعة بهمن، ط١، ١٤١٣هـ.

٥٣. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرَّسول، محمَّد باقر المجلسيّ، شرح كتاب الكافي لثقة الإسلام الكلينيّ، دار الكتب الإسلاميَّة، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٥٤. مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة، محمَّد بن محمَّد بن نعمان العكبريّ البغداديّ، الشيخ المفيد، تحقيق: الشيخ مهدي نجف، دار المفيد، طباعة، نشر، توزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٣م، طبع بموافقة اللجنة الخاصَّة المشرفة على المؤتمر العالميّ لألفيَّة الشيخ المفيد.

٥٥. المستدرك على الصحيحَين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوريّ، طبعة مزيدة بفهرس الأحاديث الشريفة، بإشراف: د. يوسف عبد الرحمن المرعشليّ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٥٦. مستطرفات السرائر، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن إدريس العجليّ الحِلِّيّ، تحقيق: السيِّد محمَّد مهدي الموسويّ الخرسان، إعداد: مكتبة الروضة الحيدريَّة، نشر: العتبة العلويَّة المقدَّسة، ط١، ٢٠٠٨م.

٥٧. مسند أحمد، أحمد بن حنبل، الناشر: دار صادر، بيروت، د.ت.

٥٨. مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، أبو الفضل عليّ الطبرسيّ، تحقيق: مهدي هوشمند، الناشر: دار الحديث، مطبعة دار الحديث، ط١.

٥٩. مصباح المتهجِّد، محمَّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسيّ المشتهر بشيخ الطائفة، مؤسَّسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١م.

٦٠. المصباح المنير، أحمد بن محمَّد بن عليّ المقري الفيُّوميّ، المتوفَّى عام ٧٧٠هـ.

٦١. معاني الأخبار، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين الصدزوق، تصحيح: عليّ أكبر الغفاريّ، الناشر: انتشارات إسلامي، جامعة مدرِّسين الحوزة العلميَّة في قم، ١٣٦١ش.

٦٢. المعتبر، نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن المحقِّق الحِلِّيّ، المتوفَّى سنة ٦٧٦هـ، حقَّقه وصحَّحه: عدَّة من الأفاضل، منشورات مؤسَّسة سيِّد الشهداء، قم، إيران، إشراف: آية الله ناصر مكارم الشيرازيّ.

٦٣. معجم ألفاظ الفقه الجعفريّ، أحمد فتح الله، السعوديَّة، مطبعة المدخول، الدمَّام، ط١، ١٤١٥هـ.

٦٤. المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبرانيّ، ٢٦٠هـ-٣٦٠هـ، حقَّقه وخرَّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفيّ، ط٢ مزيدة ومنقَّحة،

٦٥. د.ت.

٦٦. معجم مقايس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريَّا، قم، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤٠٤هـ.

٦٧. من لا يحضره الفقيه، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين، صحَّحه وعلَّق عليه: عليّ أكبر الغفاريّ، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة في قم المقدَّسة، ط٢.

٦٨. مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، مشير الدين أبي عبد الله محمَّد بن عليّ ابن شهرآشوب بن أبي نصر بن أبي حبيشي السرويّ المازندرانيّ، المتوفَّى سنة ٥٨٨هـ، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته على عدَّة نسخ خطيَّة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدريَّة، النجف، ١٩٥٦م.

٦٩. المنحة الوهبيَّة في الردِّ على الوهابيَّة، داوود بن سليمان البغداديّ النقشبنديّ البغداديّ (ت١٢٩٩هـ) طبع في: بومباي بالهند، ١٣٠٥هـ، وأعاد طبعه: حسين حلمي في إسلامبول بتركيا، ١٩٧٨م.

٧٠. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، سعيد بن هبة الله الراونديّ، تحقيق: السيِّد

عبد اللطيف الكوكهمريّ، نشر: مكتبة آية الله المرعشيّ العامَّة، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠٦هـ.

٧١. موقف عليّ في الحديبية، جعفر مرتضى العامليّ، المركز الإسلاميّ للدراسات، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.

٧٢. ميزان الحكمة، محمَّد الريشهريّ، دار الحديث، قم المقدَّسة، ١٣٧٥.

٧٣. نخبة الآلي شرح بداية الآمالي، محمَّد بن سليمان الحلبيّ الريحاويّ شارح الكنز، المتوفَّى ١٢٢٨هـ، اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست، إستانبول، تركيا، ١٩٨٦م.

٧٤. نهج البلاغة، الشريف الرضيّ، تحقيق: صبحي الصالح، الناشر: دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، ط١، ١٣٨٧هـ.

٧٥. نوادر المعجزات في مناقب الأئمَّة الهداة، محمَّد بن جرير بن رستم الطبريّ الإماميّ، تحقيق ونشر: مؤسَّسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدَّسة، مطبعة مؤسَّسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١، ذو الحجَّة ١٤١٠هـ.

٧٦. الوافي، محمَّد محسن المشتهر بالفيض الكاشانيّ قدس سره، منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام العامَّة، أصفهان، د.ت.

٧٧. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمَّد بن الحسن العامليّ، تحقيق: آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مطبعة مهر، قم، ط٢، جمادي الآخرة ١٤١٤هـ.

اسْتِجْلَاءُ مَبَادِئ التَّعَايش السِّلْمِيّ في المجتمع
مِن أَقْوَالِ الزَّهراءعليها السلام

أ.م.د. عبد الهادي كاظم كريم
جامعة بابل/ كليَّة التربية الأساسيَّة

ملخَّص البحث

الحَمْدُ للهِ ربِّ العَالـمِين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خَيرِ رُسُلِهِ وخَلْقِهِ أجمعين أَبي القاسِمِ محمَّدٍ المَبْعُوثِ رَحْمَةً للعالمين، وَعَلى آلِهِ الأئمَّةِ الطيِّبِينَ الطَّاهرينَ المَعْصُومينَ، وأَصْحَابه المُنْتَجَبِين الغُرِّ المَيامِينَ، الذِينَ لَمْ يَنْقَلبوا عَلى أَعْقابِهِم بَعْدَ حِين.

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ أَهْلَ بيتِ رَسُولِ اللهصلى الله عليه وآله هُمْ مَعْدَنُ العِلمِ والفَهْمِ والمَعْرِفَةِ المتنوعةِ والعُلُومِ المُشْرَعَةِ عَلى مَشَارِبَ شتَّى وميادينَ واسِعَةٍ لا تَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ مَخصُوصٍ، بَلْ تَكَادُ أَنْ تَشْمَلَ كلَّ عِلمٍ وفن؛ لِذا يَنْهَلُ مِنْها كلُّ طَالبٍ لِلعِلمِ والفَهْمِ والحَقِيقَةِ، وَلَا غَرابةَ في ذلك ؛ فَهُمْ أَهْلٌ لِذلك ، وَرِثوا العِلْمَ عَن آبائِهِم عَن أَجدَادِهم عَن رَسُولِ اللهصلى الله عليه وآله عَن اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، وَفَاطِمةُ الزَّهْرَاءُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ مُحَمَّدٍصلى الله عليه وآله مِن أُصولِ هذِهِ الأَرومَةِ العَظِيمَةِ، وَحَلْقَةٌ مِن سِلْسِلَتِها الذَّهَبيَّةِ المَعْهودةِ عِندَ المُسْلمينَ جَميعًا، وَعِندَ غَيرِهِم أيضًا.

جاءَ هذا الجَهدُ لِيَبْحَثَ فِي ما أُثِرَ عَنِ الزهراءعليها السلام مِن أَقْوالٍ عَلَى الرَّغْمِ مِن قِصَرِ حَياتِهَا وعُمْرِهَا المباركَيْنِ، وَعَلى الرَّغْمِ مِن قِلَّةِ أقوالِها، وَمَا أُثِرَ عَنهاعليها السلام مِن كَلامٍ

وَصَلَ إلينا عَبْرَ الرُّواةِ والمَصادِرِ التَّاريخيَّةِ والأدبيَّةِ؛ لِنَسْتجليَ مَا انْطَوى عَليهِ خِطَابُها وكَلامُها عليها السلام مِنْ مَضَامينَ وأُسُسَ مَتِينةٍ رَاسِخَةٍ، تُؤَسِّسُ لِفكرٍ سَليمٍ وَسِلُوكٍ صَحيحٍ قَويمٍ فِي التَّعايشِ السِّلميّ دَاخِلَ الْمُجْتَمَعِ الإنسانيِّ بِشَكلٍ عَامٍّ، والْمُجْتمعِ الإسْلاميِّ بِشَكْلٍ خَاصٍّ، وَكَذلكَ مَا أَفادَهُ مِن مَعَانٍ جَميلةٍ سَامِيةٍ، متَّشِحَةً بأثوابها اللفظيَّةِ الزَّاهيةِ البهيَّة، التي تَشِعُّ نُورًا وإيْمانًا، وَعَقِيدَةً رَاسِخَةً، وَخُلُقًا رَفِيعًا، وأدَبًا عَظِيمًا، وَهي تَرسِمُ أُفُقًا ثقافيًّا رَاقيًا، وتَدعُو إليه في التَّعامُلِ الاجتِماعيِّ بينَ النَّاسِ مُؤَطَّرًا بِقِيمِ النُّبلِ وَالوِئامِ والمَحَبَّةِ والسَّلامِ؛ كي يَحيا الفَردُ والْمُجْتَمعُ حَياةً هَانِئَةً بَعِيدةً عِن الغِلْظَةِ والشَّنْآنِ؛ فَوَسَمنَا البحثَ بـ(اسْتِجْلَاءُ مَبَادِئ التَّعَايشِ السِّلْمِيّ في المجتمع مِن أَقْوَالِ الزَّهراء عليها السلام)، فَكَشَفَ البَحْثُ عَن مَظاهِرَ كثيرةٍ جَديرةٍ بالاهتِمامِ والتَّتَبُّعِ والبَحثِ عَلَى الْمُسْتَوى اللفظِيّ، وَالْمُسْتَوى الدَّلالِيّ، تُؤسِسُ لِتلكَ المَبادئ وَتَدعُو إليها؛ للارْتِقَاءِ بِسِلُوكِ الفَرْدِ قَولًا وَعَمَلًا؛ ممَّا يَقُودُ فِي النَّتِيجَةِ إلى إصْلاحِ الْمُجْتَمعِ وَرُقِيِّهِ عَلَى وَفقِ الفِكْرِ الإسْلاميّ الصَّحِيحِ الْمُسْتنبَطِ مِن كِتَابِ اللهِ تَعَالى القُرْآنِ الكريمِ، وسُنَّةِ رَسُولِهِ العَظِيمِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله الصَّحِيحَةِ الحَقَّةِ، وَسِيرةِ آلِهِ الطيِّبينَ الطَّاهرينَ الْمَعْصُومِين عليهم السلام. وَقَصَرنَاهُ عَلَى نَمَاذِجَ مَخْصُوصَةٍ مِن تِلكَ الأقوالِ؛ لأنَّ المَجَالَ لَا يتَّسِعُ لِبحْثِها جَمِيعًا؛ وَليَكُونَ البَحْثُ مُنْسَجمًا مَعَ الشُّروطِ التي وُضِعَت لَهُ سابقًا.

وَخُطَّةُ البَحْثِ وَمَنْهَجُهُ قَامَا عَلَى ذِكْرِ النَّمَاذِجِ الْمُخْتَارةِ مِنْها، فَتَنَاولها بِالدِّراسَةِ وَالبَيانِ وَالشَّرْحِ وَالدَّلالَةِ، ثُمَّ الانْتِقَالُ إلى مِثالٍ آخرَ مِنْها، وَهَكَذا فِي كُلِّ واحدٍ مِنها إلى إتْمامِ البَحثِ وَنهايتِهِ بِعونِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالى.

وَفِي الخِتامِ، لا يَسَعُنَا إلَّا أنْ نَقُولَ مِنَ اللهِ تَعَالى التوفِيقُ، وَآخرُ دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطيِّبينَ الطَّاهِرينَ الْمَعْصُومِينَ وَأَصْحَابِهِ الْمُنْتَجَبِينَ، والسَّلامُ عَليكُم وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه.

المقدِّمة

التعايشُ السلميُّ في المجتمعاتِ الإنسانيَّةِ كلِّها قيمةٌ عظيمةٌ عليا، بل هو أساسُ وجودِ المجتمعاتِ وأُسُّها؛ فمن دون هذا التعايشِ لا يمكنُ أنْ نَجِدَ مجتمعًا إنسانيًّا قائمًا يَتَّصِفُ بصفةِ الحياةِ والوجود. ولُبُّ هذا كلِّه ومنبعُهُ الأصيل الأوحد الإنسانُ بكلِّ ما أَوْدَعَ اللهُ سبحانَهُ فيه من مكامنِ الخيرِ والبرِّ والإحسانِ وصُنعِ الجميلِ؛ مِمَّا يكونُ مردُّهُ الفطرةَ الإنسانيَّةَ السليمةَ التي قال عنها: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[1]؛ فهي من صُنعِ الله تعالى الذي أَتْقنَ كلَّ شيءٍ صنعَه، قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾[2]، ولا سيَّما الإنسان الذي خلَقَهُ على أتمِّ صورةٍ وأجمل كلَّ شيءٍ خَلْقًا، فقال سبحانه عنه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[3]، وقال أيضًا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[4].

إنَّ الإنسانَ هو المحورُ لكلِّ شيءٍ في هذهِ الحياةِ، وهو نبضُ المجتمعِ بكلِّ جوانبهِ وفي كلِّ أحوالهِ وظروفهِ. إنَّ اسمَ (الإنسان) يفيدُ الجنسَ كلَّهُ ويدلُّ عليه؛ فيصحُّ اطلاقُهُ على الذَّكرِ والأنثى، وعلى الواحدِ والمثنَّى والجمع، وقيلَ إنَّ لفظَهُ مشتقٌّ من جذرَينِ

(١) سورة البقرة: ١٣٨.
(٢) سورة السَّجدة: ٧.
(٣) سورة التين: ٤.
(٤) سورة المؤمنون: ١٢-١٤.

لُغويَّين، هما: الأوَّل الأُنْسُ؛ فيكون حرفُ الهمزة أصلًا فيه؛ فهو على صيغةِ (فِعلان)[1]. والجذر الآخر: النسيان، فيكون حرفُ الهمزة زائدًا فيه؛ فهو على صيغةِ (إفعان)[2]. وكلا هذينِ الجذرين ومعناهما فيهما دلالة اجتماعيَّةٌ واضحةٌ هي الأنسُ أو يشيران إليها بوضوح فالأنسُ لا يكون بالانفراد والعزلةِ والابتعاد عن الآخرين والتوحُّش، بل يكون بالتقاربِ والانجذاب نحو الآخرين والتوادُدِ معهم؛ فينتج عن ذلك كلِّه معنى الأنس والاستئناس؛ فتنشأ العلاقات الاجتماعيَّة بين الفرد وغيرهِ وبين الجماعةِ والجماعة الأخرى.. وهكذا يتشكَّل المجتمع بأفرادهِ وروابطهم وعلاقاتهم. وكذلك فإن المعنى الأول للفظ (الانسان) وهو النسيان يمكنُ أن نرى فيه بعدًا اجتماعيًّا ينتج لنا دلالة اجتماعيَّةً راقية، يتمثَّل بتناسي الإساءة وتجاهلها كي نحافظَ على رباط المجتمع وتماسكه، وتمتين أواصرهِ ووشائج أفرادهِ ؛ وهذا المعنى لا يبعدُ كثيرا عن الفطرة الإنسانيَّة السليمة التي أودعها سبحانه في الإنسان، وكذلك لا يبعد عن دلالة الأُنْس التي تقتضي التغاضي عن كثيرٍ من الأمور ونسيانها؛ كي يتحقق الأُنسُ والوئام والمحبَّة في المجتمع.

ولكنَّ العيشَ والحياةَ داخل المجتمع- أيّ مجتمع- بسلامةٍ وأمانٍ ووئام لا يتحقَّقان إلَّا بإرساءِ مجموعةٍ من المبادئ والأسس التي يقومُ عليها المجتمع، وتؤطِّر العلاقةِ بين

(١) يُنظر: كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديّ البصريّ (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزوميّ، د. إبراهيم السامرَّائيّ، الناشر: دار الهلال ومكتبة الهلال: (نسي) ٧/ ٢٤٠. وتهذيب اللغة: محمَّد بن أحمد بن الأزهريّ الهرويّ، أبو منصور (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمَّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠١م: (نسي) ١٣/ ٦١.

(٢) يُنظر: الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة: أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ الفارابيّ (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م: (أنس) ٣/ ٩٠٤. ولسان العرب: محمَّد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعيّ الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: (أنس) ٦/ ١١.

أفرادِهِ ولبناتِهِ، ولاسيَّما في المجتمع الإسلاميّ الذي حباه الله ﷻ بكتابه العظيم (القرآن الكريم) الذي أكَّدَ فيه هذه المبادئ؛ فذكرها بشكلٍ مُكرَّرٍ في أكثرَ من موضعٍ، وفي أكثرَ من سياقٍ، وفي أكثرَ من قصَّة وخبر، وما من غايةٍ لهذا التكرار إلَّا تثبيتُهَا في نَفْسِ الإنسانِ، وتقريرُها في نفسِهِ وقلبِهِ كي يصدرَ كلامُهُ وقولُهُ وفعلُهُ وعملُهُ عنها من أجلِ صلاح الفردِ ثُمَّ المجتمع.

ومن هذهِ الأُسُسِ و المبادئ ما يأتي:

الأساسُ الأوَّلُ

تكريمُ الإنسانِ في المجتمعِ؛ لأنَّه أفضلُ الخلقِ في هذا الكون

لقد ذكرَ القرآن الكريم هذا المبدأ العظيم؛ فصرَّح به في أكثرَ من موضع من، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]، فجعل الإنسان خليفةً نوع من التكريم، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[3]، فتسخير الكون لخدمة الإنسان ورزقه تكريمٌ آخر. ومن أجلى صور التكريم للإنسان في المجتمعِ إعطاؤه حقوقَهِ كلَّها، فإذا أُخذت منه عليه أن يسلك الطرقَ المشروعة والمقبولة في استرداد حقوقهِ، ومن أبرز تلك الطرق الجهر بالقول في المطالبة بها، وهذا ما نادت به فاطمة الزَّهراء عليها السلام، إذ صدحت بقولها ورفعت صوتها؛ لأنَّ الحقَّ لا يُعلى عليه، وعدم المطالبة بالحقوقِ يجعل الفرد خاملًا ذليلًا يرفل بالذلِّ والهوان في قابل

(١) سورة الإسراء: ٧٠.
(٢) سورة البقرة: ٣٠.
(٣) سورة إبراهيم: ٣٢-٣٣.

الأيَّام والسنين، وكذلك المجتمع يتسلَّط عليه الظالمون والطغاة؛ فجاء قولها عليها السلام لردِّ ذلك، ورفض التخاذل في استرداد الحقِّ والتمسُّك به، فكانت الصورة المثلى والأُنموذج ؛ ليتَّخذها أفراد المجتمع قدوةً لهم في مثل هذا الموقف الذي يتجلَّى في مخاطبتها لأبي بكر وعمر بن الخطَّاب حين أخذا منها نِحْلتها (فدك): قالت فاطمة عليها السلام لأبي بكر: «**إن أم أيمن تشهد لي أن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدك**[1]، ثُمَّ قالت: **أليست في يدي وفيها وكيلي، وقد أكلت غلتها ورسول الله صلى الله عليه وآله حي؟!** قالا: بلى. قالت: **فلم تسألاني البيِّنة على ما في يدي؟** قالا: لأنَّها فيء للمسلمين، فإن قامت بيِّنة وإلَّا لم نمضها. فقالت لهما- والناس حولهما يسمعون: **أ فتريدان أن تردا ما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله، وتحكما فينا خاصَّة بما لم تحكما في سائر المسلمين؟! أيُّها الناس! اسمعوا ما ركباها.** قالت: **أرأيتما إن ادَّعيت ما في أيدي المسلمين من أموالهم تسألوني البيِّنة أم تسألونهم؟** قالا: لا، بل نسألك. قالت: **فإن ادَّعى جميع المسلمين ما في يدي تسألونهم البيِّنة أم تسألوني؟** فغضب عمر، وقال: إنَّ هذا فيء المسلمين وأرضهم، وهي في يدي فاطمة عليها السلام تأكل غلَّتها، فإن أقامت بيِّنة على ما ادَّعت أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وهبها لها من بين المسلمين، وهي فيئهم وحقهم، نظرنا في ذلك. فقالت: **أنشدكم بالله أما سمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن ابنتي سيِّدة نساء أهل الجنَّة؟** قالوا: اللهمَّ نعم، قد سمعناها رسول الله صلى الله عليه وآله. قالت: **أ فسيِّدة نساء أهل الجنَّة تدَّعي الباطل وتأخذ ما ليس لها؟! أرأيتم لو أنَّ أربعة شهدوا عَليَّ بفاحشة أو رجلان بسرقة، أكنتم مصدِّقين عليَّ؟!** فأمَّا أبو بكر فسكت، وأما عمر فقال: ونوقِع عليك الحدّ. فقالت: **كذبت ولؤمت، إلَّا أن تقرَّ أنَّك لست على دين محمَّد صلى الله عليه وآله، إن الذي يجيز على سيِّدة نساء أهل الجنة شهادة أو يقيم عليها حدا لملعون كافر بما أنزل الله على**

(١) بحار الأنوار: العلَّامة المجلسيّ (ت١١١١هـ)، تحقيق: يحيى العابديّ الزنجانّي، عبد الرحيم الربَّانيّ الشيرازيّ، ط٢ المصحَّحة، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م: ٢٩/ ٣٩١.

محمَّد صلى الله عليه وآله، إنَّ من أذهب الله عنهم الرِّجس أهل البيت وطهَّرهم تطهيرًا، لا يجوز عليهم شهادة؛ لأنَّهم معصومون من كلِّ سوء، مطهَّرون من كلِّ فاحشة، حدِّثني عن أهل هذه الآية، لو أنَّ قومًا شهدوا عليهم أو على أحد منه بشرك أو كفر أو فاحشة كان المسلمون يتبرَّؤون منهم ويحدُّونهم؟. قال: نعم، وما هم وسائر الناس في ذلك إلَّا سواء. قالت: **كذبت وكفرت، لأنَّ الله عصمهم وأنزل عصمتهم وتطهيرهم وأذهب عنهم الرِّجس، فمن صدق عليهم يكذِّب الله ورسوله**. فقال أبو بكر: أقسمت عليك يا عمر لما سكت..»[1].

فهذا الموقف، وهذا الخطاب المكتنز بمعانٍ كثيرةٍ عميقة من الزَّهراء عليها السلام لهما ما يبررهما ويدعو لهما من المبادئ والأُسُس التي تستنهض المجتمع في نيل حقوقه، وفي نصرةِ الحقِّ ودحض الباطل، وتزرع الثقة في نفوس أفرادِهِ في استرداد حقوقهم والمطالبةِ بها وأخذها، وعدم السكوت، أو الخضوع للسلطةِ الظالمة، أو الرضا بالهوان منها. بل «إنَّ قضيَّة فدك في منظور الزَّهراء (سلام الله عليها) إذن ليست مسألة (نِحلة) انتُزِعت من يدها، لأسباب اختلقتها السلطة أو برَّرتها، بل إنَّ القضيَّة أخطر من ذلك بكثير، إنَّها تشكِّل بادرة خطيرة في حياة الدولة الإسلاميَّة، وفي حياة التجربة الإسلاميَّة الوليدة، تلك التجربة وهذه الدولة التي ناضل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله نضالًا مريرًا في سبيل إقامتها على شرعة الحقِّ وميزان العدل، وأراد لها أن تمتدَّ في أقطار الأرض وآماد الزمان.

إنَّ الخطورة تلك تكمن في استعجال (النخبة) التي يفترض أنَّها المسؤولة عن حماية التجربة، استعجالها للحصول على (المكاسب الآنيَّة)، ومحاولة الاستحواذ على المراكز القياديَّة بغضِّ النظر عن الأصول المقرَّرة، والنصوص المعتبرة. وذلك يعني أوَّل ما يعني فتح الباب واسعًا أمام أصحاب المطامع والنهَّازين، أو على حدِّ تعبير عائشة: إنَّ الخلافة

(١) بحار الأنوار: ٣٠/ ٣٠٥-٣٠٦.

حينئذ سينالها البرُّ والفاجر. ولذلك فإنَّ تصدِّي الزَّهراء (سلام الله عليها) لمثل تلك الحالة، إنَّما كان للحيلولة دون تحقُّق النتائج الخطيرة والمتوقَّعة.

ومن هنا كان الهدف في (إثارة فدك) بأبعادها الشموليَّة، وتبصير الأمَّة قياداتٍ وأفرادًا وجماهير بتلك المخاطر الرهيبة التي تنتظرهم في حال الاندفاع بهذا الاتِّجاه، وقد صرَّحت الزَّهراء (سلام الله عليها) بذلك قائلة: «**أما لعمر الله لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثمَّ احتلبوها طلاع العقب دمًا عبيطًا.. هناك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبَّ ما أسَّسه الأوَّلون، ثمَّ طيبوا من أنفسكم نفسًا، واطمئنُّوا للفتنة جأشًا، وأبشروا بسيفٍ صارمٍ، وهرجٍ شاملٍ، واستبدادٍ من الظالمين يدع فيئكم زهيدًا، وجمعكم حصيدًا..**»[1].

(١) فدك في التاريخ: السيِّد محمَّد باقر الصدر (ت١٤٠٠هـ)، تحقيق: عبد الجبَّار شرارة، ط١، مركز الغدير للدراسات الإسلاميَّة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م: ١١-١٢.

الأساس الثاني

فُشُو مَبدأ السَّلامِ والأَمنِ والطُّمأنينةِ بينَ النَّاسِ

إنَّ السَّلامَ اسمٌ للهِ سبحانهُ وتعالى، وهو من أسمائِهِ الحسنى؛ فجعله اسمًا لدينهِ الخاتمِ للأديان السَّماويَّة التي صدرت عنه ﷺ (الإسلام)، ثُمَّ جعل جلَّ جلالُهُ (السَّلام) تحيَّةً بين النَّاسِ بعضِهم لبعض؛ كما سمَّى جَلَّ شأنُه جَنَّته في الحياةِ الآخرة بـ(السلام)، بقولهِ عزَّ من قائل: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]، والسِّلمُ: الصلحُ، والمسالمة: المصالحة، والسَّلامُ في الأصلِ: السَّلامةُ من العيوب والآفات الظاهرة والباطنة[3]، سواء كانت ماديَّة؛ كالعاهات والأمراض، أم معنويَّة كالحسد والغش والدَّغلِ والغلِّ والكذب؛ وهذا ما يشير إليه حديث الرسولِ ﷺ، إذ قال: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**»[4]، وفي رواية أخرى: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ**

(١) سورة الأنعام: ١٢٦-١٢٧.

(٢) سورة يونس: ٢٥.

(٣) يُنظر: المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهانيّ (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداوديّ، دار القلم، الدار الشاميَّة، دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٢هـ: ٤٢١.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانيّ (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، مؤسَّسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م: ١١/ ٦٥٨.

النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»[1].

فالسَّلامُ أمانُ اللهِ في الأرضِ، الذي يُفضي إلى شيوعِ السِّلمِ والأمنِ والأمانِ بينَ النَّاسِ في كلِّ مجتمعٍ أو مجموعةٍ على الأرض؛ ويَلزمُ على وَفقِ هذا أنْ يسلَمَ الناسُ من الأذى والشَّرِ والاعتداء، والاستسلامِ لأمرِ اللهِ ﷻ، وإخلاصِ العبادةِ له، وهذا يوجِبُ دخولَ المسلمِ قبلَ غيرِهِ في بابِ السَّلامةِ والأمانِ حتَّى يسلمَ النَّاسُ من بوائقِهِ، وبعدَهُ يدخلُ في هذا البابِ النَّاس الآخرون بمختلفِ مشاربهم وتنوُّعهم في اللونِ والنَّسَبِ والدينِ والمعتقدِ والمذهب؛ وبذلك يتحَّقق الأمنُ وتَعُمُّ السَّلَامَةُ والطُّمأنينةُ بين سكَّان الأرضِ كلِّهم.

وتتجلَّى هذِهِ المعاني كلِّها في خُطبةِ الزَّهراءعليها السلام التي قالت فيها: «**لله فيكم عهد قدَّمه إليكم، وبقيَّة استخلفها عليكم، كتاب الله بيِّنةٌ بصائره، وآي منكشفة سرائره، وبرهان متجلِّية ظواهره، مديم للبريَّة استماعه، وقائد إلى الرضوان أتباعه، مؤدِّيًا إلى النَّجاة أشياعه، فيه تبيان حجج اللهِ المنوَّرة ومحارمه المحدودة، وفضائله المندوبة، وجمله الكافية، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة، وبيِّناته الخالية، ففرض الله الإيمان تطهيرًا من الشِّرك، والصلاة تنزيهًا عن الكبر، والزكاة زيادة في الرزق، والصيام تبينًا للإخلاص، والحج تسنية للدِّين، والعدل تسكينًا للقلوب، والطاعة نظامًا للملَّة، والإمامة لـمًّا من الفرقة، والجهاد عزًّا للإسلام، والصبر معونةً على الاستيجاب، والأمر بالمعروف مصلحة للعامَّة، وبرّ الوالدين وقايةً عن السَّخط، وصلة الأرحام منماة للعدد، والقصاص حقنًا للدماء، والوفاء بالنذر تعريضًا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين تعييرًا للبخسة، وقذف المحصنات حجبًا عن اللعنة، وترك السرقة إيجابًا للعفَّة،**

(١) المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائيّ): أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن عليّ الخراسانيّ، النسائيّ (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدَّة، مكتب المطبوعات الإسلاميَّة، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م: ٨/ ١٠٤.

وأكل أموال اليتامى إجارةً من الظلم، والعدل في الأحكام إيناسًا للرعيَّة، وحرَّم الله الشِّـرك إخلاصًا له بالربوبيَّة، فاتقوا الله حقَّ تقاته فيما أمركم الله به، وانتهوا عمَّا نـهاكم عنه..»[1].

وتتجلَّى مبادئ التعايش السِّلمي عند الزَّهراء عليها السلام في دعوتها الناس إلى الرفق بالحيوان، وعدم استخدام القسوة والشدَّة معه؛ إذ توصي بالإحسان إليه، فقالت في واحدةٍ من خُطبها: «**دعوا التعداد وعليكم بالدعاء، وزوروا موتاكم فإنَّهم يفرحون بزيارتكم، وليطلب الرجل حاجته عند قبر أبيه وأُمِّه بعدما يدعو لهما، المسلم مرآة أخيه، فإذا رأيتم من أخيكم هفوة فلا تكونوا عليه، وكونوا له كنفسه، وارشدوه وانصحوه وترفَّقوا به، إيَّاكم والخلاف فتمزَّقوا، وعليكم بالصدق تزلفوا وتُؤجَروا، مَن سافر منكم بدابَّة فليبدأ حين ينزل بعلفها وسقيها، لا تضربوا الدواب على وجوهها، فإنَّها تسبِّح ربَّها، ومن ضلَّ منكم في سَفَر أو خاف على نفسه فلينادِ: يا صالح أغثني، فإنَّ في إخوانكم من الجنِّ جنِّيًّا يسمَّى صالـحًا، يسيح في البلاد لمكانكم، محتسبًا نفسه لكم، فإذا سمع الصوت أجاب وأرشد الضالَّ منكم وحبسَّ عليه دابته**»[2].

وكانت الزَّهراء عليها السلام تؤكِّد في كلامها العقيدةَ السليمةَ والدين الحق والشريعةَ العظيمة السمحاء والتَّمسك بها، وتطبيقها في السلوك، وتكرر ذكر ذلكَ كلِّه في كلِّ خُطبةٍ تَخْطُبها وفي كلِّ مكانٍ تتحدَّثُ فيه في محفلٍ للناسِ سواء كانَ عامًّا أم خاصًّا، للنساءِ أم للرجال؛ لأنَّ فيه صلاح المجتمعِ وسلامته؛ فقالت: « فرض الإيمان تطهيرا من الشرك، والصلاة تنزيها من الكبر، والزكاة زيادة في الرزق، والصيام تثبيتًا للإخلاص، والحج

(١) موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام: الشيخ هادي النجفيّ، ط١، مطبعة دار إحياء التراث العربّي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ م: ٥/ ٨٦.

(٢) مسند الإمام عليّ عليه السلام: السيِّد حسن القبَّانجيّ، تحقيق: الشيخ طاهر السلاميّ، ط١، منشورات مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م: ٧/ ٤٢٩-٤٣٠.

تسلية للدين، والعدل مسكًا للقلوب، والطاعة نظامًا للملَّة، والإمامة لـمًّا من الفرقة، **والجهاد عزًا للإسلام، والصبر معونةً على الاستيجاب، والأمر بالمعروف مصلحة للعامَّة، وبرّ الوالدين وقاية عن السَّخط، وصلة الأرحام منماة للعدد، والقصاص حقنًا للدماء، والوفاء للنذر تعرُّضًا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين تغييرًا للبخسة، واجتناب قذف المحصنات حجبًا عن اللعنة، واجتناب السرقة إيجابًا للعفَّة، ومجانبة أكل أموال اليتامى إجارةً من الظلم، والعدل في الأحكام إيناسًا للرعيَّة، وحرَّم الله ﷻ الشرك إخلاصًا للربوبيَّة..**»[1].

فمبدأُ السَّلامِ يتحقَّقُ مِن خِلال التطبيقِ العمليِّ لكلِّ ما جاء به الدينُ الإسلاميُّ العظيمُ من أوامرَ ونواهٍ وأحكامٍ شرعيَّة وحِكمٍ عظيمةٍ وأمثالٍ نافعةٍ وقَصَصٍ كثيرةٍ وأقوالٍ مأثورةٍ؛ فكلُّ ذلكَ الهدفُ منه تنظِّمُ حياةَ الفردِ والمجتمع، والعمل على إصلاحهما في مختلف الظروف والأحوال والأماكن؛ وبذلك كلِّهِ يتجلَّى ذلكَ التعايش السلميِّ المنشود. فالسلامُ ليسَ مجرَّدَ شِعاراتٍ أو كلامٍ منمَّقٍ معسولٍ، ولا مجرَّد مصطلحاتٍ رنَّانةٍ فارغةٍ لا محتوى لها يتغنَّى بها من يشاء من الناسِ كالثرثارين والمتشدِّقين والمتشدِّدين والمتحذلقين والجاهلين الذين يملؤون الدنيا بكلامهم الكثير الفارغ المرصوف، وهو بعيدٌ كلَّ البعدِ عن الإسلامِ، يحاولون به تضليل الناسِ واستمالتهم نحو توجُّهاتهم المنحرفة وأهوائهم الدنيئة؛ فهؤلاء أدعياء دجَّالونَ فيما يقولون؛ فهم يصطنعون الكلام المخادع عن الإسلام اصطناعًا؛ فتجترُّ حناجرهم مصطلح السِّلمِ والسلامِ والإسلام بلا صدقٍ، وبلا ضمير يخشى الله تعالى، فالإسلامُ والسلامُ ليسا مجرَّدَ هتافاتٍ تردِّدها الأفواه والحناجر، بل إنَّما السلام الحقيقيّ الصادق هو الذي ينبثق من داخل النفوس السويَّة الكريمة السليمة المطمئنة المُبَرَّأةِ من الأدران والشوائب والخلل، النفوس التي تعمرُها العقول الواعية السمحة الدَّاعية للخير والبِرِّ والإحسان والصلاح، وتملؤها

(١) ميزان الحكمة: محمَّد الريشهريّ، تحقيق: دار الحديث، ط١، دار الحديث: ٢/ ١٤٢٩-١٤٣٠.

العقيدة السليمة والدين الحقّ الصحيح اللَّذَينِ رضيهما الله سبحانه وتعالى للبشريَّة كلِّها، والإنسانيةِ جمعاء؛ فختم بهما الأديان السماويَّة جميعَها والعقائد كلَّها؛ كي يكونا مصدرَ الهداية والخير والنور للناسِ كافَّة في هذه المعمورة ؛ فيعيشوا أخوةً متحابيِّنَ متعاونين، تجمعهم المحبَّة، ويعمَّهم الأمن والأمان، وينشدون السلام[1].

(١) يُنظر: حقوق الإنسان في الإسلام: الدكتور أمير عبد العزيز، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م: ٨٢-٨٣.

الأساسُ الثالث

رَفْضُ الظُّلمِ بأنواعِهِ كُلِّها ومصادرِهِ جميعها

إنَّ الوقوفَ بوجهِ الظالمِ وظلمِهِ، مهما كان مقدارُ هذا الظلمِ، ومهما كانَت قوَّة هذا الظالم قيمةٌ إنسانيَّةٌ عليا، تَرجِعُ إلى فِطرةِ الإنسانِ السليمةِ التي فَطَرَ اللهُ سبحانه تعالى النَّاسَ عليها، فالنفسُ الإنسانيَّةُ جُبِلَت على رفضِ الظلمِ ودفعِ الظالمِ وردِّهِ عن الظلمِ، وهذا يمثِّلُ سُنَّةً طبيعيَّةً في الحياةِ، ونِظامًا اجتماعيًّا؛ والتَّمسكُ بهذهِ السُّنةِ وهذا النظامِ يؤدِّي إلى حفظِ الفردِ داخلَ المجتمعِ؛ فيحفظ المجتمعَ من السقوطِ في مهاوي الظلمِ الوخيمة؛ وبذلكَ يحيا الفردُ والمجتمعِ معًا حياةً هادئةً رِباطُها التعايشُ السِّلمي بين الناسِ؛ لذا أَوْعَـدَ اللهُ سبحانَهُ وتعالى الظالمين ومن وقفَ معهم أو ساعدهم أو نصرهم أوصمتَ راضيًا بفعلهم؛ لمصلحةٍ أو لمنفعةٍ أو لحاجةٍ من حوائج الدنيا الزائلة الويلَ والثبورَ واللظى خالدًا فيها ؛ لعظيمِ هذا الجُرمِ وآثارهِ الكبيرةِ التي تهدُّ حياةَ الأنسان، وتنخرُ في أواصرِ المجتمع؛ فتقضي على سبل العيش السلميّ المشترك، وتُضعِفُ أركانَهُ؛ ثُمَّ تقضي على الحياةِ فيه؛ فقال سبحانه تعالى: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، وقـالَ تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ

(١) سورة آل عمران: ١٥١.

(٢) سورة الكهف: ٨٧.

نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[5].

ولم يَقْتَصِرِ الأمرُ عنده سبحانه وتعالى على وعيد الظالمين هذا الذي ذكره في كتابه العظيم (القرآن الكريم) في آياته البيِّنات السابقات في الذكر، وما أعدَّه لهم من سوء الجزاء والعذاب الأليم المقيم (الدائم)، بل أمر الناسَ بالوقوف ضدَّهم وإنهاء ظلمهم، وأخذِ الحقوق كي تتحقَّقَ العدالةُ ويهنأَ الناسُ في حياتهم، بل أجازَ سبحانه وتعالى ما هو أكبر من ذلك! فقد أجاز للمظلومين أيضًا الجهر بالكلام السَّيِّء، وهو مالم يُجزه لغيرهم من الناس؛ فقال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾[6].

أَمَّا الأمرُ بالوقوف بوجه الظالمين، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ

(١) سورة الأعراف: ٤١.
(٢) سورة التوبة: ١٠٩.
(٣) سورة غافر: ٥٢.
(٤) سورة الشورى: ٤٥.
(٥) سورة الحشر: ١٦-١٧.
(٦) سورة النساء: ١٤٨.
(٧) سورة آل عمران: ١٠٤.

بِٱللَّهِ ۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[3]؛ فالنهي عن المنكر يستلزمُ بالضرورةِ النهي عن الظلم؛ لأنَّ المنكرَ اسم جامع لكل عمل سيِّء وقبيح لا يرضي الله سبحانه وخَلقِه، فيدخل فيه المعصية وعبادة الأوثان والظلم والعدوان والباطل والكذب وما شابه ذلك من أبواب الشرِّ. فالمنكر يرجع في أصله اللغويّ إلى كلِّ ما لا يُقبلُ به، ولا يُعترفُ به؛ فلا يُرضى به سواء من الله تبارك وتعالى أم من الناسِ؛ لأنَّه مبنيٌّ على الظلم في تضييع الحقوق وعدم الاعترافِ بها، وهو أمرٌ صعبٌ شديدُ الوقعِ عل نفس الإنسان وقلبه؛ فلم يَقبَلْهُ، ولم يعترف به لسانُهُ؛ فكَرِهَهُ[4]. ومن هذا المعنى اصطبغ لفظُ (المنكر) بدلالتِهِ الشرعيَّة في الفقه الإسلاميّ؛ فهو: «ضِدُّ الْمَعْرُوفِ، وكلُّ مَا قَبَّحَهُ الشَّرْعُ وحَرَّمَهُ وَكَرِهَهُ، فَهُوَ مُنْكَرٌ، ونكِرَه يَنْكَرُه نَكَرًا، فَهُوَ مَنْكُورٌ، واسْتَنْكَرَه فَهُوَ مُسْتَنْكَرٌ، وَالْجَمْعُ مَناكِيرُ؛ عَنْ سِيبَوَيْهِ»[5]، فأصبح لفظ (المنكر) جامعًا لكلِّ شيء خارج عن طاعة الله ﷻ والتزام أوامره وتجنب نواهيه[6]؛ فيدخل فيه كلُّ ما سبقَ ذكره

(١) سورة آل عمران: ١١٠-١١١.

(٢) سورة التوبة: ٧١.

(٣) سورة لقمان: ١٧

(٤) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريَّاء القزوينيّ الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م: (نكر) ٥/ ٤٧٦.

(٥) لسان العرب: محمَّد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ الرويفعيّ الإفريقيّ (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: (نكر) ٥/ ٢٣٣.

(٦) يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمليّ،=

قبل قليل وأوَّلُهُ معصيةُ الله تعالى والخروج عن طاعته سبحانه. أمَّا من يقومُ بردِّ الظلمِ والمنكر فهو الفرد والجماعة والأمَّة جميعها؛ فلا يقتصر على واحدٍ فقط؛ لأنَّ لفظَ (الأُمَّةَ) لفظٌ مشترِك يدلُّ على الرجل الواحدِ والجماعةِ، والقوم، والقَرن من الأُمم والجيل منها، والحين من الزمان، والدِّين، والإمام، والأُمَّةِ من الناس كلِها، والنعمة[1]. وهذهِ الدَّلالةُ المشتركة ذكرها بعضُ المفسِّرين؛ إذ جاء في الأثرِ: أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن مقاتل بن حيان قوله: «ولتكن منكم أمَّة، يقول: ليكن منكم قوم، يعني واحد أو اثنين أو ثلاثة نفر فما فوق ذلك»[2].

وكذلكَ جاءت السُّنَّة النبويَّة المُطَهَّرة بمثلِ ما وردَ في القرآن الكريم؛ إذ حثَّتِ الناس على مواجهة الظلمِ والوقوف بوجه الظالمين ؛ لردعِهم واستردادِ الحقوق منهم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ النَّاسَ إذا رأوا الظَّالِمَ فلم يَأْخذوا على يديهِ أَوشَكَ أنْ يَعمَّهُم اللهُ بعقابٍ منه**»[3]. وقالَ صلى الله عليه وآله: «**أَفْضَلُ الجِّهادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائرٍ**»[4]، وفي روايةٍ

=أبو جعفر الطبريّ (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، مؤسَّسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م: ١٨/ ٦٥٢، وبحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السمرقنديّ (ت٣٧٣هـ): ٢/ ٧١.

(١) يُنظر: تهذيب اللغة: محمَّد بن أحمد بن الأزهريّ الهرويّ، أبو منصور (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمَّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠١م: ١٥/ ٤٥٤-٤٥٦.

(٢) موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، المدينة النبويَّة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م: ١/ ٤٤٧.

(٣) سنن الترمذيّ: محمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحَّاك، الترمذيّ، أبو عيسى (ت٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمَّد شاكر (ج١، ٢)، ومحمَّد فؤاد عبد الباقي (ج٣)، وإبراهيم عطوة عوض (ج٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م: ٤/ ٤٦٧.

(٤) سنن أبي داوود: أبو داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدَّاد بن عمرو الأزديّ السِّجِسْتانيّ (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت: ٤/ ١٢٤.

أخرى: «**وَمَا شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْ كَلِمَةِ عَدْلٍ تُقَالُ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ، فَلَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ اتِّقَاءُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ**»(١). فكلُّ من تعرَّض لظلمٍ عليه أن يقوم بردِّه والدفاع عن حقوقهِ واستردادها؛ لأنَّ في ذلك إصلاحًا للمجتمع وتربيةً له على مناهضة الظلم والمنكر وعدم الاستكانة للظالمين وعدم الخنوع لهم؛ كي لا يَعْظُمَ الظلمُ ويستفحلَ أمرُهُ؛ فتصعبَ معالجتُهُ ؛ وكي يَنْعُمَ المجتمعُ بحياةٍ صالحة.

وتطبيقًا لهذا كلِّه جاء موقفُ الزَّهراء في دفاعِها عن الحقِّ وأهلِهِ، فصدحت بصوتها، وجهرت بقولها رافضةً كلَّ أشكالِ الظلمِ وغمطِ الحقوق وسلبها تحتَ عِللٍ واهية، وأسباب لا تَمُتُّ إلى الحقيقةِ والصوابِ بصلةٍ إلَّا ادعاءً باطلًا وزرًا ابتغاءً لِمآربَ شتَّى شخصيَّة وقبليَّة ونفسيَّة مردُّها الهوى والنفاق وضعف الإيمان والعقيدة والعصبيَّة الجاهليَّة؛ فقالت عليها السلام في خطبة لها حينما عدنها نساء المهاجرين والأنصار: «**ويحهم أنَّى زحزحوها- أي الخلافة- عن رواسي الرسالة؟! وقواعد النبوَّة، ومهبط الروح الأمين، الطبين بأمور الدنيا والدين، ألا ذلك الخسران المبين، وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا والله نكير سيفه، وشدَّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمُّره في ذات الله، وتالله لو تكافأ وأعلى زمام نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله لاعتقله وسار بهم سيرًا سجحًا لا يكلم خشاشه، ولا يتتعتع راكبه، ولأوردهم منهلًا رويًّا فضفاضًا تطفح ضفتاه، ولا يترنَّم جانباه، ولأصدرهم بطانة ونصح لهم سرًّا وإعلانًا، غير متحل منهم بطائل إلَّا بغمر الناهل، وردعة سورة الساغب، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا هلمَّ واستمع، وما عشت أراك الدهر عجبًا، وإن تعجب، فقد أعجبك الحادث، إلى أي لجأ لجأوا؟ وبأيِّ عروة تمسَّكوا، لبئس المولى ولبئس العشير، بئس للظالمين بدلا، استبدلوا والله الذنابا بالقوادم، والعجز**

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانيّ (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، مؤسَّسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١ م: ١٨/ ١٣٣.

بالكاهل، فرغمًا لمعاطس قوم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعًا، ألا إنَّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ويحهم ﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾[1]»[2].

وهكذا تستمرُ الزَّهراءعليها السلام في ثباتِ موقفِها، والجهرِ بصوتِ الحقِّ؛ فتوجَّهت إلى مجتمعِها تؤنِّبُ مَنْ يرى الظلمَ ولا يرفضُهُ، وتوبِّخُ مَنْ يرى الحقَّ وهو صامتٌ لا ينصرُهُ؛ فهتفت مزمجرةً قائلة: «**فلمَّا اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحمشكم فألفاكم غضابا فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب والكلم رحيب، والجرح لمَّا يندمل، والرسول لمَّا يقبر، ابتدارًا زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[3] فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنى تؤفكون ! وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه تريدون أم بغيره تحكمون ؟ بئس للظالمين بدلًا، ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[4]»[5].

(١) سورة يونس: ٣٥ ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾.

(٢) المناظرات في الإمامة: الشيخ عبد الله الحسن، ط١، مطبعة مهر، نشر: أنوار الهدى، ١٤١٥هـ: ٥١.

(٣) سورة التوبة: ٤٩ ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

(٤) سورة آل عمران: ٨٥.

(٥) المناظرات في الإمامة: ٥٣.

هذا هو صوت الحقِّ المجلجل المزلزل لعروش الظالمين، الذي يخشاه كلُّ ظالمٍ مُنكرٍ لحقوق الناسِ، والذي يهزُّ نفوسَ الجبابرة، ويرعدُ في قلوبهم، ويصدِّعُ كيانهم القائم على الظلمِ والاستبداد، وهكذا يستمرُ هذا الصوتُ بالعلوِّ والارتفاعِ يُشَنِّفُ أسماعَ الناسِ بقول الحقِّ والجهرِ بِهِ من دونِ ترددٍ او ضَعْف؛ فيدعوهم إلى تركِ الخَوَرِ والذِّلةِ والمحاباةِ والجُبْنِ والنِّفاقِ والابتعادِ عن ذلكَ كلِّه؛ كي يتَعَزَّزَ السِّلمُ في المجتمعِ والحياةِ السليمةِ الهادئة التي تضمنُ لكلِّ فردٍ حقُّوقَهُ فيها[1].

(١) يُنظر: حقوق الإنسان في الإسلام: ١٣٤.

الأَساسُ الرابعُ

مبدأُ الرحمةِ والتراحمِ بين الناسِ

يظهرُ هذا الأَساسُ في تطبيقهِ العَمَليّ عندَ التعاملِ مع الناسِ في الحياةِ اليوميَّة وشؤونها، وما تقتضيه مِن تواصلٍ واحتكاكٍ وتداول في القول والسلوك والعمل، ويتجلَّى هذا المبدأُ عند الإنسانِ في خُلُقِهِ الحَسَن الرفيع، وكذلكَ يتجلَّى في لِينِ جانبِهِ وطَبْعِهِ ومرونةِ تعاملِهِ مع الآخرين، وتمتُّعِهِ باللطفِ والرِّفقِ في المنطقِ والسلوك، وبإظهارِهِ مشاعرَ التودُّدِ والمَحَبَّةِ لغيرِهِ وعدمِ إبداء أماراتِ الملل والضجرِ والتضايق مِمَّن هم بجوارِهِ أو معه أو بجانبه مِن الناسِ اللذين يتعامل معهم، وكلُّ هذا مِمَّا جاء به دينُنا الإسلاميّ العظيم وسُطِّرَ في سِفرِهِ الخالدِ القرآن الكريم بوحيٍ مِنَ الله سبحانه وتعالى على رسولِهِ الكريم إلى الإنسانيَّة جمعاء محمَّد صلى الله عليه وآله، حيثُ قالَ عزَّ وجلَّ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.
(٢) سورة الحجر: ٥٦.
(٣) سورة الإسراء: ٢٨.
(٤) سورة الأنبياء: ١٠٧.
(٥) سورة القلم: ٤.

لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾[2].

وكذلك كان شأنُ سيرةِ المصطفىﷺ، إذ استفاضت فيها الأحاديث التي تدعو الناسَ إلى كلِّ ذلكَ من صفاتِ التودُّد واللطفِ واللينِ والمروءةِ والرحمةِ فيما بينهم؛ كي يعيشوا بِسِلمٍ ووئام وانسجامٍ ومحبّة؛ فتهنأَ حياتُهم وتطيب؛ فقالَ رسولُ اللهﷺ: «**إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحبُّ الرِّفقَ في الأمرِ كلِّه**»[3]، وقالَ أيضًا: «**الرَّاحمونَ يرحَمُهم الرحمنُ، ارحموا أَهلَ الأرضِ يَرْحَمْكُم مَن في السَّماءِ**»[4]، وقالَ كذلك: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخيرَ**»[5]، وقالَ كذلك: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَلَمْ يَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّنَا، وَلَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا حَتَّى يُحِبَّ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[6].

(١) سورة البقرة: ٨٣.

(٢) سورة الحديد: ١١.

(٣) صحيح البخاريّ: محمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاريّ الجعفيّ، تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، مصوَّرة عن السلطانيَّة بإضافة ترقيم محمَّد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ: ٩/ ١٦.

(٤) مُصَنَّف ابن أبي شَيْبة: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمَّد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسيّ (ت٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ: ٥/ ٢١٤، وشعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراسانيّ، أبو بكر البيهقيّ (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العليّ عبد الحميد حامد، بومباي، الهند، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م: ١٣/ ٤٠١.

(٥) صحيح مسلم: مسلم بن الحجَّاج أبو الحسن القشيريّ النيسابوريّ (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت: ٤/ ٢٠٠٣.

(٦) المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخميّ الشاميّ، أبو القاسم الطبرانيّ (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفيّ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢: ٨/ ٣٠٨،=

ويتجلَّى هذا المبدأُ في الإجابة لحاجاتِ الناسِ برفقٍ وعلو خُلُقٍ وكرم ؛ على وفقِ أمرِ سبحانه وتعالى في قولهِ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1]، وهذا ما تجلَّ عندَ الزَّهراء عليها السلام حيَن سألَتها امرأة «فقالت: إنَّ لي والدةً ضعيفةً وقد لبس عليها في أمرِ صلاتِها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك. فأجابتها فاطمة عن ذلك. فثنَّت، فأجابت. ثمَّ ثلَّثت، فأجابت. إلى أن عشرَّت، فأجابت. ثمَّ خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشقُّ عليك يا بنت رسول الله. قالت فاطمة: **هاتي وسلي عمَّا بدا لك، أرأيت من اكترى يومًا يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراؤه مائة ألف دينار، أيثقل عليه؟** فقالت: لا. فقالت: **اكتريت أنا لكلِّ مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤًا، فأحرى أن لا يثقل عليَّ الخبر**»[2].

فكثرة الأسئلة وتكرارها قد يُحدِثُ داخل الإنسان وفي نفسِهِ ضجرًا أو مَلَلًا أو غضبًا، وبخاصَّةٍ إذا كان السائلُ واحدًا وهو نفسُهُ يكرر الأسئلةِ، والمُجيبُ عنها شخصٌ واحد، ولكنَّ هذا الأمرُ يسري على عامَّة الناسِ ومعظمهم، أمَّا الزَّهراءُ فلا يَمسُّ طَبعَها وخُلُقُها شيء من ذلك أبدًا؛ فلا ضيقَ ولا ضجرَ ولا ملَلَ ولا نَصَبَ وغضبَ مِن تلكَ الكثرةِ وذلك التكرار، بل هناك تَقبُّلٌ وسَعَةُ صدرٍ وكرمُ خُلُقٍ وسماحةُ نفسٍ وبُعْدُ نَظَرٍ وعظيمُ صبر؛ فهذه السماتِ الرفيعة، وهذه السجايا الراقية تحوطُ الفردَ بالاهتمامِ والرعايةِ وتشعِرهُ بالاحترامِ والتقديرِ؛ فينعكسُ هذا كلُّهُ في قوله وفعله وعمله داخل

=والمستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن حمدويه بن نُعيم ابن الحكم الضبِّيّ الطهمانيّ النيسابوريّ المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١١/ ١٩٩٠: ١/ ١٣١.

(١) سورة الضحى: ٩-١١.

(٢) مستدرك سفينة البحار: الشيخ عليّ النمازيّ الشاهروديّ (ت١٤٠٥هـ)، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن عليّ النمازيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، ١٤١٩هـ: ٤/ ٤٠٥.

أرْوِقةِ المجتمع وبين ثناياه وطيَّاتهِ؛ فتنمو بذرةُ الانسجامِ وقبولِ الآخر والحبِّ والسِّلْمِ بين أفرادهِ ومكوِّناتهِ، ويَتَعمَّقُ الشعورُ بالاطمئنان والمحبَّةِ في نفوسِهم؛ فيتحقَّقُ العيشُ المشتركُ السِّلْميُّ الآمنُ.

الأساسُ الخامسُ

زَرْعُ مَبْدَأِ الثِّقةِ عِنْدَ النَّاسِ، وإقَامَةُ مبدَأِ التعاونِ بينهم

إنَّ زراعةَ روحِ التعاون داخلَ نفسِ الفردِ وإشاعتها بين صفوفِ المجتمعِ وصنوفهِ وأفرادِهِ تُعزِّزُ التعايشَ السِّلميَّ الآمنَ بينهم، وتدعو إلى التواصلَ والتقاربِ بما يحقِّقُ الانسجامَ والألفةَ والقبولَ والرضا بين الشخصِ وغيرِهِ الآخر الذي يعيش ويحيا معه على أرضٍ واحدةٍ؛ فتنشأُ العلاقاتُ الاجتماعيَّةُ المختلفةُ والمتنوعةُ فيما بينهم، التي عِمادُها تلكُ البذرةُ من الثِقةِ وتلكَ الروحُ من التعاون في كل ما يحتاجُهُ الفردُ في حياتِهِ وإدامتها داخل مجتمعهِ ومحيطِهِ الإنسانيّ ورُقْعَتِهِ الجغرافيَّة التي تُقِلُّهُ، ومِن أجلى صِورِ هذا الأساسِ التعاملُ اليوميّ في الحياة وما تتطلبُهُ من أمورٍ ولوازمَ وحوائجَ وأشياء ضروريَّـةَ لا بدَّ منها؛ كي تستمرَّ الحياة، ويمكنُ لنا أن نُلاحظَ هذا فيما رويَ عن الزَّهراء عليها السلام؛ حيثُ رويَ أنَّها قالت: «**يا سلمان**[1] **خذ درعي هذا ثمَّ امض به إلى شمعون**

(١) سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ: انْتَسَبَ إِلَى الإِسْلَامِ فَقَالَ: سَلْمَانُ بْنُ الإِسْلَامِ، سَابِقُ أَهْلِ فَارِسَ وَأَصْبَهَانَ إِلَى الإِسْلَامِ، وَقِيلَ: كَانَ اسْمُهُ قَبْلَ الإِسْلَامِ مَابَهُ بْنُ بُودَخْشَانَ بْنِ مُورْسَلَانَ بْنِ بَهْبُوذَانَ ابْنِ فَيْرُوزَ بْنِ شَهْرَكَ، مِنْ وَلَدِ آبَ المَلِكِ، وَكَانَ مَجُوسِيًّا قَاطِنَ النَّارِ، أَسْلَمَ مَقْدَمَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله المَدِينَةَ، وَقِيلَ: أَسْلَمَ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، وَهُوَ وَهْمٌ مِنْ بَعْضِ الرُّوَاةِ، وَمَنَعَهُ الرِّقُّ عَنْ بَدْرٍ وَأُحُدٍ، ثُمَّ أُعْتِقَ عَنْ كِتَابَةٍ، وَشَهِدَ الْخَنْدَقَ فَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْمَشَاهِدِ، كَانَ مِنْ أَصْبَهَانَ مِنْ قَرْيَةِ جَيٍّ، وَقِيلَ: مِنْ رَامْهَرْمَزَا، اخْتَلَفَ فِيهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فِي حَفْرِهِ، وَهُوَ الَّذِي دَهَّمْ عَلَى هَذِهِ المَكِيدَةِ فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: هُوَ مِنَّا، وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ هُوَ مِنَّا فَقَالَ صلى الله عليه وآله: «**لَا، بَلْ سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ**». وَكَانَ أَحَدَ النُّجَبَاءِ وَالرُّفَقَاءِ، وَهُوَ أَحَدُ مَنِ اشْتَاقَتِ الْجَنَّةُ إِلَيْهِ، وَأَدْرَكَ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ، وَقَرَأَ الْكِتَابَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ، آخَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَقَدِمَ الشَّامَ زَائِرًا لَهُ، وَلَّاهُ عُمَرُ=

اليهوديّ[1] **وقل له تقول لك فاطمة بنت محمَّد**ﷺ **أقرضني عليه صاعًا من تمر وصاعًا من شعير أردُّهُ عليك إن شاء الله تعالى**. قال فأخذ سلمان الدرع، ثمَّ أتى به إلى شمعون اليهوديّ، فقال له: يا شمعون هذا درع فاطمة بنت محمَّدﷺ، تقول لك أقرضني عليه صاعًا من تمر وصاعًا من شعير أرده عليك إن شاء الله. قال فاخذ شمعون الدرع.. الخبر»[2]. وتمام هذا الخبر أنَّ سلمان قال: «فأخذ شمعون الدرع ثمَّ جعل يقلِّبه في كفِّه وعيناه تذرفان بالدموع، وهو يقول: يا سلمان هذا هو الزهد في الدنيا، هذا الذي أخبرنا به موسى بن عمران في التوراة، أنا أشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله، فأسلم وحسن إسلامه. ثمَّ دفع إلى سلمان صاعًا من تمر وصاعًا من شعير، فأتى به سلمان إلى فاطمة، فطحنته بيدها واختبزته خبزًا، ثمَّ أتت به إلى سلمان فقالت له: **خذه وامض به إلى النبيّ**ﷺ. قال: فقال لها سلمان: يا فاطمة خذي منه قرصًا تعلِّلين به الحسن والحسين، فقالت: **يا سلمان هذا شيء أمضيناه لله**ﷻ **لسنا نأخذ منه شيئًا**. قال: فأخذه سلمان فأتى

=ابْنُ الْخَطَّابِ الْمَدَائِنَ، وَكَانَ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ، أَدْرَكَ وَصِيَّ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَعَاشَ ثَلَاثَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَهُوَ الصَّحِيحُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ، وَيَتَصَدَّقُ بِعَطَائِهِ، تُوُفِّيَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ، وَقِيلَ: سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ قَبْلَ وَقْعَةِ الْجَمَلِ، حَدَّثَ عَنْهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَامَّةُ حَدِيثِهِ عِنْدَ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، وَأَبِي وَائِلٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، وَشُرَحْبِيلَ بْنِ السِّمْطِ. معرفة الصحابة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهانيّ (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازيّ، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م: ٣/ ١٣٢٧، وينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ الجزريّ، عز الدين ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: عليّ محمَّد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميَّة، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م: ٢/ ٥١٠ ومابعدها.

(١) لم أجد أيَّ ترجمة لـ(شمعون اليهوديّ) فيما بين يديَّ مِن المصادر، وكلُّ ما وجدتُه أنَّه كان بائعًا للحنطة والشعير، أو تاجرًا أو عطَّارًا.

(٢) جامع أحاديث الشيعة: الشيخ إسماعيل المعزيّ الملايريّ، مطبعة مهر، قم، ١٤١١/ ١٣٦٩ش: ١٨/ ٣٥٢.

به النبيّ صلى الله عليه وآله، فلمَّا نظر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى سلمان قال له: **يا سلمان من أين لك هذا؟** قال: من منزل بنتك فاطمة، قال: وكان النبيّ صلى الله عليه وآله لم يطعم طعامًا منذ ثلاث»[1]. وما نُريدُ التركيزَ عليهِ في هذا الخبر هو الثِّقة بالآخر المتبادلة بين أفراد المجتمع الذين وردت أسماؤهم في الخبر، وهم (فاطمة، سلمان، شمعون اليهوديّ) التي تبني في المجتمع كلَّ ما يُعزِّزُ العيشَ الهادئ الذي يقوم على دعائمِ الثقةِ و الوئامِ والسِّلم؛ فالعيشُ على هذه الأرضِ عيشٌ مشتركٌ للناسِ كلِّهم جميعًا، وهذا وحدَهُ أصلٌ عامٌّ يشملُ كلَّ إنسانٍ وُجِدَ فوقَ هذهِ المعمورة؛ وهو ما أقرَّهُ سبحانَهُ وتعالى؛ فذكرهُ في محكمِ كتابهِ العظيم (القرآن الكريم) إذ جاء فيه: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[2]، فالزَّهراء عليها السلام قد أشارت في قولها السابق لسلمان إلى هذا الأصل القرآنيّ العام للناس حين ذكرت (شمعون اليهوديّ)، وهو البائع (العطَّار) المعروف عندهم في ذلك العصر؛ فهي لا ترى فرقًا في التعامل لشأنٍ من شؤون الحياة بين المسلم واليهوديّ والنصرانيّ وغيرهم، ما دامت تلك الثقةِ المتبادلة، وذلك التعاون المنشود حاضرين عندهما في القول والسلوك والعمل. وهكذا يحيا الفرد ويحيا المجتمع في ظِلِّ أساسٍ صحيحٍ سليمٍ متينٍ يَكفلُ لهم العيشَ المشتركَ، ويحقِّقُ لهم السِّلمَ المجتمعيَّ المنشودَ في الحياةَ.

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ٧٣.

(٢) سورة الرحمن: ١٠-١٣.

الأساسُ السادسُ

مبدأُ الرِّفقِ واللينِ والحياءِ والبشاشةِ في التعاملِ مع الناسِ والتودُّدِ إليهم، وتكريم الضعفاء والبائسين و المحاويج من خدمٍ وعبيدٍ وغيرهم وإتحافهم، ومراعاة اليتامى والمحافظة على حقوقهم

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ

(١) سورة البقرة: ١٧٧.
(٢) سورة البقرة: ٢٤٥.
(٣) سورة الأعراف: ١٩٩.
(٤) سورة النحل: ٩٠.
(٥) سورة الإسراء: ٢٦.

لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾[2]. وكذلك فقد حَثَّ قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله على الإحسان إلى تلك الشرائح من المجتمع، الضعفاء والمساكين والمعوزين من ذوي القربى ومن غيرهِم، والخَدَم، ومواساتهم بالقول والعمل والمال وتقديم المعروف لهم؛ فقال صلى الله عليه وآله في حقِّهم: «**إخوانكم جعلهم اللهُ تحتَ أيديكم فأطعموهم مِمَّا تأكلون، وألبسوهم مِمَّا تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلَّفتموهم فأعينوهم**»[3]، وهو ما نجده حاضرًا عند الزَّهراء عليها السلام، ومنه قولها: «**المسلم مرآة أخيه، فإذا رأيتم من أخيكم هفوة فلا تكونوا عليه وكونوا له كنفسه وأرشدوه وانصحوه وترفَّقوا به، إيَّاكم والخلاف فتمزقوا، وعليكم بالصدق تزلفوا وتؤجروا**»[4]، وقولها عليها السلام: «**فرض الإيمان تطهيرًا من الشرك، والصلاة تنزيهًا من الكبر، والزكاة زيادة في الرزق، والصيام تثبيتًا للإخلاص، والحجّ تسلية للدين، والعدل مسكًا للقلوب، والطاعة نظامًا للملَّة، والإمامة لمًّا من الفرقة، والجهاد عزًّا للإسلام، والصبر معونة على الاستيجاب، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبرّ الوالدين وقاية عن السخط، وصلة الأرحام منماة للعدد، والقصاص حقنًا للدماء، والوفاء للنذر تعرُّضًا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين تغييرًا للبخسة، واجتناب قذف المحصنات حجبًا عن اللعنة، واجتناب السرقة إيجابًا للعفَّة، ومجانبة أكل أموال اليتامى إجارة من الظلم، والعدل في**

(١) سورة الروم: ٣٨.

(٢) سورة البلد: ١٢ – ١٨.

(٣) صحيح مسلم: ٣/ ١٢٨٢، ويُنظر: سنن ابن ماجه: ابن ماجة أبو عبد الله محمَّد بن يزيد القزوينيّ، ، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيَّة، فيصل عيسى البابي الحلبيّ: ٢/ ١٢١٦.

(٤) مسند الإمام عليّ عليه السلام: ٧/ ٤٢٩.

الأحكام إيناسًا للرعيَّة، وحرَّم الله ﷻ الشرك إخلاصًا للربوبيَّة»[1]، وهكذا نرى في أقوال الزَّهراء عليها السلام وخُطبها فِكرَ الإصلاح في المجتمع، ودعوةَ أفرادِهِ إلى نبذ الفرقة والتباغض، والتمسُّكِ بصراط الله ﷻ المستقيم، والالتزام بدينِهِ القويم في الإحسانِ إلى الناس ولاسيَّما اليتامى، ومواساتهم والرِّفق بهم، وإظهارِ جانب اللين والمودَّة وطلاقةِ الوجه واستبشاره لهم؛ فكلُّ ذلك له الأثر الكبير في تماسك المجتمع وأفراده وتراصّهم، مِمَّا يقود في النتيجةِ إلى صلاحهما وصلاح عيشهما وحياتهما القائمينِ على المحبَّةِ والتَّوادُدِ والوئام واحترام الذوات والتمسُّك بأوامرِ الله سبحانه وتعالى وتجنب نواهيه في تنظيم علاقة الفرد بغيره داخل المجتمع الواحد كي يتحقَّق التعايش السِّلْميّ المنشود.

النتائج

تَضمَنتْ صفحاتُ البحثِ السَابقَة نماذجَ مِن أقوالِ سيِّدةِ نِسَاءِ العالمينَ فَاطِمَةَ عليها السلام ابنةَ سَيِّدِ الرُّسُلِ والخَلْقِ مِنَ الإنْسِ والجِنِّ أَجمعين مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الله ﷺ، التي وَرَدَتْ في خُطَبِها وجَاءتْ مَبْثُوثَةً في مَصَادِرِ تُراثِنَا الإسْلاميِّ والتَّاريخيِّ، واشْتَمَلَتْ هذِهِ الأقوالُ المباركَةُ على كَثِيرٍ مِن مَظاهرِ العَيشِ المُشْتَرَكِ، وكَثِيرٍ مِن تَجلياتِ التعايُشِ السِّلميّ في المُجْتَمَعَيْنِ الإنْسَانِيِّ والإسْلَاميِّ على حَدٍ سواء.

ونَحْنُ في هذا البَحْثِ، عَلى الرَّغمِ مِنْ قِصَرِهِ وإيجازِهِ، التزامًا بِمَا وُضِعَ لَهُ مِن شُروطٍ، حَاولنا رَصْدَ هذِهِ التجلِّياتِ وتلكَ المَظَاهِرِ في مجموعةٍ مِنْ أَقوالِهَا التي تَيَسَّرتْ لَنَا؛ كَي تَكُونَ مُنْطَلَقًا لَنَا ولِلْنَاسِ أَجْمعينَ فِي السَّيرِ على خُطًا صَحِيحَةٍ ثَابِتَةٍ في إصلاحِ الفَردِ الذي يَقُودُ إلى إصلاحِ المُجتَمعِ، وصُولًا إلى تَحقِيقِ التَّعَايُشِ السِّلميِّ المَنْشُودِ الذي يَجْعَلُ الحَياةَ هَادِئَةً سَلِيمَةً هَانِئَةً سَعيدةً أو عَلى قُرْبٍ منها أو بعضِها.

ومِن هذهِ التجليَّات والمظاهرِ ما يأتي:

(١) ميزان الحكمة: ٢/ ١٤٢٩.

١. تكريمُ الإنسانِ في المجتمعِ؛ لأَنَّهُ أفضلُ الخَلقِ في هذا الكونِ، وأَجْلى مظاهرِ هذا التكريمِ أَنْ يَأْخُذَ الإِنْسَانُ، إنْ لَمْ نَقُلْ تُعْطَى لَه.

٢. فُشُو مَبْدأِ السَّلامِ والأَمنِ والطُّمأنينةِ بينَ النَّاسِ وحبُّ الخيرِ للجميع.

٣. رَفْضُ الظُّلمِ بأنواعِهِ كُلِّها ومصادرِهِ جميعِها.

٤. الرَّحْمَةُ والتراحِمُ بين الناسِ داخلَ الأُسرةِ، وداخلَ المجموعةِ الواحِدةِ، وداخلَ الجماعةِ، وداخلَ الأمَّةِ الواحدةِ، وبين الأُمَمِ والشُّعوبِ وبينِ النَّاسِ جميعًا.

٥. زَرْعُ مَبْدَأِ الثِّقةِ عِنْدَ النَّاسِ، وإِقَامَةُ مبدَأِ التعاونِ بينهم.

٦. الرِّفقُ واللينُ والحياءُ والبشاشةُ في التعاملِ مع الناسِ، والتَّوَدُّدُ إليهم، وتكريمُ الضعفاءِ والبائسينَ والمحاويجَ مِن خَدَمٍ وعَبيدٍ وغيرهم وإتحافهم، ومراعاةُ اليتامى والمحافظةُ على حقوقهم.

وآخرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمين، وَالصَّلَاةُ والسَّلامُ على رَسُولِهِ الكريمِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وعلى آلِهِ الطَّيبينَ الطَّاهرينَ المَعصومِينَ، وَعَلى أَصْحَابِهِ المُنْتَجَبِينَ.

مصادرُ البحثِ ومراجعُه

- أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ الجـزريّ، عزّ الدين ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: عليّ محمَّد معوَّض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميَّة، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- بحار الأنـوار: العلَّامة المجلسيّ (ت١١١١هـ)، تحقيق: يحيى العابدي الزنجانيّ، عبد الرحيم الربَّانيّ الشيرازيّ، ط٢ المصحَّحة، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م.

- بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السمرقنديّ (ت٣٧٣هـ).
- تهذيب اللغة: محمَّد بن أحمد بن الأزهريّ الهرويّ، أبو منصور (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمَّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- جامع أحاديث الشيعة: الشيخ إسماعيل المعزي الملايريّ، مطبعة مهر، قم، ١٤١١/ ١٣٦٩ش.
- جامع البيان في تأويل القرآن: محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمليّ، أبو جعفر الطبريّ (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، مؤسَّسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللهﷺ وسننه وأيَّامه (صحيح البخاري): محمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاريّ الجعفيّ، تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصوَّرة عن السلطانيَّة بإضافة ترقيم محمَّد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.
- حقوق الإنسان في الإسلام: الدكتور أمير عبد العزيز، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- سنن ابن ماجه: ابن ماجة أبو عبد الله محمَّد بن يزيد القزوينيّ، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيَّة، فيصل عيسى البابيّ الحلبيّ.
- سنن أبي داوود: أبو داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدَّاد ابن عمرو الأزديّ السِّجِسْتانيّ (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت.

- سنن الترمذيّ: محمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحَّاك، الترمذيّ، أبو عيسى (ت٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمَّد شاكر (ج١-٢)، ومحمَّد فؤاد عبد الباقي (ج٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرِّس في الأزهر الشريف (ج٤-٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن عليّ بن موسى الخُسْرَوْجِرديّ الخراسانيّ، أبو بكر البيهقيّ (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، بومباي، الهند، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣ م.
- الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة: أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ الفارابيّ (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- فدك في التاريخ: السيِّد محمَّد باقر الصدر (ت١٤٠٠هـ)، تحقيق: عبد الجبَّار شرارة، ط١، مركز الغدير للدراسات الإسلاميَّة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديّ البصريّ (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزوميّ، د. إبراهيم السامرَّائيّ، دار الهلال ومكتبة الهلال.
- لسان العرب: محمَّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ الرويفعىّ الإفريقىّ (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.
- المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائيّ): أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب ابن عليّ الخراسانيّ، النسائيّ (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتَّاح أبو غدَّة، مكتب المطبوعات الإسلاميَّة، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانيّ (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنـؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسَّسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١ م
- مسند الإمام عليّ عليه السلام: السيِّد حسن القبانجيّ، تحقيق: الشيخ طاهر السلاميّ، ط١، منشورات مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٢١/ ٢٠٠٠م.
- مستدرك سفينة البحار: الشيخ عليّ النمازيّ الشاهروديّ (ت١٤٠٥هـ)، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن عليّ النمازيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، ١٤١٩هـ.
- المستدرك على الصحيحَين: أبو عبد الله الحاكم محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبِّيّ الطهمانيّ النيسابوريّ المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١١/ ١٩٩٠.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله (صحيح مسلم): مسلم بن الحجَّاج أبو الحسن القشيريّ النيسابوريّ (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.
- مُصَنَّف ابن ابي شَيْبة: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمَّد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسيّ (ت٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخميّ الشاميّ، أبو

القاسم الطبرانيّ (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفيّ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢.

- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريَّاء القزوينيّ الرازيّ، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- معرفة الصحابة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهانيّ (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازيّ، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩/ ١٩٩٨م.
- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهانيّ (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداوديّ، دار القلم، الدار الشاميَّة، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- المناظرات في الإمامة: الشيخ عبد الله الحسن، ط١، مطبعة مهر، نشر: أنوار الهدى، ١٤١٥هـ.
- موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام: الشيخ هادي النجفي ط١، دار إحياء التراث العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٣/ ٢٠٠٢ م.
- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، المدينة النبويَّة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- ميزان الحكمة: محمَّد الريشهريّ، تحقيق: دار الحديث، ط١، مطبعة دار الحديث.

مشكاة الأنوار ومستودع الأسرار الزَّهراء عليها السلام ودورها في بناء المجتمع المثاليّ؛ المواعظ والعِبَر

أ.م.د. ساجد صبري نعمان

الجامعة العراقيَّة/ كليَّة العلوم الإسلاميَّة

الملخَّص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان مفهوم بناء المجتمع المثاليّ، والتعرُّف عليه بشكلٍ عام، وذلك من خلال الاقتداء بسيرة الزَّهراء عليها السلام العطرة، فهي القدوة الطاهرة والنبراس للأسرة المسلمة، وهل من الممكن وضع تصوُّرٍ تقريبيٍّ للمجتمع المثاليّ، إذا كان بإمكانك أن تصنع تصوُّرًا للإنسانيَّة التي ستعيش في ذلك المجتمع، ومن ثمَّ بيان الأصول التي يقوم المجتمع المثالي بها، ويعتمد على الأفراد الذين هم أعمدة المجتمع الذي ينهض بهم، والذين هم نواة المجتمع، ولا يخفى علينا أنَّ المرأة هي المحور الأساسيّ في بناء الأسرة، ومنها ننطلق لبناء مجتمع مثاليّ، فإن كانت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام هي قدوة أسرتنا، وقدوة مجتمعنا، فالاقتداء بها هو سلَّم النجاح، وطريق الفلاح.

الكلمات المفتاحيَّة: مفهوم دور السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، مفهوم المجتمع المثاليّ، أهميَّة المواعظ والعِبَر.

مقدِّمة

الحمد لله الذي أنشأ وبرى وخلق الماء والثرى وأبدع كلَّ شيء وذرى.. لا يغيب عن بصره صغير النمل في الليل إذا سرى، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرَّة في الأرض ولا في السماء، الرحمن على العرش استوى، له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وإن تجهر بالقول فإنَّه يعلم السرَّ وأخفى، الله لا إله إلَّا هو له الأسماء الحسنى، خلق آدم فابتلاه ثمَّ اجتباه فتاب عليه وهدى، وبعث نوحًا فصنع الفلك بأمر الله وجرى، ونجَّى الخليل من النار وصار حرُّها بردًا وسلامًا عليه، فاعتبروا بما جرى، وأتى موسى تسع آياتٍ فما ادكر فرعون وما ارعوى، وأيَّد عيسى بآيات تذهل الورى، وأنزل على محمَّد الكتاب فيه البيِّنات والهدى، أحَمدهُ على نعمه التي لا تزال تترى، وأصلِّي وأسلِّم على المبعوث في أمِّ القرى صلَّى الله عليه وعلى آله الطيِّبين الطاهرين، وعلى من سار على نهجهم ودربهم إلى يوم الدين. أما بعد:

فإنَّنا نقصد بالمجتمع الإيمانيّ المثاليّ المجتمع القائم على تعاليم ووحي السماء، من الكتاب والسنَّة المطهَّرة، الذي يجمع بين الدِّين والدنيا، ويحث أفراده على العبادة والتقوى لله تعالى، والتعاون والتكافل، والرحمة والعدل، والتسامح والمساواة في المعاملة بين الجميع؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، وكلُّ هذه الصفات موجودة في بيت النبوَّة الذي هو قدوتنا، منه نستلهم صفات المجتمع المثاليّ ولاسيما بضعة الرسول صلى الله عليه وآله فاطمة الزَّهراء البتول التي هي سراج لكلِّ نساء العالمين، تستنير بها نساء العلمين لبناء أسرة مسلمة متحابَّة متسامحة؛ لنقيم عليها المجتمع المثاليّ، فنستلهم المواعظ والدروس والعِبَر من سيِّدة نساء العالمين.

أهميَّة البحث وأسباب اختياره:

تكمن أهميَّة هذا البحث في الاطِّلاع على شخصيَّة سيِّدة نساء العالمين وسيرتها العطرة، وما مكانتها عند أبيها، ومقامها بين المسلمين.

أهداف البحث:

١. إظهار دور سيِّدة نساء العالمين عليها السلام في حياة الفرد والمجتمع.

٢. بيان آثارها الطيِّبة في بناء سلوك الفرد والمجتمع.

٣. على المجتمع الاقتداء بسلوك بضعة الرسول، والسَّير على منهجها النبويّ الطاهر، المنهج القرآنيّ.

مشكلة البحث:

يعالج البحث مشكلة المجتمع الذي يريد ألغاء دور المرأة في المجتمع، والذي ينظر لها كسلعة تباع وتشترى في الأسواق، فالزَّهراء عليها السلام رسمت لنا أروع الصور في قيادة المرأة للأسرة التي هي نواة المجتمع.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائيّ الوصفيّ الاستنباطيّ.

خطَّة البحث:

يقوم البحث على مقدِّمة ومبحَثَين، لكلّ منها مطالبه الخاصَّة به، التي تبيِّن محتوى البحث، ثمَّ بعد ذلك الخاتمة وأهمّ النتائج، وتليها قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأوَّل

تعريف مصطلحات البحث

المطلب الأوَّل: تعريف المجتمع لغةً واصطلاحًا

المجتمع لغةً: هو مصطلح مشتق من الفعل جَمَع، وهي عكس كلمة فرَّق، والمجتمع على وزن مُفتَعَل، وتعني مكان الاجتماع.

والمعنى الذي يقصد بهذه الكلمة هو جماعة من الناس، وهذا ردٌّ على من يعتقد أنَّها كلمة خاطئة، ويقول إنَّه ينبغي استخدام كلمة جماعة بدلًا منها، ويُسمَّى العلم الذي يُعنى بدراسة المجتمع من جميع نواحيه بعلم الاجتماع.

وجاء المجتمع في معجم المعاني[1] الجامع هو عبارة عن فئة من الناس تشكِّل مجموعة يعتمد بعضها على بعض، يعيشون مع بعضهم، وتربطهم روابط ومصالح مشتركة، وتحكمهم عادات وتقاليد وقوانين واحدة[2].

المجتمع اصطلاحًا: هو مجموعة من الناس التي تشكِّل النظام نصف المغلق والتي

(١) بناء الإنسان، حسن عبد الرازق منصور، عمان، الأدرن، أمواج للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠١٣م: ١٨٧.

(٢) جمَّع القومُ: انضمَّ بعضهم إلى بعض، احتشدوا، عكسه تفرَّق، تجمَّع المتظاهرون أمام مبنى السِّفارة.

تشكِّل شبكة العلاقات بين الناس، المعنى العادي للمجتمع يشير إلى مجموعة من الناس تعيش سويَّة في شكل منظِّم، وضمن جماعة منظمة. والمجتمعات أساس ترتكز عليه دراسة علوم الاجتماعيات. وهو مجموعة من الأفراد تعيش في موقع معيَّن، ترتبط فيما بينها بعلاقات ثقافيَّة واجتماعيَّة، يسعى كلُّ واحدٍ منهم لتحقيق المصالح والاحتياجات. وإلى حدٍّ ما هو متعاون، فمن الممكن أن يُتيح المجتمع لأعضائه الاستفادة بطرق قد لا تكون ممكنة على مستوى الأفراد، وكِلَا الفوائد سواء منها الاجتماعيَّة والفرديَّة قد تكون مميَّزة، وفي بعض الحالات قد تمتدُّ لتغطِّي جزءًا كبيرًا من المجتمع(١).

المطلب الثاني: تعريف الموعظة لغةً واصطلاحًا

الموعظة لغةً: هي عظة، مَوْعِظَةٌ: جمع مَوَاعِظُ، (و ع ظ) (الْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ): كَلاَمُ الوَعْظِ والإِرْشَادِ.

الموعظة اصطلاحًا: عِظَة؛ ما يُوعَظ به من قَوْل أو فعْل وتذكير بالواجبات ودعوة إلى السِّيرة الصَّالحة ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ القول الرقيق(٢). وعرَّفها البيضاويّ بأنَّها: الخطابات المقنعة، والعبر النافعة، فالأولى لدعوة خواص الأمَّة الطالبين للحقائق، والثانية لدعوة عوامِّهم(٣). يتَّضح من خلال هذا التعريف أنَّ دعوة الناس تكون على قدر عقولهم ومستوياتهم بالكلمات الواضحة البيِّنة، والعِبر النافعة المقنعة، والدليل الموضِّح للحقِّ، المزيل للشبهة على وجه لا يخفى على الناس، وجه الحقِّ

(١) النكت على ابن الصلاح، ابن حجر العسقلانى، تحقيق: فضيلة الشيخ الدكتور ربيع المدخلي، الجامعة الإسلاميَّة، ط١، ١٩٩٩م: ١/ ٥١٣.

(٢) القاموس المحيط، محمَّد بن يعقوب الفيروزآباديّ، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م: ١/ ٩٠٣.

(٣) تفسير البيضاويّ، عبد الله بن أبي القاسم عمر بن محمَّد بن أبي الحسن عليّ البيضاويّ الشيرازيّ الشافعيّ، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩م: ٣/ ٤٢٦.

فيه أو يلتبس. يؤخذ على عبارة (الخطابات المقنعة) أنَّ الأليق بها أن تكون للجدال، وليس للموعظة، وعرفها ابن القيِّم بأنها: الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب[1].

يتَّضح من هذا التعريف أنَّ الداعية عليه أن يسلك الطريق المناسب الذي يكون أدعى لاستجابة المدعوِّين، فبعضهم يحتاج حاله إلى الموعظة بالترغيب، وبعضهم يحتاج حاله إلى الموعظة بالترهيب، وبعضهم يحتاج إليهما معًا. وعرَّفها الجرجاني بأنَّها: التي تلين القلوب القاسية، وتدمع العيون الجامدة، وتصلح الأعمال الفاسدة[2].

المطلب الثالث: تعريف العِبَر لغةً واصطلاحًا

العبر لغة: العبرة: اسم من الاعتبار، وهو مأخوذ من مادة (ع ب ر)، والمتأمِّل كتب المعاجم اللغوية يجد أنَّ «العين والباء والراء أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُّ على النفوذ والمضي في الشيء. يقال: عبرت النهر عبورًا»[3]. ويُقال: عبر الرؤيا يعبرها عبرًا وعبارةً. وعبرها: فسَّرها وأخبر بآخر ما يؤول إليه أمرها[4]. ومن الباب: عبر الرجل والمرأة، والعين من باب طرب، أي: جرى دمعه، ورجلٌ عابر سبيلٍ، أي: مار الطريق، ويقال: عبَّر الرؤيا، فسَّرها[5].

(١) التفسير القيم للإمام ابن القيِّم، جمع: محمَّد أويس الندويّ، تحقيق: محمَّد حامد الفقيّ، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م: ٣٤٤.

(٢) التعريفات، عليّ محمَّد عليّ الجرجانيّ، تحقيق: إبراهيم الأبيار، ط١، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤٠٥هـ: ٣٠٥.

(٣) الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة، أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ الفارابيّ (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م: ٢/ ٧٣٢.

(٤) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريَّاء القزوينيّ الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م: ٤/ ٢٠٧.

(٥) مختار الصِّحاح، زين الدين أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفيّ الرازي (ت٦٦٦هـ)، ط٥، المكتبة العصريَّة، بيروت، صيدا، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م: ١٩٨.

قال الخليل: «العبرة: الاعتبار بما مضى، أي: الاتِّعاظ والتذكُّر»[١]. و«العابر: الناظر في الشيء، والمعتبر: المستدلُّ بالشيء على الشيء»[٢]. فالمعنى اللغويّ يدور حول الانتقال، والتجاوز من حال إلى حال، سواء أكان هذا الانتقال والتجاوز محسوسًا، أم كان معنويًّا.

العبر اصطلاحًا: قال الراغب: العبرة هي: «الحالة التي يتوصَّل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد»[٣].

إلَّا أنَّ هذا التعريف غير جامع؛ لأنَّ هناك حالات غير مشاهدة، ذكرها القرآن الكريم، وكانت مضربًا للعبرة، كقصص السابقين. وقيل: هي الحالة التي ينتقل الذهن من معرفتها إلى معرفة عاقبتها وعاقبة أمثالها[٤].

وعرَّفها الواحديّ النيسابوريّ بقوله: «والعبرة: الآية التي يعبر بها من منزلة الجهل إلى العلم؛ لأنَّ المعتبر بالشيء، تاركٌ جهله، وواصلٌ إلى علمه بما رأى، ثمَّ قال: وأصله من: العبور، وهو: النفوذ من أحد الجانبين إلى الآخر. ومنه: العبارة، وهو الكلام الذي يعبر بالمعنى إلى المخاطب، وعبارة الرؤيا من ذلك؛ لأنَّه تفسير لها، يعبَّر بها من حال النوم إلى حال اليقظة بإظهار التأويل»[٥].

(١) المصباح المنير، أحمد بن محمَّد بن عليّ الفيوميّ ثمَّ الحمويّ، أبو العبَّاس (ت نحو٧٧٠هـ)، المكتبة العلميَّة، بيروت، ١٩٩٨م: ٢/ ٣٩٠.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمَّد بن مكرم ابن منظور (ت٧١١هـ)، ط٦، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦م: ٤/ ٥٣٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهانيّ (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداوديّ، ط١، دار القلم، الدار الشاميَّة، دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ: ٥٤٣.

(٤) التحرير والتنوير، محمَّد الطاهر بن محمَّد بن محمَّد الطاهر بن عاشور التونسيّ (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسيَّة للنشر، تونس، ١٩٨٤م: ٣٠/ ٨٢.

(٥) التفسير البسيط، أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمَّد بن عليّ الواحديّ، النيسابوريّ، الشافعيّ=

وعرف ابن منظور العبرة بأنَّها كالموعظة ممَّا يتَّعظ به الإنسان، ويعمل به ويعتبر؛ ليستدلَّ به على غيره[1].

=(ت ٤٦٨ هـ)، ط١، عمادة البحث العلميّ، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة، ١٤٣٠ هـ: ٥/ ٨٩-٩٠.

(١) لسان العرب، مصدر سابق: ١١/ ٢٣.

المبحث الثاني

سيرة الزَّهراء عليها السلام دورها في بناء المجتمع المثاليّ

المطلب الأوَّل: حياة الزَّهراء عليها السلام

أوَّلًا: اسمها ونسبها

هي فاطمة بنت محمَّد بن عبد الله نبيّ الأمَّة وهاديها صلى الله عليه وآله، وأمُّها خديجة بنت خويلد عليها السلام زوجة رسول الله، وأكثر من آزره في بداية نبوَّته صلى الله عليه وآله، للحوراء الإنسيَّة تسعة أسماء، يرمز كلٌّ منها لصفات ومناقب هذه السيِّدة الطاهرة المباركة، وهي: (فاطمة، الصدِّيقة، الطاهرة، المباركة، الزكيَّة، الراضية، المرضيَّة، المحدَّثة، الزَّهراء). وكفى باسمها (فاطمة) الذي حمل البشارة الكبرى لمواليها ومحبِّيها، فلفظ (فاطمة) قد أُخذ من مادَّة (فطم) بمعنى الانفصال، ومنه فِطام الولد بمعنى فصله عن الرضاعة، فقد ورد في الحديث أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**أتعلم يا عليّ لِمَ سُمِّيت ابنتي فاطمة؟** قال عليه السلام: **لِمَ يا رسول الله** صلى الله عليه وآله؟ فقال صلى الله عليه وآله: **إنَّ الله** عزَّ وجلَّ **فطمها ومحبِّيها من النار؛ فلذلك سُمِّيت فاطمة**»[1].

ثانيًا: ولادتها

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعيش أصعب الظروف وأعقدها، في العام الخامس من بعثته النبويَّة الشريفة، فالإسلام في عزلة خانقة، والمسلمون الأوائل قلائل،

(١) كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، المتَّقي الهنديّ، تحقيق: صفوت السقَّا، بكري الحيَّانيّ، مؤسَّسة الرسالة، ١٩٩٩م: ١٩.

وتصاعدت حدَّة الضغوط، فضلًا عن أجواء الظلم التي كانت ألقت بظلالها على مكَّة؛ إثر الشرك والوثنيَّة، والجهل والحروب القبليَّة العربيَّة، وسيادة منطق القوَّة، واستشراء الفقر والحرمان في صفوف الناس. كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتطلَّع إلى الغد، الغد المشرق الكامن وراء هذه السحب السوداء الداكنة، الغد الذي يبدو صعب المنال، وربَّما المحال بالالتفات إلى الأسباب والعلل الظاهريَّة الاعتياديَّة.

وجاءت واقعة المعراج الكبرى، التي أَذن الله فيها لرسوله الأكرم صلى الله عليه وآله بالعروج؛ لمشاهدة ملكوت السماء، فيرى عِظم آيات ربِّه بعينه؛ لتتسامى روحه العظيمة، ويتأهَّب لتلقِّي ثقل الرسالة المصحوبة بسعة الأمل، فقد روى الفريقان- السنَّة والشيعة- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وطأ الجنَّة ليلة المعراج، فناوله جبرئيل عليه السلام فاكهةً من شجرة طوبى، فلمَّا عاد إلى الأرض انعقدت نطفة فاطمة من تلك الفاكهة؛ ولذلك جاء في الحديث أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**إنَّ فاطمة حوراء إنسيَّة، فكلَّما اشتقت إلى الجنَّة جعلت أقبِّلها**»[1]، وبذلك فإنَّ هذه المولودة المباركة التي تمثِّل عصارة ثمار الجنَّة، ولحم ودم رسول الله صلى الله عليه وآله، وتلك الأُمُّ الحنون السيِّدة خديجة الكبرى عليها السلام، تكون قد وضعت حدًّا لطعنهم وغمزهم في النبيّ صلى الله عليه وآله كونه أبتر لا عقِب له، وعلى ضوء سورة (الكوثر) المباركة، فإنَّ فاطمة عليها السلام، هي العين الصافية التي تدفَّقت منها ذريَّة النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمَّة الهداة الميامين عبر القرون حتَّى يوم القيامة.

ثالثًا: مكانتها عند رسول الله صلى الله عليه وآله

أثرت أحاديث عدَّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله تؤكِّد عِظَم مكانة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ونذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

(١) أمالي الصدوق، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ، منشورات مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، ٢٠٠٩، ط١: ٧٩.

- ذكر النبيّ عليه الصلاة والسلام أنَّه كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلَّا أربع، والسيِّدة فاطمة عليها السلام إحدى هؤلاء الأربع، فَعنْ أَنَسٍ بن مالك أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ: «**حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ**»(١).
- قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾(٢)، نزلت الآية المباركة في بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، فَدَعَا رسول الله صلى الله عليه وآله فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ، وَعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا**. قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ الله؟ قَالَ: **أَنْتِ عَلَى مَكَانِكِ، وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ**». وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله قَالَ لِعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهم السلام: «**أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتُمْ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمْتُمْ**»(٣).
- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: «**فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ**»(٤).
- وعَنْ جُمَيْعِ بْنِ عُمَيْرٍ التَّيْمِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ عَمَّتِي عَلَى عَائِشَةَ فَسُئِلَتْ: «أَيُّ النَّاسِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله؟ قَالَتْ: فَاطِمَةُ. فَقِيلَ: مِنْ الرِّجَالِ؟ قَالَتْ: زَوْجُهَا، إِنْ كَانَ مَا عَلِمْتُ صَوَّامًا قَوَّامًا»(٥).

(١) أخرجه الترمذيّ في سننه

(٢) بحار الأنوار، المجلسيّ، محمَّد باقر، المكتبة الإسلاميَّة، طهران، د.ت.

(٣) البخاريّ، صحيح البخاريّ، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيمًا: ٧١٠، حديث (٦٠٠٥).

(٤) ابن ماجة، محمَّد بن يزيد (ت٢٧٥هـ) سنن ابن ماجة، حقَّقه: محمَّد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلميَّة، بيروت: ٢/ ١٢١٣، حديث (٣٦٧٨).

(٥) مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الرضاع، باب الوصيَّة بالنساء: ٣٦٧،=

- عَنْ أَنَسٍ بن مالك، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ: «**حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَا امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ**»[1].

المطلب الثاني: دور الزَّهراء عليها السلام في بناء المجتمع المثاليّ

الزَّهراء عليها السلام أمُّ أبيها:

لقد كانت السنوات الثلاث الأخيرة التي سبقت الهجرة النبويَّة الشريفة مملوءة بالأذى والمرارة والمعاناة؛ بسبب الجهود المضنية التي كان يبذلها أعداء الدعوة من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين. لقد نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتَّى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه التراب، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه فاطمة عليها السلام فجعلت تمسح التراب عن رأسه، وهي تبكي، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها: «**لا تبكي يا بنيَّة، فإنَّ الله مانع أباك**»[2]. وروى ابن عبَّاس: أنَّ قريشًا اجتمعوا في الحِجر، فتعاقدوا باللاَّت والعزَّى ومناة لو رأينا محمَّدًا لقمنا مقام رجل واحد ولنقتلنَّه، فدخلت فاطمة عليها السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله باكيةً، وحكت له مقالهم، فقال: «يا بنيَّة، أدني وضوئي، فتوضَّأ وخرج إلى المسجد، فلمَّا رأوه قالوا: ها هو ذا، وخفضت رؤوسهم، وسقطت أذقانهم في صدورهم، فلم يصل رجل منهم، فأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله قبضةً من التراب فحصبهم بها، وقال: شاهت الوجوه»، فما أصاب رجلًا منهم إلَّا قُتِل يوم بدر[3].

=حديث (١٤٦٩).

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنَّة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قرينًا: ٧١٥، حديث (٢٨١٣).

(٢) كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، مرجع سابق: ٣٩.

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، عليّ بن أبي بكر بن سليمان الهيثميّ نور الدين، المحقق: محمَّد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلميَّة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م: ١٢٥.

وممَّا يؤكِّد عظم تفكيرها عليها السلام أنَّها لم تقتصر في رعايتها لرسول الله صلى الله عليه وآله في داخل البيت فقط، بل تدعى ذلك للدفاع عنه ضدَّ المشركين، مع أنَّها لم تبلغ من العمر الكثير، وهذا ما يدلُّ على عِظم تفكيرها وحسن تدبيرها، إذ سبق عقلها وعملها عمرها عليها السلام، وهو ما لا يستغرب مع عالمة غير معلَّمة تلقَّت علمًا لدنِّيًّا ونشأت في كنف النبوَّة.

وتورِد لنا الروايات أنَّها كانت الوحيدة في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله عندما رمى عليه أبو جهل روث البقر، وهو صلى الله عليه وآله يصلِّي وأصحابه عند الكعبة، فلم يجرؤ أحد على التدخُّل، لكنَّها خرجت وأسمعت أبا جهل ما روَّعه عن الاستمرار في السخرية من النبيّ صلى الله عليه وآله.

هكذا كان مثلًا للشجاعة عند افتقار الجرأة في الشجعان من الرجال في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله. وبعد أن انقضت فصول معركة أحد، وغادر جيش العدو ساحة الوغى، كان الرسول صلى الله عليه وآله لا يزال في ميدان أُحد وقد كُسِرت رباعيَّته وشُجَّ جبينه، وبينما هو كذلك إذ أقبلت فاطمة عليها السلام، وهي صغيرة السِّنِّ من المدينة إلى أُحد سيرًا على الأقدام؛ لتقوم بغسل وجهه المبارك وإزالة الدم عن محيَّاه الشريفة، لكن الجبين لم يزل ينزف، عندها قامت بحرق قطعة من الحصير، ثمَّ وضعت رماده على مكان الجرح؛ فانقطع النزيف، والأعجب من ذلك أنَّها كانت تهيِّئ لأبيها السلاح في المعركة التي جرت في اليوم القادم[1]. وفي معركة الأحزاب التي هي من أهمِّ الغزوات الإسلاميَّة، وفي أحداث فتح مكَّة عندما انتصر جنود الإسلام على آخر متراس للمشركين، والسيطرة على البيت العتيق، وتخليصه من الأصنام التي كانت تلوِّثه، نرى الزَّهراء عليها السلام واقفة إلى جانب أبيها، ففي الخندق تُقبل عليه بأقراص من الخبز معدودة بعد أن بقي أيَّامًا بدون طعام، وفي الفتح المبين نراها تضرب له خيمته، وتُهيِّئ له ماءً ليستحمَّ ويغتسل،

(١) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا حسين النوريّ الطبرسيّ، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، باب استحباب زيارة النساء للحسين وسائر الأئمَّة عليهم السلام: ٩٨.

حتَّى يزيل عن جسده المبارك غبار الطريق، ويرتدي ثيابًا نظيفة يخرج بها إلى المسجد الحرام[1].

كلُّ ذلك يدلُّ على عِظم تفكير هذه السيِّدة العظيمة التي تحمَّلت المسؤولية من صغر سنِّها دفاعًا عن دينها وأبيها، فاستحقَّت وبحقٍّ أن تكون أم أبيها؛ لرعايتها له من جهة، وحبها له، فضلًا عن تفكيرها الدائم براحته صلى الله عليه وآله.

المطلب الثالث: الدور الاجتماعي لسيِّدة نساء العالمين

الزَّهراء عليها السلام هوية للمرأة المسلمة في بيتها:

سيِّدة النساء تصف المجتمع وتتعامل معه:

لقد وصف أمير المؤمنين وسيِّد الوصيِّين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام قبل بزوغ فجر الإسلام بالقول: «**وأنتم معشر العرب على شرِّ دين، وفي شرِّ دار، تنيخون بين حجارة خشن، وحيات صمّ، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام فيكم معصوبة**»[2]. ويقول عليه السلام في موضع آخر: «**فالأحوال مضطربة، والأيدي مختلفة، والكثرة متفرِّقة في بلاء أزل، وأطباق جهل، من بنات موؤدة، وأصنام معبودة، وأرحام مقطوعة، وغارات مشنونة**»[3]، فيبيِّن عليه السلام أنَّ العرب كانت على شرِّ دين، وهو الإشراك بالله تعالى، ولذا باتت ديارهم شرَّ دار إن لم يؤمنوا بالله تعالى، ثمَّ يصف أحوالهم بأنَّهم يعبدون الأصنام ويشربون الخمر فتذهب عقولهم، ويقتلون النفس التي حرَّم الله إلَّا بالحقِّ، وكلُّ ذلك يعود الى تعنُّتهم وعدم إيمانهم، وسيتمرُّ هذا الحال ما دامت الأصنام موجودة، وهو

(١) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مصدر سابق: ٩٩.
(٢) المصدر نفسه: ١٠٠.
(٣) موارد الخطيب البغداديّ في تاريخ بغداد، د. أكرم ضياء العمريّ، مطبعة طيبة، ١٩٨٥، ط٢، الرياض: ٨٧.

ما يسبب إثقالكم بالآثام. ويستمرّ عليه السلام، ببيان ظلمة الجهل الدينيّ الذي استشرى بالمجتمع، فباتت أحوال العرب مضطربة، وبات رأيهم مختلفًا، وحتَّى في جمعهم يمثِّلون قلَّة؛ لعدم توحيد كلمتهم وتوحيد صفِّهم، وبات الجهل مسيطرًا عليهم، حتَّى وأدوا بناتهم وعبدوا أصنامهم وقطعوا أرحامهم، وغارتهم مستمر، ولعلَّه عليه السلام في حديثه هذا إنَّما يشير إلى أمراض استشرت بالمجتمع قبل انتشار الدين الإسلاميّ.

لقد لخَّصت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام عبر خطبتها الغرَّاء حال المجتمع انذاك، بقولها: «**فرأى الأمم فرقًا في أديانها، عكَّفًا على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها.. وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون الورق، أذلَّة خاسئين، تخافون أن يتخطَّفكم الناس من حولكم**»[1].

وبعد بزوغ الفجر المحمَّديّ، وانتشار الدين الإسلاميّ، تغيَّرت طائفة من ذلك المجتمع، فسارت على نهج الهداية الذي رسم خطوطه ومهَّد طريقه رسول الله صلى الله عليه وآله، وسار على ذات النهج آل البيت عليهم السلام، فأخذوا يربُّون المجتمع على الدين، وعرَّفوا الناس أحكام الإسلام التي جعلتهم خير المجتمعات. وكان أبرز من أسهم في تربية المجتمع الإسلاميّ تربية سليمة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فكانت علاقتها بالمجتمع علاقة وثيقة وإن كانت جليسة الدار، ويمكن أن نلحظ قوَّة تلك العلاقة بما يأتي:

١. العلاقة بين السيِّدة الزَّهراء والمجتمع:

لا يختلف عاقلان على أنَّ الصدِّيقة البتول عليها السلام غير متعلِّمة، فهي ذات علم لدنِّي ربَّانيّ، ومن يشكُّ في ذلك عليه أن لا ينسى أنَّها بضعة المختار صلى الله عليه وآله، وقد نشأت وتربَّت في كنف النبوَّة، وتعلَّمت من علم الهادي الأمين صلى الله عليه وآله. لقد باتت الصديقة الطاهرة عليها السلام

(١) مناقب آل أبي طالب، أبو جعفر بن شهر آشوب المازندرانيّ، تحقيق يوسف البقاعيّ، دار الأضواء، لبنان، بيروت، ١٩٨٠م: ٧٨.

تنشر من بحر علومها المتلاطم، وتعلِّم البشرية من معارفها الغزيرة طيلة أيَّام حياتها، بل كانت تبرز من علومها عندما يحير الآخرون في الجواب؛ ليتعلَّم المجتمع الأكبر، ومصداقًا لذلك نروي بعض الروايات التي تثبت العلاقة العلميَّة بين الزَّهراء والمجتمع ومنها:

- ففي رواية عن الإمام العسكريّ عليه السلام أنَّه قال: حضرت امرأة عند الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام فقالت: إنَّ لي والدة ضعيفة وقد لُبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك. فأجابتها الزَّهراء عليها السلام عن ذلك، فثنَّت فأجابتها، ثمَّ ثلَّثت إلى عشَّرت فأجابت، ثمَّ خجلت من الكثرة فقالت: لا أشقُّ عليك يا ابنة رسول الله، فقالت الزَّهراء عليها السلام: **هاتي وسلي عمَّا بدا لك، أرأيتِ من اكترى يومًا يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مئة ألف دينار يثقل عليه؟** فقالت: لا. فقالت: **اكتريت أنا لكلِّ مسألة بأكثر ممَّا بين الثرى إلى العرش لؤلؤًا، فأحرى أن لا يثقل عليَّ**[1].
- وما يؤكِّد عظم علومها وعلوِّ شأنها، ما ورد في خطبتها الغرَّاء المليئة بالمعارف والأحكام، وذلك لـمَّا رأت المجتمع الإسلاميّ أخذ يتَّجه نحو طريق الانحراف، فسعت إلى توعيته من عمق المصيبة وشدَّة الخطب، علَّها تعيده إلى رشده وصوابه، لكن وللأسف الشديد كان الشيطان قد استحوذ عليهم وأنساهم ذِكر الله، فها هي عليها السلام تنبِّه المجتمع لما يمكن عدُّه علاجًا للأمراض التي قد تستشري به، فتهدي الناس الى طريق الصواب بقولها: فجعل الله الإيمان تطهيرًا لكم من الشرك، والصلاة تنزيهًا لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتًا للإخلاص، والحجَّ تشييدًا للدين.. والعدل تنسيقًا للقلوب.. وطاعتنا نظامًا للملَّة، وإمامتنا أمانًا من الفرقة[2].

(١) مناقب آل أبي طالب، مصدر سابق: ٧٩.

(٢) الأصول من الكافي، الشيخ أبو جعفر بن يعقوب بن إسحق الكلينيّ الرازي، دار الكتب الإسلاميَّة، ١٩٩١م: ٩٨.

- فضلًا عن تعليمها للنساء ما يشكل عليهنَّ من الأحكام الشرعيَّة والمعارف الإلهيَّة الضرورية، وكان يغشاها نساء المدينة وجيران بيتها[1]، ويبدو أنَّ بيتها كان المدرسة النسائيَّة الأُولى في الإسلام، حيث تُقبِل عليها النساء طالبات للعلم، فيجدن فاطمة العالمة، وهي تستقبلهنَّ بصدر رحب لا يعرف الملالة والسأم.
- عن الإمام العسكري عليه السلام أنَّه قال: «**قالت فاطمة عليها السلام وقد اختصمت إليها امرأتان، فتنازعتا في شيء من أمر الدين، إحداهما معاندة، والأُخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجَّتها، فاستظهرت على المعاندة، ففرحت فرحًا شديدًا، فقالت فاطمة عليها السلام: إنَّ فرح الملائكة باستظهارك عليها أشدّ من فرحك، وإنَّ حزن الشيطان ومردته أشدّ من حزنها..**»[2].
- لم يقتصر دور الزَّهراء عليها السلام على تعليم النساء، بل كانت تطرف القاصدين إليها بما عندها من العلم والمعرفة، فعن ابن مسعود، قال: «جاء رجل إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا ابنة رسول الله، هل ترك رسول الله صلى الله عليه وآله عندك شيئًا تطرفينيه، فقالت: «**يا جارية، هاتي تلك الحريرة**»، فطلبتها فلم تجدها، فقالت: «**ويحك اطلبيها، فإنَّها تعدل عندي حسنًا وحسينًا**»، فطلبتها فإذا هي قد قمَّتها في قمامتها، فإذا فيها: قال محمَّد النبيّ صلى الله عليه وآله: **ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو يسكت. إنَّ الله يحبُّ الخيِّر الحليم المتعفِّف، ويبغض الفاحش الضنين السَّئآل الملحف. إنَّ الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنَّة، وإن الفحش من البذاء، والبذاء في النار**»[3].

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ٩٩.

(٢) موارد الخطيب البغداديّ في تاريخ بغداد، مصدر سابق: ٨٨.

(٣) ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، مصدر سابق: ٦٧.

- كان للزَّهراء عليها السلام مشاركة فعَّالة ومؤثِّرة في الدعوة إلى الله تعالى في مواقع مختلفة أهمّها المباهلة مع النصارى، إذ نزل فيها قرآن يُتلى إلى يوم القيامة ﴿وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾[1]، فقد اختصَّت هي عليها السلام دون غيرها بهذا الفضل، ولم يشركها فيه أحد من نساء الأُمَّة.

إنَّ الروايات المذكورة تؤكِّد عظم العلاقة الروحيَّة بين الزَّهراء البتول عليها السلام والمجتمع، إذ جسَّدت عظم تلك العلاقة ومدى حرص الزَّهراء على التواصل مع ذلك المجتمع وتقديم النصح والإرشاد، والتوجيه له لتفادي المشكلات الاجتماعيَّة ومحاولة حلِّها، مع أنَّ هذه الروايات لا تمثل إلَّا النزر اليسير ممَّا قدمته الزَّهراء للمجتمع الإسلاميّ بغية إصلاحه وتقدُّمه

٢. العلاقة الروحيَّة بين الزَّهراء عليها السلام والمجتمع:

لا تتشكَّل المجتمعات من علاقاتها الماديَّة فقط، بل هناك علاقات أهمّ وأسمى من العلاقة الماديَّة بين أفراد المجتمع ألا وهي العلاقة الروحيَّة، ومتى ما كانت هذه العلاقة متينة ومبنيَّة على أسس قويمة، يكون المجتمع متقدِّمًا لا يُهزم أمام العقبات والمشاكل مهما كانت، أمَّا إذا كان المجتمع منهزمًا روحيًّا فسيُهزَم أمام أبسط المشاكل.

وخير ما يجسِّد العلاقة الروحيَّة بين الزَّهراء عليها السلام أنَّها لم تنس دورها الاجتماعيّ حتَّى في عبادتها، فقد كانت تدعو للمؤمنين والمؤمنات، ولا تدعو لنفسها، متحلِّية بالخلق النبويّ والأدب الإسلاميّ الرفيع. لقد ركَّزت الصديقة الطاهرة عليها السلام على البُعد الروحيّ في المجتمع، والشواهد على ذلك كثيرة؛ منها ما نقله الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، قال: **رأيت أمِّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتَّى اتَّضح عمود الصبح، وسمعتُها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمِّيهم وتُكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمَّاه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت:**

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، مصدر سابق: ٦٨.

يا بني الجار ثمَّ الدار. كانت تعمل الصدِّيقة على أن يكون المجتمع مرتبطًا روحيًّا بحيث لا ينسى أحدهم الآخرين في أفضل الأوقات، وهي ساعة الارتباط بالله ﷻ والتوجُّه إليه.

وفي رواية أخرى عنها عليها السلام: أنَّها عندما سمعت أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أن يجعل مهرها من الدراهم، اغتنمت الفرصة ونظرت إلى المجتمع ولم تنسه حتَّى في مثل هذه الأوقات، فقالت لأبيها: **إنَّ بنات الناس يتزوَّجن بالدراهم، فما الفرق بيني وبينهنَّ؟ أسالك أن تردَّها وتدعو الله تعالى أن يجعل مهري الشفاعة في عصاة أمَّتك**. فنزل جبرئيل ومعه بطاقة من حرير مكتوب فيها: **جعل الله مهر فاطمة الزَّهراء شفاعة المذنبين من أمَّة أبيها**. لقد جسَّدت الصديقة فاطمة عليها السلام خير تراث لبناء المجتمعات وتربيتها روحيًّا، وذلك من المنهاج الروحيّ العظيم الذي جاء في أدعيتها الشريفة التي تقود المجتمعات إلى السموِّ روحيًّا، شريطة أن تلتزم بها المجتمعات، وتواظب على العمل بها[1].

ففي كثير من أمور الحياة أعطت الصدِّيقة للمجتمعات تراثًا ضخمًا في الدعاء يعلِّمهم كيف يتَّصلون بالخالق في الشدَّة والضيق أو في المرض أو في النِّعم والسرَّاء أو في غير ذلك من أمور الحياة، وما على المرء إلَّا أن يتأمَّل في أدعيتها الشريفة ليلامس كيف يمكن أن تربِّي هذه الأدعية المجتمعات على الاتصال بالله تعالى والتوجُّه إليه وعدم الغفلة عنه في مختلف ظروف الحياة.

وعلى رغم المأساة التي تعرَّضت لها الزَّهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله، فقد استطاعت أن تؤدِّي دورها في إلقاء الحجَّة على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وبيان الحقائق الناصعة التي طالما نوَّه النبيّ صلى الله عليه وآله بها في حياته.

جاء في خصال الشيخ الصدوق: أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام لـمَّا مُنعت فدكًا، وخاطبت

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمَّد ابراهيم، دار الكتاب العربيّ، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م: ١٥٤.

الأنصار، فقالوا: يا بنت محمَّد، لو سمعنا هذا الكلام قبل بيعتنا لأَبي بكر ما عدلنا بعليّ أحدًا. فقالت: «**وهل ترك أبي يوم غدير خمّ لأَحد عذرًا**»(١).

وكان للزَّهراء عليها السلام دور رائد في الدفاع عن قضايا الإسلام المصيريَّة بعد رحلة الرسول صلى الله عليه وآله إلى عالم الخلود ورضوان ربِّه، فقد جهرت بالحقِّ ودافعت عن الإمامة، وخطبت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله خطبة بليغة أعادت إلى الأذهان الخطوط العريضة التي رسمها الإسلام لقيادة الأُمَّة بعد الرسول صلى الله عليه وآله، وحفظ الدعوة وتأصيل مفاهيمها، وقد كادت خطبتها أن تؤتي أُكلها لولا تسلُّط الظالمين وبطش الجبَّارين. وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**أنَّ عليًّا عليه السلام حمل فاطمة عليها السلام على حمارٍ وسار بها ليلًا إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة عليها السلام الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمِّك سبق إلينا أبا بكر، ما عدلنا به، فقال عليّ عليه السلام: أكنت أترك رسول الله ميتًا في بيته لا أُجهِّزه، وأخرج إلى الناس أُنازعهم في سلطانه! وقالت فاطمة عليها السلام: ما صنع أبو الحسن إلَّا ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسيبهم عليه**»(٢).

٣. العلاقة الماديَّة بين الزَّهراء والمجتمع:

لم تبخل الزَّهراء عليها السلام بكلِّ ما يفيد المجتمع الإسلاميّ من دعم مادِّيّ أو معنويّ، فقد كان بيتها عليها السلام مأوى وملاذًا لكلِّ ذي حاجة في المجتمع، فما كان أحد يقصد دارها ثمَّ يعود خائبًا، وإنَّما كان يعود مقضيَّ الحاجة قرير العين مكرَّمًا غنيًّا عن سؤال الآخرين، والقصص في هذا المجال كثيرة لا يسعها المقام.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا قصده صاحب حاجة بعثه إلى دار الزَّهراء عليها السلام؛ لعلمه أنَّها لا تردُّ أحدًا، وقصَّة عقدها المبارك الذي تصدَّقت به للمحتاج خير شاهد على ذلك،

(١) شرح نهج البلاغة، مصدر سابق: ١٥٥.
(٢) الصواعق المحرقة في الردِّ على أهل البدع والزندقة: ابن حجر الهيثميّ، ١٨٨٩، مصر.

فضلًا عن قصَّتها في إطعام الطعام على حبِّه للمسكين واليتيم والأسير، وتصدُّقها بثوب زفافها، وغير ذلك ممَّا يطول المقام بذكره. لقد كانت الزَّهراء عليها السلام معينًا للمُحتاجين من أبناء المجتمع الإسلامي آنذاك، تُنفِق في سبيل الله وتُعتق الرقاب وتُعين الضعفاء، فقد توافق أغلب المفسِّرين على نزول قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[1] في أهل البيت عليهم السلام عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، حينما تصدَّقوا رغم خصاصتهم على المسكين واليتيم والأسير[2].

وخير شاهد على كرمها عليها السلام ما يرويه عبد الله بن مسعود فيقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العشاء، فقام رجل من بين الصفِّ فقال: يا معشر المهاجرين والأنصار، أنا رجل غريب فقير وأسألكم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فأطعموني. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أيُّها الحبيب لا تذكر الغربة، فقد قطَّعت نياط قلبي، أمَّا الغرباء فأربعة**. قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: **مسجد ظهرانيّ قوم لا يصلُّون فيه، وقرآن في أيدي قوم لا يقرؤون فيه، وعالم بين قوم لا يعرفون حاله ولا يتفقَّدونه، وأسير في بلاد الروم بين الكفَّار لا يعرفون الله**. ثمَّ قال صلى الله عليه وآله: **من الذي يكفي مؤونة هذا الرجل فيبوِّئه الله في الفردوس الأعلى؟** فقام أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ بيد السائل وأتى به إلى حجرة فاطمة عليها السلام، فقال: **يا بنت رسول الله انظري في أمر هذا الضيف**.

فقالت فاطمة: **يا بن العم لم يكن في البيت إلَّا قليل من البرِّ صنعت منه طعامًا والأطفال محتاجون إليه وأنت صائم والطعام قليل لا يغني غير واحد**. فقال: **أحضريه**. فذهبت وأتت بالطعام ووضعته فنظر إليه أمير المؤمنين عليه السلام فرآه قليلًا، فقال في نفسه:

(١) سورة الإنسان: ٨-٩.

(٢) كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، المتَّقي الهنديّ، تحقيق: صفوت السقَّا، بكري الحيَّاني، مؤسَّسة الرسالة، ١٩٩٨م: ٩٦.

لا ينبغي أن آكل من هذا الطعام فإن أكلته لا يكفي الضيف، فمدَّ يده إلى السراج يريد أن يصلحه فأطفأه، وقال لسيِّدة النساء عليها السلام: **تعلَّلي في إيقاده حتَّى يحسن الضيف أكله ثم إيتيني به**. وكان أمير المؤمنين عليه السلام يحرِّك فمه المبارك يُري الضيف أنَّه يأكل ولا يأكل إلى أن فرغ الضيف من أكله وشبع، وأتت خير النساء بالسراج ووضعته وكان الطعام بحاله، فقال أمير المؤمنين سلام الله عليه لضيفه: **لم ما أكلت الطعام؟** فقال: **يا أبا الحسن أكلت الطعام وشبعت ولكن الله تعالى بارك فيه**.

ثمَّ أكل من الطعام أمير المؤمنين وسيِّدة النساء والحسنان عليهم السلام وأعطوا منه جيرانهم، وذلك ممَّا بارك الله تعالى فيه، فلمَّا أصبح أمير المؤمنين عليه السلام أتى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: **يا عليّ كيف كنت مع الضيف؟** فقال: **بحمد الله يا رسول الله بخير**، فقال: **إنَّ الله تعالى تعجَّب ممَّا فعلت البارحة من إطفاء السراج والامتناع من الأكل للضيف**، فقال: **مَن أخبرك بهذا؟** فقال: **جبرائيل**[1].

وأخرج ابن شهرآشوب عن ابن شاهين في (مناقب فاطمة عليها السلام)، وأحمد في مسند الأنصار عن أبي هريرة وثوبان أنَّها عليها السلام نزعت قلادتها وقرطيها ومسكتيها (سواريها)، ونزعت ستر بيتها، فبعثت به إلى أبيها صلى الله عليه وآله وقالت: «**اجعل هذا في سبيل الله**»، فلمَّا أتاه قال صلى الله عليه وآله: «**قد فعلت فداها أبوها**- ثلاث مرَّات- **ما لآل محمَّد وللدنيا، فإنَّهم خلقوا للآخرة، وخلقت الدنيا لغيرهم**».

وفي رواية أحمد: «**فإنَّ هؤلاء أهل بيتي، ولا أُحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا**»[2].

(١) كتاب الأمالي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمَّد بن الحسن بن عليّ الطوسيّ، تحقيق وتصحيح: بهراد الجعفريّ، الأستاذ عليّ أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميَّة، ط١، ١٩٨٤م: ٦٥.

(٢) الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشريّ جار الله، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ: ٧١.

وفي صحيفة الإمام الرضا عليه السلام عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام قال: «**حدَّثتني أسماء بنت عميس، قالت: كنت عند فاطمة جدَّتك، إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وفي عنقها قلادة من ذهب، كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام اشتراها لها من فيءٍ له، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: لا يغرنَّك الناس أن يقولوا: بنت محمَّد، وعليك لباس الجبابرة؛ فقطعتها وباعتها، واشترت بها رقبة فاعتقتها، فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك**»[1].

فهي نموذج المرأة القيادية في المجتمع.

(١) شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ص٦٧.

النتائج

بعد هذه الرحلة التي تعطرت بعبير ذكر المصطفى المختار وآل بيته الأطهار، وتزيَّنت بذِكر سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام، توصَّل البحث إلى نتائج عدَّة كان من أهمِّها:

١. إنَّ الزَّهراء عليها السلام عالمة غير معلَّمة، فهي عالمة بعلم لدنِّي وهبة الباري لها، وزاد في علمها هذا أنَّها تربَّت في كنف النبوَّة.

٢. جسَّد بيت الزَّهراء عليها السلام وزوجها أمير المؤمنين عليه السلام خير أنموذج للبيوتات الإسلاميَّة التي تسودها المودَّة والرحمة والتعاون.

٣. لم يقتصر الدور الاجتماعيّ للزَّهراء عليها السلام داخل بيتها، بل كانت مركزًا لتعلُّم العديد من النساء داخل المدينة المنوَّرة، تعلمهم أمور دينهم ودنياهم في آنٍ واحد.

٤. حاولت الزَّهراء عليها السلام نشر تعاليم الدين الإسلاميّ، وما تعلَّمته من رسول الله صلى الله عليه وآله بين شرائح المجتمع، وبخاصَّة النساء.

٥. كانت الزَّهراء عليها السلام نعم الموجِّه والمرشد لإصلاح المجتمع الإسلاميّ في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد وفاته.

٦. يمكن تقسيم علاقة المجتمع مع الزَّهراء عليها السلام إلى ثلاثة أنصاف: العلاقة الروحيَّة، والعلاقة الماديَّة والعلاقة العلميَّة، وقد أعطت عليها السلام، لكلٍّ منها حقَّه.

التوصيات

في نهاية البحث توصي الباحثة بمجموعة من النقاط، من أهمِّها:

١. ضرورة الإفادة من سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لتعزيز دور المرأة في المجتمع الإسلاميّ.

٢. تضمين بعض من مواقف الزَّهراء عليها السلام في حياتها عامَّة ضمن المناهج الدراسيَّة، وبخاصَّة في كليَّات التربية للبنات؛ لإفادة بنات هذا الجيل من تلك المواقف للاقتداء بها عليها السلام.

٣. إفادة وسائل الإعلام من سيرة الزَّهراء بعد زواجها من أمير المؤمنين عليه السلام؛ لبيان أهميَّة مؤازرة الزوجة لزوجها، وهو ما يدفع النساء للاقتداء بالزَّهراء عليها السلام لتحمُّل مسؤوليَّاتها.

٤. الاقتداء بسيِّدة نساء العالمين عليها السلام للمرأة المسلمة في عصرنا هذا، فمع تعدُّد الأدوار التي لعبتها الزَّهراء في المجتمع، إلَّا أنَّها عليها السلام بقيت ملتزمة بأحكام دينها، وأدَّت كلَّ دور من أدوارها على أكمل وجه.

٥. إفادة مؤسَّسات الدولة وبخاصة المراكز الإرشاديَّة من سيرة الزَّهراء عليها السلام، ونشر مواقفها الاجتماعيَّة والتربويَّة للتقليل من حالات الطلاق التي باتت تهدِّد مجتمعنا اليوم.

المصادر والمراجع

١. الإحكام، عليّ بن محمَّد الآمديّ، علَّق عليه: عبد الرزاق عفيفيّ، الناشر: المكتب الإسلاميّ، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.

٢. الأصول من الكافي، الشيخ أبو جعفر بن يعقوب بن إسحق الكلينيّ الرازي، دار الكتب الإسلاميَّة، ١٩٩١م.

٣. بحار الأنوار، المجلسيّ، محمَّد باقر، المكتبة الإسلاميَّة، طهران، د.ت.

٤. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ البصريّ ثمَّ الدمشقيّ (ت٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م.

٥. بناء الإنسان، حسن عبد الرازق منصور، أمواج للنشر والتوزيع، ط٢، عمَّان، الأدرن، ٢٠١٣م.

٦. التعريفات، عليّ محمَّد عليّ الجرجانيّ، تحقيق: إبراهيم الأبيار، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٢٠٤هـ/ ١٩٨٦م.

٧. تفسير البيضاويّ، عبد الله بن أبي القاسم عمر بن محمَّد بن أبي الحسن عليّ البيضاويّ الشيرازيّ الشافعيّ، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩م.

٨. التفسير القيِّم للإمام ابن القيِّم، جمع محمَّد أويس الندوي، تحقيق: محمَّد حامد الفقي، دار القلم، بيروت، ١٩٨٧م.

٩. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمَّد إبراهيم، دار الكتاب العربيّ، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.

١٠. الصِّحاح، الجوهريّ.

١١. الصواعق المحترقة في الردِّ على أهل البدع والزندقة، ابن حجر الهيثميّ، مصر، ١٨٨٩م.

١٢. صور من حياة الصحابيَّات، عبد الرحمن الباشا، ط١، بيروت، دار الأدب الإسلاميّ، ١٩٩٦م.

١٣. الطبقات الكبرى، محمَّد بن سعد، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

١٤. القاموس المحيط، محمَّد بن يعقوب مجد الدين الفيروز آبادي، تحقيق محمَّد نعيم العرقسوسيّ، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م.

١٥. كتاب (المخ ذكر أم أنثى؟)، د. عمرو شريف ود. نبيل كامل، دار العلم، بيروت، ١٩٩٠م.

١٦. كتاب الأمالي، شيخ الطائفة أبي جعفر محمَّد بن الحسن بن عليّ الطوسيّ، تحقيق وتصحيح: بهراد الجعفريّ، الأستاذ عليّ أكبر الغفاري، ط١، دار الكتب الإسلاميَّة، ١٩٨٤م.

١٧. الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشريّ جار الله، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

١٨. كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، المتَّقي الهنديّ، تحقيق: صفوت السقَّا، بكري الحيَّانيّ، مؤسَّسة الرسالة، ١٩٨٠م.

١٩. لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمَّد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، ط٦، ١٩٩٦م.

٢٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، عليّ بن أبي بكر بن سليمان الهيثميّ، المحقق: محمَّد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلميَّة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢١. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا حسين النوريّ الطبرسيّ، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، باب استحباب زيارة النساء الحسين وسائر الأئمَّة عليهم السلام، ٢٠٠٩م.

٢٢. مقتطفات من السيرة، عمر عبد الكافي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلاميَّة: http://www. islamweb. net

٢٣. مناقب آل أبي طالب، أبي جعفر بن شهر آشوب المازندرانيّ، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الاضواء، لبنان، بيروت، ١٩٨٠م.

٢٤. موارد الخطيب البغداديّ في تاريخ بغداد، د. أكرم ضياء العمريّ، ط٢، مطبعة طيبة، الرياض، ١٩٨٥م.

٢٥. النكت على ابن الصلاح، ابن حجر العسقلانيّ، تحقيق: فضيلة الشيخ الدكتور ربيع المدخليّ، الجامعة الإسلاميَّة، ط١، ١٩٩٩م.

البُعد التربويّ في الخطاب الفاطميّ (خطبة فدك أنموذجًا)

الباحث الإسلاميّ السيِّد فاضل حاتم الموسويّ

ملخَّص البحث

تُعدُّ الخطبة الفدكيَّة من أبرز محطَّات تجلِّيات علم السيِّدة فاطمة عليها السلام؛ لما حوته من مضمون لا يمكن أن يأتي به غير المعصوم الذي يتلقَّى علومه من العلم المطلق، فبيَّنت أنَّها عالمة بكلِّ شيء، وفي مختلف الأبعاد، على مستوى معرفة الله عزَّ وجلَّ، والمعرفة التاريخيَّة، والمعرفة الاجتماعيَّة، والقراءة الدقيقة للواقع، والمعرفة بأسرار العديد من العبادات والفرائض وعللها؛ لتكون حجَّتها تامَّة كاملة على القوم، فضلًا عن الأسلوب الذي خرَّجت به علمها، وهو على درجة من الفصاحة والبلاغة التي لا نظير لها.

لقد أعطت الزَّهراء عليها السلام للبشريَّة في هذه الخطبة دروسًا في أسس التربية التي ترقى بالإنسان إلى مضانِّ الكمال، فقد اختزلت الزمن، وضغطت التعاليم، وفحوى الرسالة المحمَّديَّة في هذه الخطبة بأسلوبٍ بليغٍ معبِّر عن الأم وهموم أمَّة شطنت عن طريقها لواذًا بالراحة والدعة، ومغانم الدنيا الفانية.

لقد صورت لنا هذه الخطبة أبعادًا تربويَّة يمكن أن تكون منهجًا للمجتمعات الإنسانيَّة، لو طبِّقت، لوصلت إلى برِّ الأمان، وهي علاج لكلِّ المشاكل التي يعاني منها المجتمع في الجانب التربويّ، ويمكن عرض هذه الأبعاد في الآتي، وباختصار، والبحث كفيل بالتفصيل، فيمكن مراجعة ذلك:

١. إنَّ الراوي عندما يروي لنا الخطبة، يقول: «لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها»، فهو أوَّل درس في التربية، وهو درس عمليّ في الحفاظ على عفَّة المرأة وشرفها، وعدم إبداء المحرَّم منها للناس.

٢. إنَّ أهم الأبعاد التربويَّة للإنسان، هي ربطه بالله تعالى، فقد بدأت بالحمد والشكر لعظمة الله تعالى، والاعتراف بتوحيد الله سبحانه، والثناء عليه، وذِكر صفاته ونعمه ومننه جلَّ وعلا.

٣. إنَّ القيادة الإلهيَّة المختارة من قِبَل الله، والمتمثِّلة برسول الله صلى الله عليه وآله، فهو المربِّي الأوَّل، ومِن بعده أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، يعدُّ الحلقة الثانية والمكمِّلة للأولى، فتعاليمهم وسيرتهم كانت منهاجًا وضَّاءً في مجال التربية، لذا فقد عرَّجت على مقام النبوَّة، وعظيم صفات الرسول صلى الله عليه وآله، ومنزلته في عالم الآخرة، وركَّزت في نسبتها إليه صلى الله عليه وآله.

٤. لقد سعت الزَّهراء عليها السلام إلى أن تكون خطبتها ملمَّة بجميع التعاليم، فهي في مقطع من خطبتها، تقرع أسماع القوم والأجيال في تربية الأبناء على فلسفة العبادات، فكثير ما يسأل بعض الأطفال لماذا نصلِّي مثلًا أو لماذا نصوم؟ أجابت الزَّهراء من خلال خطبتها هذه: «**فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيرًا لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزيهًا لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْق، والصِّيامَ تَثْبيتًا للاخْلاصِ، والحَجَّ تَشْييدًا لِلدِّينِ، وَالعَدْلَ تَنْسيقًا لِلْقُلوبِ**».

٥. بعد أن تحدَّثت السيِّدة فاطمة عليها السلام عن الحكمة من بعض الواجبات الفرديَّة عمومًا، انطلقت لتبيِّن حِكَم بعض التشريعات والواجبات التي ترتبط بالمجتمع وآثارها، فبدأت عليها السلام بأصل أصول انتظام المجتمع، وهو طاعة وليِّ الأمر، فقالت: «**وطاعتنا نظامًا للملَّة، وإمامتنا أمانًا من الفُرقة**».

٦. اهتمَّ الإسلام اهتمامًا شديدًا بالوالدين، وجعل شكرهما من شكر الله ﷻ، وغضبهما مدعاةً لغضب الله ﷻ، لذا أكدَّت السيِّدة الزهراء أهميَّة العلاقة مع الوالدين، القائمة على البرِّ، فبرُّهما يقي من سَخط الله سبحانه، وكأنَّها تقول لنا: من يُرِدْ أن يبتعد عن سَخط الله، ويقي نفسه تلك التهلكة، فعليه ببرِّ الوالدين، فهو سبيلٌ للنجاة.

٧. لقد بيَّنت السيِّدة فاطمة عليها السلام في خطبتها جانبًا مهمًّا في أسس بناء المجتمع، فذكرت أنَّ: «**صلة الأرحام منماة للعدد**»، فلا يخفى على أحد ما لصلة الأرحام من تداعيات إيجابيَّة على الصعيد الاجتماعيّ، فإنَّها الباب الأساس للتعاضد والتكافل العائليّ وشدِّ الأواصر، ومدعاةً للتزاوج، فيكثر بذلك العدد وينمو، وهي أيضًا تطيل عمر المسلمين، كما ورد ذلك في روايات عديدة، وبإطالة العمر ينمو عدد المسلمين أيضًا.

٨. إنَّ الإسلام هو نظام الله في الأرض، وهذا النظام يجب أن يحافظ على أبنائه ومجتمعه من الانحراف، ومن طبع الإنسان الانحراف عن الجادَّة التي رسمها الله سبحانه له، فسنَّ سبحانه القصاص لحماية هذا المجتمع والنظام.

وبهذا القدر نكتفي، والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطاهرين.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين، وبعد..

تُعدُّ الخطبة الفدكيَّة من أبرز محطَّات تجلِّيات علم السيِّدة فاطمة عليها السلام؛ لما حوته من مضمون لا يمكن أن يأتي به غير المعصوم الذي يتلقَّى علومه من العلم المطلق، فبيَّنت أنَّها عالمة بكلِّ شيء، وفي مختلف الأبعاد، على مستوى معرفة الله عزَّ وجلَّ، والمعرفة التاريخيَّة، والمعرفة الاجتماعيَّة، والقراءة الدقيقة للواقع، والمعرفة بأسرار العديد من العبادات والفرائض وعللها؛ لتكون حجَّتها تامَّة كاملة على القوم، فضلًا عن الأسلوب الذي خرَّجت به علمها، وهو على درجة من الفصاحة والبلاغة التي لا نظير لها.

لقد أعطت الزَّهراء عليها السلام للبشريَّة في هذه الخطبة دروسًا في أسس التربية التي ترقى بالإنسان إلى مضانِّ الكمال، فقد اختزلت الزمن، وضغطت التعاليم، وفحوى الرسالة المحمَّديَّة في هذه الخطبة بأسلوبٍ بليغٍ معبِّر عن الأم وهموم أمَّة شطنت عن طريقها لواذًا بالراحة والدعة، ومغانم الدنيا الفانية.

لقد صورت لنا هذه الخطبة أبعادًا تربويَّة يمكن أن تكون منهجًا للمجتمعات الإنسانيَّة، لو طبِّقت، لوصلت إلى برِّ الأمان، وهي علاج لكلِّ المشاكل التي يعاني منها المجتمع في الجانب التربويّ.

وقد اشتملت هذه الدراسة على ثلاثة مباحث، المبحث الأوَّل كان في البعد الإيمانيّ في الخطبة، وما اشتملت من إشارات تربويَّة تمثِّل رسالة للأجيال في التمسُّك بكلِّ

ما جاء به شرع الله فإنَّه الحلُّ الأوحد لبناء الإنسان الكامل. أمَّا المبحث الثاني، فقد اشتمل على البعد الأخلاقيّ باعتباره ركيزة أساسيَّة من ركائز بناء الإنسان. أمَّا المبحث الثالث فقد بيَّنت فيه البعد الاجتماعيّ والنفسيّ في خطبة الزَّهراء، فقد ركَّز أهل البيت فيما ورد عنهم على بناء الإنسان ضمن منظومة مجتمعيَّة متكاملة، فالهدف من بناء الإنسان هو بناء مجتمع متكامل، وأشارت الزَّهراء بدلالات واضحة البيان على أهميَّة الجانب النفسيّ في تربية الإنسان. واختتمت هذه الدراسة بخاتمة بيَّنت فيها أهم ما توصَّلت إليه. وأرجو من الله التوفيق والسَّداد والرِّضا، إنَّه واسع عليم، والحمد لله أوَّلًا وآخِرًا.

المبحث الأوَّل

البعد العقائديّ في خطبة الزَّهراء وآثاره التربويَّة

يعدُّ جانب العقائديّ في المنظومة المعرفيَّة الإنسانيَّة الحجر الأساس الذي تبتني عليه معالم كلّ رسالة، وتحدَّد على ضوئها أُطرها ومقوِّماتها. انطلق الإسلام في تثبيت جانب العقيدة في نفوس الجماعة من أتباعه، وأنفق وقتًا وجُهدًا كبيرًا خدمة لهذا الجانب في موكب دعوته الهادر. ولهذا توفَّر القرآن الكريم، وهو دستور المنهج الإلهيّ على دراسة واسعة جدًّا للعقيدة، أوقف خلالها زهاء ثلاثة أرباعه، خدمةً لها وتثبيتًا لمعالمها. وقد نبض بهذا العامل القرآن المكّيّ خصوصًا، إذ كان الإيمانُ بالله ورسوله واليوم الآخر هي الأوتار الحسَّاسة التي أهتمَّ في الضَّرب عليها. وبعد تثبيت هذه القواعد الرَّصينة انطلق الوحي المقدَّس لرسم معالم التَّشريع الاجتماعيّ والإقتصاديّ والعسكريّ وغيره، لكي تكون هذه الجوانب قد امتلكت قاعدتها الصُّلبة التي تستند عليها في تحقيق أهدافها في حياة النَّوع الإنسانيّ.

لقد اشتملت خطبة الزَّهراء عليها السلام على دروس في التربية الإسلاميَّة، وهي تدرك الجانب العقائديّ هو الأساس في بناء الإنسان، وعندما تكون عقيدة الإنسان في خطر تتهاوى أمامها كلّ القيم، لذا كان خروجها من بيتها قاصدة المسجد النبويّ إنَّما يشعر بإنذار وخطر ما سوف يحلّ بهذا الجانب المهمِّ من كيان الاسلام، وهو الجانب العقائديّ، فضلا عن الجوانب الأخرى، وسوف أذكر هنا القيم التربويَّة التي ركَّزت عليها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في جانب أصول الدين ضمن المحاور الآتية:

المحور الأوَّل: عقيدة التوحيد

قالت عليها السلام في بيان ما يتعلَّق بتوحيد الله تعالى وآلائه على خلقه: «**الحمد لله على ما أنعم.. وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في التفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيَّته، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كوَّنها بقدرته، وذرأها بمشيته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلَّا تثبيتًا لحكمته، وتنبيهًا على طاعته، وإظهارًا لقدرته، وتعبُّدًا لبريَّته، وإعزازًا لدعوته، ثمَّ جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذيادةً لعباده عن نقمته، وحياشةً لهم إلى جنَّته**»[1].

إنَّ الذي يقرا هذه الكلمات يلتمس تلك الدروس التي أرادت الزَّهراء عليها السلام أن توصلها للأجيال، فابتدأت بحمد الله تعالى والثناء عليه، فحمد المنعم سمة إنسانيَّة أكَّد عليها القرآن، فقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وذكر الحمد ما يقارب خمس وعشرين مرَّة في القرآن، وهناك خمس سور ابتدأت بالحمد، وهنا أرادت الزَّهراء أن تربيِّنا على هذا الخلق العظيم، وهو أن نحمد من أنعم علينا بنعمة، أيًّا كانت، ونبتدئ بحمد الله خالق كلِّ شيء، فنعمه لا تعدُّ ولا تحصى، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾، وهو ما ضمنته عليها السلام بقولها: «**جمَّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أمدها**»[2]، وقولها يمتاز بالدقَّة في رسم صورة من الحمد لا نظير لها، حيث ما أبلغها وأرقّها من ألفاظ، وأعظمها من معانٍ، تدلُّ على الكمال واليقين، وهذه حقيقة التربية الإسلاميَّة التي يجب أن يكون عليها الإنسان تجاه خالقه تعالى والمنعم عليه بالنِّعم الظاهرة والباطنة.

(١) الاحتجاج، الطبرسيّ، ج١/ ١٣٣.
(٢) المصدر نفسه، ج١/ ١٣٣.

وقد حرص الأئمَّة عليهم السلام على تربية المجتمع على هذا الخلق السامي، ففي كتاب جامع السعادات للعلَّامة النراقيّ، يروى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**ينادي منادٍ يوم القيامة: ليقوم الحمَّادون! فيقوم زمرة. فينصب لهم لواء فيدخلون الجنَّة**»، فقيل: من الحمَّادون؟ فقال: «**الذين يشكرون الله على كلِّ حال**». وعن أبي عبد الله عليه السلام: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الطاعم الشاكر له من الأجر كأجر الصائم المحتسب، والمعافى الشاكر له من الأجر كأجر المبتلى الصابر. والمعطى الشاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع**»[1]. وعنه عليه السلام: «**ثلاث لا يضرُّ معهنَّ شيء: الدعاء عند الكرب، والاستغفار على الذنوب، والشكر عند النعمة**»[2]. إنَّ شكر نعم الحقِّ المتعالي سبحانه، الظاهريَّة منها والباطنيَّة، من المسؤوليَّات اللازمة للعبوديَّة، فعلى كلِّ شخص أن يشكر ربَّه سبحانه.

ثمَّ تنتقل الزَّهراء عليها السلام إلى مسالة التوحيد، وهي العقيدة التي جاءت تناغم فطرة الإنسان، فكأنَّها هنا أرادت أن تستنهض الفطرة الإنسانيَّة التي غلب عليها غبار الدنيا بعد أن أقرَّت بوحدانيَّة الله تعالى، جاءت لتفضل بعض حقائق التوحيد، وهو ما يشعر بأهميَّة هذا البعد التربويّ، فقالت: «**فجعل الله الإيمان تطهيرًا لكم من الشِّرك**»[3]، فلا يكون البناء العقائديّ قويًّا وثابتًا لدى الفرد المسلم، لذلك حثَّ المولى سبحانه وتعالى مخلوقاته العاقلة على الأخذ بأسباب العلم لبلوغ الغاية من المعرفة في التوحيد، وفي سائر العقائد الإسلاميَّة الأخرى. فقال في محكم تنزيله: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[4]، وقال أيضًا: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[5]، فالآيتين تشيران إلى أنَّ العلم هو الطريق الوحيد، والمسلك الرشيد

(١) جامع السعادات، العلَّامة النراقي، ج٣/ ١٩٢.
(٢) الكافي، الشيخ الكلينيّ، ج٢/ ٩٥.
(٣) الاحتجاج، الطبرسيّ، ج١/ ١٣٤.
(٤) سورة محمَّد، الآية: ١٩.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

لبلوغ أركان العقيدة، وأعلى مراتب التوحيد، لذلك لم يجز على كلِّ مسلم أن يكون مقلِّدًا في التوحيد وفي سائر العقائد، ووجب عليه أن يسلك من أجل تحصيل العلم بذلك سبيل البحث والتأمُّل، تثبيتًا لدعائم الإيمان، وتزكية للفطرة التي فطر الخالق سبحانه وتعالى الناس عليها، فالتوحيد فضلًا عن كونه أصلًا من أصول العقيدة التي لا يمكن الغفلة عنها، فذلك أوَّل حقوق الله تعالى على عباده التي يجب علينا مراعاتها حقّ رعايتها، فقد ورد في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام قوله: «**فأمَّا حقُّ الله الأكبر فإنَّك تعبده لا تشرك به شيئًا، فإذا فعلت ذلك بإخلاص؛ جعل لك في نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة، ويحفظ لك ما تحبُّ منها**»[1].

المحور الثاني: عقيدة العدل

قالت عليها السلام: «**فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنِعمَ الحكم الله، والزعيم محمَّد صلى الله عليه وآله، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكلِّ نبأٍ مستقر، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويحلّ عليه عذاب مقيم**»[2]. تذكر الزَّهراء عليها السلام هنا جانب آخر من العقائد الإسلاميَّة، وأصل من أصول الدين، وهو العدل، فقد أشارت إلى ما يجب على الإنسان الاعتقاد به، وقد كانت تريد بهذه الكلمات التي وردت تجاه القوم الذين غصبوا حقَّها أن تذكِّرهم بذلك الخالق العادل الذي لا يحيف ولا يجور في حكمه أبدًا، حيث قالت وهي تخاطب (غاصب حقِّها)، بعد أن ذكرت له أدلَّة دامغة على حقَّها في فدك ومطالبتها إيَّاه بردِّها، أنَّ هذه من أعظم الكلمات التي تحذِّر من عدل الله تعالى في ذلك الموقف يوم القيامة، حيث لا ينفع الإنسان شيء سوى ما قدَّم لنفسه من الصالحات، فإنَّ الكلمات التي أوردتها الزَّهراء عليها السلام لظالميها فيها من الوعيد ما يذهل عقل اللبيب إن أراد أن يتفكَّر في عواقب أمره، حيث غضب الله

(١) بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ، ج٧١/ ١١.
(٢) الاحتجاج، الطبرسيّ، ج١/ ١٣٥.

تعالى وسخطه مقابل حطام دنيا زائلة، فينبغي لمن أراد النجاة أن يتأمَّل هذه الكلمات، ليكون على بيِّنة تامَّة من كلِّ تصرُّف يقوم به تجاه الآخرين، حيث يوم القيامة يكون الحاكم هو الشاهد، ذلك يوم لا ينفع ندم فيه ولا اعتذار، لذا وردت روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام تحذِّر الإنسان من ذلك اليوم، حيث العدالة التامَّة التي لا ظلم فيها مطلقًا، بل إنَّ من أعظم مفاهيم العدل كونه صورة من صور البناء النفسيّ والاجتماعيّ الذي تقوم على أساسه التعاملات في المجتمع، فتُحفَظ فيه الحقوق، وتؤلَّف فيه القلوب، لذلك كان من كلماتها عليها السلام في إشارة إلى هذا المعنى: «**وجعل العدل تنسيقًا للقلوب**»، فإذا كانت هذه ثمار العدالة بين الناس، فكيف إذن بعدل الله تعالى.

المحور الثالث: عقيدة النبوّة

قالت عليها السلام: «**وأشهد أنَّ أبي محمَّدًا عبده ورسوله، اختاره قبل أن أرسله، وسمَّاه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علمًا من الله تعالى بمآيل الأمور، وإحاطةً بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع الأمور، ابتعثه الله إتمامًا لأمره، وعزيمةً على إمضاء حكمه، وإنفاذًا لمقادير حتمه، فرأى الأمم فرقًا في أديانها، عكَّفًا على نيرانها، عابدةً لأوثانها، منكرةً لله مع عرفانها**»[1]. إن الزَّهراء في هذه الكلمات أرادت أن ترسِّخ وتربِّي المجتمعات على عقيدة النبوَّة التي هي أصل من أصول العقيدة الإسلاميَّة، لما له من علاقة وثيقة بما تقدَّم وما أتت تطالب به من حقِّها، إذ أرادت أن تذكِّرهم بنعمة الله تعالى عليهم من بعث الأنبياء عليهم السلام ودورهم في إنقاذ العباد من الشرك والضَّلال بفضل دعوتهم وجهودهم وجهادهم ضدَّ الطغاة والظالمين، وخصوصًا ما كان يتعلَّق بنبوَّة خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله لعهده القريب منهم، وآثار دعوته ما زالت قائمة فيهم، ومقام أهل بيته الذين أوصى بهم، فكانت كلماتها عليها السلام صرخة مدوِّية في القلوب والعقول.

(١) الاحتجاج، الطبرسيّ، ج١/ ١٣٣.

فالزَّهراء عليها السلام تؤكد ملامح وجوده صلى الله عليه وآله وبركاته في الأمَّة بعد إسلامها، وذكرت بعض الصفات التي كانت الأمَّة عليها قبل بعثته صلى الله عليه وآله فيهم، ومنها تفرُّق الأمَّة في أديانها ومعتقداتها، وإنكارها لعظمة الخالق ووحدانيَّته جحودًا، وابتعادها عن عبادة الله تعالى إلى عبادة سواه من الأوثان والأجرام والأحجار وغيرها، فضلًا عن الضياع والانحراف عن طرق الهداية والصلاح، والسَّير في الغواية والعماية، والذلِّ والهوان الذي كان الناس عليه.

ثمَّ عرضت عليها السلام بعد ذلك آثار النبوَّة في الأمَّة بعد أن كانت تلك أحوالها وصفاتها، فقالت: «**فأنار الله بأبي محمَّد صلى الله عليه وآله ظُلَمها، وكشف عن القلوب بُهمها، وجلَّى عن الأبصار غُممها، وقام في النَّاس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصَّرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم**»[1]، فكان من أهمِّ الأدوار التي قام بها النبيّ صلى الله عليه وآله بعد بعثته أن بيَّن لهم الصراط السويّ الذي يوصِل إلى طاعة الله تعالى ورضاه، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، ونبذ كلِّ معبودٍ سواه.

وكشف عن الأبصار العمى والغشاوة التي حصلت إليهم بسبب الشرك والإلحاد والبعد عن الله تعالى، فصاروا ينظرون ويتفكَّرون في آياته وآلائه التي تدلُّ بدقَّة على عظمة الخالق في خلقه ووحدانيَّته.

إنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أدَّى رسالته بكلِّ ما أوتي من قوَّة، فضحَّى بكلِّ شيء من أجل هذا الهدف المقدَّس ورفع هذه الأمَّة فوق الأمم، ويجب على الأمَّة أن تحافظ على هذا المجد الإلهيّ بالحفاظ على الشريعة، من دون أن تتلاعب فيها الأهواء والأغراض والمصالح الدنيويَّة والتكالب على لذاتها وشهواتها «**فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمَّد صلى الله عليه وآله، بعد اللتيَّا والَّتي، وبعد أن مُني ببهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب**»[2].

(١) الاحتجاج، الطبرسيّ، ج١/ ١٣٤.
(٢) المصدر نفسه.

المحور الرابع: عقيدة الإمامة

قالت الزَّهراءعليها السلام في بيان ركن من أركان الإسلام، وعقيدة تمثِّل عمادة البناء الإسلاميّ، وهي الإمامة: «**كلَّما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتَّى يطأ جناحها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدودًا في ذات الله، مجتهدًا في أمر الله، قريبًا من رسول الله، سيِّدًا في أولياء الله، مشمِّرًا ناصحًا، مجدًّا كادحًا لا تأخذه في الله لومة لائم**».

فهذه بعض صفات عليّعليه السلام بلسان سيِّدة نساء العالمين، التي كان عليها في حقيقته ودفاعه عن الشريعة المقدَّسة، فلقد ذكرتعليها السلام منزلته ومكانته، مذكِّرة إيَّاهم بما قاموا من فعلٍ عندما تآمروا عليه وغصبوا خلافة الله تعالى من أهلها الذين هم أهل الله وخاصَّته، الذين لم ينحرفوا عن طاعته وطاعة رسولهصلى الله عليه وآله قيد أنملة يومًا بعدما كان غيره غارقًا بالكفر والعناد، فمن أهمِّ ما أشارت إليه في حقِّ سيِّد الوصيِّين، هو أنَّه أعظم المجاهدين ضدَّ الكفَّار والمشركين من أجل الإسلام والعقيدة الإلهيَّة، فما أعظمه من وصفٍ: «**فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه**». فهنا تشير أنَّ دور الامام عليّعليه السلام في درء الفتن والمشاكل التي تواجه الكيان الإسلاميّ، فعليّعليه السلام كان يمثِّل علاجًا يومئذ لمشاكل المجتمع، وهي بذلك كانت تشير وتلمِّح إلى أحقيَّته في تولِّي أمور المسلمين دون غيره.

ومن صفاته أيضًا أنَّه كان ذائبًا في حبِّ الله وطاعته مهما كان ثمن ذلك الحبّ والطاعة.وفي وصفها هذا اتَّضحت كذلك مكانته العظيمة عند خاتم النبيِّين والمرسَلينصلى الله عليه وآله، والأحاديث الكثيرة تشهد بذلك، فكان كلامها في معرض التذكير لهم. وعليّعليه السلام كما تصفه الزَّهراء، كان يمثِّل نموذجًا لسادة أولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وعليّ منهج حقٍّ يمشي على الأرض، فالحقُّ واضح في كلِّ أقواله وأفعاله، حتَّى كان يسري فيه كما يسري الدم في عروقه، فلم تكن له غاية سوى إقامة الحقِّ وأخذه لأهله.

فهذه بعض صفات أمير المؤمنين عليه السلام التي لا ينكرها أحد إلَّا مكابر أو معاند؛ لذلك نرى أنَّ في خطبة الزَّهراء عليها السلام هذه وخطبتها الأخرى التي خطبتها في نساء المهاجرين والأنصار كانت ثائرة بكلِّ قواها في الدفاع عن الإمامة ومقامها، وهي من ثمَّ تدافع عن العقيدة الإسلاميَّة ضدَّ أولئك الذين يريدون أن يحرفوا مسار الشريعة المقدَّسة، فكانت كلماتها كأنَّها جيش من جيوش الله تعالى في ساحة حرب وقتال، يتلاقف الأعداء من كلِّ حدبٍ وصوبٍ من أجل إقامة الحقِّ، وإماتة الباطل، ولكن القوم في سكرةٍ من ذلك.

إنَّ هذه الكلمات هي رسالة واضحة من الزَّهراء عليها السلام، ودرس عقائديّ عظيم تبيِّن فيه حقيقة الالتزام بإمامة أهل البيت عليهم السلام، وعواقب التخلِّي عنهم، لذا ورد في كلمة لها قولها: «**فجعل الله.. طاعتنا نظامًا للملَّة، وإمامتنا أمانًا للفرقة**». لذلك، كان كلُّ حديثها عن أبي الحسن عليه السلام، ومنه قولها: «**وما الَّذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا منه والله نكير سيفه، وقلَّة مبالاته بحتفه**»[1].

لأنَّ المسألة كانت عندها مسألة الإسلام كلّه.. وكانا يلتقيان معًا هي وعليّ عليه السلام في هذا الخطِّ: «**لأسلّمنَّ ما سَلِمَتْ أمور المسلمين، وَلَمْ يكُن فيها جورٌ إلَّا عليَّ خاصةً**»[2]، وكانت تريد أن تقيم الحجَّة على المسلمين في عليّ عليه السلام، ولذلك نسيت آلامها كلَّها وظلاماتها كلَّها.

المحور الخامس: عقيدة المعاد

إنَّ الإيمان بالمعاد من أصول العقيدة الإسلاميَّة المقدَسة، بل من ثوابت دعوة الأنبياء والمرسَلين عليهم السلام. وقد استعرض العلماء في مؤلَّفاتهم العقائديَّة ما يتعلَّق بهذا الأصل، وكلُّ ما يتعلق به من أسئلة وشبهات وشكوك وغيرها، قال العلَّامة الحِلِّيّ:

(١) أعيان الشيعة، السيِّد محسن الأمين، ج١/ ٣٢٠.

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام عليّ عليه السلام، ج١/ ١٢٤.

«اتَّفق المسلمون على إثبات المعاد البدنيّ، ونازعهم الأوائل في ذلك، والدليل على ثبوته أنَّه ممكن، والصادق أخبر بثبوته، فوجب الجزم به، أمَّا إمكانه..»[1].

والزَّهراء عليها السلام قد أشارت في خطبتها إلى ذلك اليوم والاستعداد له، إذ قالت مخاطبة أبا بكر وأقرانه: «**فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمَّد صلى الله عليه وآله، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكلِّ نبأ مستقرّ، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم**»[2]. إنهَّا كلمات عظيمة تُرهب النفس من سماعها، حيث عظمة ذلك اليوم والمواقف!! إنَّها تحذِّر القوم من يوم الحساب وتتوعَّدهم بذلك اليوم، وفي ذلك دلالة أنَّ هناك ثمَّة مشكلة كان يعاني منها المجتمع يومئذ في مسالة الإيمان باليوم الآخر، وإلَّا لما كان منهم هذا التجرُّؤ على حقوق ابنة بنت نبيهم، كذلك يبدو أنَّ هذه المشكلة متأصِّلة في الأجيال، فكلام الزَّهراء عليها السلام هنا تخاطب الأجيال وهي تحاول تشخيص الخلل ووضع العلاج، فعماد إيمان الإنسان هو الإيمان باليوم الآخر، قال الإمام عليّ عليه السلام: «**والله لأنَّ أبيت على حسك السعدان مسهدًا، أو أجر في الأغلال مصفدًا، أحبُّ اليَّ من أنْ ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالمًا لبعض العباد، وغاصبًا لشيءٍ من الحطام..**»[3]. ولأهميَّة هذا اليوم العظيم؛ نجد أنَّ الله تعالى كثيرًا ما يربط الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر؛ كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[4]، لذا فإنَّ الإيمان بالله واليوم الآخر هو الموجِّه الحقيقيّ لسلوكِ الإنسانِ سبيلَ الخير، وليس هناك أي قانون من قوانين البشر يستطيع أن يجعل سلوك الإنسان سويًّا مستقيمًا، كما يصنعه الإيمان باليوم الآخر.

(١) منهاج اليقين في أصول الدين/ ٤٩٢
(٢) الاحتجاج، الطبرسيّ، ج١/ ١٣٥.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٧

المبحث الثاني

البعد الأخلاقيّ في خطبة الزَّهراء وآثاره التربويَّة

في حياة بعض الناس ومضات يحار العقل البشريّ عند استذكارها والتفكير بها، وحين يقف المرء عندها، تخشع جوانحه حيرة وإكبارًا لصانعيها. والأجيال السالفة أو المستقبلة لا تستطيع أن تنهض بأعباء حياتها ما لم يوجد في صفوفها نفر يحملون هذه المميزات العظيمة، ليكونوا جديرين بحمل الرِّسالة، أو ليكونوا قدوةً يحتذى بها في السلوك الفرديّ أو الاجتماعيّ. وكثيرًا ما ينهض بهذه الأعباء نفر من الرجال ممَّن توفَّرت فيهم بعض المؤهِّلات التي رفعتهم إلى مستوى المسؤوليَّة، مسؤوليَّة إنقاذ مجتمعاتهم أو الإنسانيَّة بكاملها أحيانًا، كما هو عليه الرُّسل عليهم السلام. وإلى جانب هذه الشُّموع التي أضاءت للبشريَّة طريقها عبر التاريخ، برزت بعض النِّساء ليؤلِّفن مناخًا دافئًا لخلق أجيال مهذَّبة ؛ ولكنَّ تأريخ البشريَّة لم يحظَ إلَّا بقليل من هذه الشموع الجديدة، ولهذه الحقيقة أشار الرسول القائد محمَّد صلى الله عليه وآله بقوله: «**كمل من الرِّجال كثير، ولم يكمل من النساء إلَّا مريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمَّد صلى الله عليه وآله**»(١).

ومن الجوانب الأخلاقيَّة التي أثارتها الزَّهراء عليها السلام في خطبتها:

(١) فضائل الخمسة من الصِّحاح الستَّة، السيِّد مرتضى الحسينيّ، ج٣/ ١٤٥، وهذا الحديث رغم ما اختلف في روايته بين المذاهب، إلَّا أنَّ له دلالة على صفة الزَّهراء بالكمال على سائر نساء العالمين، فقد رواه وبنفس اللفظ صاحب كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبيّ، ج٢٧/ ٧١.

أوَّلًا: عفَّة المراة خلق إنسانيّ

إنَّ الراوي عندما يروي لنا الخطبة يقول: «**لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها**»، وهو أوَّل درس في التربية، وهو درس عمليّ في الحفاظ على عفَّة المرأة وشرفها، وعدم إبداء المحرَّم منها للناس. وإذا كنَّا نتحدَّث عن ضرورة التزام المرأة بالمنهج الأخلاقيّ في سلوكها في الحياة، فإنَّ المنهج الأخلاقيّ ليس ضريبةً على المرأة، بل هو للمرأة وللرَّجل معًا، فقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «**إنَّما بُعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق**»[1]، هو للمرأة وللرَّجل معًا، فإذا كانت المرأة مسؤولةً عن العفَّة، فإنَّ الرَّجل أيضًا مسؤول عن العفَّة، وإذا كانت المرأة مسؤولة عن حفظ نفسها من الانحراف، فإنَّ الرَّجل مسؤول عن حفظ نفسه من الانحراف، فليس هناك فرقٌ في الجانب الأخلاقيّ لدى المرأة والرَّجل.

ثانيًا: فضيلة الصبر

قالت عليها السلام: «والصَّبر معونة على استيجاب الأجر»، تكشف لنا الزَّهراء عليها السلام حقيقة كبرى تتجسَّد على يديها كلُّ الآمال، وكلُّ الأهداف التي رسمتها الرسالة الإسلاميَّة لهذا الإنسان، تلك الحقيقة هي: الإرادة والإقدام على تحقيق متطلَّبات الشرع، فبغير الإرادة والصَّبر في العمل لا يمكن لإنسان أن يحقِّق مطالب الرسالة الإسلاميَّة. إذًا، فالصَّبر في منطق الرسالة: الجسر المعقود بين الواقع النَّظريّ للشَّريعة والواقع العمليّ لها، حيث تتجسَّد الأفكار على يديه واقعًا محسوسًا يبرز في فكر الفرد وسلوكه وكافَّة ألوان نشاطه، وقد يصبح الأمر من القضايا البديهيَّة المسلَّم بها إذا قلنا: إنَّ الصبر المرادف للإقدام ومواصلة العمل والاستمرار في بذل الجهد من أجل تطبيق معالم الشَّريعة الإسلاميَّة قد جعله الإسلام على لسان دستوره الخالد ركنًا أساسيًّا من أركان المجتمع الذي يقف تحت راية التَّوحيد المقدَّسة، كما جاء ذلك في قوله سبحانه: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي

(١) بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ، ج١٦/ ٢١٠.

خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾. والصبر في منطق الحضارة الإسلاميَّة يلتزم جانبَين في حياة المجتمع المسلم والفرد المسلم، فهو صبر على الطاعة، وصبر على المعصية.

ولـمَّا كان الإسلام أساسًا لا ينهض إلَّا على هذين المفهومَين الكبيرَين في تحديد معالم تشريعه، أصبح للصَّبر، بشطريه الإيجابيّ والسلبيّ، من واقع الشَّريعة الإسلاميَّة عظيم الأثر في تحقيق أهداف الرسالة كعامل مساعد أو كعنصر يدخل في إطار كلِّ الفعَّاليَّات التي ينهض الفرد أو المجتمع المسلم بأعبائها.

وحين يملك الصَّبر هذا المقام الرَّفيع في التَّشريع الإسلاميّ، تتَّضح الغاية التي دفعت الزَّهراء عليها السلام إلى إعطاء هذا المفهوم الجانب الكبير من الاهتمام، حيث ضربت على الوتر الحسَّاس من المسألة بإعلانها أنَّ الصَّبر معونة على استيجاب الأجر، أجل فهو عنصر مساعد فعَّال يجعل المرء المسلم أكثر قدرة على كسب الأجر والرِّضوان.

ثالثًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

هو خلق إنسانيّ وواجب إسلاميّ فرضته السماء لإصلاح ما فسد من أمور المجتمع، وهو العنوان الأوَّل لخروج الزَّهراء وكلُّ مصلح، إلَّا أنَّ الزَّهراء عليها السلام تؤطِّره بإطار عام، فقالت: «**والأمر بالمعروف مصلحةً للعامَّة**»، وذلك لتبيَّن أنَّ كلَّ مسلم مسؤول عن تلك المصلحة العامَّة، وأنَّ الأمر بالمعروف هو السبيل لتحقيق صلاح الناس، وهي فريضة واجبة على كلِّ مكلَّف بحسب علمه، فيكون بذلك مسؤولًا أمام الله عزَّ وجلَّ عن تحقيق صلاح العامَّة وعدمه، فقد روي عن أبي جحيفة قال: «سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: **إنَّ أوَّل ما تقلبون عليه من الجهاد، الجهاد بأيديكم، ثمَّ**

بألسنتكم، ثمَّ بقلوبكم، فمن لم يعرف بقلبه معروفًا، ولم ينكر منكرًا، قُلِب فجُعِل أعلاه أسفله»[1]، وهو ضمانة بقاء تعاليم الدِّين وقيمه حيَّة، فبه انتشر الدِّين الإسلاميّ في أصقاع الأرض، وبه أُقيمت أركان الدِّين وفروعه، وهذا ما تؤكِّده كثير من الآيات والروايات، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**قوام الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود**»[2]، وأنَّ التواني عن هذه الخصلة والعزوف عنها يمثِّل خطرًا كبيرًا لا على الفرد فحسب، بل على المجتمع كافَّة، بل يكون عرضة للبلاء والغضب الإلهيّ، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لقد أوحى الله فيما مضى قبلكم إلى جبرئيل فأمره أن يخسف ببلد يشتمل على الكفَّار والفجَّار، فقال جبرئيل: يا ربِّ أخسف بهم إلَّا بفلان الزاهد؟ فقال الله تعالى: بل اخسف بهم وبفلان قبلهم، فسأل ربَّه، فقال: ربِّ عرِّفني لم ذلك، وهو زاهد عابد؟ قال: مكَّنت له وأقدرته، فهو لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، وكان يتوفَّر على حبِّهم**... فقالوا: يا رسول الله فكيف بنا ونحن لا نقدر على إنكار ما نُشاهده من منكر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهنَّ عن المنكر أو ليعمَّكم الله بعذاب. ثمَّ قال: من رأى منكرًا فلينكره بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، فحسبه أن يعلم الله من قلبه أنَّه لذلك كاره**»[3].

فإذا كان الأمر بالمعروف يتحمَّل هذه المسؤولية الجسيمة في إنقاذ المجتمع وإصلاح أوده، فقد تجلَّت الغاية التي من أجلها أعلنت فاطمة الزَّهراء عليها السلام كونه مصلحة للعامَّة، فهو مصلحة للعامَّة ؛ لعامَّة أبناء الأُمة، به تحفظ حقوقها وتدوم كرامتها ويقوَّم اعوجاجها، فهو إلى جانب كونه تشريعًا عباديًّا كلَّف الله به الإنسان المسلم، إلَّا أنَّ ما يدرُّه من أرباح وما يحقِّق من نتائج إيجابيَّة وما يوفِّره من مصالح، كلُّ ذلك تجنيه

(١) نهج البلاغة، ج٣/ ٢٤٤.
(٢) ميزان الحكمة، ج٦/ ٢٥٥.
(٣) بحار الأنوار، ج١٤/ ٥٠٩، ح٣٧.

الأُمَّة الإسلاميَّة برمَّتها، ولهذا الهدف أصبح على حدِّ تعبير الزَّهراء عليها السلام مصلحةً للعامَّة يتفيَّؤون ظلاله، ويرتفعون على أساسه إلى مستوى الكرامة والعزَّة، مهما تراكمت المحن وادلهمَّت الخطوب.

رابعًا: التواضع خلق إنسانيّ

قالت عليها السلام: «**والصَّلاة تنزيهًا لكم عن الكبر**». وهنا تتحدَّث فاطمة الزَّهراء عليها السلام عن الصَّلاة من حيث إنَّها وسيلة من وسائل إحساس الإنسان بحجم ذاته أمام ربِّه، وإحساسه بحجم ذاته أمام النَّاس الَّذين يعيش معهم، وأمام الوجود الَّذي يتحرَّك فيه، فهو عندما ينفتح على الله في صلاته، فإنَّه يبدأ صلاته بنداء (الله أكبر)، فيتحسَّس معنى الأكبر في ربِّه الَّذي لا يدانيه شيء، ولا يماثله في حجم الذَّات، وفي حجم العلم والقدرة والرَّحمة والحكمة، وما إلى ذلك.

وأنَّه يمارس بشكلٍ طبيعيّ هذا التَّواضع أمام الله، عندما يقف بين يديه في موقف إسلامٍ مطلقٍ له: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]. فالعبد عندما يقف أمام الله في صلاته راكعًا ساجدًا متذلِّلًا، تتهاوى عند ذلك جميع قلاع الأنا والتكبُّر وهو يمرِّغ أنفه بالتراب لله ساجدًا، كذلك ثمَّة شعور عندما يقف للصلاة، وهو ينطق بكلمات الوحي عندما يقول: هنا يتساوى جميع العباد أمام الربِّ، فلا فضل لعابد على ما سواه، فتشرق في نفسه صورة الإنسان المتواضع التي أرادها الله، فالإنسان عندما يصلِّي، لا بدَّ من أن يعيش حالة طوارئ أخلاقيَّة وروحيَّة، بحيث تغيِّر له كلّ ما في الدَّاخل من انحرافات، لأنَّ وقوفك أمام الله، يمثِّل كلَّ هذا الفيض الروحيّ الَّذي يفيض على قلبك وعلى روحك، ولأنَّ عبادتك لله تعلِّمك كيف تكون متواضعًا.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢-١٦٣.

خامسًا: الوفاء بالكيل

قالت الزَّهراء عليها السلام فيما قالته: «وَتَوْفِيَةَ الْمَكاييلِ وَالْمَوَازينِ تَغْيِيرًا لِلْبَخْسِ». يبدو أنَّ موازين المجتمع كانت تعاني من آفة البخس، وهو مرض أخلاقيّ عضال، عانت منه مجتمعات حلَّ بها العذاب في قصص مَن مضى من الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾[1]؛ فلأهميَّة الميزان بالحقِّ ذُكِر في هذا النصّ ثلاث مرَّات، فقد خصَّص الله تعالى بالذِّكر هذه المعصية ونهى عنها من بين معاصيهم الأخرى بعد الأمر بالتوحيد، لما ذكرناه من شيوعها بينهم وإقبالهم عليها، بحيث قد بان إفسادها للمجتمع الإنسانيّ بشكلٍ واضح ممَّا استوجب شدَّة الاهتمام بالرَّدع عنها، وحيث إنَّنا نتكلَّم عن حرمة التطفيف، وقبح الكيل بمكيالَين، فمن المفيد أن نَلفت النظر إلى صورة من البخس في الميزان هي موجودة عند بعض الناس للأسف، وهي أنَّ الإنسان لـحُبِّه لذاته وأنانيَّته يحبُّ أن يُقدِّر الآخرون له أيّ عمل أو جهد أو إنجاز قام به، ويتوقَّع منهم الثناء الجميل والتكريم، ويرى أنَّه جدير بذلك ومستحقٌّ له، وقد تسمع منه مبالغة في وصف ما حقَّقه وتحسينه وإبراز مميِّزاته، فالزَّهراء هنا تقدِّم الحلَّ وتذكره على المشكلة، فقدَّمت أنَّ المجتمع إذا أوفى المكيال، فإنَّ ذلك يؤدِّي إلى تغيير حالة البخس التي يعاني منها المكيال الإسلاميّ، وهذا التقديم يُشعِر أنَّ هذا الحال واقع، وهو ما يعشيه المجتمع يومئذ، ويمكن أنَّ الزَّهراء عليها السلام تريد معنى الإيفاء بالمكاييل في وضع الأمور في نصابها، وإعطاء الحقوق لأهلها، وعدم الكيل بمكيالَين إزاء موقف الأمَّة في تلك الحقبة تجاهها، عندما غصبوها حقَّها في فدك، وموقف الأمَّة من إعطاء زمام الأمور إلى غير أهله، إشارةً إلى تنحية الإمام عليّ عليه السلام عن الخلافة.

(١) سورة الرحمن، الآية: ٧-٩.

المبحث الثالث

البعد الاجتماعيّ والنفسيّ في خطبة الزَّهراء وآثاره التربويَّة

لقد كانت خطبة الزَّهراء جامعة شاملة لكلِّ القيم الإنسانيَّة، ففي تلك العجالة استطاعت أن تستعرض دروس قيِّمة في قليل لفظٍ وبلاغةِ تعبيرٍ قلَّ نظيرها، فمن الجوانب التي بها أرادت الزَّهراء أن تضع منهجًا تربويًّا للأجيال هو بيان العوامل الاجتماعيَّة والنفسيَّة في بناء مجتمع متكامل، وسوف نوجز الكلام فيه بالآتي:

أوَّلًا: إنَّ إمامة أهل البيت وطاعتهم هي ربَّان سفينة المجتمع

بعد أن تحدَّثت السيِّدة فاطمة عليها السلام عن الحكمة من بعض الواجبات الفرديَّة عمومًا، انطلقت لتبيين حِكَم بعض التشريعات والواجبات التي ترتبط بالمجتمع وآثارها، فبدأت عليها السلام بأصل أصول انتظام المجتمع، وهو طاعة وليِّ الأمر، فقالت: «**وطاعَتُنا نظامًا للملَّة، وإمامتنا أمانًا من الفُرقة**»، وقد بيَّنت بشكلٍ جليٍّ في هاتين العبارَتَين المقتضَبَتين أنَّه لا انتظام ولا استقرار للمجتمع ولا وحدة دون أهل البيت عليهم السلام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[1]، فهم أُولي الأمر الذين لزم طاعتهم في النصِّ القرآنيّ، وهذا ما أكَّدت عليه سلام الله عليها في قولها إنَّ الإمامة محصورةٌ فيهم (إمامتنا)، فانتظام الملَّة واستقرارها ووحدتها منوطٌ بكون أهل البيت عليهم السلام هم أولياء الأمر، وليس أيّ أحد غيرهم، قال النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله: «**إنَّما مَثَل أهل بيتي فيكم**

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩

مَثَل سفينة نوح في قومه، من ركِبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق»[1]. وقد أورد ابن حجر في كتابه الصواعق المحرقة هذا الحديث، ثمَّ قال: ووجه تشبيههم بالسفينة أنَّ من أحبَّهم وعظَّمهم شكرًا لنعمة مشرفهم، وأخذًا بهدي علمائهم، نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلَّف عن ذلك غرق في بحر كفر النِّعم، وهلك في مفاوز الطغيان، ووجه تشبيههم بباب حطَّة، أنَّ الله تعالى جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب أريحا، أو بيت المقدس، مع التواضع، والاستغفار؛ سببًا للمغفرة، وجعل لهذه الأمَّة مودَّة أهل البيت سببًا للمغفرة والنجاة[2]، فأهل البيت هم المعصومون الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس، وكانوا عليهم السلام لا ينطقون عن الهوى، لذا فإنَّه لا يمكن أن يسود النظام العادل في المجتمع الإسلاميّ إلَّا بالقادة المعصومين المنزَّهين عن الزلل، الذين عيَّنهم الله تعالى على لسان نبيِّه صلى الله عليه وآله، وعندما يسود النظام ويحلُّ العدل تتوحَّد كلمة المسلمين، وفي ذلك أمانًا من أن تفترَّق الناس.

ثانيًا: برُّ الوالدين حصانة

قالت عليها السلام: «**وَبِـرَّ الْوالِدَيْنِ وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ**». اهتمَّ الإسلام اهتمامًا شديدًا بالوالدين، وجعل شكرهما من شكر الله عزَّ وجلَّ، وغضبهما مدعاةً لغضب الله عزَّ وجلَّ، لذا أكدَّت السيِّدة الزَّهراء أهميَّة العلاقة مع الوالدين القائمة على البرِّ، فبرُّهما يقي من سَخَط الله سبحانه، وكأنَّها تقول لنا، من يُرِدْ أن يبتعد عن سَخَط الله ويقي نفسه تلك التهلكة، فعليه ببرِّ الوالدين، فهو سبيلٌ للنجاة. وهنا تلتفت الزَّهراء عليها السلام إلى الخليَّة الأُولى التي ينشأ منها المجتمع الإنسانيّ، هذه الخلية هي الأُسرة، ولا تتناول الزَّهراء الأسرة برمَّتها، وإنَّما تتناول العمود الفقريّ والأساس الذي تستند عليه في بناء كيانها، فتناولت البرَّ

(١) المستدرك للحاكم، ج٣، ص١٥١، تلخيص الذهبيّ، ينابيع المودَّة، ص٣٠، ٣٧٠.
(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر، ص١٨٤، ٢٣٤، تاريخ الخلفاء للسيوطيّ والجامع الصغير له، إسعاف الراغبين.

بالوالدين الأب والأُم، لما لهما من فاعليَّة ضخمة في بناء الكيان الاجتماعيّ، والوالدان وإن اختلفا في عملهما في إطار الأُسرة، إلَّا أنَّ هناك تمازجًا عضويًّا بين عملهما البنَّاء، فالوالد يتناول البيت من الخارج، فيكدح ويثابر لكسب الرِّزق وإدخال السرور على أُسرته، والأُم تتناول البيت من الدَّاخل بحكم تركيبها الفسيولوجيّ والنفسيّ والروُّحيّ الذي وفرَّتها مسؤوليّة تناول البيت من داخله، فهي تنجب الأطفال وتتولَّى رعايتهم وتسهر لمصلحتهم وتدير البيت من الدَّاخل لتكمل عمل الوالد الخارجيّ. وحين يكون عمل الوالدين هذا شأنه على مرِّ الأجيال والعصور، فلا بدَّ للإسلام، وهو منهج الله الخالد أن يقيِّم عملهما هذا، فإذا به يرفعهما إلى أعلى الآفاق: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[1]، فيشترط برّهما ورعايتهما وعدم إيذائهما بأدنى الأُمور، حتَّى بالإشارة أو التضجر. فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**ما من ولد بار ينظر إلى والديه نظر رحمة إلَّا كان له بكلِّ نظرة حجَّة مبرورة**. قالوا: يا رسول الله وإن نظر كلَّ يوم مائة مرَّة؟ قال: **نِعَم الله أكبر وأطيب**»[2].

وحين يقرِّر الإسلام وجوب رعاية الوالدين، فقد أصبح عقوقهما أمرًا محظورًا يستلزم غضب الله وسَخَطه، ولهذا السرِّ عينه راحت الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام ترسم هذه الحقيقة، حين أعلنت أنَّ برَّ الوالدين يتحقَّق على يديه الابتعاد عن مغبَّة سَخَط الله وإغضابه الذي يجرُّ إلى الدَّمار والبوار، بل إنَّ برَّ الوالدين هو أحد اسباب الرزق، فعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**من يضمن لي برَّ الوالدين وصلة الرحم، أضمن له كثرة المال، وزيادة العمر، والمحبَّة في العشيرة**»[3].

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
(٢) بحار الأنوار، ج٧١، ص٨٠.
(٣) مستدرك الوسائل، ج١٥، ص١٣٩.

ثالثًا: صلة الارحام

قالت الزَّهراء: «**صلة الأرحام منسأة في العمر ومنماة في العدد**». وهنا تتَّسع الدَّائرة لتكون أكثر شمولًا وأوسع مـدارًا، حيث تلتفت الزَّهراءعليها السلام إلى أرحـام الإنسان وأقربائه؛ لتقرِّر مفهومًا اجتماعيًّا رائعًا يقضي بالتَّكاتف والتَّكامل الاجتماعيّ والتوادد، ليكون عونًا على تحقيق المجتمع المتراص الموحَّد الذي يصبو الإسلام إلى تحقيقه، وهي بذلك تقرِّر ما ورد عن رسول اللهصلى الله عليه وآله من أثر في ذلك قوله: «**صلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر**»[1]، وهل في الأرض من إنسان لا ينتمي إلى قوم أو عشيرة؟ فإذا توثَّقت عرى الصِّلة بين الأرحام، تحقَّقت المعجزة الاجتماعيَّة الكبرى في الواقع الإنسانيّ؛ لأنَّ النَّاس كلُّهم في واقع الأمل أرحام ينتهون إلى أصلٍ واحدٍ وأبٍ واحد، والزَّهراءعليها السلام حين تعلن هذا المفهوم الإسلاميّ، فإنَّما تستقيه من منبعه الأصيل كتاب الله العزيز، حيث يعلن هذا المفهوم الشامخ بقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2]، ولكنَّ الزَّهراءعليها السلام لا تريد أن تستعرض مفهوم صِلة الأرحام فحسب، وإنَّما شاءت من وراء ذلك تبيان فلسفة تشريعه، فأعلنت أنَّه (منسأة في العمر)، و(منسأة في العدد)، حيث رسمت واقعًا غيبيًّا واجتماعيًّا في آنٍ واحدٍ، فأوضحت أنَّ المكافأة التي يصيبها الإنسان المسلم الذي يرفع شعار صِلة الأرحام في حياته، هي زيادة له في عمره كجائزة له من خالق هذا الوجود سبحانه، وهذا ما قرَّره الإمام الصَّادقعليه السلام بقوله: «ما نعلم شيئًا يزيد في العمر إلَّا صِلة الرَّحم»[3]. ولم يحصر الإسلام صلة الرحم في دائرة العقيدة الحقَّة، فهي واجبة حتَّى مع غير المعتقدين بالحقِّ، عن الجهم بن حميد، قلت لأبي عبد اللهعليه السلام: يكون لي القرابة على غير أمري، ألهَم عليَّ حقٌّ؟ قال: «**نعم، حقُّ الرحم**

(١) بحار الأنوار، ج٧١، ص٨٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ١.
(٣) الكافي، الشيخ الكلينيّ، ج٢، ص١٥٢.

لا يقطعه شيء، وإذا كانوا على أمرك كان لهم حقَّان، حقُّ الرحم، وحقُّ الإسلام»[1].

إنَّ صلة الأرحام هي سبب لزيادة الرِّزق والبركة في العمر؛ فالمسلم حين يصل رحمه فإنَّه يجد آثار ذلك في حياته وتجارته وماله، حيث يبارك الله تعالى له في رزقه ويخلفه خيرًا بما فعله من العمل الصَّالح حين خصَّص جزءًا من وقته وماله من أجل أن يتفقَّد أهله ورحمه، فكان العوض من جنس العمل، فكما بذل العبد الوقت والمال في سبيل إرضاء الله تعالى وصلة أرحامه فإنَّ الله تعالى يعوِّضه مقابل ذلك مثل ما عمل وزيادة، وهذا ما قرَّرته الزَّهراء عليها السلام في قولها: «**ومنماةً في العدد**»، ولعلَّ الزيادة في العدد هنا تتأكَّد من طريقَين: إمَّا عن طريق غيبيّ يتُّم بإفاضة البركة والزيادة في النَّسل من الله سبحانه، أو عن طريق التَّكاتف وجمع الكلمة ورصِّ الصُّفوف الذي يتُّم عند الالتزام بمبدأ صِلة الأرحام الشامخ. لذا يؤكِّد الإمام السجَّاد عليه السلام هذا الفضل العظيم لصلة الرَّحم، فيقول: «**ما من خطوة أحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ من خطوتَين: خطوة يسدُّ بها المؤمن صفًّا في الله، وخطوة إلى ذي رحم قاطع**»[2]، وكثيرة هي النصوص التي تشير إلى فضل صلة الرحم في ترسيخ البنى الاجتماعيَّة، وتنمية المثل الأخلاقيَّة في المجتمع.

وبهذا القدر نكتفي بعرض ما جاء في خطبة الزَّهراء عليها السلام من قيم تربويَّة، علمًا أنَّ مدار الخطبة يتَّسع للكثير، إلَّا أنَّ المقام يضيق بنا مراعاةً للاختصار، ويمكن أن تكون هناك دراسة موسَّعة في كتابٍ خاصٍّ، والله الموفِّق للسَّداد.

(١) بحار الأنوار، ج٧١، ص١٣١.

(٢) المصدر نفسه، ج٧١، ص٨٩.

الخاتمة ونتائج البحث

اشتملت هذه الدراسة جوانب مهمَّة يمكن أن تكون مرتكزات لنتائج يمكن بيانها في الآتي:

١. إنَّ فلسفة الأحكام كان لها بروز واضح في خطبة الزَّهراء عليها السلام؛ لما لهذه الأحكام من أبعاد تربويَّة في بناء الإنسان.

٢. أعطت الزَّهراء في خطبتها فهمًا جديدًا للعقائد الإسلاميَّة، وهي بذلك تندِّد بكلِّ عقيدة فاسدة جاء بها الفكر المنحرف الذي حرمها حقَّها وزوجها.

٣. ركَّزت الزَّهراء في خطبتها على جوانب تربويَّة عقائديَّة مهمَّة، تمثِّل أساس الكيان الإنسانيّ.

٤. إنَّ من بين الأمور المهمَّة التي أرادت الزَّهراء أن تربِّي عليها المجتمعات، هي مسألة عفَّة المرأة، لذا كان قولها في ذلك تطبيقًا عمليًّا، فعندما خرجت كانت تحمل كلَّ معاني العفَّة من حيث الاهتمام بالحجاب، وهي رسالة للأجيال في هذا المقام.

٥. أكَّدت الزَّهراء في خطبتها أبعادًا أخلاقيَّة مهمَّة، منها الحثُّ على عنصر الصبر الذي يمثِّل صمَّام نجاح كلِّ عمل يقوم به الإنسان في أيِّ مجال من مجالات الحياة.

٦. لقد سعت الزَّهراء في خطبتها إلى التركيز على جوانب أخلاقيَّة مهمة في حياة الفرد المسلم، منها الاهتمام بالكيل بالحقِّ، وهي تدرك جيِّدًا ما لهذا الجانب من أثر في حياة المسلمين.

٧. إنَّ المجتمعات الإنسانيَّة قائمة على مرتكزات تمثِّل نموذجًا في الاقتداء جعل

منهم الله أنبياء ومنهم أوصياء، وطاعتهم تمثِّل حصانة للمجتمعات عن الخوض في غمار التشتُّت والفرقة.

٨. لقد اهتمَّ الإسلام اهتمامًا شديدًا بالوالدين، وجعل شكرهما من شكر الله ﷻ، وغضبهما مدعاةً لغضب الله ﷻ، لذا أكَّدت السيِّدة الزَّهراء أهميَّة العلاقة مع الوالدين القائمة على البرِّ.

٩. إنَّ صلة الأرحام هي سبب لزيادة الرِّزق والبركة في العمر، وهذا ما أكَّدته الزَّهراء عليها السلام.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على محمَّد وآله الطَّاهرين.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ، منشورات الشريف الرضيّ، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٢. أعيان الشيعة، السيِّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، تأليف العلم العلَّامة الحجَّة فخر الأمَّة المولى الشيخ محمَّد باقر المجلسيّ (قدَّس الله سرَّه)، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان.

٤. تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطيّ (ت٩١١هـ)، المحقق: حمدي الدمرداش، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٥. جامع السعادات، العلَّامة محمَّد مهدي النراقيّ، تعليق وتصحيح السيِّد محمَّد كلانتر، مطبعة النجف، النجف الأشرف، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

٦. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمَّد بن عليّ بن حجر الهيتميّ السعديّ الأنصاريّ، شهاب الدين، شيخ الإسلام، أبو العبَّاس (ت٩٧٤هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركيّ، كامل محمَّد الخرَّاط، مؤسَّسة الرسالة، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٧. فضائل الخمسة من الصحاح الستَّة، السيِّد مرتضى الحسينيّ الفيروز آباديّ، بيروت، ١٩٨٢.

٨. الكافي، ثقة الإسلام أبي جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ط٣، ١٣٦٣ش، مطبعة حيدري، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، إيران

٩. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثعلبيّ، أبو إسحاق (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١٠. مختصرُ استدرَاك الحافِظ الذَّهبي على مُستدرَك أبي عبد الله الحَاكم، ابن الملقِّن سراج الدين أبو حفص عمر بن عليّ بن أحمد الشافعيّ المصريّ (ت٨٠٤هـ)

١١. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبِّيّ الطهمانيّ النيسابوريّ المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

١٢. مناهج اليقين في أصـول الدين، العلَّامة الحِـلِّيّ، الحسن بن يوسف بن المطهَّر، تحقيق: محمَّد رضا الأنصاريّ القمِّيّ، دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٩٩٤.

١٣. ميزان الحكمة، محمَّد الريشهريّ، دار الحديث، ايران، قم، ١٤٢٢هـ.

١٤. نهج البلاغة، تأليف: الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، شرح الأستاذ محمَّد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٥. ينابيع المـودَّة، سليمان بن إبراهيم القندوزيّ الحنفيّ، تحقيق: سيِّد عليّ جمال أشرف الحسينيّ، دار الأسـوة للطباعة والنشر، مطبعة أسـوة، ط١، ١٤١٦هـ.

الأسرة المثاليَّة في بيت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام ودورها في تعزيز ديناميكيَّة الإصلاح

م.د. وسن صاحب عيدان
جامعة الكوفة/ كليَّة الآداب

الملخَّص

جاء اختيار عنوان الدراسة عن الأسرة المثاليَّة في بيت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ودورها في تعزيز ديناميكية الإصلاح، إذا وجدتها مثالها الأعلى ونظامها الصحيح وقواعدها المستقيمة وتطبيقها السهل الميسَّر، فهي تلك الخليَّة الأولى للمجموعة البشريَّة، يبدأ تكوينها بالزواج بين الرجل والمرأة، الزواج الذي يربط بينهما برباط يُرَاد له الدوام والاستقرار، ومن ثمَّ، كان لا بدَّ من رعاية حقوق كلّ منهما، وواجبات على كلٍّ منهما، حتَّى يعلم ويعمل كلٌّ منهما ما له وما عليه، فتوفر لهما بذلك حياة طيِّبة، يتحقَّق لها الدوام والاستقرار المنشودان.

أمَّا المثاليَّة في اللغة العربيَّة: فهي الطريقة المثلى، الأشبه بالحقِّ، فكلُّ ما أشبه الحقّ وطابق الحكمة، فهو مثال أعلى يُحتذَى به، ويُطلَب الوصول إليه.

اقتضت مادَّة البحث تقسيمه على مقدَّمة وثلاثة مباحث وخاتمة، فضلًا عن قائمة المصادر والمراجع، تناول المبحث الأوَّل: مفهوم الأسرة المثاليَّة، وتعريفها في اللغة والاصطلاح، وتعريف الأسرة في القرآن والسنَّة النبويَّة، وفي مفهوم علم الاجتماع والإسلام، وتعريف الأسرة في بيت السيِّدة فاطمة والإمام عليّ عليهما السلام، وضمَّ المبحث

الثاني: تكوين الأسرة المثاليَّة بين الإمام عليّ والسيِّدة فاطمة، موضِّحًا مبادئ تكوين هذه الأسرة عند أئمَّة أهل البيت، والتي عمادها التكافؤ والمودَّة والرحمة، وتقسيم مسؤوليَّات الحياة الزوجيَّة بين الطَّرَفين، والمنهج الحضاريّ في تكوين الأسرة المثاليَّة من منظور أئمَّة أهل البيت، معرِّجًا على إعانة الزوجة في المنزل، ورعاية الإمام عليّ للسيِّدة فاطمة، وإيثارها على نفسه في تحمُّل عمل البيت، وتعظيم حقِّ الأسرة، وتهذيب النفس على خدمة إفراد الأسرة، وجاء المبحث الثالث متناولًا العوامل النفسيَّة وأثرها في تكوين الأسرة المثاليَّة عند السيِّدة فاطمة والإمام علي، إذا ذكرتُ فيه صبر السيِّدة فاطمة للحالة الماديَّة للإمام عليّ، وخوفها على الإمام عليّ عند خروجه في المعارك والحروب.

المقدِّمة

لقد شرَّع الإسلام أحكامًا وقوانين، ووضع مناهج كاملة لأعداد المرأة وتربيتها وحفظ مصالحها ورعاية شؤونها ورقيها وبناء كيانها، ويمكننا مشاهدة الأسرة المثاليَّة ونتائج التربية الإسلاميَّة الرائعة من خلال التعرُّف على نساء صدر الإسلام، وربيبات الوحي والنبوَّة، ودراسة حياتهنَّ، والاطِّلاع على ميزاتهنَّ. ولا شكَّ أنَّ الزَّهراء عليها السلام سيِّدة نساء العالمين، مثال المرأة المسلمة؛ لأنَّها المرأة الوحيدة التي عاشت في ظلِّ أبيها المعصوم وزوجها المعصوم، وهي معصومة كذلك، فالجو الذي ترعرعت وكبرت فيه الزَّهراء وهو جو الطهارة والعصمة، إذ قضت سنيَّ الطفولة في أحضان النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله الذي صنع على عين الله وسنيّ الزواج وإدارة البيت وتربية الأبناء في بيت ثاني أكبر شخصيَّة إسلاميَّة، عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وفي مثل هذا البيت نجد الصورة الحيَّة المجسِّدة للمرأة التي تعيش في ظلِّ الإسلام وقوانينه ومناهجه التربويَّة.

وجاء اختيار عنوان الدراسة عن الأسرة المثالية في بيت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ودورها في تعزيز ديناميكيَّة الإصلاح (دراسة تحليليَّة) وجدتها مثالها الأعلى ونظامها الصحيح وقواعدها المستقيمة وتطبيقها السهل الميسَّر، فهي تلك الخلية الأولى للمجموعة البشريَّة، يبدأ تكوينها بالزواج بين الرجل والمرأة، الزواج الذي يربط بينهما برباط يراد له الدوام والاستقرار، ومن ثمَّ كان لا بدَّ من رعاية حقوق لكلٍّ منهما على الآخر، وواجبات على كلٍّ منهما، حتَّى يعلم ويعمل كلٌّ منهما ما له وما عليه، فتوفِّر لهما بذلك حياة طيِّبة يتحقَّق لها الدوام والاستقرار المنشودان، أمَّا المثاليَّة في اللغة العربيَّة:

فهي الطريقة المثلى، الأشبه بالحقِّ، فكلُّ ما أشبه الحقّ وطابق الحكمة، فهو مثال أعلى يحتذى به ويطلب الوصول إليه، فالمراد بالأسرة المثاليَّة في الاصطلاح: الأسرة التي وصلت بمقدراتها وتكوينها وبالتزاماتها الحقوق والواجبات وبمقاصدها إلى المثل الأعلى.

اقتضت مادَّة البحث تقسيمه على مقدِّمة وثلاثة مباحث وخاتمة، فضلًا عن قائمة المصادر والمراجع، تناول المبحث الأوَّل: مفهوم الأسرة المثاليَّة وتعريفها في اللغة والاصطلاح، وتعريف الأسرة في القرآن والسنَّة النبويَّة، وفي مفهوم علم الاجتماع والإسلام، وتعريف الأسرة في بيت السيِّدة فاطمة عليها السلام، وتضمَّن المبحث الثاني: تكوين الأسرة المثاليَّة بين الإمام عليّ والسيِّدة فاطمة، موضِّحًا مبادئ تكوين هذه الأسرة عند أئمَّة أهل البيت، والتي عمادها التكافؤ والمودَّة والرحمة، وتقسيم مسؤوليَّات الحياة الزوجيَّة بين الطرفَين، والمنهج الحضاريّ في تكوين الأسرة المثالية من منظور أئمَّة أهل البيت، معرِّجا على إعانة الزوجة في المنزل، ورعاية الإمام عليّ للسيِّدة فاطمة وإيثارها على نفسه في تحمُّل عمل البيت، وتعظيم حقِّ الأسرة، وتهذيب النفس على خدمة أفراد الأسرة، وجاء المبحث الثالث متناولًا العوامل النفسيَّة وأثرها في تكوين الأسرة المثاليَّة عند السيِّدة فاطمة، إذ ذكرت فيه صبر السيِّدة فاطمة للحالة الماديَّة للإمام عليّ، وخوفها على الإمام عليّ عند خروجه في المعارك والحروب.

اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر والمراجع، أبرزها كتاب الكافي للكلينيّ، الذي يعدُّ من أجلِّ كتب الشيعة، وأكثرها فائدة، وجمع هذا الكتاب من الأحاديث الشرعيَّة والإسرار الإلهيَّة ما لا يوجد في غيره، وكتاب بحار الأنوار للعلَّامة المجلسيّ، الذي يعدُّ من ناحية جمع الإخبار والروايات دائرة معارف شيعيَّة، وإنَّ ذوق المؤلِّف في تبويب الكتاب يثير الإعجاب، ومتابعته للآيات المتعلِّقة بالأبواب والموضوعات تحيِّر العقول، وكتاب نبيل الحسنيّ الموسوم هذه فاطمة، إذ يعدُّ كتابًا علميًّا يغوص في بحور

علوم بيت فاطمة عليها السلام، ويبيِّن أنَّ الكثير من النظريَّات التي قدَّمها علماء الاجتماع عند دراستهم للعائلة، هي نفسها التي وضعتها فاطمة عليها السلام قبل أربعة عشر قرنًا، وكتاب فاطمة الزَّهراء المرأة النموذجيَّة في الإسلام، للمؤلِّف إبراهيم الأمينيّ، إذ تضمَّن معلومات قيِّمة أغنت مادَّة الدراسة، وكتاب فاطمة الزَّهراء ودورها في الاصطلاح الاجتماعيّ، لمؤلِّفه إبراهيم الموسويّ، الذي قدَّم صورًا عن فاطمة الزَّهراء وشخصيَّتها وثقافتها وعلمها ومؤهِّلاتها الفكريَّة وقيمها الروحيَّة وآثارها الاجتماعيَّة.

المبحث الأوَّل

مفهوم الأسرة المثالية وتعريفها

أوَّلًا: الأسرة المثاليَّة في اللغة العربيَّة

الأسرة لغةً: الأسرة مأخوذ من الأسر بمعنى الشدّ والعصب[1]، قال الراغب الأصفهانيّ: «وأسرة الرجل من يتقوَّى بـه»[2]، قال تعالى: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾[3]، أشارة إلى حكمته تعالى في تراكيب الإنسان المأمور بتأمُّلها وتدبُّرها في قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[4].

وذكر ابن منظور: «وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون؛ لأنَّه يتقوَّى بهم»[5]، ولفظ الأسرة لم يرد ذِكره في القرآن الكريم، كذلك لم يستعمله الفقهاء في عباراتهم فيما نعلم، والمتعارف عليه الآن إطلاق لفظ الأسرة على الرجل ومن يعولهم من زوجة

(١) الزبيديّ، محمَّد بن محمَّد مرتضى الحسينيّ (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ٢٠١١)، ج٣، ص١٣.

(٢) الراغب الأصفهانيّ، أبو القاسم الحسن بن محمَّد (ت٥٠٢هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان، (دمشق: دار القلم، ٢٠٠٢)، ص٧٦.

(٣) سورة الإنسان: الآية ٢٨.

(٤) سورة الذاريات: الآية ٢١، الطبرسيّ، أبو عليّ الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القران، (طهران، انتشارات ناصر خسرو، ١٩٨٦)، ج٩، ص٢٣٢-٢٣٣.

(٥) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمَّد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ١٩٥٥)، ج٤، ص١٩.

وأصوله وفروعه، وهذا المعنى يعبِّر عنه الفقهاء قديمًا بألفاظ منها: الآل والأهل والعيال[1].

يتبيَّن ممَّا سبق أنَّ المقصود بالأسرة في اللغة جماعة الإنسان الذين يتقوَّى بهم ويحتمي بهم، فالإنسان لا يكون قويًّا عزيزًا في منعه إلَّا إذا كان في أسرة تحصِّنه وتمنعه.

الأسرة اصطلاحًا: من المعروف أنَّ الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع الكبير، بمعنى أنَّها تتكوَّن من مجموعة من البشر يعيشون تحت سقفٍ واحد، رغم ما بينهم من تنوُّع أو تفاوت، ومن مصلحتهم جميعًا أن يرتفع شأن هذه المؤسَّسة الاجتماعية من كافة النواحي؛ لأنَّ ارتفاع شأنها يعود على جميع أفرادها بالخير، وانخفاض شأنها ينعكس أيضًا على جميع أفرادها، شقاءً وتعاسةً وضيقًا في المورد[2]، والأسرة هي الأمَّة الصغيرة، منها تعلَّم النوع الإنسانيّ أفضل أخلاقه الاجتماعيَّة، وهي في الوقت نفسه أجمل أخلاقه وأنفعها.

أمَّا الأسرة بوجه عام، فهي الجماعة الصغيرة ذات الأدوار والمراكز الاجتماعيَّة مثل الزوج والأب والابن والابنة يربطها رباط الدَّم أو الزواج أو التبنِّي، وتشترك في سكن واحد، وتتعاون اقتصاديًّا، وترتكز الأسرة في العادة على زواج شخصَين ذكر وأنثى[3].

خلاصة القول: إنَّ الذي ينظر في تعريفات الأسرة يرى أنَّ بعضها يتَّسع وبعضها الآخر يضيق؛ ليحصرها في الزوجَين والاولاد، والواقع أنَّ الأسرة قد تكبر وقد تصغر، إلَّا أنَّها في الغالب تمثِّل المجموعة المتناسلة من الأب والأم، فهما الرباط بين هذه المجموعة، سواء كبرت أو صغرت، وهم غالبًا يعيشون تحت سقفٍ واحدٍ، وتجمعهم مصالح مشتركة.

(١) الصفَّار، فاضل، فقه الأسرة، (مركز الفقاهة، ٢٠٠٦)، ص٥٧.

(٢) العقَّاد، عبَّاس محمود، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، (بيروت: دار الكتاب العربيّ، ١٩٦٦)، ص٢٢٢.

(٣) حمَّادي، عبد المحسن، مدخل إلى أصول التربية، (الكويت: كويت تايمز، ١٩٩٥)، ص٩٠.

المثاليَّة لغةً: كلمة المثاليَّة مشتقَّة من مثل، يمثل، مثلًا ومثله بالرجل: نكل، كان ذلك مأخوذ من المثل بفتح الميم؛ لأنَّه إذا شنع في عقوبته جعله مثلًا وعلمًا، ومثل، يمثل، مثالة: فضل، والمثال جمع أمثلة، ومثل: المقدار والشيء والقصاص، المثالة بفتح الميم: الفضل وحسن الحال، والمثالي: الشخص الذي يستهدي في سيرته بالمثل العليا، وخاصَّة من يقدِّم المثل العليا على الاعتبارات العلميَّة[1]. وخلاصة القول إنَّ المثاليَّة في اللغة هي الشيء الذي يتَّخذ له مثلًا أعلى يستهديه.

المثاليَّة اصطلاحًا: كلمة المثاليَّة مأخوذة من الكلمة الانكليزيَّة IDEAL، ويشير المصطلح أيضًا إلى معنى المثل الأعلى خاصَّة في الفلسفة، وهو الذي وصل الغاية من النواحي الاجتماعيَّة أو الأخلاقيَّة أو الفنيَّة، ويتَّخذ قدوةً ونموذجًا يحتذى به[2]، أي بمعنى آخر هي القيم الراسخة التي يستند عليها المرء في سلوكيَّاته اليوميَّة، وكونها تدين بدين الإسلام، وتعبد الله وتتَّبع أحكام القرآن، وتسير على سنَّة الرسول الكريم سيِّد الأنام، وتتَّبع منهج أهل البيت عليهم السلام، فإنَّ القيم التي تبحث عنها ما هي إلَّا القيم الإيمانيَّة[3]. والخلاصة أنَّ المثاليَّة في الاصطلاح هي مترجمة، بمعنى المثل الأعلى، وهو الذي وصل الغاية من النواحي الاجتماعيَّة أو الأخلاقيَّة أو الفنيَّة، ويتَّخذ قدوةً ونموذجًا يحتذي به المرء في سلوكيَّاته اليوميَّة.

بعد الانتهاء من معاني الاصطلاحَين الأسرة والمثاليَّة، يتبيَّن لنا أنَّ الأسرة المثاليَّة هي مجموعة من الأفراد يعيشون تحت سقف واحد الذي وصل الغاية من النواحي الاجتماعيَّة أو الأخلاقيَّة أو الفنيَّة، ويتَّخذ قدوة ونموذجًا يحتذى به، وتنتشر بين أفرادها

(١) ابن فارس، أبو الحسن أحمد (ت٢٥٩هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (بيروت، الدار الإسلاميَّة، ١٩٩٠).

(٢) خليفة، عبد الله، الاتِّجاهات المثاليَّة في الفلسفة العربيَّة الإسلاميَّة، (بيروت: المؤسَّسة العربيَّة للدراسات، ٢٠٠٥)، ص٣٠٩.

(٣) ماهر، أحمد، الشخصيَّة المثاليَّة كيف نتعامل معها، (القاهرة: دار العلوم، ٢٠١٢)، ص١٨.

المودَّة والرحمة، وتتَّبع أحكام القرآن، وكونها تدين بدين الرسول الأكرم محمَّدﷺ، وأهل بيته، والقيم الإيمانيَّة في سلوكيَّات الحياة اليوميَّة، حتَّى تنبت منها مجتمعًا إسلاميًّا مثاليًّا.

ثانيًا: الأسرة في القرآن والسنَّة النبويَّة

لم ترد كلمة الأسرة في القرآن مطلقًا، وإنَّما وردت مرادفاتها على النحو الآتي:

أوَّلًا: الأهل

١. **في القرآن الكريم**: وردت كلمة أهل سبعًا وعشرين ومئة مرَّة، بإضافاتها المختلفة، وتنوَّعت دلالاتها:

- تدلُّ على الزوجة، كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا ..﴾[١].
- وتدلُّ على الزوجة والأولاد، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ..﴾[٢].
- وتدلُّ على أقرباء الرجل المقيمين معه: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[٣].
- وتدلُّ على معنى أوسع في القرابة: ﴿فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[٤].

٢. **في السنَّة النبوية**: نلاحظ عند البحث عن كلمة أهل بمعانيها المختلفة، وجدت الباحثة كثيرًا من الأحاديث التي تدلُّ على معنى الزوجة، كقولهﷺ: «**إنَّ من**

(١) سورة النمل: الآية ٧.
(٢) سورة التحريم: الآية ٦.
(٣) سورة الاعراف: الآية ٨٣.
(٤) سورة النساء: الآية ٣٥.

الغيرة غيرة يبغضها الله عزّ وجلّ، وهي غيرة الرجل من أهله من غير ريبة»[1]، وأيضًا وردت بمعنى أقرباء الرجل الذين يساكنونه، وتلزمه نفقتهم من زوجته و أبنائه، «**مَن جهَّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلَّف غازيًا في أهله بخير فقد غزا**»[2].

ثانيًا: العشيرة

١. **في القرآن الكريم**: ذكرت كلمة العشيرة ثلاث مرات فقط للدَّلالة على أقرباء الرجل.

- فمرَّة تدلُّ على القرابة القريبة، كقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[3].
- ومرَّة تدلُّ على القرابة البعيدة: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ..﴾[4].
- وأخرى تدلُّ على الزوج بمفرده: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾[5].

٢. **في السنَّة النبويَّة**: وردت عن عثمان بن عيسى عن سماعة عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله بنيا هو ذات يوم عند عائشة، إذ استأذن عليه رجل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة**»، فقامت عائشة فدخلت البيت، وأذن رسول الله للرجل[6].

(١) الشاهروديّ، عليّ النماز، مستدرك سفينة البحار، تحقيق: حسن بن عليّ النمازيّ، (طهران: مؤسَّسة البعثة، ١٤٠٩هـ)، ج٨، ص٩٧.
(٢) البروجورديّ، السيِّد، جامع أحاديث الشيعة، (قم: إسماعيل المعزِّي، ١٩٨٩)، ج٣، ص٢٢.
(٣) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.
(٤) سورة التوبة: الآية ٢٤.
(٥) سورة الحجّ: الآية ١٣.
(٦) المازندرانيّ، مولي محمَّد صالح، شرح أصول الكافي، تحقيق: عليّ عاشور، (بيروت: دار أحياء التراث العربيّ، ٢٠٠٨)، ج٩، ص٣٦٥.

ثالثًا: الرهط

١. وردت كلمة رهط في القرآن الكريم ثلاث مرَّات أيضًا، مرَّتين في آيتين متتاليتين من سورة هود: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ﴾[١]، والثالثة تدلُّ على الجماعة: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[٢].

٢. وجاءت كلمة رهط في السنَّة النبويَّة في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله يقول: «**انطلق ثلاثة رهط ممَّن كان قبلكم حتَّى اواهم المبيت إلى غار فدخلوه..**»[٣].

من خلال معاني الأسرة كاهل وعشيرة ورهط يتَّضح مدى عناية الإسلام بالأسرة، حتَّى أنَّه تعرَّض لأحكام الأسرة في أكثر من ناحية من نواحي المجتمع.

ثالثًا: الأسرة في مفهوم علم الاجتماع

حمل علم الاجتماع مفاهيم متعدِّدة للأسرة، فهي:

١. عربة الوعي الجمعي، ومن ثم فان النظام الأسري يشكل من الأمور التي تخضع لها الأسرة باعتبارها الوحدة الاجتماعية الأولى في البناء الاجتماعي من حيث تكوينها ونطاقها ووظائفها وعلاقة افرادها بعضهم ببعض ومحور القرابة وطقوس الزواج والطلاق والحضانة وشؤون المواريث([٤]).

---

(١) سورة هود: الآيات ٩١، ٩٢.

(٢) سورة النمل: الآية ٤٨.

(٣) القشيري، مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، كتاب التوبة، (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٣)، رقم الحديث ٢٧٤٣، ص ٢٦٢.

(٤) طربية، مأمون، السلوك الاجتماعي للأسرة، (بيروت: دار النهضة العربية، ٢٠١٢)، ص٣٤.

٢. الأسرة في طبيعتها اتِّحاد تلقائيّ تؤدي إليه الاستعدادات والقدرات الكامنة في الطبيعة البشريَّة النازعة إلى الاجتماع، وهي بأوضاعها ومراسيمها عبارة عن مؤسَّسة اجتماعيَّة تنبعث عن ظروف الحياة الطبيعيَّة التلقائيَّة للنظم والأوضاع الاجتماعيَّة[١].

رابعًا: الأسرة في الاسلام

وللإسلام مفهوم آخر للأسرة يتباين في الرؤى بحسب ما تمليه العناصر الثقافيَّة والعقائديَّة لدى الكاتب الإسلاميّ، ولذلك تابع اللغة والعرف العام، كما يقول علماء الأصول، وعلى هذا الأساس فالأسرة هي آية من آيات الله تعالى الخلقيَّة لسعادة الإنسان وحفظ عنصره وقطب عواطفه وبلورة إنسانيَّته ومنشأ قيمه الخلقيَّة ونواة حسِّه السيكولوجيّ والوجدانيّ، تنشا من رجل وامرأة يربطهما رباط مقدَّس، حظي بمكانة خاصَّة لم يحظَ غيره من العقود المواثيق في جميع المعاملات الفرديَّة أو الجماعيَّة بمثل ما خصَّه الله به، فسماه بـ﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[٢].

خامسًا: مفهوم الأسرة في بيت السيِّدة فاطمة

نظرت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام إلى الأسرة على أنَّها «حاضنة التكامل الإنسانيّ الذي يبحث عنه الرجل والمرأة كُلًّا في الآخر»[٣]، فقال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[٤]، والذي لايتبلور إلَّا بمحارة الزواج الذي شرعه الله ورسوله كي ينتج لألئ تزهر في جيل الحياة الإنسانيَّة.

(١) منصور، محمَّد منصور، المدخل إلى علم الاجتماع، (القاهرة: دار الخليج، ٢٠١٦)، ص٨٣.
(٢) سورة النساء: الآية ٢١، القرشيّ، باقر شريف، نظام الأسرة في الإسلام، (بيروت: دار الأضواء، ١٩٩٢)، ص١٨.
(٣) مطهَّري، مرتضى، حقوق المرأة في الإسلام، (بيروت: مؤسَّسة الإعلام، ١٩٨٥)، ص٨٦.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

وخلاصة القول: نحن في أمسِّ الحاجة إلى بيت فاطمة عليها السلام كي نفهم أسلوب الحياة الأسريَّة، ونتعلَّم المناهج في استمرار هذا البناء وتواصله، وندرك سبل التوافق والنسق العاطفيّ والنفسيّ بين الزوج والزوجة، ونستلهم طرق التنشئة الأسريَّة والمناهج التربويَّة الصحيحة التي خطَّها وسنَّها كتاب الله، وعتره النبيّ صلى الله عليه وآله.

المبحث الثاني

تكوين الأسرة المثاليَّة بين الأمام عليّ والسيِّدة فاطمة الزَّهراء

أوَّلًا: مبادئ تكوين الأسرة المثالية عند أئمَّة أهل البيت

أ. **التكافؤ**: يُشترط أن يكون التكافؤ هو الخطوة الأولى في منهاج بناء الحياة الزوجيَّة، وهو الركيزة التي ينطلق من خلالها الرجل والمرأة، إذ تنعدم مصداقيَّة التكافؤ بعد الاقتران، والتكافؤ لايمكن أن يتحقَّق في ضوء فقدان مفهوم الذات، فكيف لمن يريد أن يجد الاحترام لذاته، وهو جاهل بها؟ وكيف يمكن أن يطلب الإنسان التواصل مع شريك الحياة، وهو غير عارف بذاته؟ ومَن عجز عن فهم ذاته فهو أعجز عن فهم الآخر[1]. والشرط الأوَّل الذي ينبغي أن يكونه متوافرًا من أجل نجاح الزواج هو أن يكون هناك تكافؤ بين الرجل والمرأة، ومظاهر التكافؤ مايأتي:

١. التكافؤ العقيديّ.
٢. التكافؤ المادِّيّ.
٣. التكافؤ الأخلاقيّ.

وفي مجال التكافؤ العقيديّ يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾[2]، أي إنَّ المشركات لا تتزوَّجوا منهنَّ؛

(١) العامليّ، محمَّد بن الحسن الحرّ (ت١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة، (قم: مؤسَّسة إحياء التراث، ١٤١٢هـ)، ج٢٠، باب اختيار الزوجة.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢١.

لأنَّ التكافؤ من حيث العقيدة غير متوفِّر، إذ يجب أن تكون عقيدة الزوجة مماثلة لعقيدة الزوج، وذلك من أجل بناء الأسرة[1]، ونحن نعلم أنَّ هناك كثير من شبابنا الذين يسافرون إلى الخارج، ولاسيما الدول الغربيَّة، يتزوَّجون من أجنبيَّا،ت ثمَّ يأتون بهنَّ إلى الوطن، ثمَّ تبدأ المشاكل المستعصية التي تؤدِّي إلى خراب الأسرة.

أما في مجال التكافؤ المادِّيّ، فإنَّ الإمام الصادق عليه السلام يقول: «**الكفؤ أن يكون عنده دين، ولديه يسار**»، أي أن تكون أموره ميسَّرة، إذ لايجوز أن تزوِّج ابنتك من إنسان مُعدم لا يملك شيئًا؛ لأنَّه لن يكون هناك استقرار، فالاستقرار شرط أساسيّ لتربية الأولاد، والإسلام يهدف دائمًا إلى بناء أسرة متكاملة[2].

أمَّا التكافؤ الخلقيّ، فيشترط أن تكون أخلاق الزوج طيِّبة وحميدة؛ لئلَّا يتحوَّل البيت إلى جحيم لايطاق، يُروى أنَّ أحدهم كتب إلى الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام يقول له: «يابن رسول الله عندي قرابة في أخلاقه سوء خطب منِّي ابنتي، فهل أزوِّجه أم لا؟ فكتب إليه الإمام لا تزوِّجه إن كان سيِّئ الخلق؛ لأنَّ سوء الخلق سوف يحوِّل البيت إلى جحيم لا يُطاق، كما أسلفنا القول[3].

وخلاصة القول: فمن عرف ذاته استطاع معرفة كفؤه الذي سيشاركه مسيرة الحياة الزوجيَّة التي تتَّسم بالتوافق والانسجام والفهم، فعن الحسين بن خالد، عن الإمام الرضا عليه السلام مُسندًا إلى أمير المؤمنين، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: **يا عليّ لقد عاتبني رجال من قريش في أمر فاطمة وقالوا: خطبناها إليك فمنعتنا وزوَّجت عليا؟ فقلت لهم: والله**

(١) المهاجر، عبد الحميد، أعلموا أنِّي فاطمة: فاطمة الزَّهراء والحضارة الإسلاميَّة، (بيروت: دار الكتاب والعترة، ١٩٩٤)، ج٤، ص١٢٨.

(٢) الكلينيّ، محمَّد بن يعقوب بن إسحاق (ت٣٢٨هـ)، الكافي، تحقيق: مؤسَّسة إحياء الكتب، ج٦، (قم: مؤسَّسة أحياء الكتب، ١٣٦٣هـ)، ص٥٤.

(٣) الصدوق، أبو جعفر محمَّد بن عليّ (ت٣٨١هـ)، من لايحضره الفقيه، (بيروت: دار التعارف، ١٩٩٤)، ج٣، كتاب النكاح.

ما أنا منعتكم وزوَّجته، بل الله منعكم وزوَّجه، فهبط عليَّ جبرائيل فقال: يا محمَّد! إن الله جلَّ جلاله يقول: «لو لم أخلق عليًّا لما كان لفاطمة ابنتك كُفء على وجه الأرض، من آدم فمن دونه»[1]. بالالتفات إلى ذلك نفهم سرَّ تمنُّع رسول الله من تزويج السيِّدة فاطمة من أكابر الصحابة.

ب. **المودَّة والرَّحمة**: إنَّ المودَّة والرَّحمة سرُّ السعادة وبلسم الحياة، وبدونها تُصبح الحياة جحيمًا لا يُطاق، ومن أجل ذلك أفاض الحقُّ جلَّ وعلا بحار المودَّة والرحمة في البيوت المؤمنة؛ ليُسعِد أصحابها سعادة لا تنتهي أبدًا، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، وقد ربط الإسلام بين الزَّوجَين برباط المحبَّة يضمُّها كما يضمُّ اللباس الجسد، فيكون كلٌّ منهما لباسًا للآخر، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[3]، ولم يذكر الله الحبَّ نزوة جسديَّة، ولا يصلح أساسًا لدوام الثبات في الحياة الزوجيَّة، فكم رأينا رباطًا قام على الحبِّ، ثمَّ ما لبث أن تراخى وانتهى بالفرقة، أمَّا المودَّة والرحمة فهما رباط روحيّ منهما تنشأ المحبَّة لتلائِم بين جَسَدَين تعدُّهما الحياة مستقرَّة ومستمرَّة، ومشاركة في إنشاء أسرة[4].

قد يجعل الله سبحانه المودَّة في الرجل ولا يجعل فيه الرحمة، كما يوجد من أخلاق الجفاة، يحبُّ أحدهم زوجته، لكنَّه يعاملها معاملة المبغض من الضَّرب واللعن وشتم الإباء والأمَّهات، وقد يكلِّفها أعمالًا شاقَّةً، ويضيِّق عليها في النفقة الواجبة[5].

(١) الصدوق، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن بابويه (ت٤٢٠هـ)، عيون أخبار الرضا، (بيروت: مؤسَّسة الأعلميّ، ١٩٨٤)، ج٢، ص٢٠٢.

(٢) سورة الروم: الآية ٢١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

(٤) الترمانينيّ، عبد السلام، الزواج عند العرب في الجاهليَّة والإسلام، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٤)، ص١٤٩.

(٥) الجعفريّ، هادي، مجالس الزَّهراء ونظام الأسرة، (بيروت: دار المرتضى، ٢٠١٧)، ص٣٦.

وقد يجعل الله الرحمة في الشخص، ولا يجعل فيه المودَّة، كما يوجد من أخلاق بعض الفضلاء، يقع في نفس أحدهم عدم المودَّة الصافية منه لزوجته، لكنَّه يعاشرها بكرم الأخلاق وجميل الوفاق وبالعطف واللطف والإنفاق. إنَّ الناس متفاوتون في الأرزاق، الكمال التامّ متعذِّر من رجل وامرأة، فما من أحد إلَّا وفيه شي من النقص بحسبه، غير أنَّ الناس يتعاشرون بالشرف، وتندر البيوت المبنيَّة على المحبَّة، والرجل الكريم صاحب الخلق القويم يغضُّ عن الشي اليسير، فما استقصى كريم قطُّ[1].

والمودَّة بين الإمام عليّ وفاطمة، لانظير لها في تاريخ العلاقة الزوجيَّة بحيث لا نجد أي ثغرة في تاريخ هذه العلاقة المتميِّزة، وقد عبَّر الإمام عليّ عن ذلك بقوله: «**ما أغضبتها مدَّة حياتي معها، ولم تعصِ أمري مدَّة حياتي معها**»[2]، ويؤكِّد على هذ أيضًا الحوار الجميل بين الإمام عليّ والسيِّدة فاطمة عليها السلام، عندما تقول الزَّهراء: «**يا بن العمِّ ما عهدتني خائنة ولا كاذبة ولا خالفتك منذ عاشرتني**». الإمام عليّ: «**معاذ الله أنتِ أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفًا من الله من أن أوبِّخك بمخالفتي**»[3].

وكانت الزَّهراء تشجِّع زوجها وتمتدح شجاعته وتضحيته، وتشدُّ على يده للمعارك المقبلة، وتسكن جراحه وتمتصُّ آلامه وتسرِّي عنه تعبه، حتَّى قال الإمام عليّ: «ولقد كنت أنظر إليها فتنجلي عنِّي الهموم والأحزان بنظراتي إليها»[4].

(١) الأمينيّ، إبراهيم، فاطمة الزَّهراء المرأة النموذجيَّة في الإسلام، ترجمة عليّ جمال الحسينيّ، (قم: مؤسَّسة أنصاريان، ٢٠٠٣)، ص٦٢.

(٢) الخوارزميّ، أحمد بن محمَّد (ت٥٦٨هـ)، المناقب، تحقيق مالك المحموديّ، (قم: مؤسَّسة النشر، ١٤١٧هـ)، ص٣٥٣.

(٣) النيسابوريّ، محمَّد بن الفتَّال (ت٥٠٨هـ)، روضة الواعظين، (بيروت: مؤسَّسة الأعلميّ، ١٩٨٦) ج١، ص١٥١.

(٤) الموسويّ، إبراهيم، فاطمة الزَّهراء ودورها في الإصلاح الاجتماعيّ، (كربلاء: مطبعة ابن فهد الحِلِّيّ، ٢٠١٦)، ص٨٢.

وخلاصة القول: هذه هي فاطمة والإمام عليّ يعلم أنَّ الجندي المضحِّي يحتاج إلى من يمسح بالحنان قلبه، ويشجِّعه ويرفق به، فكان إذا دخل البيت سأل عمَّا يجري فيه في أثناء غيابه، وعمَّا تحمَّلته الزَّهراء من المشقَّة والعناء، وينثر محبَّته وودَّه، فيزيل أتعاب الجسد، ويهدي القلب المغموم بلطفه ويواسيها، فالمرأة تحتاج الرجل كي يغدق عليها حبَّه وحنانه، ويشعرها بإخلاصه لها وتشجيعه إيَّاها فيما تبذله من جهد، وتقوم به من دور، وهكذا عاش هذان الزوجان النموذجيَّان في الإسلام وأدَّيا واجبهما وضربا المثل الأعلى للأخلاق السامية.

ج. تقسيم مسؤوليَّات الحياة الزوجيَّة بين الإمام عليّ والسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليهما السلام:

من الأمور التي يقوم عليها كيان الأسرة، هو تقسيم مسؤوليَّات الحياة الزوجيَّة، فالرجل الذي يلقي بأعباء الحياة الزوجيَّة فوق عاتق المرأة، لا يمكن له أن يضمن دوام المحبَّة والاستقرار في الأسرة، ولذلك نجد أنَّ الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله قد وضع هذا المنهاج منذ الأيَّام الأولى لتكوين الأسرة المحمَّديَّة، فقد قسَّم مسؤوليَّات الحياة الزوجيَّة بين عليّ وفاطمة؛ كي يحفظ لهذه الأسرة الهدوء والطمأنينة، وكي تحيا بهم المودَّة، وتتعايش معهم الرحمة، وهو ما أوضحته الروايات[1]: روى الحميريّ القمِّيّ عن الصادق عليه السلام، وابن أبي شيبة عن حمزة بن حبيب، كلٌّ بسنده واللفظ للإمام أبي عبد الله جعفر بن محمَّد الصادق عن أبيه الباقر عليهما السلام قال: «تقاضى عليّ وفاطمة إلى رسول الله في الخدمة، فقضى على فاطمة عليها السلام بخدمتها ما دون الباب، وقضى على عليّ عليه السلام بما خلفه، قال فقالت فاطمة: **فلا يعلم ما بداخلي من السرور إلَّا الله بأكفاني رسول الله تحمل أرقاب الرجال**»[2].

(١) فضل الله، محمَّد حسين، الزَّهراء القدوة، (بيروت: دار الملاك، ٢٠٠٤)، ص٩٢.

(٢) الأصبهانيّ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (بيروت: دار الكتاب العربيّ، ١٩٦٧)، ج٦، ص١٠٤، المقدسيّ، موفَّق الدين عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن قدامة (ت٦٢٠هـ)، المغني، (القاهرة: مطبعة القاهرة، ١٩٦٤)، ج٧، ص٢٢٥.

وفي الرواية إشارة إلى ثلاثة بنود لنظام العائلة في الإسلام، وهي:

١. تقاسم الأدوار، بأن تكون مساحة من المسؤوليَّات على عاتق المرأة، ومساحة منها على كتف الرجل، إذا لا مقدرة لطرف واحد على تأدية كلّ الأدوار في عرض واحد، وذلك التقاسم بين طرفي الحياة الزوجيَّة كفيل بدقَّة وإتقان وكثرة الإنتاج بتكافل الطرفَين، وهو كفيل بحفظ المرأة من المشاكل المتنوِّعة التي ابتُليت بها النساء في عالمنا المعاصر من إهمال تربية الأولاد، وفقدان الحالة الأنقويَّة العفية ونشوء الخيانات الزوجيَّة وغيرها.

٢. أن يلحظ في توزيع الأدوار المناسبة، فتُعطى الادوار الخشنة أو التي تتطلَّب احتكاك مباشر ودائم بالخارج إلى الرجل، وتُعطى الأدوار العاطفيَّة الحافظة للعفاف للمرأة.

٣. أن يبذل كلّ طرف قصارى جهده في الإتيان بدوره على أكمل وجه، مهما كانت التبعات البدنيَّة[1].

وقد طُبِّقت كلُّ تلك البنود بحرفيَّة عالية في بيت علي وفاطمة عليهما السلام، فقد كفى عليّ فاطمة كلَّ ما يتطلَّب العمل خارج المنزل، وكفت فاطمة عليًّا شؤون المعيشة، وتكفُّل الأولاد داخل المنزل، وبذلت جهودًا كبيرة في هذا المجال، بحيث أنَّه روت أمّ سلمة أنَّ فاطمة عليها السلام جاءت إلى النبيّ تشكي إليه الخدمة، فقالت: **يا رسول الله لقد مجلت يداي من الرحى أطحن مرَّة، وأعجن مرَّة**[2].

وهاهنا تخطُّ سيِّدة النساء عليها السلام للمرأة نهجًا عظيمًا مفاده أنَّ خدمة المرأة في بيتها

(١) العالي، حسن، فاطمة مظهر النبوَّة وتجلِّي الإمامة، (بيروت: دار المحجَّة البيضاء، ٢٠١٤)، ج٢، ص١٩١-١٩٢.

(٢) الهيثميّ، أبو الحسن نور الدين (ت٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسيّ، (القاهرة: مكتبة القدسيّ، ١٩٩٤)، ج١٠، ص١٠٨.

بنفسها لا يضرُّ وجاهتها ولا شرفها، بل على العكس من ذلك، لأنَّ مباشرة المرأة الخدمة في بيتها سعادة ورضا زوجها، هذه غاية الغايات بالنسبة للمرأة المسلمة في نظر الشريعة الإسلاميَّة.

وعن أبي جعفرعليه السلام قال: «**جاءت امرأة للنبيِّصلى الله عليه وآله فقالت: يارسول الله مَن أعظم الناس حقًّا على الرجل؟ فقال: والده. فقالت: يا رسول الله مَن أعظم الناس حقًّا على المرأة؟ فقال: زوجها**»[1]، وعن رسول اللهصلى الله عليه وآله: «**ويلٌ لامرأة أغضبت زوجها، وطوبى لامرأة رضا عنها زوجها**»[2].

ثانيًا: المنهج الحضاريّ في تكوين الأسرة المثاليَّة عند أئمَّة أهل البيت

١. **إعانة الزوجة في المنزل:** ربَّما يجد البعض أنَّ قيام الرجل بإعانةالمرأة في إنجاز بعض أعمال البيت هو ممَّا لا يتناسب مع مقامه الذكوريّ، بينما يجد البعض الآخر تحميل المرأة المشاقّ هو من نتاج فرض ذكوريَّته عليها، في حين أنَّ إسهام الزوج في القيام ببعض أعمال البيت هو منهج حضاريّ يحقِّق للأسرة دوام المودَّة، ويُشعِر الزوجة بجوِّ الرحمة، كما يدلُّ على رسوخ المروؤة في شخص الرجل.

وعند النظر إلى بيت عليّ وفاطمةعليهما السلام، نجد أنَّ أمير المؤمنين كان أوَّل من وضع هذا المنهج الحضاري في حفظ الأسرة وسلامتها، فكانعليه السلام يعين السيِّدة فاطمة في إنجاز بعض الأعمال المترتِّبة على عاتقها، فيقوم بتنظيف الدار كي يدلّ بهذا العمل الإنسانيّ أنَّ الدار التي تجمعه مع شريكة حياته تستحقُّ أن يعتني بها؛ لأنَّها حاضنة الحبِّ الأسريّ، وهي الرمز لهذا الحبّ، وفي نفس الوقت يشير بهذا العمل إلى منهاج أخلاقيّ يُسفِر عن طباع الزوج تجاه شريكة حياته وأمّ أولاده، فهذه الطباع لا يمكن أن تنكشف أو تظهر للطرف الآخر إلَّا من خلال العشرة[3].

(١) الكلينيّ، المصدر السابق، ج٥، ص٥٠٧.
(٢) الصدوق، عيون اخبار الرضا، ص١٤.
(٣) الحسنيّ، المصدر السابق، ص٤٥.

وقد روى الإمام عليّ عليه السلام قال: «دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله، وفاطمة عند القدر، وأنا أُنقِّي العدس، فقال: **يا أبا الحسن لبَّيك، اسمع منِّي ما اقول، وما اقول إلَّا من أمر ربِّي، ما من رجل يعين امرأته في بيتها؛ إلَّا كان له بكلِّ شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله ثواب الصابرين والصدِّيقين**»[1].

وكفى بالباحث المتتبِّع لسبل الحياة الزوجيَّة بالنظر إلى منهاج عليّ وفاطمة عليهما السلام في تبادل تحمُّل مسؤوليَّات الحياة الزوجيَّة، وكفى ببيت فاطمة دلالة على التوافق الزواجيّ في جميع جوانب الحياة الأسريَّة.

٢. **رعاية الإمام عليّ للسيِّدة فاطمة وإيثارها على نفسه في تحمُّل عمل البيت**: من الصور الحياتيَّة الكاشفة عن طبيعة التعامل فيما بين الإمام عليّ والسيِّدة فاطمة عليهما السلام التي تقدِّم أنموذجا جديدًا في رفع مستوى الحبِّ والمودَّة فيما بين الزوجَين، هو قيام الزوج بإيثار زوجته على راحته، وحرصه في استحصال راحتها، على الرغم من احتياجه إلى ذلك، وهو ما كان مخالفًا ربَّما لكثير من الأعراف الاجتماعيَّة لدى الناس، إذ غالبًا من يقوم بالإيثار المرأة، فهي تقدِّم راحة زوجها على راحتها، لاسيما إذا كانت هذه المرأة قد نشأت في بيئات ذكوريَّة، أي: طغيان الجانب الرجوليّ على الجانب الأنثويّ الذي يلقي بجلِّ أتعابه على كاهل المرأة، في حين نجد أنَّ بيت عليّ وفاطمة عليهما السلام يعطي أنموذجًا أخلاقيًّا ينطق عن روح القرآن والإسلام الذي يقدِّم المرأة في مجال الرِّفق والعطف والرأفة على الرجل، ضمن قاعدة نبويَّة متوغِّلة في سيكولوجيَّة المرأة، فيقول صلى الله عليه وآله: «**المرأة ريحانة وليست كهرمانة**»[2]، ومن هذا النهج النبويّ في التعامل مع المرأة ينطلق الإمام عليّ عليه السلام، وهو التلميذ المطيع لرسول الله في تعامله مع زوجته وشريكة حياته.

(١) المجلسيّ، محمَّد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٨٣)، ج١٠١، ص١٣٢.

(٢) محمود، عرفان محمَّد، المرأة والجمال والحب، (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ٢٠٠٦)، ص٧٣.

فقد روى شاذان بن جبريل القمِّي قائلًا: «دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على عليّ وفاطمة وهما يطحنان الجاروس[1]، فقال النبيّ: «**أيُّكما أعيا**»؟فقال عليّ عليه السلام: «**فاطمة يارسول الله**»، فقال لها قومي يا بنيَّة، فقامت، وجلس رسول الله موضعها مع عليّ، فواساه في طحن الحبِّ[2].

تدل الرواية على مجموعة من الأمور:

- حبُّ رسول الله صلى الله عليه وآله المتساوي لهما، وحرصه على إعانة المتعَب منهما، سواء كان عليّ أو فاطمة عليهما السلام، في حين يكون الأمر لدى أغلب الناس تقديم الأب ابنته على زوجها؛ لأنَّها الأقرب إلى قلبه عن عاطفة الأبوَّة، لكنَّنا هنا نلتمس حبَّ رسول الله المتساوي لهما، وهذا فيما يخصُّ النبيّ من موضع النبوَّة لهما.
- أمَّا فيما يتعلق بموضوع التربية الأسريَّة، فالنبيّ صلى الله عليه وآله يقدِّم درسًا تربويًّا للآباء حينما يقومون بزيارة بيوت أبنائهم أو بناتهم، أن يعتمدوا على استخدام هذا الأسلوب التربويّ الكاشف عن إظهار الحبِّ لكِلَا الزوجَين، ممَّا يعزِّز أواصر المودَّة بين أفراد الأسرة، فضلًا عن دفع الهواجس النفسيَّة الغالبة أحيانًا كثيرة في إشعار الطرف الآخر في تحميل المرأة فوق طاقتها[3].

٣. تعظيم حقِّ الأسرة وتهذيب النفس على خدمة أفراد الأسرة: إنَّ التتبُّع للروايات التي تتحدَّث عن طبيعة الحياة الزوجيَّة لفاطمة عليها السلام، يكشف عن برنامج نبويّ مقتضب يتابع فيه أسلوب التعايش والمعاشرة فيهما بين هذَين الزوجَين؛ لغرض خلق البيت المثاليّ في الإسلام، ولذا ما فتئ الرسول صلى الله عليه وآله من تعدُّد زياراته لبيت فاطمة، وكثرة متابعته الحياة الأسريَّة الجديدة.

(١) رحى اليد يطحن بها القمح ونحوه ويجرش. ينظر: الطريحي، فخر الدين (ت١٠٨٥هـ)، مجمع البحرين، تحقيق أحمد الحسينيّ، (النجف الأشرف: مطبعة الآداب، ١٩٦١)، ج٢، ص٢٣.
(٢) الكعبيّ، علي موسى، سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء، (قم: مركز الرسالة، ١٩٩٩)، ص٧٢.
(٣) مهران، محمَّد بيُّومي، السيِّدة فاطمة الزَّهراء، (بيروت: دار الفارابيّ، ١٩٩٠)، ص١٦٢.

إنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يستغل تلك اللحظات التي يدخل فيها إلى بيت عليّ وفاطمة كي يضع الأسس والضوابط في تقنين تلك الحياة، ويرسم لكلٍّ منهما حدود ذلك التعايش المبني على قاعدة الحقوق والواجبات، وقاعدة العرض والطلب. وقد روى المحدِّث النوريّ عن عليّ عليه السلام أنَّه قال: «دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام جالسة عند القدر، وأنا أنقِّي العدس. فقال: يا أبا الحسن. قلت: لبَّيك يا رسول الله. قال: **اسمع وما أقول إلَّا ما أمر ربِّي، ما من رجل يعين امراته في بيتها إلَّا كان له بكلِّ شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله من الثواب ما أعطاه الله الصابرين وداوود النبيّ ويعقوب وعيسى عليهم السلام، يا عليّ مَن كان في خدمة عياله في البيت ولم يأنف، كتب الله اسمه في ديوان الشهداء، وكتب الله له بكلِّ يوم وليلة ثواب ألف شهيد، وكتب له بكلِّ قدم ثواب حجَّة وعمرة، وأعطاه الله تعالى بكلِّ عِرق في جسده مدينة في الجنَّة**»[1].

تعطي الرواية جملة من المعطيات النبويَّة في تحديد نظام هذه الحياة الأسريَّة، وتقنين حالة التعايش الحياتيّ بين الرجل والمرأة، وهي كما يأتي:

١. مداومة الإمام عليّ عليه السلام على اعانة فاطمة عليها السلام في عمل البيت، لاسيما في اعداد الطعام.

٢. حرص الشريعة على حفظ الأسرة وصيانتها.

٣. اهتمام الشريعة بالتربية النفسيَّة الأسريَّة من خلال تهذيب الأنا الذكوريَّة.

٤. الحكمة من ذِكر الأنبياء الثلاث في الرواية، هي لكون النبيّ داوود كان يعمل في صناعة الدروع، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾[2]، وهذا فيه دلالات عديدة تتناسب مع عمل الرجل في إعانة عياله وامرأته، أمَّا

(١) الطبرسيّ، ميرزا حسين النوريّ (ت١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسَّسة آل البيت، (بيروت: مؤسَّسة آل البيت، ١٩٨٨)، ج١٣، ص٤٨-٤٩.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٨٠.

فيما يخصُّ النبيّ يعقوبعليه السلام، فلكونه كان كثير العيال، وكثرة العيال تستلزم بذل جهود كبيرة في تنشئتهم ورعايتهم، فضلًا عن أنَّه قد ابتُلِيَ بفقدان أحد أبنائه وغيابه عنه، فبات لفقده جاري الدمعة عظيم الحزن، والنبيّ عيسىعليه السلام فهو لدوره المتميِّز في بيان حالة أسريَّة خاصَّة، قد أكَّدت عليها الشريعة الإسلاميَّة من آدم إلى نبيِّنا محمَّدصلى الله عليه وآله، ألا وهو برُّ الوالدة[1].

(١) الحسنيّ، المصدر السابق، ص٥٦-٥٧.

المبحث الثالث

العوامل النفسيَّة وأثرها في تكوين الأسرة المثاليَّة عند السيِّدة فاطمة عليها السلام

أوَّلًا: صبر السيِّدة فاطمة عليها السلام للحالة الماديَّة للإمام عليّ عليه السلام

قد تُظهر المرأة عدم الرضا أو الانزعاج عندما تكون بين أمرَين لا تستطيع الخضوع لأحدهما، فهي بين حالة سماعها للمديح أو الإطراء على زوجها لما يحمله من خصائص وامتيازات، وهي في نفس الوقت تحمل أيضًا خصائص وامتيازات قد تكون بنفس المستوى لما يحمله الزوج، فتصوَّر أنَّ ذلك تعريض بها، وبين أن تقرَّ بأفضليَّته عليها دون أن يمسَّ ذلك كبريائها، تقدِّم السيِّدة فاطمة النموذج الأمثل للمرأة عندما توضع في مثل هذه الحالات، فهي عليها السلام تظهر بأسلوب علميّ لكلِّ امرأة تنطبق عليها هذه الحالة، أو أنَّها واقعًا تعيشها وتعاني منها بكيفيَّة التعامل والتعايش معها، ومع الحالة الماديَّة الضنكة للزوج.

عن أبي حمزة، عن عليّ بن الحرور، عن القاسم بن أبي سعيد قال: أتت فاطمة عليها السلام النبيّ صلى الله عليه وآله، فذكرت ضعف الحالة، فقال لها: «**أما تدرين ما منزلة عليّ عندي؟ كفاني أمري وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وضرب بين يدي بالسيف وهو ابن ستّ عشرة سنة، وقتل الأبطال وهو ابن تسع عشرة سنة، وفرَّج همومي وهو ابن عشرين سنة، ورفع باب خيبر وهو ابن اثنين وعشرين سنة، وكان لا يرفعه خمسون**

رجلًا»[1]، قال: فأشرق وجه فاطمة عليها السلام، ولم تقرّ قدماها حتّى أتت عليًّا عليه السلام فأخبرته، فقال: **كيف لو حدَّثك بفضل الله عليَّ كلِّه**[2].

في هذا الحديث نجد أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد عالج هذه الشكوى بأسلوب خاصٍّ، إذ إن المرأة المتزوِّجة عندما تشكو ضعف الحال، فإنَّ هذا الضعف سببه الدخل المادِّيّ للزوج، فحال المرأة في الأسرة مرتبط بحال الرجل وضعه، هكذا هو الجاري في الأسر العربيَّة والإسلاميَّة سابقًا وحديثًا، على الرغم من وجود نساء كثيرات في نطاق العمل في الوقت الحاضر، لكن تبقى المرأة مرتبطة اقتصاديًّا بالرجل، وأيضًا أراد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أن يدفع هذا الإحساس بأمرَين، أوَّلهما: الترابط العاطفيّ والتماسك الروحيّ بين المرأة والرجل، فلا شيء يعين المرأة في الحياة غير الحبِّ والعاطفة الزوجيَّة، فكان حديثه عن عليّ عليه السلام محرِّكًا للشعور الوجدانيّ والعاطفيّ والانفعاليّ تجاه الزوج، والثاني: حقيقة حال الدنيا، وأنَّها مهما تكن من عسر أو يسر فهي فانية، ولذا أرجعها إلى مكان الخلود والبقاء حيث النعيم الدائم، فذكر لها فضائل عليّ عليه السلام عند الله سبحانه وتعالى.

ثانيًا: خوفها على الأمام عليّ عليه السلام عند خروجه في المعارك والحروب

الخوف في علم النفس والسلوك الإنساني هو: «انفعال يثيره الشعور بالخطر، وهو ارتكاس وجدانيّ سوي للعضويَّة المعرَّضة لتهديدٍ واقعيّ»[3]، وهنا نعرض حالة وجدانيَّة تمرُّ بها السيِّدة فاطمة، وهي ترى أنَّ هناك خطرًا يهدِّد حياة زوجها، فتبدو مظاهر القلق

(١) القندوريّ، سليمان بن إبراهيم (ت١٢٩٤هـ)، ينابيع المودَّة لذوي القربى، تحقيق: سيِّد عليّ جمال أشرف، (قم: دار الأسوة للطباعة، ١٤٢٢هـ)، ج١، ص١٢٥.

(٢) السيوطيّ، جلال الدين (ت٩١١هـ)، الدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، (بيروت: محمَّد أمين دمج، د.ت)، ج٥، ص٥٠، الأمينيّ، المصدر السابق، ص٦٤.

(٣) ماركس، ايزاكم.، التعايش مع الخوف فهم القلق ومعالجته، ترجمة محمَّد عثمان نجاتي، (بيروت: دار الشروق، د.ت)، ص١٥.

والبكاء عليها واضحة دون أن تتمالك نفسها من حبس هذا الشعور الممزوج بالخوف والقلق والاشفاق عليه عليه السلام، بل تعبِّر عنه بكلِّ وجدانيَّة.

وسنعرض روايَتَين تدور حول حديث واحد، لكلِّ رواية صورة تعبيريَّة عن الحالة الوجدانيَّة لفاطمة عليها السلام متضمِّنة العديد من الصور التي تعبِّر عن الحالة الوجدانيَّة والانفعاليَّة لفاطمة عليها السلام، وهي ترى أنَّ حياة زوجها وأبو أولادها في خطر حقيقيّ، فتندفع لـردِّ هذا العدوان والخطر، وإنَّ كلفها ذلك حياتها، كما حدث في الهجوم على دارها لإخراج أمير المؤمنين عليه السلام كي يبايع قهرًا، فتلحق به عليها السلام على الرغم ممَّا بها من آلام وجراح ونزف للدماء، وهي تنادي: «**خلُّوا ابن عمِّي أو لا كشفنَّ بالدُّعاء رأسي**»[1].

الرواية الأولى: ذكر أصحاب السِّير أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله كان ذات يوم جالسًا، إذ جاء أعرابيّ فجأة بين يديه، ثمَّ قال: إنِّي جئت لأنصحك. قال: وما نصيحتك؟ قال: قوم من العرب قد علموا على يبيتوك بالمدينة ووصفهم له، قال: فأمر أمير المؤمنين عليه السلام أن ينادي بالصلاة جماعة، فاجتمع المسلمون، فصعد الرسول صلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: «**أيُّها الناس إنَّ هذا عدو الله وعدوكم قد أقبل عليكم يزعم أنَّه يبيتكم بالمدينة، فمَن للوادي؟**»[2]، فقام رجل من المهاجرين فقال: أنا يارسول الله، قال: فناوله اللواء وضمَّ اليه سبعمائة رجل، وقال له: امضِ على اسم الله، فرجع خائبًا، وأرسل الرسول صلى الله عليه وآله آخر ورجع مثل ما فعل الأوَّل، وعندما طلب الرسول صلى الله عليه وآله من الإمام عليّ عليه السلام أن يذهب إلى الوادي، قال نعم. وكانت له عصابة لا يتعصَّب بها حتَّى يبعثه الرسول في أمرٍ شديد، فذهب إلى منزل فاطمة، فالتمس العصابة منها، فقالت: «**أين تريد؟ وأين بعثك أبي؟**»،

(١) الخويلديّ، حسن مكّي، فاطمة الزَّهراء الحجَّة والقدوة، (بيروت: دار المحجَة، ٢٠٠٨)، ص٣٩.

(٢) المفيد، محمَّد بن النعمان (ت٤١٣هـ)، الإرشاد، (بيروت: مؤسَّسة الأعلميّ، ٢٠٠٨)، ص١١٣.

قال عليه السلام: «**إلى وادي الرمل**»، فبكت إشفاقًا عليه، وعندما دخل الرسول عليها وهي على تلك الحالة، قال لها: «**ما لكِ تبكين؟ أتخافين أن يُقتل بعلك؟ كلَّا إن شاء الله**»، فقال عليّ عليه السلام: «**لا تنفس عليّ بالجنَّة يارسول الله**صلى الله عليه وآله»[1]، ثمَّ خرج ومعه لواء الرسول صلى الله عليه وآله، فمضى حتَّى وافى القوم بسحَر، فأقام حتَّى أصبح، ثمَّ صلَّى بأصحابه الغداة، وصفَّهم صفوفًا، واتَّكأ على سيفه مقبلًا على العدوِّ، فقال لهم: «**يا هؤلاء أنا رسول الله إليكم أن تقولوا لا إله إلَّا الله، أو أضربنكم بسيفي هذا، أنا عليّ بن أبي طالب**»[2]، فاضطرب القوم لـمَّا عرفوه، ثمَّ اجترُّوا على مواقعته فواقعهم، فقتل منهم ستَّة أو سبعة، وانهزم المشركون، وظفر المسلمون وحازوا الغنائم، وتوجَّه إلى الرسول صلى الله عليه وآله، وقد أنزل الله عزّ وجلّ في هذه الحادثة، قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾[3]، وتسمَّى الغزوة بوادي الرمل أو السلسلة[4]. وتشير الرواية إلى مناقب عديدة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام.

موضوع الشاهد قولها عليها السلام: أين تريد؟ وأين بعثك أبي؟ إلى وادي الرمل، فبكت إشفاقًا عليه عليها السلام؛ لأنَّها كانت غير عارفة بما سيحدث لزوجها أمير المؤمنين، وهو ذاهب إلى وادي الرمل، وأنَّ طلبه للعصابة كان كافيًا لخلق القلق، لأنَّها تدرك أنَّ هذه العصابة شعار الموت، وهي ناقوس الخطر، فلذا بكت، كما أخبرت الرواية، ولكن زال القلق والخوف عندما دخل الرسول صلى الله عليه وآله إلى بيت فاطمة، وقام بتبديد الغيوم وتحويلها إلى سحابة خير تمطر يقينًا بنجاة وسلامة زوجها قائلا: «**أتخافين أن يُقتَل بعلك؟ كلَّا إن شاء الله**»[5].

(١) الطبرسيّ، أبو عليّ الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، أعلام الورى بإعلام الهدى، (النجف الأشرف: المطبعة الحيدريَّة، ١٩٧٠)، ص٣٧٦.
(٢) الكورانيّ، جواهر التاريخ، (قم: دار الهدى، ١٤٢٦هـ)، ج٢، ص٥٧٣.
(٣) سورة العاديات: الآية ١.
(٤) شاهين، كوثر، الإمام عليّ والقيم الإنسانيَّة، (بيروت: دار التعارف، ٢٠٠٢)، ص٤٥.
(٥) حسن، ابراهيم الحاج حسن، الإمام عليّ مسيرة جهاد وعطاء إنسانيّ، (بيروت: دار المرتضى،=

بالطبع عندما يسمع الإنسان المؤمن من رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنَّ أثر ذلك على المشاعر والأحاسيس ليس كما يسمع من غيره، وبيت عليّ وفاطمة يضع قاعدة علميَّة لتبديد الصراع النفسيّ، والتغلُّب على القلق من خلال اتِّباع ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: «**خالف نفسك تستقم، وخالط العلماء تعلم**»، و«**اركب الحقّ وإن خالف هواك، ولا تتبع آخرتك بدنياك**».

أمَّا الرواية الثانية حول ما يمنع حصول تصارع بين الدوافع النفسيَّة كالرغبة في تكريس الحياة لخدمة الآخرين، وهو نفس الوقت الرغبة في تكوين المال، أو الصراع بين المثل العليا الداخليَّة والسلوك، فنوردها التماسًا للأجر؛ لأنَّها تصبُّ في نفس المنهل الذي نهلنا منه، وهو كيف كانت فاطمة عليها السلام، وهي في حالة الخوف على زوجها عليّ عليه السلام عند خروجه للقتال[1].

أخرج الشيخ الصدوق، عن يحيى بن زيد عن زيد بن عليّ، عن عليّ بن الحسين عليهم السلام قال: «خرج رسول الله ذات يوم وصلَّى الفجر، ثمَّ قال: **معاشر الناس أيُّكم ينهض إلى ثلاثة نفر قد آلو باللات والعزَّى ليقتلوني، وقد كذبوا وربِّ الكعبة**». قال: «فاحجم الناس وما تكلَّم أحد، فقال: **ما أحسب عليّ بن أبي طالب منكم**، فقام إليه عامر بن قتادة فقال: إنَّه وعك في هذه الليلة، ولم يخرج يصلِّي معك، فتأذن لي أن أخبره؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: شأنك. فمضى إليه فأخبره، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام كأنَّه نشط من عقال، وعليه إزار قد عقد طرفيه على رقبته. فقال: **يا رسول الله ما هذا الخبر؟** فقال: **هذا رسول ربِّي يخبرني عن ثلاثة نفر قد نهضوا إليَّ لقتلي، وقد كذبوا وربِّ الكعبة**. فقال عليّ عليه السلام: **يارسول الله أنا لهم سريَّة وحدي، وهو ذا ألبس عليَّ ثيابي**. فقال رسول الله: **بل هذه ثيابي،**

=٢٠٠٥)، ص١٠١، جياد، حاتم كريم، الإمام عليّ في كتابات المستشرقين الغربيِّين، (النجف: مكتبة الروضة الحيدريَّة، ٢٠١١)، ص١٠٨.

(١) الحسنيّ، المصدر السابق، ص٩٣.

وهذا درعي، وهذا سيفي، فدرَّعه وعمَّمه وقلَّده وأركبه فرسه، وخرج أمير المؤمنين عليه السلام فمكث ثلاثة أيَّام لا يأتيه جبرائيل بخبره، ولا خبر من الأرض، وأقبلت فاطمة بالحسن والحسين على وركيها تقول: **أوشك أن يؤتم هذين الغلامَين**، فأسبل النبيّ يبكي ثمَّ قال: **معاشر الناس من يأتيني بخبر عليّ أبشِّره بالجنَّة**. وافترق الناس في الطلب؛ لعظيم مارأوا بالنبيّ، وخرج العواتق، فاقبل عامر بن قتادة يبشِّر بعلي عليه السلام»[1].

الخاتمة

بعد هذه المسيرة البحثيَّة في رحاب السيِّدة فاطمة، ورؤيتها للأسرة المثاليَّة وتكوينها، لا بدَّ من لملمة نتائج هذه الدراسة من أجل رسم صورة واضحة ومتكاملة لها. إنَّ أهم ما توصَّلت إليه الدراسة:

١. إنَّ الأسرة المثاليَّة وفق رؤية السيِّدة فاطمة عليها السلام لها جذور راسخة وقويَّة متمثِّلة بكتاب سماويّ معجز (القرآن الكريم)، وإنسانيَّة متكاملة (أبيها النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله)، وإنسانيَّة عالية (زوجها عليّ بن أبي طالب عليه السلام).

٢. ظهر أثر القرآن الكريم في رسوخ مثاليَّة السيِّدة فاطمة في فهمها لكتاب الله، وتدبُّرها إيَّاه، والعمل بأحكامه.

٣. أوضحت الدراسة أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله كان له الأثر البالغ في تكوين الأسرة المثاليَّة عند السيِّدة فاطمة، في رعايته ووصاياه لها.

٤. إنَّ الزَّهراء كانت أنموذجًا يُحتذى ومثالًا يُقتدى به، وأُسوة حَسَنة للمرأة في الإسلام، فقد كانت سلام الله عليها إلى جنب طحن الحبوب بالرحى، كانت تسقي الماء، وتكنس المنزل، وتطبخ من الطعام ما تيسَّر لدرجه أنَّ يدها الشريفة

(١) المفيد، محمَّد بن محمَّد بن النعمان (ت٤١٣هـ)، الأمالي، تحقيق: حسن الأستاذ ولي، (قم: مؤسَّسة النشر، ١٤٢٥هـ)، ص١٦٦.

مجلت من الطحن، وجسدها الشريف كانت ترتسم على صفحته آثار نقل الماء بالقِربة.

٥. تحمَّلت فتاة الإسلام المثاليَّة في بيتها الجديد عند عليّ بن أبي طالب وزير النبيّ ومشاوره الأوَّل، وظائف جسمية ومسؤوليَّات عظيمة، إذا كان عليها أن ترسم معالم البيت الإسلاميّ النموذجيّ، وتعطي الدروس العلميَّة لنساء العالم أجمع عن الوفاء والحبِّ والانسجام وحسن التبعُّل وتربية الأبناء والقيام بواجبات البيت والاحتفاظ بدفئه وحرارته وطراوته، فكانت القدوة الصالحة.

٦. هلى يده لتعده للمعارك المقبلة، وتسكن جراحه، وتمتص آلامه، وتسرِّي عنه أتعابه، حتَّى قال الإمام عليّ عليه السلام: «**ولقد كنت أنظر إليها فتنجلي عنِّي الغموم والأحزان بنظرتي إليها**».

٧. جسَّدت الزَّهراء داخل الأسرة المثل الأعلى في الوفاء بحقوق ومتطلَّبات جميع الروابط بحقوق علاقة الأبوَّة وعلاقة الزوجيَّة وعلاقة الأمومة، وبذلك كانت من العظمة بمكان.

فيا أيَّتها المرأة تدعوك الزَّهراء لتمثيل العظمة في كلِّ تلك الروابط، فإنَّها خيوط وقنوات العظمة، والإسلام عظَّم المرأة من هذه الجهات، كانت الزَّهراء عليها السلام تشجِّع زوجها وتمتدح شجاعته وتضحيته.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. ابن فارس، أبو الحسن أحمد (ت٢٥٩هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (بيروت: الدار الإسلاميَّة، ١٩٩٠).

٢. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمَّد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ١٩٥٥).
٣. الأصبهانيّ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (بيروت: دار الكتاب العربيّ، ١٩٦٧).
٤. المقدسيّ، موفَّق الدين عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن قدامة (ت٦٢٠هـ)، المغني، (القاهرة: مطبعة القاهرة، ١٩٦٤).
٥. الأمينيّ، إبراهيم، فاطمة الزَّهراء المرأة النموذجيَّة في الإسلام، ترجمة عليّ جمال الحسينيّ، (قم: مؤسَّسة أنصاريان، ٢٠٠٣).
٦. البروجورديّ، السيِّد، جامع أحاديث الشيعة، (قم: إسماعيل المعزي، ١٩٨٩).
٧. الترمانينيّ، عبد السلام، الزواج عند العرب في الجاهليَّة والإسلام، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٤).
٨. الجعفريّ، هادي، مجالس الزَّهراء ونظام الأسرة، (بيروت: دار المرتضى، ٢٠١٧).
٩. حسن، ابراهيم الحاج حسن، الإمام عليّ مسيرة جهاد وعطاء إنسانيّ، (بيروت: دار المرتضى، ٢٠٠٥).
١٠. جياد، حاتم كريم، الإمام عليّ في كتابات المستشرقين الغربيِّين، (النجف: مكتبة الروضة الحيدريَّة، ٢٠١١).
١١. حمَّادي، عبد المحسن، مدخل إلى أصول التربية، (الكويت: كويت تايمز، ١٩٩٥).
١٢. خليفة، عبد الله، الاتِّجاهات المثاليَّة في الفلسفة العربيَّة الإسلاميَّة، (بيروت: المؤسَّسة العربيَّة للدراسات، ٢٠٠٥).

١٣. الخوارزميّ، أحمد بن محمَّد (ت٥٦٨هـ)، المناقب، تحقيق مالك المحموديّ، (قم: مؤسَّسة النشر، ١٤١٧هـ).

١٤. الخويلديّ، حسن مكّي، فاطمة الزَّهراء الحجَّة والقدوة، (بيروت: دار المحجَّة، ٢٠٠٨).

١٥. الراغب الأصفهانيّ، أبو القاسم الحسن بن محمَّد (ت٥٠٢هـ)، مفردات ألفاظ القران، تحقيق: صفوان عدنان، (دمشق: دار القلم، ٢٠٠٢).

١٦. الطريحي، فخر الدين (ت١٠٨٥هـ)، مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسينيّ، (النجف الأشرف: مطبعة الآداب، ١٩٦١).

١٧. الزبيديّ، محمَّد بن محمَّد مرتضى الحسينيّ (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ٢٠١١).

١٨. السيوطيّ، جلال الدين (ت٩١١هـ)، الدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، (بيروت: محمَّد أمين، د.ت).

١٩. الشاهروديّ، عليّ النمازيّ، مستدرك سفينة البحار، تحقيق: حسن بن عليّ النمازيّ، (طهران: مؤسَّسة البعثة، ١٤٠٩هـ).

٢٠. شاهين، كوثر، الإمام عليّ والقيم الإنسانيَّة، (بيروت: دار التعارف، ٢٠٠٢).

٢١. الصدوق، أبو جعفر محمَّد بن عليّ (ت٣٨١هـ)، من لا يحضره الفقيه، (بيروت: دار التعارف، ١٩٩٤).

٢٢. الصدوق، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن بابويه (ت٤٢٠هـ)، عيون أخبار الرضا، (بيروت: مؤسَّسة الأعلميّ، ١٩٨٤).

٢٣. الصفَّار، فاضل، فقه الأسرة، (مركز الفقاهة، ٢٠٠٦).

٢٤. الطبرسيّ، أبو عليّ الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، أعلام الورى بإعلام الهدى، (النجف الأشرف: المطبعة الحيدريَّة، ١٩٧٠).

٢٥. الطبرسيّ، أبو عليّ الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، (طهران، انتشارات ناصر خسرو، ١٩٨٦).

٢٦. الطبرسيّ، ميرزا حسين النوريّ (ت١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسَّسة آل البيت، (بيروت: مؤسَّسة آل البيت، ١٩٨٨).

٢٧. طربية، مأمون، السلوك الاجتماعيّ للأسرة، (بيروت: دار النهضة العربيَّة، ٢٠١٢).

٢٨. العالي، حسن، فاطمة مظهر النبوَّة وتجلِّي الإمامة، (بيروت: دار المحجَّة البيضاء، ٢٠١٤).

٢٩. العامليّ، محمَّد بن الحسن الحرّ (ت ١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة، (قم: مؤسَّسة إحياء التراث ١٤١٢هـ).

٣٠. العقَّاد، عبَّاس محمود، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، (بيروت: دار الكتاب العربيّ، ١٩٦٦).

٣١. فضل الله، محمَّد حسين، الزَّهراء القدوة، (بيروت: دار الملاك، ٢٠٠٤).

٣٢. القرشيّ، باقر شريف، نظام الأسرة في الإسلام، (بيروت: دار الأضواء، ١٩٩٢).

٣٣. القشيريّ، مسلم بن الحجَّاج (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، كتاب التوبة، (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٣).

٣٤. القندوريّ، سليمان بن إبراهيم (ت١٢٩٤هـ)، ينابيع المودَّة لذوي القربى، تحقيق: سيِّد عليّ جمال أشرف، (قم: دار الأسوة للطباعة، ١٤٢٢هـ).

٣٥. الكعبيّ، عليّ موسى، سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء، (قم: مركز الرسالة، ١٩٩٩).

٣٦. الكلينيّ، محمَّد بن يعقوب بن إسحاق (ت٣٢٨هـ)، الكافي، تحقيق مؤسَّسة إحياء الكتب ج٦، (قم: مؤسَّسة أحياء الكتب، ١٣٦٣هـ).

٣٧. الكورانيّ، جواهر التاريخ، (قم: دار الهدى، ١٤٢٦هـ).

٣٨. ماركس، إيزاكم، التعايش مع الخوف فهم القلق ومعالجته، ترجمة محمَّد عثمان نجاتي، (بيروت: دار الشروق، د.ت).

٣٩. المازندرانيّ، مولي محمَّد صالح، شرح أصول الكافي، تحقيق: عليّ عاشور، (بيروت: دار أحياء التراث العربيّ، ٢٠٠٨).

٤٠. ماهر، أحمد، الشخصيَّة المثاليَّة كيف نتعامل معها، (القاهرة: دار العلوم، ٢٠١٢).

٤١. المجلسيّ، محمَّد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٨٣).

٤٢. محمود، عرفان محمَّد، المرأة والجمال والحب، (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ٢٠٠٦).

٤٣. مطهَّري، مرتضى، حقوق المرأة في الإسلام، (بيروت: مؤسَّسة الإعلام، ١٩٨٥).

٤٤. المفيد، محمَّد بن محمَّد بن النعمان (ت٤١٣هـ)، الأمالي، تحقيق: حسن الأستاذ ولي، (قم: مؤسَّسة النشر، ١٤٢٥هـ).

٤٥. المفيد، محمَّد بن النعمان (ت٤١٣هـ)، الإرشاد، (بيروت: مؤسَّسة الأعلميّ، ٢٠٠٨).

٤٦. منصور، محمَّد منصور، المدخل إلى علم الاجتماع، (القاهرة: دار الخليج، ٢٠١٦).

٤٧. المهاجر، عبد الحميد، اعلموا أنِّي فاطمة: فاطمة الزَّهراء والحضارة الإسلاميَّة، (بيروت: دار الكتاب والعترة، ١٩٩٤).

٤٨. مهران، محمَّد بيُّومي، السيِّدة فاطمة الزَّهراء، (بيروت: دار الفارابيّ، ١٩٩٠).

٤٩. الموسويّ، إبراهيم، فاطمة الزَّهراء ودورها في الإصلاح الاجتماعيّ، (كربلاء: مطبعة ابن فهد الحِلِّيّ، ٢٠١٦).

٥٠. النيسابوريّ، محمَّد بن الفتَّال (ت٥٠٨هـ)، روضة الواعظين، (بيروت: مؤسَّسة الأعلميّ، ١٩٨٦).

٥١. الهيثميّ، أبو الحسن نور الدين (ت٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسيّ، (القاهرة: مكتبة القدسيّ، ١٩٩٤).

الحوار الإنسانيّ البنَّاء في سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

د. منى محمَّد يونس
أستاذ في كليَّة التربية/ الجامعة اللبنانيَّة

ملخَّص البحث

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسَلين أبي القاسم محمَّد، وعلى آله الطيِّبين الطاهرين.

مهما زرعت العولمة في عصرنا الحديث من نظريَّات تربويَّة واجتماعيَّة مشوَّهة وملوثة في عقول الناشئة، يبقى الفكر المحمَّديّ الأصيل على أصالته، هذه الأصالة المستمدَّة من نهج النبيّ صلى الله عليه وآله، وأهل بيته الأطهار، من الأئمَّة المعصومين والصدِّيقين والأبرار، وكذلك لا يمكن المحافظة على هذه الرسالة ومقاومة التشويهات الفكريَّة والتربويَّة إلَّا بالاقتداء بهم، والسَّير على خطاهم، ومنهم سيِّدة نساء العالمين، وأمِّ أبيها ، ابنة المعصومين وأخت المعصومين، مَن سَمَت فَعَلَت، ومَن تألَّقت فأنارت، وبنورها الكون أضاءت، إنَّها حافظة الرسالة بقلبها، ومعلِّمة الأجيال بدمعها، إنَّها سيِّدتي ومولاتي فاطمة الزَّهراء (عليها أفضل الصلاة والسلام).

يُعتبر الحوار البَناء مدماكًا أساسيًّا من مداميك التواصل الإنسانيّ الفعَّال، وأساسًا لقيام الحضارات الإنسانيَّة، وقد ورد في القرآن الكريم في سورة النحل: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾. كذلك يُعرَّف الحوار بأنَّه

شكلٌ من أشكالِ التواصل اللفظي أو الكلاميّ بين شخصَين أو أكثر، ووسيلة للتفاهم بين الأفراد والشعوب، وطريقة للدعوة إلى الأديان، ويُعتبر سمة حضاريَّة لمن يلتزم بقواعده (Bennett, 2018). أمَّا الحوار البنَّاء فمعناه أعمق وأشمل، إذ يكمنُ وراء تحقيقه هدف حقيقيّ ذي فائدة، وينتهي إلى نتائج منشودة، ويتمُّ بطريقة عقلانيَّة لائقة وهادئة، تخلو من التشنُّجات والأكاذيب والتطرُّف وتوجيه الاتِّهامات، كما يقوم على إقناع بعض الأطراف بضرورة التخلِّي عن بعض مبادئها أو قناعاتها حول مسألةٍ معيَّنة، حملت تجاهها أفكارًا خاطئة أو مغلوطة (ldoceonline, 2018).

انطلاقًا من كلِّ ذلك، كان هذا البحث ليُظهر فرضيَّة أنَّ الحوراء الإنسيَّة، والدرَّة النقيَّة، والثمرة الزكيَّة، فاطمة عليها أفضل الصلاة والسلام، كانت حاملة الأمانة، ومؤدِّية الأمانة، وقد تمرسَّت بالتحاور والتثاقف منذ نعومة أظافرها، وارتقت بفكرها الأصيل النابع من التفاعل بين الوَعْيُ الذَّاتِيُّ وَعَلَاقَتُهُ بالإقْنَاعِ الِاجْتِمَاعِيِّ؛ لأنَّها عرفت مسارًا تربويًّا صحيحًا، بدءًا في تلقِّيها المعارف الحياتيَّة والدينيَّة من رسول الله صلى الله عليه وآله، وممارساتها التعاليم والتجارب مع زوجها، باب مدينة العلم، الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومع الإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام، والسيِّدة زينب عليها السلام، كما اعتمد أيضًا على تأثير العوامل الثقافيَّة، التعليميَّة، والاجتماعيَّة التي تواجدت داخل العائلة، لما لها من دورٍ مهمٍّ في تنمية شخصيَّتها، فشكلت نموذجًا تربويًّا وإنسانيًّا مميَّزًا، ليتمَّ صقل الفكر الإنسانيّ ببناء الفِكْرُ المَنْظُومِيُّ الإِسْلَامِيُّ المنبثق من كلاَمِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام، لذا نطرح السؤال الآتي:

كيف تُسهم الأبعاد الفِكْرِيَّة والتربويّة وَالْمُعْطَيَات الوَعْظِيَّة في خِطَابِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها أفضل الصَّلاة والسَّلام في تذكية الحوار، وتحويله إلى حوارٍ إنسانيّ بنَّاء عند الأجيال الصاعدة؟.

كذلك يُعتبر الحوار الإنسانيّ البنَّاء الوارد في كلام سيِّدتنا ومولاتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام، هو جوهر بحثنا؛ «لأنَّ المناهج في لبنان تسعى إلى تعزيز الحوار بين أبناء الوطن المختلفين من حيث انتماءاتهم العقائديَّة، ويتحقَّق ذلك من خلال المشاركة في العمل الاجتماعيذ والسياسيّ، ضمن إطار النظام اللبنانيّ الديموقراطيّ البرلمانيّ، وهذا حقٌّ للمواطن، وواجب عليه تجاه مجتمعه ووطنه». (التربويّ، م.س، ٣).

تتجلى أهميَّة البحث فيما يأتي:

- تسليط الضوء على السِّمَاتُ القِيَادِيَّةُ وَالمَسْؤُولِيَّةُ الاِجْتِمَاعِيَّةُ فِي شَخْصِيَّةِ الزَّهْرَاءِ (عليها أفضل الصلاة والسلام).
- تبني إستراتيجيَّات السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام الحياتية والحواريَّة، ومواقفها في سبيل تحقيق الوَعْي الذَّاتِيّ عند الأجيال الجديدة لمدِّ جسور الإنسانيَّة مع الإنسان الآخر المختلف عقائديًّا واجتماعيًّا.
- الإضاءة على الفِكْر المَنْظُومِيّ الإِسْلَامِيّ فِي كلاَمِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام، ومدى تأثيره في المتعلِّمين على اختلاف مستوياتهم وانتماءاتهم العقائدية والطائفية.

أمَّا أهمُّ النقاط التي سيتناولها البحث، فهي:

١. مفهوم الحوار الإنسانيّ البنَّاء.
٢. فكر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام التربويّ والإجتماعيّ.
٣. بناء المواطن المتحضِّر المُحاور القادر على التثاقف مع غيره من الناس، انطلاقًا من نموذجٍ صالح.
٤. دور السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في تطوير الخبرات التربويَّة والاجتماعيَّة.

٥. إعطاء أمثلة من كلام السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، يساعد في صناعة التغيير لبناء مستقبلٍ إنسانيّ أفضل.

الكلمات المفتاحيَّة: الحوار البنَّاء، الحوار الإنساني، التثاقف، التربية، المعطيات الوعظيّة، الفكر التربويّ.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمَّد وعلى آله الطيِّبين الطاهرين.

مهما زرعت العولمة في عصرنا الحديث من نظريَّات تربويَّة واجتماعيَّة مشوَّهة وملوَّثة في عقول الناشئة، يبقى الفكر المحمَّديّ الأصيل على أصالته، هذه الأصالة المستمدَّة من نهج النبيّ ﷺ وأهل بيته الأطهار، من الأئمَّة المعصومين والصدِّيقين والأبرار، كما لا يمكن المحافظة على هذه الرسالة، ومقاومة التشويهات الفكريَّة والتربويَّة إلَّا بالاقتداء بهم، والسير على خطاهم، ومنهم سيِّدة نساء العالمين وأمّ أبيها، ابنة المعصومين وأخت المعصومين، من سمَت فعلَت، ومن تألَّقت فأنارت، وبنورها الكون أضاءت، إنَّها حافظة الرسالة بقلبها، ومعلِّمة الأجيال بدمعها، إنَّها سيِّدتي ومولاتي فاطمة الزَّهراء (عليها أفضل الصلاة والسلام).

يُعتبر الحوار البنَّاء مدماكًا أساسيًّا من مداميك التواصل الإنسانيّ الفعَّال، وأساسًا لقيام الحضارات الإنسانيَّة، وقد ورد في القرآن الكريم في سورة النحل: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾. كذلك يُعرَّف الحوار بأنَّه شكلٌ من أشكالِ التواصل اللفظيّ أو الكلاميّ بين شخصَين أو أكثر، ووسيلةٌ للتفاهم بين الأفراد والشعوب، وطريقة للدعوة إلى الأديان، ويُعتبر سمة حضاريَّة لمن يلتزم بقواعده (Bennett، ٢٠١٨). أمَّا الحوار البنَّاء فمعناه أعمق وأشمل، إذ يكمنُ وراء تحقيقه هدفٌ حقيقيّ ذي فائدة، وينتهي إلى نتائج منشودة، ويتمُّ بطريقة عقلانيَّة لائقة

وهادئة، تخلو من التشنُّجات والأكاذيب والتطرُّف وتوجيه الاتِّهامات، كما يقوم على اقتناع بعض الأطراف بضرورة التخلِّي عن بعض مبادئها أو قناعاتها حول مسألةٍ معيَّنة، حملت تجاهها أفكارًا خاطئة أو مغلوطة (Idoceonline، ٢٠١٨)

ولـمَّا كانت التربية تقوم على تعديل القيم الأخلاقيَّة المستمدَّة من القواعد الدينيَّة، والمبادئ الاجتماعيَّة، والتي تساهم في توجيه سلوك الأفراد داخل مجتمعهم، كان لا بدَّ من التوغُّل في حياة الصالحين كسيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام؛ للاكتساب من قدراتها ومهاراتها الحواريَّة النيِّرة وتجاربها الحياتيَّة المعاشة في كنف بيت النبوَّة ومعقل الرسالة، والتزوُّد من معطياتها الوعظيَّة الكثير من المفاهيم التربويَّة والاجتماعيَّة التي يحتاجها الإنسان في تطوير كفاءاته في الحوار وتقويم شخصيته، لاسيما المتعلِّمين من أبنائنا في أعمارٍ صغيرة قادرة على تعديل سلوكها.

انطلاقًا من كلِّ ذلك كان هذا البحث ليُظهر أنَّ الحوراء الإنسيَّة، والدرَّة النقيَّة والثمرة الزكيَّة، فاطمة عليها أفضل الصلاة والسلام، كانت حاملة الأمانة، ومؤدِّية الأمانة، وقد تمرَّست بالتحاور والتثاقف منذ نعومة أظافرها، وارتقت بفكرها الأصيل النابع من التفاعل بين الوَعْيُ الذَّاتِيُّ، وَعَلَاقَتُهُ بالإقْنَاعِ الِاجْتِمَاعِيِّ؛ لأنَّها عرفت مسارًا تربويًّا صحيحًا بدأ في تلقِّيها المعارف الحياتيَّة والدينيَّة من رسول الله صلى الله عليه وآله، وممارستها التعاليم والتجارب مع زوجها الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومع الإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام، والسيِّدة زينب عليها السلام، وقد اعتمد أيضًا على تأثير العوامل الثقافيَّة، والتعليميَّة والاجتماعيَّة التي تواجدت داخل العائلة، لما لها من دور مهم في تنمية شخصيَّتها، فشكَّلت نموذجًا تربويًّا وإنسانيًّا مميَّزًا ليتمَّ صقل الفكر الإنسانيّ ببناء الفِكْر المَنْظُومِيّ الإِسْلَامِيّ المنبثق من كلاَمِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام. لذا نطرح السؤال الآتي:

كيف تسهم الأبعاد الفِكْرِيَّة والعَقَائِدِيَّة وَالمُعْطَيَات الوَعْظِيَّة في خِطَابِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها أفضل الصلاة والسلام في تذكية الحوار وتحويله الى حوار إنسانيّ بنَّاء عند الأجيال الصاعدة؟.

كذلك يُعتبر الحوار الإنسانيّ البناء الوارد في سيرة سيِّدتنا ومولاتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام، هو جوهر بحثنا؛ لأن المناهج في لبنان تسعى إلى تعزيز الحوار بين أبناء الوطن المختلفين من حيث انتماءاتهم الطائفيَّة والمذهبيَّة، ويتحقَّق ذلك من خلال المشاركة في العمل الاجتماعيّ والسياسيّ ضمن إطار النظام اللبنانيّ الديموقراطيّ البرلمانيّ، وهذا حقٌّ للمواطن وواجب عليه تجاه مجتمعه ووطنه (التربوي، م.س، ٣).

أمَّا أهمّ النقاط التي سيتناولها البحث فهي:

١. مفهوم الحوار الإنسانيّ البنَّاء.
٢. فكر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام التربوي والاجتماعيّ.
٣. بناء المواطن المتحضِّر المحاور القادر على التثاقف مع غيره من الناس انطلاقًا من نموذج صالح.
٤. دور السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في تطوير الخبرات التربويَّة والاجتماعيَّة.
٥. إعطاء أمثلة من كلام السيِّدة الزَّهراء، تُساعد في صناعة التغيير لبناء مستقبلٍ إنسانيٍّ أفضل.

أوَّلًا: منهجية البحث

أهداف البحث

تهدف هذه الدراسة إلى:

١. إيضاح الاِتِّزَان الاِنْفِعَالي وَالحِكْمَة في التجارب المُعاشة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

٢. تبيان المهارات والقدرات المعرفيَّة المهمَّة التي تُظهر ذكاء وحكمة سيِّدة نساء العالمين في الحوار والتثاقف مع الآخر المختلف عقائديًّا وفكريًّا.

٣. ذكر الممارسات العمليَّة لبعض المواقف الحياتيَّة الاجتماعيَّة التي مرَّت بها السيِّدة الزَّهراء.

٤. اكتساب خبرات تربويَّة في مجال الحوار من مسيرة السيِّدة الزَّهراء، ممَّا يخدم الأجيال الصاعدة.

الإشكاليَّة

تعتبر حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام غنيَّة جدًّا بالمواقف والتجارب، رغم وفاتها في سنٍّ مبكِّر، ومُلهمة كثيرًا للباحثين والمتعلِّمين، سواء كانوا من المسلمين أو غير المسلمين؛ نظرًا لكونها شخصيَّة عظيمة فكريًّا وتربويًّا، تدفع الباحث في التعمُّق بتجاربها الحياتيَّة، ليرتوي منها بحِكَم ومواعظ ومواقف إنسانيَّة تطوِّر سلوك الإنسان وتُربِّيه لترتقي به إلى الصفات السامية على خطى فاطمة عليها السلام وأبيها وبعلها وبنيها، وانطلاقًا من ذلك تُطرَح الإشكاليَّة الآتية في هذه الدراسة:

١. كيف يؤثِّر كلام السيِّدة الزَّهراءعليها السلام وتثاقفها في تربية الأجيال وتنميتها سلوكيًّا واجتماعيًا؟.

٢. كيف نحفِّز الأجيال الصاعدة للاستفادة من حوارات وكلام السيِّدة الزَّهراءعليها السلام في مجتمعنا المنغمس في العولمة، والمتعدِّد الطوائف والمذاهب؟.

الفرضيَّات

بناءً على الأسئلة التي تضمَّنتها الإشكاليَّة، وُضِعت الفرضيَّات الآتية:

١. يمنح كلام السيِّدة الزَّهراءعليها السلام في مواقفها الحياتيَّة المتنوعة الكثير من الغنى للنظريَّات التربويَّة الحديثة، لاسيما في تعزيز الحوار البناء والإنسانيّ.

٢. يجهل عدد من الطلَّاب في لبنان أهميَّة الإضاءة على الحوارات الفكريَّة والاجتماعيَّة للسيِّدة الزَّهراءعليها السلام.

٣. توضيح أهميَّة الاطِّلاع على خطابات وكلمات الصالحين، والاكتساب من مهاراتهم وقدراتهم التربويَّة والفكريَّة والوعظيَّة؛ لمدِّ جسور الإنسانيَّة مع الإنسان الآخر.

٤. لا تزال أنشطة التعلُّم الاجتماعيّ- الانفعاليّ محدودة في الممارسات التعليميَّة- التعلميَّة في المدارس اللبنانيَّة الخاصَّة والرسميَّة، لاسيما في تدريس مواد الاجتماعيَّات.

أهميَّة البحث

تتجلَّى فيما يأتي:

١. تسليط الضوء على السِّمَات القِيَادِيَّة وَالمَسْؤُولِيَّة الاِجْتِمَاعِيَّة فِي شَخْصِيَّة الزَّهْرَاءِ (عليها أفضل الصلاة والسلام).

٢. تبنِّي إستراتيجيَّات السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام الحياتيَّة والحواريَّة، ومواقفها في سبيل تحقيق الوَعْيُ الذَّاتِيُّ عند الأجيال الجديدة، لمدِّ جسور الإنسانيَّة مع الإنسان الآخر المختلف عقائديًّا واجتماعيًّا.

٣. الإضاءة على الفِكْرُ المَنْظُومِيّ الإِسْلَامِيّ فِي كلاَمِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام، ومدى تأثيره في المتعلِّمين على اختلاف مستوياتهم وانتماءاتهم العقائديَّة والطائفيَّة.

مناهج البحث

اعتُمدت ثلاثة مناهج، هي الآتية:

١. **المنهج التاريخيّ**: استخدم البحث المنهج التاريخيّ للاطِّلاع على بعض كلمات ومواعظ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، والحيثيَّات والمواقف التي دفعتها لإعلانها وقولها.

٢. **المنهج الوصفيّ**: جُمِعَت المعلومات من قراءة عدَّة كتب ودراسات على مواقع الانترنت المختلفة، كما تمَّ عرض نتائج البحث الميدانيّ، من خلال استمارة رأي وُزِّعت للطالبات والطلاب عبر Google Drive.

٣. **المنهج التحليليّ**: اعتُمد المنهج التحليليّ في هذه الدراسة؛ لأنَّه ساهم في معالجة نتائج الاستمارات إحصائيًّا بعدما تمَّ توزيعها بطريقة عشوائيَّة على عدد من طلَّاب كليَّة التربية في الفرع الأوَّل، الجامعة اللبنانيَّة، وقد أجاب عليها ٩٣ طالبًا فقط، كذلك تمَّ القيام بتحليل الإجابات.

مراحل البحث

جُمِعَت المعلومات عن طريق استمارة رأي وزِّعت لطلَّاب كليَّة التربية عبر Google Drive، بعد تحكيمها من اختصاصيِّين واختبارها على عيِّنة محدودة، كما

ذكرنا ذلك سابقًا، وبناءً على ما سبق، اتُّبعَت المراحل الآتية:

- مرحلة التشخيص، أي معرفة تصوُّرات الطلَّاب حول سيرة وكلمات السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وأهميَّة إدخال حوارات الصالحين وكلامهم في مناهج التعليم في لبنان، رغم تعدُّده الطائفيّ والمذهبيّ.
- مرحلة معالجة نتائج الاستمارات إحصائيًّا عبر Excel؛ وتحليل إجابات الطلَّاب.
- مرحلة استخلاص الاستنتاجات، ووضع الاقتراحات.

بعدما استعراضنا منهج البحث ومراحله، فإنَّنا سوف نبدأ بالقسم النظريّ.

ثانيًا: القسم النظريّ

يشمل هذا القسم تعريفات وتوضيحات لبعض المصطلحات والمفاهيم العلميَّة التي مرَّت في البحث، إضافةً إلى الدراسات السابقة التي تناولت مواضيع قريبة من موضوعه.

١. مصطلحات البحث

الحوار الإنسانيّ: يُقصد به التفاهم الراقي واللائق بين البشر، أي أسلوب حضاريّ ومطلب يصل الإنسان من خلاله إلى النُّضج الفكريّ، وقبول التنوُّع الثقافيّ.

التثاقف: هو تأثُّر الثقافات بعضها ببعض، نتيجة الاتِّصال بين الشعوب والمجتمعات، مهما كانت طبيعة هذا الاتِّصال وأهدافه (عيسى، ٢٠٠٤). الاحتكاك والتفاعل المتبادل بين ثقافتَين أو أكثر، والذي يؤدِّي إلى التأثُّر والتأثير في سمات الثقافات المتماسَّة لتفرز ثقافة جديدة تحمل خصائص مشتركة من الثقافات (ايزار، ٢٠٠٦).

الاتِّصال التربويّ: هو تبادل الأحوال الذاتيَّة ونشرها بين الأفراد، مثل الأفكار والعواطف والمعتقدات عن طريق اللغة التي تعدُّ أداة الاتِّصال الرئيسة، فضلًا عن المحاكاة والإيحاء (إبراهيم، ١٩٧٥). إذن هو صيغة من صيغ التفاعل الاجتماعيّ، كأحد الظواهر الاجتماعيَّة في حياة الناس، القائمة أساسًا على التأثير في المواقف والقيم والاتِّجاهات والمعايير وأنماط السلوك وأنماط التفكير، وبناء تصوُّر اجتماعيّ عن الحياة الاجتماعيَّة (جاعد، ٢٠٠٢).

في الإدراك والتعلُّم: الإدراك الإنسانيّ هو عمليَّة باطنيَّة نفسيَّة تحدث في عقل الفرد، مُحدثةً ما يسمَّى بالتعلُّم (www.edutrapedia.com.).

الإدراك الحسّيّ أو الملاحظة الحسيَّة: وهو شعور الفرد المبدئيّ بموضوع الإدراك حوله. وتُجسِّد هذه العمليَّة الأساس الفعليّ للإدراك الفكريّ العام، ويتوقَّف عليها نوعه وقوَّته ودقَّته (عواضة، ٢٠٠٥، ص٧٤).

التربية التكوينيَّة: تعتمد على تزويد المتعلِّم بمجموعة من المعارف والمهارات والقيم والمواقف، ثمَّ إنَّ المعارف نفسها لا تقتصر على فهم المعلومات أو التعريفات، بل تمتدُّ إلى تحليلها وتطبيقها وتقييمها وتوليفها بالاعتماد على مفهوم التكنولوجيا كأسلوب تفكير خاص (التربوي، م.س، ص٣).

مواد الاجتماعيَّات: المقصود بها وفق المنهج اللبنانيّ «التاريخ، الجغرافيا، التربية الوطنيَّة والتنشئة المدنيَّة»، أي المواد التي تساهم في بناء شخصيَّة المتعلِّم، بمختلف أبعادها الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والبيئيَّة (طرائق تدريس وأساليب تقييم مواد الاجتماعيَّات).

القدوة: هو الشخص الذي يتَّخذه إنسان مثلًا أعلى في حياته، ويقوم بالسَّير على خطاه في الحياة، ويقوم بتقليد جميع أعماله الحسنة، ويعدُّ سيِّدنا محمَّدﷺ هو قدوة الأمَّة الإسلاميَّة بكاملها، وهو القدوة الحسنة لنا جميعًا بكاملها، لذلك يجب علينا أن نقوم بإتِّباعه في كافَّة الأمور (www.mosoah.com. 2019)

المحتوى: المعالجة التفصيليَّة لموضوعات المقرَّر (حقائق- مفاهيم- تعميمات- مبادئ- نظريَّات)، يُنظَّم بشكلٍ يناسب مستوى دراسيّ معيَّن (www.shms.sa.).

الحدود التعليميَّة: الحدُّ هو الحاجز بين الشيئَين. وحدُّ الشيء: منتهاه (ويكيبيديا،

الموسوعة الحرَّة)، والحدود التعليميَّة تشمل المهارات التعليميَّة، أي مهارات غير ماديَّة (أو ملموسة) (hyatok.com.)، مثل المعرفة والثقافة والتربية والسمات الشخصيَّة، لذا يمكن لحدود كلِّ مادَّة من المواد التعليميَّة أن تتداخل حدودها مع المواد الأخرى، كما يمكن توحيد بعض المواد بسبب التداخل الكبير في حدودها.

المعرفة: هي الإدراك والوعي، والتجربة، وفهم الحقائق، وجمع المعلومات، والتَّوصُّل إلى نتائج، والقدرة على تفسيرها. وتتكوَّن عن طريق التَّأمُّل والتَّفكُّر في كلِّ الموضوعات المحيطة بالانسان، كما تعتبر رغبة فطريَّة في البحث عن خفايا الأمور، واكتشاف غموضها؛ كي ترقى بصاحبها إلى أعلى الدَّرجات، فحصلت المعرفة في الآونة الأخيرة على مكانة متميِّزة؛ لأنَّها باتت عصب التطوُّر والتقدُّم في كافَّة نواحي الحياة (المكِّيّ، ١٩٩٣).

البيداغوجيا: يمكن تعريفها بعدَّة معانٍ، إذ اعتبرها إميل دوركايم نظريَّة تطبيقيَّة لعلم التربية، تستعير مفاهيمها من علم النفس وعلم الاجتماع. واعتبرها أنطوان مكارينو العلم الأكثر جدليَّة، والأكثر حركيَّة، والأكثر تعقيدًا (المكِّي، ١٩٩٣)، والأكثر تنوُّعًا، ولاسيما نظريَّة التربية التي هي قبل كلِّ شيء ترمي إلى هدفٍ عمليّ.

الإيديولوجيا: هي علم الأفكار، تُطلق ايضًا على علم الاجتماع السياسيّ تحديدًا. وتُعرَّف بأنَّها نسق من المعتقدات والمفاهيم (واقعيَّة وعياريَّة)، تسعى إلى تفسير ظواهر اجتماعيَّة معقدَّة من خلال منطق يوجِّه ويبسِّط الأفكار (ديفيد، ٢٠٠٠).

٢. الدراسات السابقة

أ. المنهج التربويّ والدور الريادي في بناء وتكامل الأسرة السليمة والمجتمع الصالح، السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام عميدة البيت الهاشميّ، الدكتور إحسان عيدان السيمريّ، كليَّة الطبِّ الجامعيَّة:

تتناول هذه الدراسة المناهج التربويَّة في الأُمَّة الإسلاميَّة، وما أفرزته من أفكار لا تتوافق تمامًا مع التطوُّر الإنسانيّ والتلاقي؛ لأنَّها ما بين مجرَّد تغطية للفكر العلمانيّ باعتماد أُطُرٍ منهجيَّةٍ في ترسيخه على حساب الفكر الإسلاميّ الذي يقوم على احترام كينونة الإنسان وطبيعته وفطرته التي فطره الله عليها، واحترامه وتقديره لذاته، وما يعتريه مِن أدوار مختلفة من الطفولة إلى الهرَم، ونوع ارتباطه مع العالم الخارجيّ، وفلسفته في الوجود، أُمور خطيرة تفرض نفسها على واقع كلِّ عمليَّةٍ تربويَّة. كلُّ هذه الأمور مجتمعة دفعت إلى ضرورة اعتماد المُقَنِّن التربويّ الصورة الواضحة للنفس البشريَّة، وتشخيص مشاكلها بدقَّة، مع الإحاطة بسائر العوامل الأساسيَّة والثانويَّة المؤثِّرة في البناء التربويّ؛ لتنعكس البرامج التربويَّة ناجعة ومتينة، وإلَّا صارت رسالة التربية مبهمة وتضيِّع الإنسان بدل إرشاده وتطوُّره، خصوصًا إذا ما كانت تلك المناهج غير ملائمة مع بيئته وطبيعته وحاجاته داخل مجتمعه.

ب. دراسة حول تعليم مادَّة التاريخ في لبنان؛ الواقع والتصوُّرات:

نفَّذ المركز التربويّ للبحوث والإنماء بالتعاون مع مؤسَّسة أديان عام ٢٠١٧ دراسة حول (تعليم مادَّة التاريخ)، في إطار مشروع تطوير المناهج، من إعداد د. فادي توا، ود. سوزان أبورجيلي، بهدف تشخيص واقع تعليم مادَّة التاريخ في المنهج اللبنانيّ، وتصوُّرات التلامذة والمعلِّمين حولها وحول تعليمها وتعلُّمها، بالإضافة إلى الصعوبات التي تعترض المعلِّمين أثناء عمليَّة التعليم لهذه المادة، وصولًا إلى اقتراحات عمليَّة يمكن الإنطلاق منها لتطوير تعليم هذه المادَّة، وتوصَّلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١. اعتبار مادَّة التاريخ متعبة بنظر المعلِّمين والمتعلِّمين على حدٍّ سواء؛ لكثافة معلوماتها.

٢. أهميَّة تعلُّمها؛ لأنَّها تعرِّف التلامذة إلى أحداث الماضي، وتساعدهم على استخلاص العِبَر منه، وفهم الحاضر.

٣. اعتبار النظام السياسيّ الطائفيّ في لبنان السبب الأساسيّ لعدم توحيد منهج التاريخ حتّى الآن.

٤. إيلاء أهميَّة قصوى للعلامة فقط التي ينالها المتعلِّم في التقييم التقريريّ وعدم اهتمامهم بتغذية أفكارهم وثقافتهم.

ج. مقرَّر طرائق تدريس وأساليب تقييم مواد الاجتماعيَّات:

تناول هذا المقرَّر الأهداف العامَّة للمواد الثلاث (التاريخ، والجغرافيا، والتربية المدنية والتنشئة الوطنية)، والفوارق بين منهج ١٩٩٧، والمنهج القديم، تمَّ إعداده سنة ٢٠١٠، إضافةً إلى مواصفات المعلم الفاعل في تدريس مواد الاجتماعيَّات، طرائق التدريس لهذه المواد وقواعدها، وبطاقات تحضير مختلفة. وكذلك تناول المقرَّر التقييم في مواد الاجتماعيَّات الثلاث وأسسه، ومجالاته، وأنواعه، وآليات الترفيع وفق المنهج اللبنانيّ، وتوصَّل المقرَّر إلى النتائج الآتية:

- تأثير تعليم مواد الاجتماعيَّات في بناء شخصيَّة المتعلِّم وتنمية مهاراته وقدراته على مختلف أبعادها.
- ضرورة إتِّباع عدَّة طرائق تعليميَّة لتوخِّي الهدف المنشود في العمليَّة التعلميَّة لمواد الاجتماعيات.
- أهميَّة اعتماد التنوُّع في أساليب التقييم في هذه المواد، وعدم الاكتفاء بالتقييم التقريريّ فقط.
- أهميَّة تنفيذ الدعم المدرسيّ، وطريقة إعداد بطاقات الدَّعم.
- آليات الترفيع وفق المنهج اللبنانيّ.

د. فاطمة الزَّهراء عليها السلام وتر في غمد:

نشرت مؤسَّسة الوفاء سنة ١٩٨٣، في بيروت، لبنان، الكتاب الذي حاز على الجائزة الأولى في مسابقة التأليف عن الصدِّيقة الزَّهراء في النجف الأشرف، من تأليف

سليمان كتّاني ابن (بسكنتا)، الضيعة اللبنانيَّة الجبليَّة، الطبعة الثانية، كتاب أدبيّ كامل في رحاب السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وتناول الكتاب الكثير من المواضيع، انطلق بها من رأي القرآن في المرأة، والحياة الزوجيَّة، وسردَ بشكلٍ موجز عن حياة قارورة الطِّيب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وعن دورها كأمٍّ أبيها، ثمَّ استطرد في دراسته عن تاريخ هذه المرأة العظيمة، ورهافتها، وبلاغتها، وحوارها، وصدمتها، ودمعتها، وسكونها، ودور السيِّدة عائشة مع السيِّدة فاطمة عليها السلام، وخطابها في باحة المسجد، وتأثيرها بالحاضرين، ووقارها، وتضحياتها، وبطولتها، وفدكها، ودورها في المطالبة بالإمامة.. والحديث يطول في الكتاب حول ارتباط التاريخ بأمِّ الحسَنَين، وهكذا اتَّشحت زهرة الفؤاد عليها السلام بقدسيَّة هذا الرباط، هالةً اتَّشحت بها إزارًا من نبوَّة، وإزارًا من أمومة، وإزارًا من إمامة.

هـ. الزَّهراء عليها السلام البنت التي أصبحت أمّ أبيها، بقلم الباحث الدكتور فاضل عبد العبَّاس محمَّد:

تتناول هذه الدراسة سيرة أهل البيت عليهم السلام، وما لهم من تأثير في البناء العقائديّ والفكريّ والسياسيّ والاجتماعيّ الذي يبتغيه الدين الإسلاميّ لصالح الإنسانيَّة جمعاء.. والزَّهراء عليها السلام سيِّدة نساء العالمين، إنَّها أمّ أبيها والمثل الأعلى الذي قدَّمته الرسالة الإلهيَّة للمرأة، وذلك لما تميزت به من أخلاق وتجارب عظيمة، فقد صاغتها يد العناية الربانيَّة لتكون قدوة للحياة الكريمة، وأسوة للفضائل والقيم الإنسانيَّة، فهي نسخة ناطقة بتعاليم الوحي الإلهيّ، وتكمن أهميَّة هذا البحث في الآتي:

- التعريف بدور الزَّهراء عليها السلام للعالم أجمع، بالأخصِّ الجيل الجديد.
- بيان السيرة العطرة للزَّهراء ومظلوميَّتها للعالم أجمع، لكي تتجلَّى أمام العالم القيم الأخلاقيَّة لأهل البيت عليهم السلام بصفتهم حاملي الرسالة السماويَّة والمحافظين عليها.

- إبراز دور المرأة داخل الأسرة، بما جسَّدته الزَّهراء عليها السلام من قناعة ورضًا وتواضع داخل أسرتها.
- إبراز الدور الريادي للمرأة المسلمة، والذي لا يقل أهميَّة عن دور الرجل في الحفاظ الدين.
- الوقوف بحزم ودون تهاون ضدَّ الأشرار والمارقين، والحفاظ على للثروات والتوزيع العادل لها، وتغليب المنفعة العامَّة على الخاصَّة تأسِّيًا بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

ثالثًا: القسم التحليليّ (نتائج تحليل الاستمارة)

يتناول هذا القسم تحليل المعطيات الإحصائيَّة، مركزًا على نقاطٍ رئيسة تتمثَّل بما يأتي:

وزِّعت الاستمارات على ١٠٠ طالب وطالبة في كليَّة التربية، الجامعة اللبنانيَّة، الفرع الأوَّل، وهم مختلفون من حيث انتمائهم العقائديّ والطائفيّ، وقد وزِّعت هذه الاستمارات بنسب مختلفة على الطلاب في ثلاثة اختصاصات متنوِّعة تُعنى بموضوع الحوار بسبب تقارب أهذاف وكفايات مقرَّراتها التدريسيَّة من أهداف الحوار، كون الموضوع إنسانيّ واجتماعيّ وثقافيّ، وهذه الاختصاصات هي: «تعليم الاجتماعيَّات، تعليم اللغة العربيَّة، وتعليم اللغة الإنكليزيَّة»، كما شمل الاستبيان طلاب من عدَّة سنوات جامعيَّة في الكلية عينها: «الأولى والثانية والثالثة».

قسِّمت أسئلة الاستمارة إلى ثلاثة أقسام: شمل القسم الأوَّل أسئلة عامَّة حول الاختصاص والسنة الدراسيَّة والنوع (ذكر أو أنثى)، أما القسم الثاني فتناول معرفة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، والاطِّلاع على عدد من كلماتها المتوافقة مع بعض أهداف المقرَّرات التعليميَّة في المنهج اللبنانيّ، بينما تناول القسم الثالث السمات والمهارات الحواريَّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

وقد خلص البحث في النهاية إلى آراء شخصيَّة لعدد من الطلَّاب والطالبات، تتمحور حول اعتماد سيرة الصالحين لاسيما سيِّدة نساء العالمين (عليها أفضل الصلاة والسلام) في تعزيز الحوار بين بعضهم البعض

ولتحفيزهم على اكتساب هذه المهارات في شخصيَّتهم وحياتهم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة.. بعد تفريغ أسئلة الاستمارة على برنامج Excel ظهر ما يأتي:

١. أسئلة عامة عن الطالب:

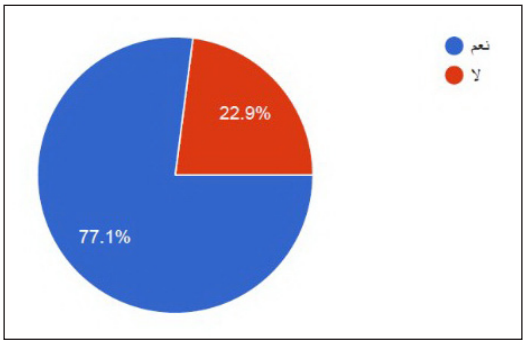
الجدول رقم (١): عدد الطلَّاب الذين شملتهم عينة البحث في الاختصاصات الثلاث في كليَّة التربية في الجامعة اللبنانيَّة

الإختصاص التعليمي للطلاب	النسبة المئوية (٪)
تعليم الاجتماعيات	٣٢
تعليم اللغة العربيَّة	٤٣
تعليم اللغة الإنكليزيَّة	٢٥
المجموع	١٠٠

تُظهر الدراسة الميدانيَّة ارتفاع نسبة طلَّاب تعليم اللغة العربيَّة الذين أجابوا عن الاستمارة حوالي (٤٣٪)؛ بسبب الارتباط الوثيق لموضوع الحوار بالكفايات والقدرات والمجالات والأهداف التعلميَّة- التعليميّة المطلوبة منهم في مقرَّراتهم، كذلك لم يحتاجوا إلى توضيح بعض الأسئلة كما في باقي الاختصاصات. تأتي في المرحلة الثانية طلاب تعليم الاجتماعيَّات حوالي (٣٢٪)؛ لورود أهداف الحوار في عدد من مقرَّراتهم التعليميَّة لاسيما حول المواطنيَّة، أمَّا نسبة الطلَّاب في (تعليم اللغة الإنكليزيَّة) الذين أجابوا على الاستبيان كانت (٢٥٪)، وقد طلبوا توضيح الكثير من الأسئلة الواردة قبل أن يتمُّوا عمليَّة إرسالها عبر Google forms. ويمكن تسويغ الأمر بأنَّهم غير معتادين على ربط حياة بعض الشخصيَّات الدينيَّة والروحيَّة في النظريَّات التربويَّة والتعليميَّة، فاعتبروا هذا النوع من الدراسات جديد عليهم. بالعودة الثانية من الاستمارة الذي دخل في صلب البحث، كانت النتائج كالآتي:

٢. تحليل اجابات الطلَّاب عن أهميَّة سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في تعزيز الحوار البنَّاء:

بالرسم البيانيّ رقم (١): مدى معرفة الطلَّاب بالسيدة الزَّهراء عليها السلام



شملت أسئلة الاستمارة بعض أقوال السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، والهدف منها وحيثيَّاتها وتفسيراتها، لاسيما في ظلِّ كلِّ التشنُّجات الطائفيَّة والعصبيَّة التي يعرفها الجيل الجديد في لبنان وغيره من الدول، والأهداف التي تتقاطع المواد التعليميَّة فيها، والتقويم والصعوبات التي تعترض عملية التعليم- التعلُّم، لاسيما في مواد الاجتماعيَّات؛ بسبب جفافها للأمثلة التي تحاكي وجدان المتعلِّم وواقعه المُعاش.

أشار حوالي ٧٧,١٪ من الطالبات والطلَّاب إلى معرفتهم بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، كونها ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، ما أظهره الرسم البياني رقم (١)، مع الاشارة إلى انتماء هؤلاء الطلَّاب إلى ديانتَين الإسلام والمسيحيَّة وإلى مذاهب مختلفة (الشيعيّ، السنِّيّ، والدرزيّ)، وعندما تمَّ السؤال عن ذِكر بعض أقاويلها من سيرتها العطرة، لم يستذكروا شيئًا، بل اكتفوا بذكر ألقابها فقط، وعند السؤال عن أسباب ذلك أجابوا بأنَّ أمَّهاتهم يردِّدون هذه الألقاب دون ذكر توضيح السيرة، ما يؤكِّد افتقار الطلَّاب الجامعيِّين إلى الثقافة الدينيَّة، وهذا ما يبيِّن صحَّة الفرضيَّة الثانية حول جهل عدد من الطلَّاب في لبنان لأهميَّة الإضاءة على الحوارات الفكريَّة والاجتماعيَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

إنطلاقًا من ذلك يمكن الاستنتاج بأهميَّة إدخال سيرة الصالحين والطاهرين في الدراسات الأكاديميَّة؛ لتعزيز عمليَّة التعليم عند المتعلِّمين في كافَّة المراحل التعليميَّة، بما فيها المرحلة الجامعيَّة. اعتمادًا على ذلك الأمر تناول الاستبيان بعض صفات السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام كما سيبيِّن الجدول رقم (٢)، وقد جرى تعريف الطلَّاب المسيحيِّين على هذه الشخصيَّة من خلال مقابلتهم والتحاور معهم حول سيِّدة نساء العالمين، وتمَّ الاستماع إلى آرائهم قبل تعبئة الاستبيان، وتمَّت ملاحظة حماسهم ورغبتهم في التعمُّق أكثر بمعرفة سلوكيَّات وتجارب السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها أفضل الصلاة والسلام.

الجدول رقم (٢): أهمية إدخال بعض تجارب السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام وكلماتها في مقررات المواد التعليميّة في المنهج اللبناني

السؤال	النسبة المئوية (٪)		
	نعم	كلا	جزئيًا
هل تعتبر (ي) أنَّ كلام السيِّدة الزَّهراء عليها السلام له انعكاسات على شخصيَّتك وسلوكك؟	٧٥	٢٠	٥
برأيك، هل يمكن للمتعلِّم أن يكتسب أهداف ومهارات الصيام من خلال قول الزَّهراء عليها السلام: «**ما يصنع الصائم بصيامه، إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه**»؟	٨٩	٨	٣
برأيك، هل تتقاطع أهداف بعض المواد التعليميَّة (اللغة العربيَّة والاجتماعيات واللغة الإنكليزيَّة) مع الأهداف الوجدانيَّة والتربويَّة المكتسبة من سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام؟	٨٥	٥	١٠

برأيك، هل يعزِّز الاطِّلاع على سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في تحقيق التثاقف داخل المجتمع اللبنانيّ؟	٧٣	١١	١٦

تعتبر نسبة ٧٥٪ من طلاب كليَّة التربية من ثلاثة اختصاصات (تعليم الاجتماعيات وتعليم اللغة العربيَّة وتعليم اللغة الإنكليزيَّة) أنَّ كلام السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وسيرتها العطرة لها انعكاسات إيجابيَّة على شخصيَّة وسلوك الإنسان بشكل عام، بغضِّ النظر عن انتمائه الدينيّ والعقائديّ، وذلك يعود إلى أنَّ الاطِّلاع على تجارب فاطمة الزَّهراء عليها السلام السلوكيَّة والتربويَّة في علاقتها مع أبنائها يساعد في تنمية شخصيَّة الإنسان، وإكسابه الصفات الحسنة والقيم الإنسانيَّة المهمَّة، إذ كانت إمرأة مدبِّرة وديناميكيَّة، صادقة ومُحقَّة ونبيلة وحافظة للسرِّ ووفيَّة للوعد، وتصدق النصح، وتقبل العذر، وتتجاوز عن الإساءة، وقد واجهت الكثير من الصعاب، وتلقَّت الإساءة بالصبر والبصيرة.

وأكَّد الطلاب على أهميَّة ما ذكرته أم أبيها عليه السلام حول الصوم وعلاقته بتهذيب النفس في كلِّ الديانات، وليس فقط في الدين الإسلاميّ، إذ إنَّ الاطِّلاع على سيرتها المشرفة يساهم بشكل فعَّال في الالتزام الدينيّ والثقافيّ والحضاريّ للإنسان؛ لأنَّها ريحانة أبيها وملهمة زوجها أمير المؤمنين ومنارة إنسانية مشعَّة بالمعرفة وبالموعظة الحسنة، إذ كانت تعمل على تثقيف نساء مجتمعها رغم صغر سنِّها.

نستخلص ممَّا تقدَّم أنَّ سيرة السيِّدة زَّهراء عليها السلام مصدر لإشكاليَّات فكريَّة وتربويَّة مهمَّة تتناول مسائل تربويَّة مهمَّة وعميقة، مثل مسألة الحوار العقلانيّ الذي يمكن أن نعتمده في حياتنا داخل مجتمعنا اللبنانيّ الذي يحتوي على تنوُّع طائفيّ ومذهبيّ (حوالي ١٨ طائفة) تتعايش مع بعضها البعض؛ لأنَّ العلاقات الاجتماعيَّة داخل لبنان وغيره من الدول العربيَّة علاقات متشابكة وتحدِّيات مشتركة تفرض على كلِّ الأطراف مسلمين ومسيحيِّين بمختلف مذاهبهم، حتَّى العلمانيِّين والمتشدِّدين دينيًّا، الدخول فيه من أجل

المصلحة العامَّة، ومن أجل وجود الإنسان الحيويّ في ذاته ومع الآخرين (فضل الله، ٢٠٠٥، ص٦٤)؛ ليكون الإنسان مبدعًا ومنتجًا في مجاله الاجتماعيّ الذي يحيا فيه، وصولًا إلى التمتُّع باحترام الذات وتوكيدها، كما كانت فاطمة الزَّهراء عليها السلام، والتمتُّع بإحساس الانتماء لمجتمعه.

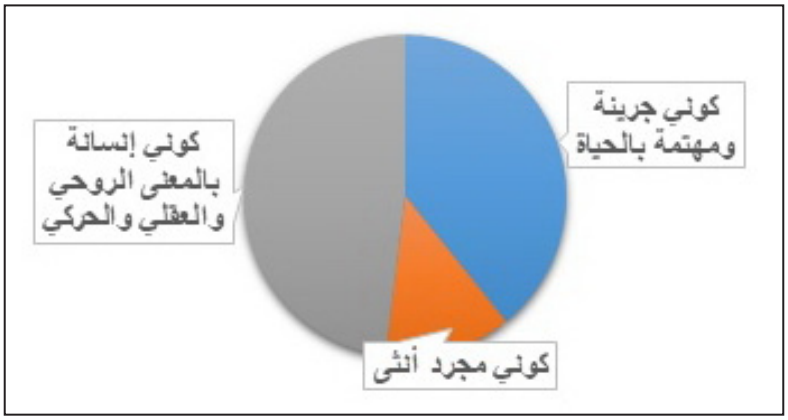
وبذلك تقدِّم نموذجًا مميَّزًا ومضيئًا في نظافة فكرها وطيبة كلامها، واحترامها للآخر المختلف معها بالرأي، والعمل على إقناعه برأيها بالحجج والبراهين العقليَّة المناسبة، وهذا ما ظهر عند إبداء رأي طلَّاب كليَّة التربية في السؤال الأخير الوارد في الجدول رقم (٢)، إذ إنَّ كلام السيِّدة فاطمة عليها السلام يُعزِّز التثاقف البناء مع الآخر في وطننا، بحيث نتحاور معه حول القضايا الوطنيَّة المشتركة، فنكتسب من ثقافته، ويكتسب من ثقافتنا الإسلاميَّة التي يمكن اعتبارها ثقافة حياة إذا أُحسِن تطبيقها؛ ممَّا يحول دون وصولنا إلى التقاتل الدينيّ والتشنُّجات والعصبيَّات المذهبيَّة التي عانت منها مجتمعاتنا، وهذا ما يدلُّ على صحَّة الفرضيَّة الثالثة المقترحة في البحث.

في ختام هذه الفقرة التحليليَّة، نستنتج بأنَّ سيِّدتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام كانت جريئة المواقف، كريمة الخليقة، نبيلة النفس، وسريعة البديهة، مبتعدة عن الأَنويَّة والأنانيَّة والنرجسيَّة، ولا يثني أعطافها الكبرياء والرياء، بل كانت حياتها وكفاحها مع أبيها وزوجها وبنيها خالصة لله عزّ وجلّ.

ونتابع في أسئلة القسم الأوَّل من الاستبيان، فنتوسَّع نحو نظرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام للمرأة في العالم بشكل عام كإنسانة شريكة في بناء المجتمع وتأسيسه على أسس سليمة، وبمختلف انتماءاتها، سواء كانت مسيحيَّة أو مسلمة، شيعيَّة أو سنيَّة أو درزيَّة، إنَّها نصف المجتمع الذي يجب إذكاء الحوار بين أبنائه، لذا كان الاستبيان قد وزِّع على الطلَّاب المتنوِّعين طائفيًّا كما ذكرنا سابقًا، ومن النوعين الإناث والذكور، رغم قلَّة عدد

النوع الأخير في الاختصاصات المستهدفة في عيِّنة البحث، فكانت النتائج كما يبيِّنها الرسم البيانيّ رقم (٢):

الرسم البيانيّ رقم (٢) : آراء الطلاب حول نظرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام إلى المرأة



بلغت نسبة الطلَّاب الذين أكَّدوا أهميَّة رؤية السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام العقليَّة والحياتيَّة للمرأة في العالم ككائن بشريّ إنسانيّ روحيّ وعقليّ حوالي ٤٨٪، ممَّا دفع المتعلِّمين للاستنتاج بأنَّ مشكاة الأنوار عليهم السلام تخطَّت ثقافة عصرها بأفكارها النيِّرة، وواجهت ظلامة أفكارهم الهدَّامة تجاه النساء، فكانت نظرتها متعمِّقة ومستنبطة من مبادىء الدين الإسلاميّ الحقيقيّ، ما جعل اتِّساع فكرها يتلاقى مع الأهداف الروحيَّة والمهاريَّة لأبناء الجيل الجديد من الطلَّاب الجامعيِّين في الصرح الجامعيّ الذي جرى فيه البحث، بينما نسبة الذين اعتبروها جريئة ومهتمَّة بالحياة حوالي ٣٩٪، وعند سؤالهم عن سبب اختيارهم لهذا الرأي، أجابوا بأنَّها دافعت عن حقوقها بعد وفاة أبيها، ووقوفها إلى جانب زوجها الإمام عليّ بن أبي طالب؛ لتدافع عن أحقيَّته في الخلافة، كذلك ظهر خلل آخر لدى طلَّابنا في كليَّة التربية، الفرع الأوَّل، وذلك لكونهم من غير المسلمين، فكان لديهم شك في الإجابة؛ لجهلهم الأهداف الحقيقيَّة والوجدانيَّة لسيِّدة نساء العالمين عليها السلام، فالتبس الأمر لديهم بسبب تقارب الخيارات في هذا السؤال حول سيرة، كذلك من

وجهة نظرهم أنَّ حبَّ الدنيا لا يجب أن يتعارض مع أهداف الآخرة، برغم تأكيدهم أهميَّة كلام مستودع الأسرار عليها السلام وسيرتها ومواعظها وحكمتها.

وعن السؤال حول تحديد المواضيع التي تتشابه فيها الفكرتَين، ذكروا الخطبة الفدكيَّة، إذ استبسلت سيِّدتنا ومولاتنا عليها السلام في دفاعها عن ميراثها بوجه أبي بكر، حيث منع فاطمة عليها السلام فَـدَكَ، وقد تبلَّغت بذلك، فأقبلت وواجهت وحـاورت، وأعلنت كلمتها بجهارة ودافعت عن حقِّها بجرأة ورقي، وفي لُـمَةٍ مِنْ نساءِ قَوْمِها، لتزرع فيهنَّ كيفيَّة الدفاع عن الحقوق، ووقفت بوجه الظلم، وقالت خطبتها الشهيرة الفدكيَّة لرفض القمع، فكأنَّها أرادت تثقيف النساء وتعليمهم الدفاع عن حقوقهم بالحوار الراقي، وهذا ما يؤكِّد أنَّ في شخصيَّة السيِّدة الزَّهراء وسيرتها الكثير من الخبرات التي تكتسبها النساء والرجال على حدٍّ سواء في عصر العولمة وفي كل العصور، لاسيما من حيث الدور القياديّ والسياسيّ الذي لعبته بفعل سمات مميَّزة لديها، مثل: الكاريزما الخاصَّة بها، وعمق كلماتها وبلاغتها، وحسن إتقانها فن الخطابة التي اهتز بها المسجد النبويّ، والكلام المؤثِّر الذي يُحاكي الفكر، ويدفع إلى التفكير والتفكُّر في آنٍ واحد.

إنَّه التواصل الفاطميّ النورانيّ بامتياز دون منازع، ما يدلُّ على شخصيَّة هذه القدِّيسة الإنسيَّة الفذَّة، فهي القائلة في خطبتها الفدكية: «.. **كَلِمَةٌ جَعَلَ الإِخْلاصَ تَأْويلَها، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَـها، وَأَنارَ في الْفِكَرِ مَعْقُولَـها**..».

وبعد اطِّلاع الطلَّاب في الجامعة الوطنيَّة اللبنانيَّة على بعض فقرات هذه الخطبة، وسؤالهم عن تأثيرها في شخصيَّتهم وحياتهم، أشاروا إلى استفادتهم منها بما يأتي:

- تزويدنا بمعارف ومهارات وتطبيقات متنوِّعة لم يشهدها العالم منذ القديم حتَّى الآن، وتُعنى هذه العلوم بدراسة الحقوق والتربية والسلوك المرتبط بالبشر، وتقوم بتفسيرها وتحليلها.

- استطاعت توضيح التدرُّج التاريخيّ لنشوء الأنظمة السياسيَّة، ما يدفعنا إلى التفكُّر في مواضع ومواقف الحياة التي مرَّت فيها هذه السيِّدة العظيمة رغم صغر سنِّها في وفاتها.
- تتشابه أيضًا مع سيرة العظماء في هذا العصر الذين قادوا الثورات بوجه الاستبداد، مثل جان دارك الفرنسيَّة وغيرها، إذ قاموا بإعلاء كلمة الحقِّ.
- تمتاز هذه السيِّدة بجرأة إبداء الرأي الشخصيّ في المواقف الحياتيَّة والإنسانيَّة والسياسيَّة المهمَّة، وذلك بالمواجهة الحواريَّة العلنيَّة، وبسرعة بديهيَّة فاقت فيها كلَّ النساء في العالم.

للأمانة العلميَّة في هذا البحث، أوردنا بعض إجابات المتعلِّمين، وبذلك يمكننا استنتاج ملامسة هذه المقاربة للفرضية الثالثة المقترحة في البحث حول توضيح أهميَّة الاطِّلاع على خطابات وكلمات الصالحين والاكتساب من مهاراتهم وقدراتهم التربويَّة والفكريَّة والوعظيَّة؛ لمدِّ جسور الإنسانيَّة وتثبيتها.

٣. بالنسبة للقسم الثاني من الاستبيان الذي بتناول مميِّزات الحوار الإنسانيّ البنَّاء في كلام السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام:

يُعدُّ الحوار أسلوب أساسيّ للتواصل اللفظيّ بين الأشخاص، نظرًا لاعتمادنا الدائم عليه. كما يهدف الحوار إلى التواصل الفكريّ والاجتماعيّ والانفعاليّ، والتعبير عن وجهات النظر بشكل بسيط وصحيح، ومن أهمِّ أسس الحوار معرفة الغاية المنشودة منه، كي لا يكون ثرثرة فارغة. ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ تعلُّم الكلام والحوار يبدأ في البيئة الأسريَّة التي ينشأ فيها الفرد، ويتأثَّر بفترة نشأته بالمبادئ الروحيَّة والأخلاقيَّة للعائلة، فكيف بفاطمة عليها السلام التي نبتت في منزل رسول الرحمة محمَّد صلى الله عليه وآله، وترعرعت على تراتيل القرآن ومكارم الأخلاق، وهو البيت الذي وصفه أمير المؤمنين في خطبته القاصعة:

«**ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمُّ ريح النبوَّة..**»، فتعلَّمت واكتسبت مبادئ الحوار من موسوعة رسول الله صلى الله عليه وآله، واستكملت غزارة معارفها من باب مدينة العلم عليّ عليه السلام أمير المؤمنين وسيِّد الوصيِّين، فكانت مدرسة في البلاغة الفصيحة والثقافة الواسعة، والمعرفة العميقة والحكمة والموعظة الحسنة، فتميَّز كلامها وتثاقفها بما يأتي:

- صدقها وحسن اختيارها للمفردات والمصطلحات للتعبيرعن رأيها بفصاحة عميقة ووضوح، أو للإقناع بفكرتها، أو للدفاع عن حقوقها وحقوق طائفتها وأمَّتها.
- سمو هدفها وارتقائه إذ كانت تلجأ في كلِّ كلامها لله عزّ وجلّ، وتسعى لمرضاته ونشر رسالة الإسلام والمحافظة عليها.
- حشمتها وصوتها اللائق في كلِّ الأماكن والمواضع المختلفة.
- ابتعادها عن العصبيَّة والأَنويَّة والتنمُّر والسُّخرية.
- اتِّسامها بالمرونة في تقبُّل النقد من الطرف الآخر، واحترام تقبُّل الأفكار الأخرى، مع الحرص الشديد على قدرتها الكبيرة على الإقناع، لأنَّها كانت تحاكي عقول الناس قبل قلوبهم.
- ابتعادها عن المجاملات المزيَّفة والتعميم والتضليل.
- اتِّصافها دائمًا بالإيجابيَّة وبزرع الأمل عند المستمعين لها، لاسيما النساء اللواتي كنَّ يأخذن دروسًا في منزلها.
- حوارها وكلامها هادف ويتَّصف بالموضوعيَّة.
- عدم تسرُّعها واتِّخاذها لمواقف مسبقة سواء من الأنصار أو من الطوائف الأخرى أو من الأعداء للدين الإسلاميّ.

بعدما استخلصنا من آراء الطلاب بعض الصفات التي اتَّسمت بها كلمات وخطابات السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، لا بدَّ من الاستنتاج بأنَّ سيِّدة نساء العالمينعليها السلام كانت مسؤولة متمرِّسة بالعمل السياسيّ منذ نشأة الإسلام، أي سبقت المرأة المعاصرة بأشواطٍ كثيرة، وتقوم بالأعمال والنشاطات الاجتماعيَّة والتثقيفيَّة والتربويَّة منذ نشأة الرسالة وحتَّى وفاتها، وكانت متكلِّمة بطلاقة، ومحاججة ومدافعة عن حقِّها وحقِّ أمير المؤمنينعليه السلام؛ لحماية رسالة أبيهاصلى الله عليه وآله، والتزامًا بنهجه، إضافةً لكونها معصومة ما يؤكِّد على شرعيَّة هذا الأمر في الدين الإسلاميّ، وقد ورد في القرآن الكريم في (سورة التوبة ٧١): ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، فإنَّ المعروف يتَّسع لكلِّ عدل وكلِّ حقٍّ في الحياة، والمنكر على عكسه تمامًا.

ونتابع في السؤال الأخير من الاستبيان، لنستعرض بعض آراء الطلَّاب حول صعوبة اعتماد أسس الحوار الاجتماعيّ البنَّاء الذي اعتمدته سيِّدتنا ومولاتنا فاطمة الزَّهراءعليها السلام، مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام تُعتبر النموذج المثاليّ الواعي والمُدرك لقضايا أمَّته، وقدوة للطلَّاب في عصر العولمة وفي كلِّ العصور؛ لأنَّها الحوراء الإنسيَّة، والمرأة الذكيَّة، والمثل الأعلى الأنسب والأصلح، ومحاورة ومحاججة ومقنعة للآخرين.

٤. صعوبات تعترض تنفيذ الحوار البنَّاء والاقتداء بسيرة السيِّدة الزَّهراءعليها السلام

من أبرز الصعوبات التي أعلنها الطلَّاب الذين شملتهم عينة البحث:

١. التنوُّع الطائفيّ والفكريّ في المجتمع اللبنانيّ الذي يحول دون استثمار سيرة الصالحين والقدِّيسين والأئمَّة الأطهار في النظريَّات التربويَّة.

٢. عدم تجديد المناهج اللبنانيَّة منذ سنة ١٩٩٧ إلى الآن، ممَّا يشكِّل عائقًا

كبيرًا في تطبيق التعلُّم الاجتماعيّ الانفعاليّ الذي يحاكي سيرة وكلمات الصالحين.

٣. الافتقار إلى خطَّة مستقبليَّة واضحة؛ بسبب كثافة المنهج اللبنانيّ في مختلف المراحل التعليميَّة بما فيها المرحلة الجامعيَّة وبمختلف الاختصاصات.

٤. رفض الحوار المجتمعيّ بين أبناء الوطن الواحد، ممَّا يجعل بعض الناس تتقوقع على أفكارها ومعتقداتها، فترفض التعرُّف على غيرها من الديانات الأخرى، وتعتبر دينها وثقافتها هي الأفضل.

٥. تدخُّل لعبة السياسة في وضع المناهج التعليميَّة، ممَّا يمنع ورود سيرة المعصومين والصالحين والقدِّيسين من مختلف الطوائف فيها، بل يحفِّزون اعتماد أمثلة من الشخصيَّات الأجنبيَّة؛ لاعتقاداتهم الخاطئة بأنَّها توحِّد الشعب ولا تشرذمه.

٦. افتقار الأهداف التعلُّميَّة- التعليميّة إلى الدروس التي تتناول الحوار «خصائص ومميِّزات الحوار الناجح والبنَّاء»، بل يتمُّ الاكتفاء بالتعريف بالمواد التي وردت في الدستور اللبنانيّ حول الحوار دون التعمُّق في كيفيَّة تحقيقه.

٧. الخوف على الأجيال الصاعدة من دخول مفاهيم جديدة خاطئة تزرعها العقول الغربيَّة وتعمل على إقحامها في ثقافتنا ومجتمعاتنا، مثل الشذوذ الجنسيّ وغيره، ما يشكِّل خطرًا علينا وعلى أبنائنا.

٨. بعد الاطِّلاع على آراء الطلَّاب في الصعوبات.. نقدِّم بعض التوصيات التي نعتبرها مدماكًا أساسيًّا لتحويل الحوار الإنسانيّ المجتمعيّ من النظريَّات إلى الأفعال، متمسِّكين بسيرة ثمرة النبوَّة وشجرة الإمامة فاطمة عليها أفضل الصلاة والسلام، كنموذج محاور ناجح يمكن التمثُّل به.

التوصيات

في ختام هذا البحث نقدِّم التوصيات الآتية:

- ضرورة تعديل المناهج التربويَّة اللبنانيَّة لتحاكي مستجدَّات العصر، وتواكب حاجات المجتمع الأساسيَّة، بما فيها الحاجات الاجتماعيَّة والانفعاليَّة، عبر إدخال أنشطتها في كافَّة المواد التعليميَّة- التعلُّميَّة، وربطها بالأهداف الوجدانيَّة والروحيَّة الموجودة في سيرة سيِّدة نساء العالمين عليها السلام.
- أنسنة المناهج وإبعادها عن الملوِّثات الفكريَّة المتمثِّلة بالتشنُّجات الطائفيَّة والمهاترات المذهبيَّة والسياسيَّة والمثليَّة، وغيرها، بل الإضاءة على العظماء من أيِّ اتِّجاه كانوا، طالما في سيرتهم مواعظ وحكم مفيدة لكلِّ أبناء المجتمع، والتي حثَّنا الله على الاقتداء بهم سواء في الحوار أو في غيره من المهارات، حيث يقول الله عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾.
- مناقشة السلوكيَّات المجتمعيَّة السائدة، وتحديد أداورها الموجبة والسالبة على المجال البشريّ والطبيعيّ، مثل مواضيع الكلام البذيء والنابي والشتائم.. وغيرها، وتأثيرها على مواضيع التربية العميقة كالمواطنة.. لأنَّ هذه الأخيرة تعتبر من أساسيَّات المجتمع الحضاريّ.
- إعادة ترسيخ منظومة القيم الإنسانيَّة المبنيَّة على التمثُّل بالصالحين والقدِّيسين والأئمَّة الأطهار، ومواجهة انعكاسات العولمة وقشورها بتوضيح سلبيَّاتها للأجيال الجديدة، وبالحوار العقلانيّ معهم لإقناعهم بتلوُّثها وخطورتها.
- توضيح مسؤوليَّات المتعلِّم وواجباته وحقوقه في مجتمع متنوِّع عقائديًّا مثل المجتمع اللبنانيّ، وإحلال مبدأ المساواة في قوانينه وأنظمته.

- ربط النظريَّات التربويَّة سواء فيما يخصُّ الحوار البنَّاء أو غيره من المواضيع بواقع المتعلِّم المُعاش، أي سدّ الثغرة بين معارفه وواقعه الاجتماعيّ لتصبح هذه المعارف أداة مساعدة للتواصل البنَّاء مع غيره من أبناء وطنه، وفتح آفاق جديدة أمامه للإبداع والابتكار.
- تزويد المعلِّم بكلام العظماء والصالحين عبر وسائل رقميَّة تحاكي أذهان الطلَّاب في هذا العصر، ممَّا يحبِّب ويسهِّل استعمالها والاطِّلاع عليها.

الخاتمة

أظهر البحث أنَّ سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام غنيَّة جدًّا بأقوالها وخطبها وفصاحتها وحواراتها، ولا تقتصرعلى الثقافة الدينيَّة، إنَّما تتعدَّاها نحو النظريَّات التربويَّة الأساسيَّة في بناء الإنسان المتكامل من حيث تنظيم شؤونه الحياتيَّة وإنماء دوره في المجتمع. كما يُعتبر كلامها منهجًا للحياة يتجاوز حدود المكان والزمان، لامتلاكه سِعة الأهداف الخيِّرة، ودقَّة التشخيص، ووضوح الرؤية لحياة الإنسان الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة والانفعاليَّة، إذ ينفذ شذا كلامها إلى أعماق النفس البشريَّة حتَّى يصير لها خُلُقًا ومَلَكة.

وفي ضوء ما تقدَّم يتَّضح أنَّ الحوار البنَّاء السليم، يستمد بنائه من المتحاورين العقلاء المنسجمين مع فطرتِهم وتطلُّعاتهم وغاية وجودهم؛ لكي تتوفَّر القناعة الإنسانيَّة الحقَّة، وبذلك يتيسَّر تطبيقه طوعًا ودون نزاعات.

وتعتبر سيِّدتنا ومولاتنا وشفيعة ذنوبنا عليها السلام النموذج الأكمل والمثل الأعلى في الحوار والكلام والتخاطب الإنسانيّ العقلانيّ المتفكِّر في الأبعاد المجتمعيَّة من كلِّ جوانبها سلوكًا ومنهجًا، سواء على صعيد حياتها الشخصيَّة، بما تحمله من أسرار العظمة المتجسِّدة في روحانيَّتها وعفَّتها وعبادتها وزهدها وعلمها، أو على صعيد حركتها في واقع

تجاربها الحياتيَّة الوفيرة، وما تشتمل عليه من جهادٍ كبير وصعب، وصبر مستمد من قوَّة الإيمان وشدَّة الإخلاص، والمواقف الصلبة في الحفاظ على المفهوم الأصيل لقيادة الأمَّة بعد الرسولﷺ. إنَّها نبراس الحقوق في الدفاع عن المرأة، عبر دفعها للمساهمة في بناء المجتمع وتطويره، حتَّى قال تعالى في حقِّها: «**يا أحمد، لولاك لما خَلَقتُ الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتُك، ولولا فاطمة لما خلقتُكما**».

وفي الختام تقدِّم نموذجًا مميَّزًا ومضيئًا عن أهميَّة سيرة مشكاة الأنوار ومستودع الأسرار فاطمة (عليها أفضل الصلاة والسلام)، بكلماتها الفوَّاحة بالطيِّب والعنبر، ومواعظها البنَّاءة التي تجمع ولا تفرِّق، وغناها العقليّ الذي يدبِّر ويدير، وبحرها العلميّ الذي يتوي منه المثقَّفين والمتعلِّمين والمتثاقفين والمتحاورين.

قائمة المصادر والمراجع

لائحة المراجع باللغة العربيَّة:

- إبراهيم، م. (١٩٧٥). معجم العلوم الاجتماعية. القاهرة: الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب التربوي.
- المكي، أ. (١٩٩٣). كلية الآداب. البيداغوجيا المعاصر وقضايا التعليم النظاميّ. الرباط.
- ايزار، ب.ب. (٢٠٠٦). معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا. بيروت: مجد المؤسَّسة الجامعيَّة للدراسات والنشر.
- جاعد، ي. (٢٠٠٢). علم اجتماع الإعلام، رؤية سوسيولوجيَّة مستقبليَّة، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- ديفيد، هـ. (٢٠٠٠). الإيديولوجيَّة. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

- عيسى، أ. (٢٠٠٤). مدخل إلى علم الإنسان. دمشق: منشورات اتّحاد الكتّاب العرب.
- فضل الله، م. ح. (٢٠٠٥). الحوار بين الإسلام والنصرانيّة، في واقع المسلمين والنصارى. بيروت، لبنان: دار البيان.

لائحة المراجع باللغة الأجنبيّة:

- Bennett, L. (2018, 7 10). Constructive Conversations: leadershipintelligence. Edited. hyatok.com. (n.d.).
- ldoceonline. (2018, 7 10). “constructive”, ldoceonline,. Edited.

المواقع الإلكترونيّة:

- www..shms.sa. (n.d.). مها القثامي.
- www.edutrapedia.com. (n.d.).
- www.mosoah.com. (2019).

والحمد لله ربِّ العالمين.

حقوق الإنسان في الإسلام وحمايتها
في ضوء الخطبة الفدكيَّة

م.م. ياسمين سالم مطرود سند
جامعة البصرة/ كليَّة هندسة النفط والغاز

ملخَّص البحث

تعالج هذه الدراسة موضوع (حقوق الإنسان في الإسلام وحمايتها في ضوء الخطبة الفدكيَّة) ؛ إذ تمثِّل هذه الخطبة مصدرًا فكريًّا مهمًّا، وإرثًا حضاريًّا؛ لما تضمَّنته من مباحث عقيديَّة مهمَّة، وعلل تشريعيَّة كثيرة، إذ حظيت صاحبتها السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بالرعاية والعناية الإلهيَّة؛ لأنَّها قدَّمت- على قِصَر عمرها- ما لم تقدِّمه النساء في تاريخ البشريَّة جمعاء؛ فاستحقَّت أن تكون سيِّدة نساء العالمين مِن الأوَّلين والآخِرين، كما يجد المتتبِّع لسيرتها عليها السلام أنَّها مدرسة متكاملة في مختلف أبعاد الحياة؛ حتَّى أضحت معرفة الأبعاد المتعدِّدة لحقيقة الإسلام مرتبطة بمعرفة فاطمة عليها السلام؛ لأنَّها روح الرسالة التي يمثِّلها النبيّ صلى الله عليه وآله، وهي وأولادها من بعدها، امتداد للإسلام وقيمه وأخلاقه.

الكلمات المفتاحيَّة: حقوق الإنسان، الإسلام، الخطبة الفدكيَّة.

المقدِّمة

يعد موضوع حقوق الإنسان من المواضيع المتشعبة منذُ الأزل وليومنا هذا، فهو مجموعة حقوق وهبها الله تعالى للإنسان منذ ولادته، تدور حول الضمانات الإنسانيَّة للإنسان التي أقرَّها الإسلام منذُ أكثر من أربعة عشر قرنًا.

إنَّ الانتماء إلى دين النبيّ محمَّدﷺ وأهل بيتهعليهم السلام بالعمل والبحث عن منهجهم وسيرتهم، والاهتداء بهم، لاسيما ابنتهُﷺ السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام، هو الذي دفعنا للبحث في موضوع (حقوق الانسان في الإسلام وحمايتها في ضوء الخطبة الفدكيَّة)؛ لما تمثِّلهُ هذه الخطبة من مستوى كبير من العمق والدقَّة لكثرة المواضيع التي ذكرتها السيِّدة الزَّهراءعليها السلام لإثبات رسالة الاسلام، إذ تتضمَّن خلاصة أصول الإسلام وأخلاقه وفلسفة أحكامه، والذي يقرأها سوف يعرف ما هو الإسلام، فهي حقوق متعدِّدة للإنسان وضمانات لها؛ لأنَّ الله شرعها ووضعها في الشريعة السماويَّة، وجعلها واجب على المسلمين.

لم تكن الدراسة شاملة لكلِّ ما جاء في الخطبة من حقوق الإنسان، وإنَّما انتقيتُ منها عددًا من المواضع من خلال مبحثين، هما: (لمحة عن حقوق الإنسان في الإسلام)، و(حقوق الإنسان في ضوء الخطبة الفدكيَّة)، إذ ينطلق البحث من فرضيَّة مفادها أنَّ الدين الإسلاميّ تكفَّل حقوق الإنسان، ويمكن الاستفادة منه لمعالجة إشكاليَّة حقوق الإنسان في واقعنا المعاصر، فأزمة الحضارة اليوم تتمثَّل في عدم إعادة الاعتبار للقيم الدينيَّة؛ لذا نقدِّم هذه الدراسة، وهي رسالة فكريَّة إسلاميَّة نهديها الى قارئ هذا البحث.

المبحث الأوَّل

لمحة عن حقوق الإنسان في الإسلام

حقوق الإنسان فضل وعطاء من الله اختص به الإنسان ساعة خلقه، الله وحده هو الذي منح الحقوق للإنسان ليمارسها والذي يصادر الإنسان أويحول بينه وبينها فإن عدوانه هذا يقع على الله وعلى نظام الكون قبل أن يقع على الضحية، وكان دور الانبياء والرسل الكرام عليهم السلام هوالكشف عن هذه الحقوق وبيان مسالكها، ومدى انسجامها مع تعليمات وتوجيهات الله خالف الإنسان وواهبه هذه الحقوق ولفت الانتباه لخطورة مصادرتها [1].

ختم الله أنبياءه بنبوَّة النبيّ المرسل محمَّد صلى الله عليه وآله، وختم تعاليمه وتوجيهاته الإلهيَّة بالشريعة الإلهيَّة الإسلاميَّة التي تمثِّل تكامل التعاليم والتوجيهات الإلهيَّة بشكلها ومضمونها النهائي لكلِّ زمانٍ ومكان، تتكوَّن الشريعة الإسلاميَّة من ركنَين أساسيَّين، هما: القرآن الكريم، وسنَّة رسول الله صلى الله عليه وآله، التي تعني كلّ ما صدر عنهُ صلى الله عليه وآله، القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة متكاملان، فكلاهما وحي من الله، فالقرآن أوحي باللفظ والمعنى حرفيًّا، أمَّا السنَّة فقد أوحاها الله إلى رسوله صلى الله عليه وآله بالمعنى، أوالصورة وصاغها النبيّ بلفظه الشريف.

أمر الله نبيَّه أن يعلِّم أهل بيت النبوَّة كلَّ ما أوحاه الله إليه، ويفضي إليهم بعلم

(١) أحمد حسين يعقوب المحامي: حقوق الإنسان عند أهل بيت النبوَّة والفكر المعاصر: ١٩-٢٠.

الأوَّلين والآخِرين؛ ليتولَّى الأئمَّة تفهيم القرآن للناس، كلٌّ في زمانه، وبيان الحكم الشرعيّ اليقينيّ في كلِّ مسألة من مسائل الدنيا والآخرة، ليكونوا هم القادة الشرعيِّين والمراجع الموثوقين لأبناء الجنس البشريّ في العالم كلِّه هذا ما يدلُّ عليه حديث الثقلَين الذي لخَّص الإسلام كلَّه بثقلين، أحدهما كتاب الله، وثانيهما عترة النبيّ (أهل بيته عليهم السلام)[1]، فضلاً عن غدير خم التي فيها قَرَن النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله ولاية الإمام عليّ عليه السلام بولايته، فالولايتان بمثابة ولاية واحدة[2].

بهذا التحديد توجد آليَّة شرعيَّة ليمارس كلُّ إنسان حقوقه مع الآخر بدون بغي ولا اصطدام ولاعدوان، أي لضمان استمرار الشرعيَّة الإلهيَّة، واستمرار حماية حقوق الإنسان، فإنَّ الله سبحانه وتعالى عيَّن العدد الكافي من الأئمَّة المعصومين، واختارهم من (أهل بيت النبوة)، فكلُّهم من صُلب الإمام عليّ عليه السلام، وذريَّة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وأهل البيت معروفون عند المسلمين، فهم أصحاب الكساء[3]، وهم الذين نزلت فيهم آية التطهير[4]، وهم أصحاب آية المباهلة[5]، وهم الذين لا تجوز صلاة مسلم كائنًا من كان إلَّا إذا صلَّى عليهم[6]، وهم أحد ثَقَلي الإسلام بعد النبيّ، وهم بالتحديد: «النبيّ، وفاطمة ابنته، وعليّ ابن عمِّه وزوج ابنته، والحسن والحسين حفيدا النبيّ، وتسعة من ذرية الحسين آخرهم المهدي[7] (عليهم أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم).

(١) ابن حنبل: فضائل أمير المؤمنين: ٢٠٢؛ البلاذريّ: أنساب الأشراف: ٢/ ٣٥٧؛ الطبرانيّ: المعجم الكبير: ٥/ ١٧٢.
(٢) اليعقوبيّ: تاريخ: ٢/ ١١٢؛ النعمان المغربيّ: شرح الأخبار: ١/ ١٠٠؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/ ٢١٦.
(٣) النعمان المغربيّ: شرح الأخبار: ٢/ ٣٣٧؛ الشيخ الصدوق: علل الشرائع: ١/ ٢٢٦.
(٤) النعمان المغربيّ: شرح الأخبار: ٢/ ٣٣٧.
(٥) النعمان المغربيّ: دعائم الإسلام: ١/ ١٧-١٨.
(٦) ابن حنبل: المسند: ١/ ١٦٢؛ الشيخ الصدوق: ٢/ ٩٧.
(٧) ابن شهر آشوب: المناقب: ٢/ ٢٤٢.

كانت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أوَّل امرآة مسلمة وقفت ضدَّ انحراف السلطة وظلمها وجبروتها، وتعرَّضت يوم ذاك إلى أنواع شتَّى من التهديد والتخويف والاعتداء، لم يطل شخصها وحسب، بل طال زوجها وأبناءها ومحبِّيها، منذ ذلك الوقت حتَّى الوقت الحاضر، احتلَّت كمدافعة عن حقوق الإنسان موقع الصدارة في تعزيز حقوق الإنسان وحمايته، سجَّل التاريخ وقفة السيِّدة فاطمة الزَّهراء وخطبتها أمام رجالات السلطة ومغتصبيها، وما لحقها من أحداث مزرية مازالت تُلقي بظلالها على حياة المسلمين وغير المسلمين.

لم تحظَ امرأة بالرعاية والعناية الإلهيَّة، كما حظيت السيِّدة فاطمة الزَّهراء، لا لأنَّها بنت النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله المصطفى المرسل من عند الله فقط، بل لأنَّها قدَّمت- على قصر عمرها- ما لم تقدِّمه النساء في تاريخ البشريَّة جمعاء؛ إذ أدَّت عليها السلام الأدوار والمسؤوليَّات الملقاة على عاتقها بأحسن وجه، فاستحقَّت أن تكون سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين[1].

أكدَّ النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله مكانة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فهي تمثِّل فصلًا مشرقًا من فصول الكفاح والتضحية والدفاع عن الحقِّ عبر مواقفها الجهاديَّة المختلفة؛ في حياة أبيها، أو بعد وفاته ورحيله إلى الرفيق الأعلى، وقد تحدَّثت عليها السلام في خطبتها عن كونها من المصطفين، قالت: «**أيُّها الناس أعلموا أنِّي فاطمة وأبي محمَّد أقول عودًا وبدءًا، ولا أقول ما أقل شططًا**[2]**، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتُّم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تعزوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمِّي دون رجالكم ولنعم المعزى إليه**»[3]، وكأنَّها تشير إلى الآية المباركة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا

(١) ابن حنبل: المسند: ٣/ ١٣٥؛ الحاكم النيسابوريّ: المستدرك: ٢/ ٥٩٤.
(٢) الشطط: البعد عن الحقِّ ومجاوزة الحدِّ في كلِّ شي. ابن منظور: لسان العرب: ٧/ ٢٢٤.
(٣) النعمان المغربيّ: شرح الأخبار: ٣/ ٣٥؛ الطبرسيّ: الاحتجاج: ١/ ١٣٤.

وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت السيِّدة فاطمة عليها السلام تعيش مع زوجها الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في أعلى مراتب الجهاد من أجل الحفاظ على الدين الإسلاميّ، والدعوة الإلهيَّة التي أسَّسها وأرسى دعائمها خاتم الرُّسل وسيِّد البشر. وذلك عندما رأت عليها السلام الانحراف الذي أصاب الأمَّة الإسلاميَّة بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، لتربُّع بعض الذين لم يكونوا يمتلكون مؤهِّلات القيادة على منصَّة الحكم، وعندما شاهدت الحقَّ يتزحزح عن محلِّه لكي يحتلَّ مكانه الباطل، بكلِّ عنفٍ وديكتاتوريَّة، فإنَّها كافحت وناضلت ضدَّ الباطل والأهواء المنحرفة، وطالبت بتحكيم دستور الإسلام وتطبيق نصوص القرآن؛ لاختيار المواقف السياسيَّة، ولتقرير مصير الأمَّة الإسلاميَّة؛ فبعد وفاة الرسول الأعظم محمَّد صلى الله عليه وآله طالبت ابنته زَّهراء عليها السلام بحقوقها وحقوق زوجها وحقوق أبناء الأمَّة، وعندما رأت الشدَّة والممانعة، رفعت عاليًا راية المعارضة؛ فكانت أوَّل امرأة في الإسلام ترفع راية المعارضة بوجه حاكمٍ إسلاميّ.

كانت أرض فدك[2] منطقة زراعيَّة خصبة، وقرية يهوديَّة عامرة، تقع خارج المدينة المنوَّرة، بالقرب من منطقة خيبر[3] وحصونها، وما أن فتح رسول الله صلى الله عليه وآله حصون خيبر حتَّى أرسل أهل فدك إليه صلى الله عليه وآله يطلبون منه أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم، فأجابهم إلى ذلك، وقَبِلَ عرضهم، فأصبحت أرض فدك ممَّا أفاء الله على رسوله خالصة له، حيث لم يُوجَف[4] عليها بخيل ولا ركاب[5]، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ

(١) سورة آل عمران، آية: ٣٣-٣٤.
(٢) قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة. الحمويّ: معجم البلدان: ٤/ ٢٣٨.
(٣) ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، ولفظة خيبر بلسان اليهود هي الحصن. الحمويّ: معجم البلدان: ٢/ ٤٠٩.
(٤) ضرب من سير الخيل والإبل السريع. الزبيديّ: تاج العروس: ١٢/ ٥١٧.
(٥) ابن حنبل: المسند: ٣/ ٦٥؛ أبو داوود: السنن: ٢/ ٢٢؛ الحموي: معجم البلدان: ٤/ ٢٣٨.

رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1]، ثمَّ إنَّه لـمَّا أنزل الله ﷻ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ.. ﴾[2]، نَحَلَ[3] النبيّ ﷺ ابنته فاطمه عليها السلام فدكًا، فأرض فدك نِحلة نحلها رسول الله ﷺ لابنته فاطمة الزَّهراء عليها السلام بأمر من الله ﷻ[4].

كانت أرض فدك حتَّى ارتحال النبيّ ﷺ بيد السيِّدة فاطمة عليها السلام تنفق منها على الفقراء والمساكين[5]، ولـمَّا توفِّي والدها اغتصبت الخلافة حقَّها عليها السلام، فمنعها أبو بكر نِحلة رسول الله، وأخرج عُمَّالها من فدك[6]، غير أنَّ سيِّدة النساء عليها السلام لم تسكت عن حقِّها، وأصرَّت على المطالبة بحقِّها بكلِّ صلابة، لكنَّ أبا بكر لم يقبل قولها، رغم وصايا النبيّ ﷺ فيها؛ إذ ذكرت المصادر أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ ممَّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر.. فأبى أبو بكر أن يدفع إليها منها شيئًا، فَوَجَدَت عليها السلام على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلِّمه حتى توفِّيت، فلمَّا توفِّيت دفنها زوجها عليه السلام ليلًا، ولم يؤذِّن بها أبا بكر[7]، بينما ورد عن النبيّ ﷺ أنَّه قال: «**فاطمة بضعة منِّي من أغضبها أغضبني**»[8]، وأنَّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها[9]، فلا يُعقل أن تطالب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بشيءٍ ليس من حقِّها.

(١) سورة الحشر، الآية: ٦.
(٢) سورة الإسراء، آية: ٢٦.
(٣) ابن منظور: لسان العرب: ١١/ ٦٥٠.
(٤) البلاذريّ: أنساب الأشراف: ١٠/ ٧٩؛ النعمان المغربيّ: شرح الأخبار: ٣/ ٢٧؛ ابن أبي الحديد: شرح النهج: ١/ ١٩٨
(٥) ابن أبي الحديد: شرح النهج: ١٦/ ٢٠٨.
(٦) البلاذريّ: أنساب الأشراف: ١٠/ ٧٩؛ ابن ابي الحديد: شرح النهج: ١٦/ ٢٠٨.
(٧) ابن حنبل: المسند: ١/ ٩؛ البخاريّ: الصحيح: ٥/ ٨٢.
(٨) ابن حنبل: المسند: ٤/ ٥؛ البخاريّ: الصحيح: ٤/ ٢١٠.
(٩) النعمان المغربيّ: شرح الأخبار: ٣/ ٢٩.

المبحث الثاني

حقوق الإنسان في ضوء الخطبة الفدكيَّة

حفِل الإسلام بجملة حقوق تشكِّل بكماليَّاتها ضمانًا لقضيَّة حريَّة الإنسان وكرامته، حقوق الإنسان في الإسلام هي واجبات يحتِّمها الدين على الفرد والجماعة، حقوق منطقيَّة تتوافق مع العقل والفطرة السليمة، هي ليست حبرًا على ورق، بل إنَّها مطبَّقة من خلال الحدود والقواعد التي تنظِّم علاقة الفرد بالجماعة، وعلاقة الجماعة بالفرد، وعلاقة الانسان بربِّه؛ لأنَّ الله جعل مقدِّمة أداء حقِّه هي أداء حقوق الآخرين، وفيما يأتي ذكر للحقوق التي وردت في الخطبة الفدكيَّة:

حقُّ الحريَّة والمساواة

تعتبر الحريَّة من الحقوق الأساسيَّة للإنسان، هي حقٌّ للإنسان في التحرُّر من الاستعباد، للحريَّة أشكال متعدِّدة كحريَّة الدين والمعتقَد، وحريَّة التفكير والتعبير وحريَّة العمل، فهو يولَد حرًّا، ويجب أن يعيش حرًّا، ولا يعبد إلَّا الله تعالى[1]؛ فعدم الشِّرك بالله هو أصل الحقوق، وعبادة الله هي الطريق الصحيح لحصول الإنسان على حقِّه في الدنيا والآخرة، هذا الطريق الواضح لحصول الإنسان على حقوقه، فالرازق هو الله، وهو المكرم، وبيده الشفاء والتوفيق والعزَّة والنصر والرفعة وغيرها من أمور الدنيا وسعادته في الآخرة، وطريق ذلك هو عدم الشِّرك بالله وعبادته حقَّ عبادته،

(١) طه جاسم محمَّد: الحقوق الأساسية في الشريعة الإسلاميَّة: ٢١٢-٢١٣.

إذ رويَ عن النبيّ محمَّدﷺ: «حقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا»[1]، فعقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام ورسَّخها في عقول وقلوب معتنقيه، الأساس الأوَّل لحقوق الإنسان؛ ذلك لترسيخها حريَّة الإنسان، وتنهي دعوى تأليه البشر التي ترسَّخت على أيدي الجبابرة، كالفراعنة والأكاسرة والقياصرة والأباطرة، فلا ذلَّ ولا انكسار ولا خضوع إلَّا لله الخالق المتكفِّل بعباده، طبَّق رسول اللهﷺ هذه القاعدة في مخاطبته الملوك والقياصرة، حيث اختُتمت رسائله[2] بقول الله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[3].

إنَّ دعوة عدم اتِّخاذ البعض أربابًا من دون الله رسَّخها الإسلام لتكريم الإنسان وتحقيق المساواة بين البشر، فلا فضل لأحد على أحد إلَّا بالتقوى، وهذا الميثاق أعلنه النبيّﷺ في الشهر الحرام: «**أيُّها الناس، إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، كلُّكم لآدم، وآدم من تراب، إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربيٍّ على أعجميٍّ فضل إلَّا بالتقوى، ألَا فليبلِّغ الشاهد الغائب**»[4]

ذكرت السيِّدة الزَّهراءعليها السلام في خطبتها عن الإيمان بالله وعدم الشِّرك به وفوائدهما بقولها: «**جعل الله الإيمان تطهيرًا لكم من الشِّرك**»[5]، «**وحرَّم الله الشِّرك إخلاصًا له بالربوبيَّة**»[6]، أي إنَّ الله وضع الايمان وشرَّعه لتطهيركم- تخليصكم- من الشِّرك[7]،

(١) الطبرانيّ: المعجم الكبير: ٢٠/ ١٣٥؛ المتَّقي الهندي: كنز العمَّال: ١/ ٧٢.
(٢) ابن حنبل: المسند: ١/ ٢٦٣؛ اليعقوبيّ: تاريخ: ٢/ ٧٧.
(٣) سورة آل عمران، آية: ٦٤.
(٤) ابن أبي الحديد: شرح النهج: ١/ ١٢٨؛ المتَّقي الهنديّ: كنز العمَّال: ٣/ ٩٣.
(٥) ابن طيفور: بلاغات النساء، ١٦؛ الطبرسيّ: الاحتجاج: ١/ ١٣٣.
(٦) ابن طيفور: بلاغات النساء: ١٦؛ الطبرسيّ: الاحتجاج: ١/ ١٣٤.
(٧) محمَّد باقر المجلسيّ: الزَّهراءعليها السلام وخطبة فدك: ٦٣.

وجعل الله الإقرار به وبرسوله وحجَّته، وبما جاء من عنده أوَّل الفرائض، وذلك لعلل كثيرة، منها أنَّ من لا يقرّ بالله لم يتجنَّب معاصيه، ولم ينته عن ارتكاب الكبائر، ولم يراقب أحدًا فيما يشتهي ويستلذ من الفساد والظلم، وإذا فعل الناس هذه الأشياء، وارتكب كلُّ إنسان ما يشتهي ويهواه من غير مراقبة لأحد كان في ذلك فساد الخلق أجمعين، ووثوب بعضهم على بعض، فغصبوا الفروج والأموال وأباحوا الدماء والسبي، وقتلوا بعضهم بعضًا من غير حقٍّ ولا جرم، فيكون في ذلك خراب الدنيا وهلاك الخلق وفساد الحرث والنسل[1]، أي في الإيمان بالله حفظ الحقوق العامَّة للناس، والتنزيه من الشِّرك فيه التحرُّر من عبوديَّة غير الله.

وذكرت عليها السلام موضوع مرتبط بالإيمان بالله، وهو الصلاة، إذ قالت: «**والصلاة تنزيهًا لكم من الكِبَر**»[2]؛ لأنَّ الإنسان يقوم فيها قائماً، والقيام منافٍ للتكبُّر وطارد له، تتضمَّن الصلاة من الخضوع والخشوع والأذكار المتضمِّنة الذلّ والتواضع لعظمة الله تعالى[3]، والصلاة تعني الإقرار بالربوبيَّة، وهو صلاح عام؛ لأنّ فيه خلع الأنداد، والقيام بين يدي الجبَّار بالذلِّ والاستكانة والخضوع والاعتراف؛ لئلَّا ينسى العبد مدبِّره وخالقه، والقيام بين يدَي ربِّه زاجرًا له عن المعاصي، وحاجزًا ومانعًا عن أنواع الفساد[4].

حقُّ الحياة

يعدُّ حقُّ الحياة من أهمِّ حقوق الإنسان؛ لأنَّ بقيَّة الحقوق تدور مع حياته وجودًا وعدمًا، فقتل النفس الإنسانيَّة من أشنع وأعظم الجرائم، وهو من أسوأ مظاهر الإفساد في الأرض؛ لذلك كانت عقوبته متناسبة مع بشاعة الجرم، فالقاتل لا يعرف بشاعة فعله

(١) الصدوق: علل الشرائع: ١/ ٢٤٦.
(٢) الطبرسيّ: الاحتجاج: ١/ ١٣٣.
(٣) ابن أبي الحديد: شرح النهج: ١٩/ ٨٦.
(٤) الصدوق: علل الشرائع: ١/ ٢٥٠.

إلَّا إذا تيقَّن أنَّه إن قتل إنسانًا سيُقتَل، فكان القصاص هوالحماية المناسبة لحفظ حياة الإنسان[١]؛ إذ بيَّن القرآن الكريم العقوبة المناسبة للذي يقتل، وهوالقصاص، مع بيان الحكمة من القصاص، قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٢].

أشارت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام إلى هذا المعنى بقولها: «**والقصاص حقنًا للدِّماء**»[٣]، وإنَّ أصل الحقن هوحبس المانع من الخروج، فلمَّا كان خروج الدم سببًا للموت، سمِّي حفظه حقنًا، كما أنَّه يعبَّر عن القتل بسفك الدم[٤]، فصيانة الحياة بحماية النفس البشريَّة من حيث هي نفس أمر رسَّخه الإسلام، وأقرَّ مبدأ القصاص ليحمي حقَّ الحياة وحقَّ الضحيَّة وأوليائه في القصاص العادل من المجرم؛ ليردع غيره من الإقدام على مثل هذا الفعل، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٥]، فانَّ من علم أنَّهُ يُقتصُّ منه، تحذَّر من ارتكاب القتل، ولهذا قيل: «القتل أنفى للقتل»[٦].

الحقوق الاقتصاديَّة والتكافل الاجتماعيّ

جعل الله سبحانه وتعالى الإسلام نَهجًا كاملًا لحياةٍ يحكمها الخير والرَّحمة والتكافل والفلاح، ففي أحكام الله التي سَنَّها في كتابه الكريم، وفي سُنَّة رسوله الحبيب، معايير مُحكمة خُصِّصت لتجعل المسلمين على قلب رجل واحد، ولتجعل من المجتمع

(١) أحمد حسين يعقوب المحامي: حقوق الإنسان عند أهل بيت النبوَّة والفكر المعاصر: ٤٥.
(٢) سورة البقرة، آية: ١٧٩.
(٣) ابن طيفور: بلاغات النساء: ١٦؛ الطبرسيّ: الاحتجاج: ١/ ١٣٤.
(٤) محمَّد باقر المجلسيّ: الزَّهراء عليها السلام وخطبة فدك: ٧٠.
(٥) سورة البقرة، آية: ١٧٨.
(٦) محمَّد باقر المجلسيّ: الزَّهراء عليها السلام وخطبة فدك: ٧٠.

الإسلاميّ مجتمعًا يسوده الخير والصَّلاح والوئام، وقد أوجب الله على المسلمين أحكامًا عدَّة تحقِّق التكافل بينهم، كالزكاة والصيام وغيرها.

الزكاة هي مصدر زكا بمعنى نما وزاد، كما يقال: زكا الزرع أي نما، ومصدر زكا بمعنى طهر أيضًا، كما يقال: زكا عمله أي طهر[1]، فالزكاة سمِّيت زكاة بلحاظ هذَين المعنَيين، فهي من جهة فيها تطهير للنفس من رذائل الأخلاق ومذامِّها من سائر الذنوب والمعاصي، وفي طليعتها رذيلة البخل، وأنَّها مطهِّرة للأموال ممَّا فيها من الشبهات. قال تعالى مشيرًا إلى هذا المعنى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[2]، ومن جهة أخرى، فإنَّ إخراجها يوجِب نماء الرزق وزيادته من الله عزَّ وجلَّ بحسن الخُلف ومضاعفته، وإلى هذا المعنى أشار قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾[3]. وأشارت الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام إلى هذَين المعنَيين في خطبتها الكبيرة عندما استعرضت فيها فلسفة بعض العقائد والعبادات والأخلاق، حيث قالت عليها السلام: «**والزكاة تزكيةً للنفس ونماءً للرزق**»[4]، أي تزكية من دنس الذنوب أو من رذيلة البخل، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، فإيتاء الزكاة من أحكام الله التي أوجبها على عباده المسلمين، هو حقُّ المسلم من أخيه المسلم، وجعل في أدائها الخير الكثير لِمن أخرجها لله، ولِمن أخذها من عباد الله.

أكَّد الله تعالى أهميَّة الزكاة في قوله سبحانه: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[5]، فللزكاة فوائد كثيرة على المجتمع والفرد في الإسلام، فرضها الله تعالى؛ لأنَّها تُحقِّق المساواة في المجتمع، وتدفع الحقد والكره من قلوب الفقراء، وتدفع البخل

(١) أبو هلال العسكريّ: الفروق اللغويَّة: ٨٠؛ الزبيديّ: تاج العروس: ١٩/ ٤٩٦.
(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٣.
(٣) سورة الروم، آية: ٣٩.
(٤) ابن طيفور: بلاغات النساء، ١٦؛ الطبرسيّ: الاحتجاج: ١/ ١٣٣.
(٥) سورة الذاريات، آية: ١٩.

والشحَّ من قلوب الأغنياء، وتُؤلِّف بين قلوب المسلمين، بالإضافة إلى أنَّها تزيد من مال المُزكِّي، بالرِّغم من أنَّه يعطي منها، قال رسول اللهﷺ: «**ما نقصَ مالٌ من صدقة**»[1].

أمَّا الصيام، فهو ترك الشهوات والملاذ في الفرج والبطن، وهوأمر عظيم يوجِب التشريف، والصيام يوجِب صفاء العقل والفكر بوساطة ضعف القوَّة الشهوانيَّة بسبب الجوع، ولذلك قالﷺ: «**لا تدخل الحكمة جوفًا مُلأ طعامًا**»[2]، وصفاء العقل والفكر يوجِبان حصول المعارف الربَّانيذَة التي هي أشرف أحوال النفس الإنسانيَّة[3]، وذكرت السيِّدةعليها السلام ذلك بقولها: «**والصيام تثبيتًا للإخلاص**»[4]، اي لتشييد الإخلاص، أو لإثباته وبيانه، فالصيام أبعد من الرياء، وأقرب إلى الإخلاص، وهذا أحد الوجوه في تفسير الحديث المشهور: «**الصوم لي وأنا أجزي به**»[5]؛ لأنَّ الصوم أمرٌ قلبيّ، وحقيقتهُ نيَّة الإمساك عن المفطرات، ولهذا لا يضرُّ ارتكاب المفطرات نسيانًا، والصوم لا يتحقَّق ولا يوجد إلَّا خالصًا لله تعالى[6].

إنَّ شهر رمضان من جهة آخرى يرتبط بزيادة معدَّلات التمتُّع بالحقِّ في مستوى معيشيّ لائق، حيث إنَّ الصوم مرتبط بالتفكير بالمواطنين الآخرين من الفقراء، وممَّن لا يجدون عملًا أو دخلًا يصون كرامتهم من خلال منحهم الطعام والشراب، ليس من باب الصدقة والتفضُّل، بل بصفته حقٌّ لهم، يتجسَّد السلوك الذي يمكِّن المواطنين من التمتُّع بمستوى معيشي لائق في شهر رمضان، ما ورد في

(١) الطبرانيّ: المعجم الأوسط: ٢/ ٣٧٤؛ أبو يعلي الموصلِّيّ: المسند: ٢/ ١٥٩.
(٢) ابن أبي جمهور الأحسائيّ: عوالي اللئالي: ١/ ٤٢٣.
(٣) محمَّد باقر المجلسيّ: الزَّهراءعليها السلام وخطبة فدك: ٦٥.
(٤) ابن طيفور: بلاغات النساء: ١٦؛ الطبرسيّ: الاحتجاج: ١/ ١٣٣.
(٥) ابن حنبل: المسند: ٢/ ٢٣٢؛ البخاري: الصحيح: ٨/ ١٩٧.
(٦) محمَّد باقر المجلسيّ: الزَّهراءعليها السلام وخطبة فدك: ٦٤.

الأثر أنَّ النبيّ كان أجود ما يكون في هذا الشهر، بل هو كالريح المرسَلة في الإنفاق على الآخرين. إنَّ شهر رمضان فرصة خصبة لإعمال الحقِّ في المشاركة، فهذه العبادة العجيبة تشيع روح الإحساس الجمعيّ بين الناس الذين يوحِّدهم الصوم. إنَّ شهر رمضان هو ممارسة جماعيَّة للحقِّ في العبادة التي كفلتها حقوق الإنسان في الإسلام.

كذلك فإنَّ الصيام فرصة مثيرة للتمتُّع بالحقِّ في الصحَّة بصفتها أحد أهمِّ حقوق الإنسان، سواء على المستوى البدنيّ أو النفسيّ أو العقليّ، حيث يُسهم الصوم في تصفية جسد الإنسان من سموم الأطعمة التي تراكمت خلال أحد عشرَ شهرًا، ويحرِّر الروح والنفس من أغلال الاستجابة المفرطة للميول والغرائز، فتصفو الروح وتتَّجه للتأمُّل والخشوع والرِّضا، وهو ما ينعكس إيجابًا على الصحَّة التي ينشدها الإنسان، فهناك حفظ للحقوق الخاصَّة بالانسان، حفظ جوراحه وجوانحه من ارتكاب المعاصي، وحفظ حقوق عامَّة تخصُّ الآخرين، فالصائم يشعر من خلال صيامه بالحرمان، وهو ما يعاني منه الفقراء، فيتوجَّب عليه أن لا يتخلَّف عن أداء حقِّهم عليه في أمواله كما فرضها الله سبحانه وتعالى.

الحقوق السياسيَّة / الحقُّ في وجود الحكومة الصالحة

إنَّ الهدف الأساسيّ لهذه الخطبة، هو إثبات مفهوم الإمامة؛ لأنَّها تمثِّل القيادة الربَّانيَّة التي تقود إلى برِّ الأمان، القيادة الجيِّدة هي القيادة الصالحة التي تسعى لتحرير الإنسان، وتوفير احتياجاته، ومنحه حقوقهُ كافَّةً، بينما القيادة السلطويَّة المستبدَّة تسعى لاستعباد الرعيَّة وسلب حقوقها، فلا يمكن لأيِّ منهج أن يكون ناجحًا ما لم يكن هناك قائدًا صالحًا يحكم بالعدل الذي هو صفة من صفات الله عزَّ وجلَّ، فأئمَّة أهل البيت عليهم السلام هم النموذج الصالح الذي يجب أن نتَّبعه؛ لأنَّهم سبل الهداية نحو الحياة الصالحة،

فإذا كانت الدولة تحت حاكم استبداديّ ونظام مستبد، فإنَّها حتمًا تخوض في أزمات وصراعات وحروبًا تدمِّر المجتمع، وتستنزف الموارد، فكلُّ أزمات العالم التي نعاني منها اليوم تحدث بسبب القادة الفاسدين، بينما يؤكِّد الإسلام على قضيَّة القيادة الربَّانيَّة الصالحة، كما أكَّدتها الخطبة الفدكيَّة.

إنَّ هدفهاعليها السلام من المطالبة بمزرعة فدك، ليس الحصول على المزرعة، بل هدفها أن تثبت للمسلمين أنَّ الذي جلس في مكان النبيّ محمَّدصلى الله عليه وآله يخالف أحكام الإسلام، ويغصب مزرعة أعطاهاصلى الله عليه وآله إلى ابنته ووارثته الوحيدة، فإذا كان أبو بكر يظلم بنت النبيّصلى الله عليه وآله في أوَّل يوم من خلافته، فيا ويل بقيَّة المسلمين من ظلمه وظلم من سيجلس بعده مكان النبيّصلى الله عليه وآله، فقالتعليها السلام: «**أيُّها المسلمون أأغلب على أرثي؟ يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي ؟ لقد جئت شيئًا فريا..**»[1]؛ لذلك جاء في خطبتها قولهاعليها السلام: «**وإمامتنا أمانًا من الفرقة**»، «**وطاعتنا نظامًا للملَّة**»[2]، فلولم يجعل الله إمامًا قيِّمًا أمينًا حافظًا مستودعًا لدرسة الملَّة، وذهب الدين، وغُيِّرت السنن والأحكام، ولزاد فيه المبتدعون، ونقص منه الملحدون[3]، ففرضت الإمامة نظامًا للأمَّة، وذلك لأنَّ الخلق لا يرتفع الهرج والعسف والظلم والغضب والسرقة عنهم إلَّا بوازع قويّ، وليس يكفي في امتناعهم قبح القبيح، ولا وعيد الآخرة، بل لا بدَّ لهم من سلطان قاهر ينظِّم مصالحهم، فيردع ظالمهم، ويأخذ على أيدي سفهائهم، وفُرِضت الطاعة تعظيمًا للإمامة، وذلك لأنَّ أمر الإمامة لا يتمُّ إلَّا بطاعة الرعيَّة، وإلَّا فلو عصت الرعيَّة إمامها، لم ينتفعوا بإمامته ورئاسته عليهم[4].

(١) اليعقوبيّ: التاريخ: ٢/ ١٢٧؛ النعمان المغربيّ: شرح الأخبار: ٣/ ٣٦؛ بن طيفور: بلاغات النساء: ١٥.

(٢) الطبرسيّ: الاحتجاج: ١/ ١٣٤.

(٣) الصدوق: علل الشرائع، ١/ ٢٤٧.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح النهج: ١٩/ ٩٠.

الحقوق الاجتماعيَّة

يمكن أن نلاحظ مجموعة من الحقوق وضماناتها التي تكفل للأسرة والمجتمع الديمومة والعطاء والتقدم كحق الوالدين وصلة الارحام وتحريم الزنا وغيرها، فحقوق الوالدين تأتي في مقدمة حقوق الاسرة والمجتمع، وجاء في الآية الكريمة: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾[1]، دروسًا بالغةً ووصايا إلى الجيل الجديد، تدعوهم لتذكُّر فضل من تكفَّلت فطرتهم برعايته والاهتمام به، فالوالدين يبذلان من أجسامهما وأعمارهما، ومن كلِّ ما يملكان دون بخل بما يبذلان، ومن هنا كانت الوصيَّة للأبناء برعاية الوالدين وحفظ حقوقهما، وكما ذكرت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام: «**وبرُّ الوالدين وقاية من السَّخط**»[2] أي إنَّ برَّ الوالدين لحفظ وحماية حقوقهما، ولتجنُّب سَخَط الرَّحمان على الأبناء؛ لأنَّ الله قرن عبادته جلَّ وعلا بالإحسان إلى الأبوَين كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾[3]. أمَّا صلة الأرحام فذكرتها عليها السلام بقولها: «**وصلة الأرحام منماة للعدد**»[4]، ففرضت صلة الرَّحم منماة للعدد[5]، سببًا لكثرة عدد الأولاد والعشائر[6]، إذ قال النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله للحثِّ على صلة الأرحام، والإحسان إلى الأقارب: «**يا معشر المسلمين اتَّقوا الله وصِلوا أرحامكم، فإنَّه ليس من ثواب أسرع من صلة الرَّحم**»[7]، أي لا يكون الإنسان وحيدًا، فالانسان اجتماعيّ بطبعه، وصلة الأرحام تقوِّي الأواصر بين أفراد الأسرة، ممَّا يحفظ للفرد حقَّه في العيش بين الجماعات،

(١) سورة النساء، آية: ٣٦.
(٢) الطبرسيّ: الاحتجاج: ١/ ١٣٤.
(٣) سورة الإسراء، آية: ٢٣.
(٤) الطبرسيّ: الاحتجاج: ١/ ١٣٤.
(٥) ابن أبي الحديد: شرح النهج: ١٩/ ٨٨.
(٦) محمَّد باقر المجلسيّ: الزَّهراء عليها السلام وخطبة فدك: ٧٠.
(٧) الهيثميّ: مجمع الزوائد: ٥/ ١٢٥.

وليس فردًا وحيدًا يواجه مشاكل الحياة وصعوباتها.

هناك دور للأُمَّة تجاه المجتمع، ذكرتهُ السيِّدة عليها السلام، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ قالت: «**والأمر بالمعروف مصلحة للعامَّة**»[1]، يعني من الواجب على كلِّ فرد أن يحافظ على وعي المجتمع وثقافة المجتمع الصالحة، فلا يسمح لكلِّ فرد أن يصادر الوعي العام، وأن لا يقلب المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، ولا ريب أنَّ هذا الفكر هو إرادة اجتماعيَّة ضاغطة على نظام الحكم، إنَّه نوع من الحكومة بشكلٍ آخر، وهي حكومة المجتمع أيضًا، بحيث هي تحكم على النظام الحاكم، أو تحكم على الأفراد، أو تحكم على بقيَّة مرافق القوَّة في المجتمع[2]، وهذا رافد مهم جدًّا «**لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر وليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقابًا منه فتدعونه فلا يستجيب لكم**»[3]، فإذا كانت البيئة الفكريَّة والنفسيَّة والاجتماعيَّة سالمة، تكون صائنة ومعقِّمة عن وصول موجود خبيث في رأس نظام الحكم، بل أمان عن أيِّ انحراف جائر في المجتمع، وهذا أيضًا نوع من المشاركة للمجتمع.

كذلك من الواجبات التي تقع على المجتمع كلّه، هو الدفاع عنه بشتَّى الوسائل، والجهاد أحدها، فقالت عليها السلام: «**والجهاد عزًّا للإسلام**»[4]، أي إنَّ فرض الجهاد عزٌّ للاسلام ولبلاد الإسلام[5] بما تحتويه من مواطنين مسلمين أو من أصحاب الديانات الأخرى، وذلك ظاهر، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[6]، وقال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ

(١) ابن طيفور: بلاغات النساء: ١٦؛ الطبرسيّ: الاحتجاج: ١/ ١٣٤.
(٢) محمَّد سند: الديمقراطية على ضوء نظريَّة الإمامة والشورى: ٤٢.
(٣) ابن حنبل: المسند: ٥/ ٣٨٨؛ الترمذيّ: السنن: ٣/ ٢١٧.
(٤) ابن طيفور: بلاغات النساء: ١٦؛ الطبرسيّ: الاحتجاج: ١/ ١٣٤.
(٥) ابن أبي الحديد: شرح النهج: ١٩/ ٨٧.
(٦) سورة الحجِّ، آية: ٤٠.

ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[1].

حقُّ الإنسان في التملُّك وحماية حقِّه بحفظ ماله

إنَّ من أساسيَّات حياة الإنسان ماله، وهو حصيلة جهده، الوسيلة الفعَّالة للحصول على حاجاته وتلبية رغباته، والمساهمة بتحقيق سعادته، ومن هنا كانت حماية هذا المال حقًّا من حقوقه الكبرى، أقرَّت الشريعة الإسلاميَّة بهذا الحقّ، واشتملت على القواعد والنصوص التي تضمنه وتحميه، واعتبرت هذه العقوبة حدًّا من حدود الله، اعتبرت أخذ مال الإنسان سرقة، والآخذ سارقًا.

خرجت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من منزلها من أجل استرجاع الحقوق المغصوبة، مستخدمة وسائل الترويج والإعلام، والتذكير بزمن النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله الذي مازال حاضرًا في أذهان مجتمع المدينة المنوَّرة؛ لفضح الغاصبين وتوعية المجتمع، إذ خرجت عليها السلام مع مجموعة من قريباتها ونساء قومها[2] في تجمُّع أو تظاهرة استنكار؛ للفت الأنظار إلى المطالب، ولأشاعة الأمر ما بين الرجال والنساء في المدينة[3]، فالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام وإن لم تسترجع فدكًا، ولكنَّها لم تسكت عن المطالبة بحقوقها المسلوبة المتمثِّلة بأرض فدك، وأنَّ احتجاجها عليها السلام في خطبتها على من سَلَبها أرض فدك ما هو إلَّا مثالٌ حيٌّ وتطبيقٌ عمليّ للمطالبة بحفظ حقِّها؛ لأنَّ ذلك يعدُّ سلب الآخرين أموالهم بدون وجه حقٍّ، والاستيلاء عليها علنًا.

وذكَّرت في مجال حقوق الآخرين بحفظ مالهم في خطبتها: «**وتوفية المكاييل**

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.
(٢) الطبرسيّ: الاحتجاج: ١/ ١٣١-١٣٢.
(٣) عامرة البلداوي: انتهاكات حقوق الإنسان في مظلوميَّة الزَّهراء عليها السلام: ٦.

والموازين تغييرًا للبخس»[1]، إذ جعل الله توفية المكاييل المبالغة في أداء الحقِّ والوفاء التام القطعيّ في أموال الناس، وأنَّ الأصل في وضع الميزان والمكيال بين الناس وتداولهما واستعمالهما بينهم في المعاملات، إنَّما هو لحفظ الحقوق، وإعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه؛ فأمرُ الله بتوفية المكاييل بمعنى الاهتمام الأكيد بإعطاء حقِّ كلِّ ذي حقٍّ تمامًا يقينًا، ولازمه الأخذ بالفضل وإعطاء ما فوق الحقِّ، وهو معنى التوفية.

أمَّا معنى (تغييرًا للبخس) فهو لئلَّا ينقص مال من يُنقِص المكيال والميزان، إذ التوفية موجِبة للبركة وكثرة المال، أو لا ينقصوا أموال الناس[2]، ولأهميَّة موضوع حفظ وحماية حقوق الإنسان في ماله وممتلكاته، جاء قولها عليها السلام حول السرقة بـ«**وتركُ السرقة إيجابًا للعفَّة**»[3]، وذلك لأنَّ العفَّة خلق شريف، والطمع خلق دنيء، فحرِّمت السرقة ليتمرَّن الناس على ذلك الخلق الشريف، ويجانبوا ذلك الخلق الذميم، وأيضًا حرِّمت؛ لِما في تحريمها من تحصين أموال الناس[4]، وحفظ حقوقهم وحمايتها.

حماية حقِّ الإنسان بحفظ عقله

العقل أهمُّ ما في الإنسان، فهو مديره وقائده، ومن الضروريّ المحافظة عليه، والحيلولة دون العبث به أو تعطيله من القيام بوظائفه التي أناطها الله به، ومن واجب الدولة والمجتمع والأسرة أن تحافظ على عقل الإنسان وتصونه؛ لأنَّه القائد والمدبِّر، وإذا ما فقده الإنسان كليًّا أو جزئيًّا صار خطرًا على حقوق الآخرين وعلى نفسه، فجاء النهي عن شرب الخمر في الخطبة بـ«**والنهي عن شرب الخمر تنزيهًا من الرجس**»[5]، فلا يبعد

(١) ابن طيفور: بلاغات النساء: ١٦؛ الطبرسيّ: الاحتجاج: ١/ ١٣٤.
(٢) محمَّد باقر المجلسيّ: الزَّهراء عليها السلام وخطبة فدك: ٧١.
(٣) ابن طيفور: بلاغات النساء: ١٦؛ الطبرسيّ: الاحتجاج: ١/ ١٣٤.
(٤) ابن أبي الحديد: شرح النهج: ١٩/ ٨٨.
(٥) ابن طيفور: بلاغات النساء: ١٦.

أن يكون المراد من الرجس في الخطبة الشريفة ما يترتَّب على شرب الخمر من ارتكاب القبائح والمنكرات الشنيعة، فأنَّهُ إذا زال عقل شارب الخمر، أتت ساعة لا يعرف فيها ربَّه، ولا يجتنب إتيان أيِّ فاحشة كالقتل والاعتداء على الآخرين وسلب حقوقهم، فالنهي عن شرب الخمر للتنزيه عن هذه الأرجاس والقذارات العمليَّة المعنويَّة، وأنَّ حفظ حقِّ النفس على النفس واجب، فالنفس البشريَّة مكرَّمة محترمة عند الله والمجتمع، وشارب الخمر يُحتَقر ويُهان، ولذا قال النبي محمَّدﷺ: «**كلُّ مسكرٍ حرام**»[1]؛ لأنَّهُ لجميع المسكرات نفس النتائج المدمِّرة للإنسان وللمجتمع.

حماية حقِّ الإنسان لحفظ سمعته

إنَّ سمعة الإنسان أمر مهم، وصيانتها عن الاتِّهامات من أسباب استقرار الإنسان وهدوئه وسعادته، فالاتِّهامات الجزافيَّة الموجَّهة للإنسان جريمة توجِب العقاب الشديد؛ لأنَّها تؤذي سمعته ومسمعه[2]؛ فجاء ذِكر حماية حقِّ الإنسان لحفظ سمعته في الخطبة الشريفة بـ«**واجتناب القذف حجابًا عن اللعنة**»[3]، والقذف يعني السبَّ والرمي بالزِّنا أو اللواط أو ما يؤدِّي هذا المعنى[4]؛ وهذه الخصلة السيِّئة تعدُّ من أبشع مساوئ اللسان، وغوائله الخطيرة، التي استنكرها الشَّرع والعقل، وحذَّرت منها الآثار والنصوص. لذا وضعت الشريعة حدًّا معيَّنًا على القاذف[5] حمايةً لحقِّ الإنسان في سمعته، وكذلك منعًا وحجابًا عن اللعنة.

(١) ابن حنبل: المسند: ١/ ٢٨٩؛ البخاريّ: الصحيح: ٥/ ١٠٨.
(٢) أحمد حسين يعقوب المحامي: حقوق الإنسان عند أهل بيت النبوَّة والفكر المعاصر: ٤٩.
(٣) ابن طيفور: بلاغات النساء: ١٦؛ الطبرسيّ: الاحتجاج: ١/ ١٣٤.
(٤) ابن منظور: لسان العرب: ٩/ ٢٧٦.
(٥) للمزيد من التفاصيل ينظر: أحمد حسين يعقوب المحامي: حقوق الإنسان عند أهل بيت النبوَّة والفكر المعاصر: ٤٩-٥٠.

الخاتمة

١. تعدُّ الخطبة تراث فكريّ عميق، نستقي منها العلم والمعرفة، ومنها حقوق الإنسان في الإسلام.

٢. إنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بالرغم من أنَّها فارقت الحياة في عمر قصير، كانت وما زالت مشعل نور يكشف عن الزيف والاستبداد، ويقارع الطغاة الظالمين، ويقف بوجه كلِّ من يريد طمس معالم الحقِّ والحريَّة.

٣. إنَّ مطالبة السيِّدة فاطمة عليها السلام بحقِّها من السلطة الغاصبة هي درس لكلِّ الأجيال، خصوصًا النساء، بأن لا يسكتنَ عن المطالبة بالحقِّ، وتحقيق العدالة عندما تُرتَكب المظالم، وتُسحق الكرامات، إذ قدَّمت عليها السلام نموذجًا حول أهميَّة دور الإنسان في مجال الإصلاح والمطالبة ومقاومة المعتدين، وحول قدرة المرأة على هزِّ عروش الظالمين، وصناعة جيل يتَّصف بالوعي، ويعشق الحريَّة، ويؤمن بالتغيير ومقاومة التحدِّيات والظالمين، ويرفض الذلَّ والهوان والتخلُّف والاستسلام.

٤. إنَّ التأمُّل في الخطبة يرشدنا إلى الشريعة التي يكمل بها الإنسان، وتصان بها العقول والنفوس والأعراض والأموال، وتُضمن بها الحقوق، وتُحفظ بها المصلحة العامَّة، وتدعو إلى الإيمان والعدل والتنزيه والتزكية والعزِّ والعفَّة، وتسوق المجتمع إلى أحسن نظام بإمامة الأفضل في العلم والأخلاق والأعمال، إنَّما هي الشريعة الإسلاميَّة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

أوَّلًا: المصادر الأوَّليَّة

البخاريّ: أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ).

١. صحيح البخاريّ، ب.ط، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨١م).

البلاذريّ: أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ).

٢. أنساب الأشراف، تحقيق: محمَّد باقر المحموديّ، ط٢، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، (ب.مكا، ١٩٩٦م).

الترمذيّ: أبوعيسى محمَّد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ).

٣. سنن الترمذيّ: تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٣، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٣م).

ابن أبي جمهور: محمَّد بن عليّ بن إبراهيم الأحسائيّ (ت٨٨٠هـ).

٤. عوالي اللئالي العزيزيَّة في الأحاديث الدينيَّة، تحقيق: آقا مجتبى العراقيّ، مطبعة سيِّد الشهداء، ط١، (قم، ١٩٨٣م).

الحاكم النيسابوريّ: أبوعبد الله محمَّد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ).

٥. المستدرك على الصحيحين، ب.ط، دار المعرفة، (لبنان، ب.ت).

ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن عبد الله المعتزليّ (٦٥٦هـ).

٦. شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة، (ب.مكا، ١٩٥٩م).

أبن حنبل: أبو عبد الله بن حنبل (ت٢٤١هـ).

٧. فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: حسن حميد السنيد، المجمع العلميّ لأهل البيت، (ب.مكا، ٢٠١١م).

٨. مسند أحمد بن حنبل، ب.ط، دار صادر، (بيروت، د.ت).

أبوداوود: سليمان بن أحمد السجستانيّ (ت٢٧٥هـ).

٩. سنن أبي داوود: تحقيق: سيِّد محمَّد اللحام، ط١، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٠م).

الزبيديّ: محمَّد مرتضى (ت١٢٠٥هـ).

١٠. تاج العروس، تحقيق: عليّ شيري، دار الفكر، ب.ط، (بيروت، ١٩٩٤م).

أبن شهر آشوب: زين الدين أبن عبد الله محمَّد بن عليّ (ت٥٨٨هـ).

١١. مناقب آل أبي طالب، تصحيح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ب.ط، المكتبة الحيدريَّة (النجف الأشرف، ١٩٥٦م).

الصدوق: أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين (ت٣٥٢هـ).

١٢. علل الشرائع، دار المرتضى، ط١، (بيروت، ٢٠٠٦).

الطبرانيّ: أبوالقاسم سلمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ).

١٣. المعجم الأوسط، دار الحرمين، د.ط، (ب.مكا، ١٩٩٥).

١٤. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، دارإحياء التراث العربيّ، ط٢، (بيروت، د.ت).

الطبرسيّ: أبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب (ت٥٦٠هـ).

١٥. الاحتجاج، مؤسَّسة الصفا، ط١، (بيروت، د.ت).

ابن طيفور: الفضل بن أبي طاهر (ت٣٨٠هـ).

١٦. بلاغات النساء، منشورات مكتبة بصيرتي، ب.ط (قم، د.ت).

أبن عساكر: أبوالقاسم عليّ بن الحسين بن هبة الله الشافعيّ (ت٥٧١هـ).

١٧. تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عليّ شيري، دار الفكر، ب.ط (بيروت، ١٩٩٥م).

المتَّقي الهنديّ: علاء الدين بن عليّ (ت٩٧٥هـ).

١٨. كنز العمَّال، ضبط: بكري حيَّاني، ب.ط، مؤسَّسة الرسالة، (بيروت، ١٩٨٩م).

ابن منظور: أبوالفضل جمال الدين محمَّد بن مكرم (ت٧١١هـ).

١٩. لسان العرب، نشر أدب الحوزة، ب.ط، (قم، ١٩٨٤م).

النعمان المغربيّ، أبوحنيفة النعمان بن محمَّد التميميّ (ت٣٦٣هـ).

٢٠. دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والفضائل والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، تحقيق: آصف بن عليّ أصغر، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٣م).

٢١. شرح الأخبار في فضائل الأئمَّة الأطهار، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط٢، (قم، ١٩٩٤م).

أبو هلال العسكريّ: الحسن بن عبد الله بن سهيل (ت٣٩٥هـ).

٢٢. معجم الفروق اللغويَّة، تحقيق: مؤسَّسة النشر، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين، ط١، (قم، ١٩٩٢م).

الهيثمي: نور الدين عليّ بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ).

٢٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلميَّة، ب.ط، (بيروت، ١٩٨٨م).

ياقوت الحمويّ: شهاب الدين أبو عبد الله الروميّ (ت٦٢٦هـ).

٢٤. معجم البلدان، دار التراث العربيّ، بيروت، ١٩٧٩م.

اليعقوبيّ: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت بعد ٢٩٢هـ).

٢٥. تاريخ اليعقوبيّ، انتشارات المكتبة الحيدريَّة، ط١، (قم،١٩٦٠م).

ثانيًا: المراجع الثانويَّة

البلداويّ: عامرة.

٢٦. انتهاكات حقوق الإنسان في مظلوميَّة الزَّهراء عليها السلام، (بحث مقدَّم إلى المؤتمر السنويّ التخصُّصيّ حول فكر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، الدورة الثامنة، ٢٠١٥.

سند: محمَّد.

٢٧. الديمقراطيَّة على ضوء نظريَّة الإمامة والشورى، ط١، مركز الأبحاث العقائديَّة، قم، إيران، ١٤٢٧.

المجلسيّ: محمَّد باقر.

٢٨. الزَّهراء عليها السلام وخطبة فدك، علَّق عليه وأكمله: محمَّد تقي شريعتيّ، ط١، دار كلستان كوثر، طهران، ٢٠٠٣م.

محمَّد: طه جاسم.

٢٩. الحقوق الأساسيَّة في الشريعة الإسلاميَّة، مجلَّة العلوم القانونيَّة والسياسيَّة، كليَّة القانون والعلوم السياسيَّة، عدد خاص، جامعة ديالى، د.ت.

يعقوب: أحمد حسين.

٣٠. حقوق الإنسان عند أهل بيت النبوَّة والفكر المعاصر، دار الهدى، ط١، قم، ١٤٢٩هـ.

فاطمة الزَّهراء عليها السلام الأنموذج الأمثل للزَّوجة الصالحة

م.م. حسن جبار عبَّاس الدلفيّ

علوم قرآن وحديث

ملخَّص البحث

لا ريب أنَّ هناك فرقًا بين أن تكون الزوجة مثاليَّة، وبين أن تكون الأنموذج الأمثل للزوجة الصالحة؛ إذ إنَّ الأخيرة لها أعلى مراتب الكمال للزوجة الصالحة، ولم يشهد التاريخ أن بلغت إحدى النساء هذه المرتبة الكماليَّة، كما بلغتها سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام، لما تمتلكه من خصائص يندر وجودها عند غيرها من النسوة، فهناك شروط خاصَّة إن توفَّرت في الزوجة الصالحة، استحقَّت أن تكون قدوة وأنموذجًا يُحتذى به، والزَّهراء هي من أسَّست وأصَّلت لبعض هذه الشروط في حياتها الزوجيَّة، كما تكشف لنا ذلك سيرتها مع سيِّد الأولياء، إمام المتَّقين، وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومن الأمور التي أصلت لها، هي أنَّها لم يُعرَف عنها أن طلبت شيئًا من الإمام عليّ عليه السلام سوى مرَّة واحدة في حياتها؛ لغاية في نفسها، وحكمة من ورائها، هذا أوَّلًا، وثانيًا لم يُعرف عن امرأة أنَّها أوصت زوجها بأن يتزوَّج بعدها باختيارها؛ ولم يكن ذلك أيضًا من حكمة من ورائها، وكما أنَّها لم تدعُ الله لنفسها، بل كانت دعوتها لأهل الإيمان من أمَّة أبيها صلى الله عليه وآله، ومن شروطها أنَّها لم تقم بعمل يغيض زوجها أو لا يسرّه بذلك أمره، فكانت نِعمَ العون على الدين والدنيا، كما أنَّ من شروطها معرفتها بوليِّ نعمتها حتَّى أضحت

بذلك يرضى لرضاها، ويغضب لغضبها، فاستحقَّت أن تكون سيِّدة قدوة لنساء أهل الدنيا وأهل الآخرة، بالإضافة الى ما سنتحدَّث عن بعض خصائصها التي اختصَّها الله بها دون سائر نساء العالمين، فهذه وغيرها ممَّا أهَّلها لأن تكون الأنموذج الأمثل للزوجة الصالحة، وأسوة لمن طلب من النساء التأسِّي بها.

الكلمات المفتاحيَّة: فاطمة الزَّهراء عليها السلام، الأنموذج الأمثل، الزوجة الصالحة.

المقدِّمة

بين النبوَّة والإمامة تقف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فهي الرابط بين نبوَّة غيَّرت مجرى التاريخ البشريّ، وبين إمامة رسمت للتاريخ مسارات الخير والصَّلاح.. فهي أمُّ أبيها، إنَّها مسحت التعب عن وجه أبيها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وكفاها فخرًا، وهي التي يرضى الله لرضاها، ورضاها، هو السير في طريق الله، فلا يفقد الله عبده حيث أمره، ولا يراه حيث نهاه، وهي التي يغضب الله لغضبها، وغضبها أن تتبعثر طاقات الأمَّة، وفاطمة هي ابنة محمَّد، ومحمَّد سيِّد الكونَين، وهي زوج عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وعلى عاتقه قام الإسلام، وهي جوهر العصمة، وأمُّ الحسنَيين درَّة الشهادة، ولازالت الشهادة إلى اليوم تُنير بنور دمائها درب السائرين نحو الحريَّة والعدالة والكرامة، ومن جوهر العصمة قد انطلق الإسلام على مساحة الكون الرَّحِب، ونحن جيل الحادي والعشرين الذي افتقد مَثَله الأعلى ليُشغل نفسه بأبطال الأفلام الإجراميَّة والعاطفيَّة، ليقلِّدهم ما شاء من التقليد، وليجري وراءهم في كلِّ مجال، تاركًا وراءه كلَّ مثل وقيمة في عادة هستيريَّة، إنَّها قصَّة هذا الجيل الذي ضيَّع مَثَله الأعلى والأنموذج الراقي، وكذلك نحن افتقدنا المثل الأعلى للإنسانيَّة الكاملة في واقعنا المعاصر، ونور من أنوار البيت الطاهر، فهي مظهر حيّ من مظاهر النبوَّة والإمامة، فكانت المثل والأنموذج الرفيع في كلِّ الميادين، وعلى الرجال والنساء أن يقتدوا بها، وللنساء الحظُّ الأوفر في الاقتداء، وذلك لكونها امرأة، ولكن من نوعٍ راقٍ يمثِّل السماء، وهكذا عاشت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام حياتها كأيَّة زوجة تُخلص في كلِّ مسؤوليَّاتها الزوجيَّة، ولم تميِّز نفسها عن أيِّ زوجة مسلمة، لكونها

ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، كانت مسلمة كأفضل ما تكون المسلمات في مسؤوليَّاتها الزوجيَّة، كما ينقل الذين كتبوا سيرتها.

وبكلمة أخيرة جامعة مانعة، أقول: إنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أعطت عليًّا من روحها، ومن استقامتها، ومن عبادتها، ومن زهدها، فحين يدخل البيت، يرى الإسلام يحيط به من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، كانت تملأ البيت بذلك كلّه، فكان عليّ يتنفَّس الإسلام مع الرسول في المسجد، وفي البيت مع ابنة رسول الله، وكذلك كان عليّ أيضا الزوج المسلم الذي كان مع الحقِّ، وكان الحقُّ معه.

طلب أمير المؤمنين عليه السلام يد فاطمة عليها السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله

في رواية عن أمِّ سلمة:.. فجلس عليّ بن أبي طالب عليه السلام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وجعل ينظر إلى الأرض؛ لأنَّه قصد لحاجة، وهو يستحي بين يديها، فهو مطرق إلى الأرض حياءً من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت أمُّ سلمة: فكأنَّ النبيّ علِم ما في نفس عليّ عليه السلام، فقال له: **يا أبا تراب، إنِّي أرى أنَّك أتيت لحاجة، فقُل حاجتك، وابدِ ما في نفسك، فكلُّ حاجةٍ لك عندي مقضيَّة.** قال عليّ عليه السلام: **فداك أبي وأمِّي، إنَّك لتعلم أنَّك أخذتني من عمك أبي طالب، ومن فاطمة بنت أسد، وأنا صبي لا عقل لي، فغذَّيتني بغذائك، وأدَّبتني بادبك، وكنت لي أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البِّر والشفقة، وأنَّ الله هادني بك وعلى يديك، واستنقذتني ممَّا كان عليه آبائي وأعمامي من الحيرة والشكِّ، إنَّك والله يا رسول الله ذخري وذخيرتي في الدنيا والآخرة يا رسول الله، فقد أحببت مع ما شدَّ الله من عضدي بك، أن يكون لي بيت، وأن يكون لي زوجة أسكن إليها، وقد أتيتك خاطبًا راغبًا أخطب إليك ابنتك فاطمة، فهل أنت مزوِّجي يا رسول الله؟** قالت أمُّ سلمة: فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله يتهلَّل فرحا وسرورًا، ثمَّ تبسَّم في وجه عليّ عليه السلام، فقال: **يا أبا الحسن أخرج إلى المسجد، فإنِّي خارج في إثرك، ومزوِّجك بحضرة الناس، وأذكر من فضلك ما تقرُّ به عينك.** قال عليّ عليه السلام: **فخرجت من عند رسول الله وانا ممتلئ فرحًا وسرورًا، فاستقبلني أبو بكر وعمر، فقالا: ما ورائك يا عليّ؟ فقلت: يزوِّجني رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة، وأخبرني أنَّ الله قد زوَّجنيها، وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله في إثري ليذكر بحضرة الناس، ودخلا معي المسجد.** فقال عليّ عليه السلام: **ما توسَّطناه** (أي المسجد) **حتَّى**

لحق بنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنَّ وجهه ليتهلَّل فرحًا وسرورًا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله بعد الحمد والثناء.. وإنَّ الله أمرني أن أزوِّج كريمتي فاطمة بأخي وابن عمِّي وأولى الناس بي: عليّ ابن أبي طالب، والله عزَّ شأنه قد زوَّجه بها في السماء بشهادة الملائكة، وأمرني أن أزوِّجه في الأرض، وأُشهدكم على ذلك. ثمَّ طلب الرسول، وقال: **يا عليّ قم واخطب لنفسك.** قال: **يا رسول الله أخطب وأنت حاضر؟** قال: **اخطب، هكذا أمرني جبرائيل أن آمرك أن تخطب لنفسك..** ثمَّ أمسك رسول الله صلى الله عليه وآله، وابتدأ عليّ عليه السلام فقال بعد أن حمد الله واثنى عليه: **فإنَّ النكاح ممَّا أمر الله به، وأذن فيه، ومجلسنا هذا ممَّا قضاه ورضيه.**

الخطوبة

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله بعد الحمد والثناء: **وإنَّ الله أمرني أن أُزوِّج كريمتي فاطمة بأخي وابن عمِّي وأولى الناس بي عليّ بن أبي طالب، والله عزَّ شأنه قد زوَّجه بها في السماء بشهادة الملائكة، وأمرني أن أزوِّجه في الأرض وأُشهِدَكم على ذلك.** ثمَّ جلس رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: **يا علي قم واخطب لنفسك.** قال عليه السلام: **يا رسول الله أأخطب وانت حاضر؟** قال: **أخطب هكذا أمرني جبرائيل أن آمرك أن تخطب لنفسك.** ثمَّ أمسك رسول الله صلى الله عليه وآله، وابتدأ عليّ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: **فإنَّ النكاح ممَّا أمر الله به، وأذِنَ فيهِ، ومجلسنا هذا ممَّا قضاه ورضيه، وهذا محمَّد بن عبد الله رسول الله زوَّجني ابنته فاطمة على صداق أربعمائة درهم ودينار، وقد رضيت بذلك، فأسالوا واشهدوا.** فقال المسلمون: بارك الله لهما وعليهما وجمع شملهما[1]. وبهذا تمَّ الزواج الميمون، وهناك روايات اخرى تشرح نفس المضمون ولكن بصيغ مختلفة في تحديد مهر الزَّهراء عليها السلام، فمنها:

أوَّلًا: درع الإمام عليّ عليه السلام في رواية عكرمة

قال عكرمة ما مضمون رواية له أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال للإمام عليّ عليه السلام: **ما تصدقها؟**

(١) دلائل الزَّهراء، الطير الصغير: ٥٠-٥٣.

قال الإمام عليّ عليه السلام: **ما عندي ما أصدقها**. قال النبيّ: **فأين درعك الحطيمة**[1] **التي كنتُ منحتُك؟** قال: **عندي**، قال: **أصدقها إيَّاها**[2]. وفي رواية أخرى أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله أمره أن يبيعَ الدرع فباعه عليه السلام، وقد اختُلف في تحديد ثمنه الذي قدِّم مهرًا للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام بينَ ثلاثين درهمًا إلى أربعمائة درهم[3].

ثانيًا: الدرع كان جزءًا من المهر في رواية الإمام الباقر عليه السلام

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال: «**كان صداق فاطمة عليها السلام وجود برد حبرة وردع حطيمة**»[4].

وعن الصادق عليه السلام عن أبيه: «**أنَّ عليًّا بن أبي طالب عليه السلام أصدق فاطمة عليها السلام درعًا من حديد، وجرَّة دواء، وأن صداق نساء النبيّ صلى الله عليه وآله كان خمسمائة درهم**[5].

ثالثًا: كان مهر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام جرد حبرة، وأهاب شاة[6].

رابعًا: مبلغًا من المال.

هناك روايات تقول إنَّ الإمام عليًّا عليه السلام أصدقها مبلغًا من المال، إلَّا أنَّها تباينت في تحديده بين أربعمائة مثقال فضَّة أي درهم، أو اثنتا عشر أوقيَّة، أي ما يقارب أربعمائة وثمانين درهمًا، أو خمسمائة درهم، أي اثنتا عشرة أوقيَّة ونصف[7].

والشيء اللافت في مهر السيِّدة أنَّه مهما اختلفت الروايات في تحديد مقداره، فهو

(١) الحطيمة: درع تُنسب إلى رجل كان يعملها، وهي التي تحطِّم السيوف، أي تكسِّرها. انظر: لسان العرب، ابن منظور: ١٢/ ١٤٠.
(٢) الطبقات، ابن سعد: ٨/ ٢٠.
(٣) الكافي، الكلينيّ: ٥/ ٣٧٧. التهذيب، الطوسيّ: ٣٦٢. بحار الأنوار، المجلسيّ: ١٤٣.
(٤) ابن سعد: الطبقات: ٨/ ٢١.
(٥) البيهقي: السنن الكبرى: ٧/ ٢٣٥.
(٦) ابن سعد: المصدر السابق، الكليني: الكافي: ٥/ ٣٧٨.
(٧) الكليني: الكافي: ٥/ ٣٧٨.

لا يتعدَّى كونه مهرًا زهيدًا بالحسابات الدنيويَّة لهكذا شخصيَّة، تعدُّ في دولة الإسلام ملكة بنت ملك الإسلام محمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وكان بإمكانها أن لا تقبل بهكذا مهر زهيد؛ لما لها من المكانة الرفيعة في الدنيا والآخرة، لكنَّها فضَّلت الزهد والعيش البسيط، فهكذا جوهرة لا تقدَّر بثمن أبدًا، فكانت لها رسالة أكبر من المهر ومعطياته وزبرجد الدنيا وزخارفها، فكانت بهذا القبول، أي قبول ذلك المهر، نموذج للمرأة الرساليَّة والقدوة الحسنة في الإسلام، ولكي تعطي رسالة سلوكيَّة للمسلَّمات في زمنها وما بعده، من عدم المغالاة بالمهور، أو أن من شأن المرأة غلاء مهرها، كما في الحديث.

وجاء في بعض الروايات أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام طلبت من أبيها أن يردَّ المهر، ويدعو الله أن يجعل مهرها الشفاعة في عصاة أمَّة رسول الله المذنبين[1]، فأيُّ نفسٍ كبيرة عند الزَّهراء، وأيُّ روح عالية، وأيُّ قلب حنون، سلام الله عليكِ سيِّدتي ومولاتي يا فاطمة الزَّهراء.

أثاث بيتها المتواضع قبل الزواج

بعدما باع الإمام عليّ عليه السلام درعه وقدَّم ثمنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، بادر الرسول إلى تجهيز بيت ابنته بما تحتاج إليه في نفسها وبيتها، إذ أقرَّ عدد من الصحابة بشراء لوازم البيت وتجهيزه والثياب والطيب وأثاث البيت، وكلف النساء كأم أيمن وأم سلمة وأسماء لشراء قميص بسبعة دراهم وخمار بأربعة دراهم وخميلة وقطيفة يوداء خيبرية وعباءة أو مدرعة[2].

وفي رواية أخرى أنَّها عليها السلام لـمَّا أهديت إلى الإمام عليّ عليه السلام، أهديت في بروين عليها دملوجان (وهو المعضد من الحُليّ) من فضَّة مصفران بزعفران[3].

(١) الموسوي: الكوثر: ٤٥٠-٤٥١.
(٢) د. انتصار عدنان عبد الواحد، السيِّدة فاطمة الزَّهراء دراسة تاريخيَّة، مؤسَّسة البديل للطباعة والنشر، بيروت، الضاحية الجنوبيَّة، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠٠٩م.
(٣) ابن سعد: المصدر السابق: ٨/ ٢٤، السيوطيّ: الثغور الباسمة: ٢٣.

وعل العموم، فإنَّ بيت فاطمة وجهازها كان يسيرًا هيِّنًا، عليه طابع الزهد والتقشُّف، خالٍ من مظاهر الأبَّهة والعلوّ والبطر. ولو رغبت لكان لها قصر مؤثث بأنواع الأثاث الراقي، والحياة الرغيدة، والخدم والحشم، والأسرَّة النامة بدل الفرش من الخيش المصريّ، وكلُّ هذه التجهيزات نظر إليها رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: **بارك الله لأهل بيت جلُّ آنيتهم من خزف**، ثمَّ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بتجهيز البيت، ففرش ترابًا ليِّنًا من أعراف البطحاء، ثمَّ حشا مرفقين فنفثت فيه، وجعلوا عمودًا جانب البيت؛ ليلقى عليه الثوب، ويعلَّق عليه السقاء [1].

قال السمهوريّ: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُخرج حصيرًا كلَّ ليلة إذا انكفأت الناس، فيطرحه وراء بيت عليّ عليه السلام، ثمَّ يصلِّي صلاة الليل، وقال أحدهم في بيان موضع هذه الأسطوانة (أسطوانة التهجُّد): هي خلف بيت عليّ وفاطمة عليهما السلام، والواقف إليها يكون باب جبرائيل عليه السلام.

فاطمه الزَّهراء عليها السلام أفضل نساء العالمين

لقد اختصَّت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بالأفضليَّة والسيادة على جميع نساء العالمين، وحسب ما جاء في جملةٍ من الروايات تبيِّن تلك الأفضليَّة والسيادة، فلقد جاء عن عائشة أنَّها قالت لفاطمة عليها السلام «ألا أُبَشِّرَكِ؟ إنِّي سمِعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: سيِّدات نساء أهل الجنَّة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت محمَّد، وخديجة بنت خويلد، وآسيا بنت مزاحم (امرأة فرعون)[2]. ولقد حدَّثها رسول الله صلى الله عليه وآله: **أما ترضين أنْ تكوني سيِّدة نساء هذه الأُمَّة كما كانت مريم بنت عمران سيِّده نساء بني إسرائيل؟**[3].

وروِيَ عن النَّبي أنَّه قال لأصحابه: «**إنَّ فاطمةَ وَجِعةٌ**»، فقال القوم لو عدناها،

(١) د. انتصار عدنان عبد الواحد: المصدر نفسه.

(٢) المستدرك، الحاكم: ٣/ ١٨٥.

(٣) ينابيع المودَّة، القندوزيّ: ٢/ ٣٢٢.

فقام ومشى حتَّى انتهى إلى الباب، والباب عليها مغلق، قال: فنادى: **شدِّي عليك ثيابك، فإنَّ القومَ جاءوا يعودونك**، فقال القوم: الله تالله بنت نبيِّنا صلى الله عليه وآله على هذا الحال؟ قال فالتفت فقال: **أما أنَّها سيِّدة نساء يوم القيامة**[1].

وفي جوابه عن تسمية فاطمة عليها السلام، يقول الإمام الصادق عليه السلام: **محدِّثة لأنَّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما كانت تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة، إنَّ الله اصطفاك وطهَّرك واصطفاك على نساء العالمين. يا فاطمة، اقنِتي لربِّك، وتحدِّثهم ويحدِّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضَّلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنَّ مريم كانت سيِّدة نساء عالمها، وإنَّ الله جعلك سيِّدة عالمك، وسيِّدة نساء الأوَّلين والآخِرين**[2].

وبعد هذا الاستعراض من الروايات في فضلها وسيادتها، لا مجال للشكِّ أن تكون أفضل نساء العالمين، فهي أنموذج المرأة المسلمة التي لها المكانة الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى، فمن كانت لها هذه المنزلة حريٌّ بها أن تكون أنموذجًا يُحتذى به ليس للنساء فقط، بل حتَّى الرجال، وما لها من صفات وميزات يشترك بها معها الرجال كالعبادة والجهاد والحديث والبلاغة والفصاحة والمسؤوليَّة تجاه الاسلام ونصرة الرسالة والدفاع عنها، وكذلك دفاعها عن الولاية والإمامة، وكانت لا تقلُّ جهدًا في بذل الغالي في سبيل ذلك، ولِمَن يريد أن يُتقِن فليراجِع المصادر من الفريقَين.

الجانب المأساويّ للأنموذج الأفضل فاطمة الزَّهراء عليها السلام

من المأساة التي أحزنت السيِّدة فاطمة عليها السلام، فقدُ أبيها وأُمِّها مبكِّرًا فكلُّ يوم من أيَّام الدنيا أباء يموتون وبناتهم يُفجعن بهم، ويبكين في مصابهم، ويحزنَّ لفقدهم، إلَّا أنَّ نسبة الحُزنِ والبُكاء وألم المصيبة يتباين بتباين الآباء والبنات، وكذلك بتباين العلاقات

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم: ٢/ ٤٢.
(٢) دلائل الإمامة، الطبريّ: ٨١، ١٥٢، بحار الأنوار، المجلسيّ: ١٤/ ٢٠٦.

الوديَّة بين الأب وابنته، فهناك العدد الكثير من البنات اللاتي لا نصيب لَهُنَّ من الآباء إلَّا الأبوَّة، فلا عطف ولا حنان، فكأنَّه لا معرفة بينهما ولا صلة.

على حين أنَّ هناك آباء عكس ذلك، يُمطرون بناتهم بوابلٍ من العطفِ والدلالِ والاحترام، والمحافظة على البنت لئلَّا تنخدش عواطفها، ولا يحدث شيء يمسُّ كرامتها، فيجد الأب نفس الاحترام والشعور والتقدير المتبادَل، وبهذه الصوره تكون علاقة المودَّة بينهما وثيقةً جدًّا ؛ولهذا تكون مصيبةُ الأب على قلب بنته أليمة وعميقة. وقد يمرُّ عليك ربَّما موقف رسول الله صلى الله عليه وآله من ابنته فاطمة الزَّهراء عليها السلام كيف كانت العلاقة بأبيها ومحبَّتها له لم تكن بدافع الأبوَّة والنبوَّة فقط، بل كانت تعتبره أبًا عطوفًا، ووالدًا رؤوفًا، شفيقًا رحيمًا، وفي نفس الوقت تعتبره رسول الله وسيِّد الأنبياء، فهي تحترم أباها كما تحترمُ المرأةُ المسلمةُ العارفةُ نبيها، وتعظِّمه أقصى أنواع التعظيم، وأعلى درجات التفخيم والتجليل، فهي واقعًا أعلم إمرأة في الاسلام، وأعرف أنثى بعظمة نبيِّ الإسلام.

وبعدَ هذه المقدِّمة يتَّضح لنا أنَّ مصيبة وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله سلبت عن ابنته كُلَّ قرارٍ واستقرارٍ، وكُلَّ هدوءٍ وسكينةٍ، فإنَّها تعلمُ عظمَ المُصاب، ومدى تأثير الواقعة في الموجودات كلِّها. فتقول فضَّة خادمة الزَّهراء عليها السلام إنَّ الحُزنَ كان عميقًا بسبب وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يكن باكيًا ونادبًا من الأقارب والأحباب والأصحاب مثل الزَّهراء بالحزن والمصاب، وكان حزنها يتجدَّدُ ويزيدُ، وبكاؤها يشتدَّ، فجلست سبعة أيَّام لا يهدأ لها أنين، ولا يسكن منها حنين حتَّى بنى لها أمير المؤمنين عليه السلام بيتًا سُمِّيَ بيتَ الأحزان.

بيت فاطمة وعلي أنموذج القداسة

إنَّ العالم اليوم يشعر بضرورة احترام بعض المساكن والمباني والأراضي بسبب فضلها وأهميتها، والتَّقدير عن الشَّرف والعلم والقيم وعلى هذا الأساس أحدثت الحضارة قوانين بهذا الشأن، ورعاية هذا الأمر، فإنَّ الصيانة الدبلوماسيَّة التي منحها

القانون لمباني السفارات والهيئات الدبلوماسيَّة وهكذا، والقوانين التي تفرض احترام الجَّامعات والمعاهد حتَّى غدت تسمَّى بالحرم الجامعيّ والمساجد والمعابد، كلُّ ذلك تقديرًا للعلم والدين والثقافة، وهيَ نتيجة الشعور بهذا المعنى.

مع العلم أنَّ هذه الحقيقة كانت ولا زالت ثابت عند الله وعنده أوليائه من أهل السماوات والأرض منذُ الأزل، لهذا نجد أحكامًا قد وردت حول احترام المساجد، وخاصةً المسجد الحرام، وتحريم الدخول فيه لبعض الأفراد كالمشركين والمجنب أو الحائض، وتحريم تنجيسها، أو إتيان ما ينافي قدسيَّتها واحترامها، وهذا مفصَّل في كتب الفقه.

وبعد ذكر هذه المقدِّمة، اعلم أيُّها القارئ أنَّ البيتَ الذي كانت تسكنُ فيه السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام كان محاطًا بالقداسة والروحانيَّة والنُّور، فكان هذا البيت مبنيًّا بالاحترام والتقدير والتجليل والتبجيل، فيعرف حقَّ ذلك البيت كلُّ مَن يعرف حقَّ فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها.

ولقد روى لنا الشيخ المجلسيّ رحمه الله عن أنس بن مالك، وعن بريده، قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾[1]، فقام رجل فقال: أيُّ البيوت هذه يا رسول الله؟ فقال: **بيوت الأنبياء**، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله، هذا البيت منها؟ وأشار إلى بيت عليّ وفاطمة، فقال: **نعم من أفضلها**.

وفي روايةٍ أخرى عن ابن عبَّاس قال: كنتُ في مسجد رسول الله، وقد قرأ القارئ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾، فقلت: يا رسول الله ما البيوت؟ فقال: **بيوت الأنبياء**، وأومأ بيده إلى منزل فاطمة عليها السلام[2]. بهذه

(١) سورة النور: ٣٦.

(٢) فاطمه الزَّهراء من المهد إلى اللحد، السيِّد محمَّد كاظم القزوينيّ، مؤسَّسة التاريخ العربيّ للنشر=

المكانة الرفيعة كان بيت فاطمة أنموذجًا، فأخرج عائلةً أنموذجيَّةً كانت ولا زالت بركته تعمُّ الوجود إلى يوم القيامة، فهي نِعمَ الزوجة المطيعة لزوجها، ونِعمَ الزوج الذي يقدِّر الحياة الزوجيَّة، ويعرف مكانة وشرف وقداسة زوجته الزَّهراء عليها السلام.

حياتها الزوجيَّة النموذجيَّة

لقد كانت حياة الزَّهراء في البيت الزوجيّ تزداد شرفًا وإشراقًا وجمالًا بعدما انتقلت من دار النبوَّة إلى دار الولاية، حيث كانت تعيش في جوٍّ يكتنفه جوُّ القداسة والنزاهة، وتحيط به عظمة الزُّهد وبساطة العيش، فكانت تُعين زوجها على أمر دينه وآخرته، وتتجاوب معه في اتِّجاهاته الدينيَّة، وتتعاون معه في جهوده وجهاده، وما أحلى الحياة الزوجيَّة إذا حصل الانسجام بين الزوجين في الاتِّجاه والمبدأ ونوعيَّة التفكير، وبالخصوص إذا كان مبنيًّا على أساس الاحترام والتقدير من الجانبَين[1].

وليس هذا بعجيب، فإنَّها كانت تَعرفُ مكانة زوجها العظمى، ومنزلته العليا عند الله تعالى، وتحترمه كما تحترم المرأة المسلمة إمامَها، بل أكثر وأكثر، فإنَّ السيِّدة فاطمة كانت عارفه بحقِّ عليٍّ حقَّ معرفتهِ، وتقدِّره حقَّ قدره، وتعظِّمه كما ينبغي؛ لأنَّه أعزُّ الخلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو صاحب حقِّ الولاية العظمى والخلافة الكبرى والإمامة المطلقة، وهكذا كان عليّ عليه السلام يحترمُ السيِّدة فاطمة زَّهراء غاية الاحترام اللائق بها، لا لأنَّها زوجته فقط، بل لأنَّها أحبُّ الخلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ولأنَّها سيِّده نساء العالمين، ونورها من نور رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبعدما قصصنا عليكم هذا اليسير، يمكن أنْ ندركَ الجوَّ الذي كان الزوجان السعيدان يعيشانه، والحياة الطيِّبة بمعنى الكلمة التي كانا يتمتعان بها، حياة لا يعكِّرها

=والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٩م: ١١٨-١١٩.

(١) فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد، المصدر السابق.

الفقر، ولا تغيِّرها الفاقة، ولا تضطرب بالحوادث، حياة تهبُّ عليها نسائم الحبِّ والوئام، وتزيِّنها العاطفه بجمالها الرائع.

وقد ورد في كتاب البحار عن المناقب، قال عليّ عليه السلام: **فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتَّى قبضها الله عزَّ وجلَّ، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمرًا، لقد كنتُ أنظر إليها فتنكشف عنِّي الهموم والأحزان**[1].

وفي تفسير العيَّاشيّ عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّ فاطمة عليها السلام ضمنت لعليّ عمل البيت والعجين والخبز وقمَّ البيت، وضمن لها عليه السلام ما كان خلف الباب من نقل الحطب، وأن يجيء بالطعام، فعاشت السيِّدة الزَّهراء مع عليّ عليهما السلام حياة الودِّ والتفاهم والمحبَّة بكلِّ معانيها، فكانت بحقٍّ الزوجة المثاليَّة التي يجب على النساء في العصر أن يقرأن سيرتها، ويتخذنَّها الأسوة الحسنة، والحياة الزوجيَّة بالخصوص، من جميع مرافق الحياة، وكذلك بشكلٍ عام الأنموذج الذي يُحتفى به بكلِّ زمان للمرأة المسلمة الصالحة التي تربِّي الجيل، وتُرضي ربَّها وزوجها.

العلاقة الزوجيَّة بين فاطمة وعليّ عليهما السلام

لقد انتقلت السيِّدة الزَّهراء إلى بيت الزوجيَّة في كنف أمير المؤمنين عليه السلام، وبذلك سجَّلت معه علاقةً روحيَّةً فريدةً من نوعها، كاشفةً عن مقام رفيع وسمو روحيّ متألِّق، حيث كانت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام نِعمَ الزوجة لأمير المؤمنين عليه السلام، فلم يثبت طول حياتها المباركة أنَّها عصت له أمرًا أو خالفته في شيء، بل كانت نِعمَ الزوجة، تعينه وتؤازره في طاعة الله، وتؤثره على نفسها، وتُدخل على قلبه البهجة والسرور كلَّما نظر إليها، فتزيح عنه الهموم والأحزان، على هذا كان عليّ عليه السلام يعرف بحبِّه وفيض مودَّته، ويظهر لها ودَّه وإدراكه لها من حقّ، فكانت العلاقة بينهما من أطيب وأسنى وأسمى العلاقات

(١) المصدر السابق.

الزوجيَّة. وبعدما كانت بهذه الصفات المقدَّسة التي جسَّدتها على أرض الواقع، وأثبتها لها أمير المؤمنين دورًا مثاليًّا متميِّزًا واقعًا، وبعد الأدوار الأخرى العظيمة التي قامت بها سواء مع أبيها أو مع زوجها، فعندما كانت مع أبيها، توَّجها أبوها صلى الله عليه وآله بصفة لم تكن لأيَّةِ إمرأة في العالم، ولم يطلقها أيّ أبٍ على ابنته، وهو قوله صلى الله عليه وآله: «**فاطمة أمُّ أبيها**»، فتجدها هنا أمام دور آخر ومسؤوليَّة أخرى جديدة، إذ كان عليها رسم معالم البيت النموذجيّ بتكوينها لأسرةٍ فريدةٍ ترتقي لتكون المثلى في العالم الإسلاميّ، واضعةً أمام عينها المنهج الإلهيّ طريقًا لبلوغ ذلك المنهج.

فمن جملة المصاديق الجليلة لعَظَمة هذا البيت النبويّ الشريف الذي تحفَّه الرحمة، ويغمره الإيمان والحبُّ العميق، والعلاقة الروحيَّة الطيِّبة التي كانت توثِّق تلك العلاقة والصِّلة بينهما، وأنَّ منشأ كلِّ ذلك هو إدراك كلٍّ منهما عَظَمة الآخر، فإنَّ الإمام عليّ عليه السلام كان يعلم مكانة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام عند مَن خلقها، وعند والدها رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنَّ هذه العلاقة لم تكن علاقة عاطفيَّة بقدر ما كانت علاقة إلهيَّة مقدَّسة، وراءها دور عظيم يخصُّ العالم فيما بعد. فكان يحيط بمزاياها وفضائلها ومناقبها وصفاتها التي جعلتها سيِّدة نساء العالمين، وأمُّ الأئمَّة الهداة، والمثل الأعلى لجميع النساء، لذا نجده يعاملها معاملةً خاصَّةً ويجلُّها إجلالًا عظيمًا، ومن جانبٍ آخر، نجدها تدرك فضلَ ومكانة الإمام عليّ عليه السلام كأفضل الخلق بعد أبيها، وما عند الله ورسوله من مقام رفيع وعظيم، ومن فضائل وسمات عالية المستوى، جليلة القدر، جعلته أعظم ثاني شخصيَّة في الوجود بأكمله.

ونستطيع أن نستوحي تلك العظمة وتلك الحياة المثلى والنموذجيَّة والأبعاد الرائعة التي عاشتها مع هذا الرجل الإلهيّ، ورجل الله المقدَّس بعد رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله، من خلال الروايات التي بيَّنت وتحدَّثت عن طبيعة العلاقة بينهما. فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، كما يذكره الخوارزميّ في المناقب، قال سألَ رسول الله ابنته فاطمه عن زوجها،

فأجابت: **إنَّه خير زوج**، وعندما سألَ زوجها عنها، قال: **نِعمَ العون على طاعة الله**[1].

إنَّ هذه الكلمات الجليلة تبيِّن لنا مدى سعة الآفاق السامية لتلك الألفة والمودَّة بين هذين الزوجين المباركين عليهما السلام، فنهضت بأعباء بيتها المتواضع ومسؤوليَّتها تجاه زوجها أمير المؤمنين عليه السلام، فنجدها لم تتوانَ عن خدمته والإخلاص له وأداء حقِّه؛ لأنَّها تعلم يقينًا أهميَّة دورها ومدى تأثيرها في جوانب حياته كلِّها، فالمرأة لها نفوذ وتأثير واسع على زوجها، ويمكن أن يكون لها دور في توجهه إلى أيِّ جهة تشاء، فكيف إذا كانت فاطمة ربيبة الوحي التي سعت لمشاركة زوجها في توجُّهاته، وحرصت على تحقيق طموحاتها، ومضت تقتفي أثره وتسير على خطاه، ونِعمَ العون، كما عَبَّر عليه السلام بنفسه عنها، حيث أمَّنت له سَكَنًا مطمئنًّا أنَّها في قلبها وبنفسها، إذ غدا يقول: **فقد كنت أنظر إليها، فتنكشف عنِّي الهموم والأحزان**[2].

نموذجيَّتها في الجانب الاجتماعيّ

تعتبر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام الأنموذج الأكمل والمثل الأعلى الذي صاغته الرسالة السماويَّة المحمَّديَّة للمرأة المسلمة، سلوكًا ومنهجًا، سواء كان على صعيد حياتها الشخصيَّة، أم على صعيد حركتها في المجتمع الإسلاميّ، فلقد تألَّقت في رسم آفاق جديدة لدورها في مجمل النشاطات الاجتماعيَّة.

وبرغم قلَّة المصادر التي لم ترفدنا إلَّا بالشيء اليسير عن تلك الإسهامات المتميِّزة لها عليها السلام، إلَّا أنَّنا نستشفُّ من عظمتها وأهميَّة ما قدَّمته للإسلام والمسلمين من حولها.

(١) المناقب، ابن شهرآشوب: ٣/ ١٣١، بحار الأنوار، المجلسيّ: ٤٣/ ١١٧.
(٢) حياة أمير المؤمنين، محمَّد محمَّديان: ١/ ١٠٦، مكتبة الشيعة.

والاستقراء لما وصلنا من تلك الروايات يحصر لنا نشاطها الاجتماعيّ في عدَّة محاور مهمَّة، يمكن الإشارة إليها، ولكن تبقى هذه الروايات قاصرة عن احتواء حقيقة تحرُّكاتها، فقد تمتَّعت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بمكانة اجتماعيَّة سامية، وقد استحدث كلُّ ذلك من كونها ابنة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ومحطَّ حبِّه وإجلاله وعنايته لها، فضلًا عن وجود مزيا شخصيَّتها وأخلاقها التي قلَّ نظيرها في جميع الوجود الإنسانيّ، حتَّى أصبحت موضع جذب واحترام كلِّ المحيطين من حولها، فلقد لفتت أنظار مَن حولها من أفراد المجتمع؛ لما لها من مكانة جليلة حظيت بها، حتَّى باتوا يقصدونها في كثير من حوائجهم وأمورهم، حتَّى ذكرت الروايات أنَّ زعيم قريش (أبو سفيان) قصدها في أن يسألها أن تبذل نفوذها لدى والدها النبيّ صلى الله عليه وآله في حقن الدماء بينه وبين قريش؛ لـمَّا نقضوا عهدهم مع المسلمين في الحديبية، فطلب منها أن تجير بين الناس، وتشفع لهم عند رسول الله صلى الله عليه وآله في تمديد العهد، فكان من جوابها عليها السلام «**لا يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وآله أحد**»، فطالبها بأن تسمح لابنيها أو أحدهما أن يجير، فرفضت أيضًا[1].

وبعد هذا العرض نستشفُّ أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لها دور في التدخُّل لحلِّ الإشكالات التي تحصل بين المسلمين حتَّى بين الزوج وزوجته، وبين أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله، وكلُّ أزواج النبيّ يقصدنها للتوسُّط لدى أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله في معالجة بعض الأمور والخلافات[2]، وفي ذلك دليل لعظيم نفوذها لدى أبيها وجليل ما لها من مكانة في أوساط المجتمع المحيط بها.

أثرها الفكريّ

ارتوت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من مناهل النبوَّة، وتوشَّحت من منازل الوحي الذي كان يهبط في دارها، وعلى والدها النبيّ العظيم خاتم الرسل، فصارت من العالمات،

(١) ابن هشام: السيرة: ٤/ ٢٢.

(٢) ابن حنبل: ٦/ ١٥٠.

بل أكثر من ذلك، حيث أصبحت مصدرًا من مصادر العلم والفكر الصافي في الإسلام. وقد يتبادر للذهن سؤال: ماذا كان علمها؟ هل هو علم موهبة أو مكتسب أو قل بعبارة أخرى منطقيَّة: هل كان علمها حضوريًّا أو حصوليًّا أو كان جامعًا للأمرَين؟ والجواب على ذلك نقول: إنَّ علمها هو من العناية الربانيَّة والفضل الإلهيّ الذي تغشَّاها طيلة أيَّامها، وفي جميع نواحي حياتها في ذلك باب العلم، لكنَّها لم تكن تفصح عن ذلك إلَّا ما كان متعلِّقًا بشؤونها الخاصَّة، وأحكام النساء ضمن معالم الشريعة.

فلقد اشتركت في علمها الذي وهبه الله لها مع الأئمَّة الأطهار، والشيء المهمُّ في مسألة تعلُّم الأئمَّة أنَّ علمهم ليس كعلمنا، ولا تعلُّمهم مثل تعلُّمنا، حتَّى يحتاجون إلى زمن طويل وفكر كثير، بل كان يكفيهم لكمال ذاتهم ونقاوة صفاتهم وصفاء أذهانهم وقوَّة إفهامهم أدنى توجُّه، واقصر زمان، لكمال الاتِّصال بين قضيَّة العلم وبينهم، بحيث كانوا عالمين غير جاهلين في بدء الفطرة وأصل الخلقة[1]. وأمَّا علمها المكتسب، فمن المؤكَّد أنَّها أخذته عن أبيها، علَّة الوجود، الذي أحاطها بعنايته، واهتمَّ بتربيتها وتعليمها؛ لتكون النموذج الأكمل، وسيِّدة نساء العالمين.

وقد أشار الإمام الباقر عليه السلام في فضلها وعلمها برواية تُروى عنه، إذ قال: **لـمَّا ولِدت فاطمة عليها السلام، أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى ملك، وأنطق به لسان محمَّد صلى الله عليه وآله، فسمَّاها فاطمة.** ثمَّ قال صلى الله عليه وآله: **إنِّي فطمتك بالعلم، وفطمتك عن الطمث،** ثمَّ قال أبو جعفر عليه السلام: **والله لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم، وعن الطمث بالميثاق**[2].

ويقول المجلسيّ رحمه الله معلِّقًا على هذا الحديث، يقول: فطمتُكِ بالعلم، أي أرضعتك بالعلم حتَّى استغنت وفطمت، أو قطعتك عن الجهد بسبب العلم، أو جعلت فطامك

(١) المازندرانيّ: شرح أصول الكافي: ٢/ ٢٩٩
(٢) الكلينيّ: الكافي: ١/ ٤٦٠، الأربلِّيّ: كشف الغمَّة: ٢/ ٩١.

من اللبن مقرونًا بالعلم، كناية عن كونها في بدء فطرتها عالمة بالعلوم الربَّانيَّة[1].

وخلاصة القول في هذا المبحث ثبت أنَّهاعليها السلام تجمع لاثنين من العلم، الهبة الربَّانيَّة، والمكتسب من أبيهاصلى الله عليه وآله، فهي شخصيَّة إنسان تحمل طابع الأنوثة؛ لتكون آيةً على قدرة الله البالغة واقتداره البديع العجيب، فإنَّ الله تعالى خلق محمَّدًاصلى الله عليه وآله ليكون آية قدرته على الأنبياء، ثمَّ خلق فاطمةعليها السلام التي خلقها منه بضعة؛ لتكون علامة أو آية على قدرة الله تعالى في إبداع مخلوق أنثى تكون كتلة من الفضائل، ومجموعة من المواهب، فلقد أعطى الله فاطمة أوفر حظٍّ من العَظَمة، وأوفى نصيب من الجلائل.

الزواج وحريَّة الاختيار

لقد منح رسول اللهصلى الله عليه وآله السيِّدة الزَّهراءعليها السلام حريَّة اختيار زوجها، فلقد زوَّج الرسول عددًا من بناته، ولم يصادر حقهنَّ في الاختيار، والجدير بالذِّكر أنَّ رجالًا آخرين قد طلبوا يدها من رسول اللهصلى الله عليه وآله، ولكن الرسولصلى الله عليه وآله لم يجبرها، وإنَّما اخذ رأيها، فكانت تشيح بوجهها امارة على عدم رضاها فيمن يُعرَض عليها، وأنَّه سوف يأخذ رأيها في الخاطب الجديد، وذهب يأخذ رأيها في طلب أمير المؤمنينعليه السلام، وأطلعها على الموضوع، بيدَ أنَّ الزَّهراء لم تعرض هذه المرَّة كما كانت تفعل من قبل، بل عبَّرت عن رضاها بسكوتها، فخرج الرسولصلى الله عليه وآله من عندها يكبِّر، وقال: **سكوتها رضاها**[2].

الموقف الرساليّ في الدفاع عن الإمامة

بما أنَّ السيِّدة الزَّهراءعليها السلام هي الزوجة المثاليَّة التي قال عنها عليّعليه السلام: **فقد كنت أنظر إليها، فتنكشف عنِّي الهموم والأحزان**، وقد باتت هذه السيِّدة التي تحدَّث عنها

(١) البحار: ٤٣/ ١٣-١٤

(٢) نظام حقوق المرأة في الإسلام، مرتضى مطهَّري، تحقيق: عبد الكريم الزهريّ، ط٢، مطبعة شريعت، مركز التوزيع: قم، بغداد، شارع المتنبِّي، دار الكتب العلميَّة.

أمير المؤمنين عليه السلام في موقف الزَّهراء من الخلافة، من مدافعه عن حقِّ زوجها وإمامها ووليِّ أمرها، رأت من الواجب عليها أن تنصره وتبيِّن فضله أمام مخالفيه، وهذا ما أثبتته في خطبتها الفدكيَّة في المسجد النبويّ الشريف، وممَّا يؤكِّد أنَّ الخلافة وحدها كانت تعنيها في جميع تحرُّكاتها وحديثها من نساء المهاجرين والأنصار، كان يدور حول الخلافة وحدها، وموقف رجالهنَّ المتخاذل منها، وحسب ما نعتقد أنَّها تتحدَّث عن الإرث في خطابها في المسجد إلَّا لكي تسجِّل عليهم تجاوزًا صريحًا لما انزله الله عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم، بالإضافة إلى تقمُّصهم الخلافة التي تجرَّعت مرارته، وكان أشد إيلامًا لنفسها مع جميع الأحداث التي تلت وفاه أبيها صلى الله عليه وآله، وقد جاء عن حفيدها عبد الله بن الحسن بن الحسين بن الحسن السبط موقفها هذا، فقال: لـمَّا دخلت عليهم، ضرب أبو بكر بينهم وبينها ربطة بيضاء، أو قبطيَّة، ثمَّ ابتدأت بالحمد على من هو أولى بالحمد وبطول المجد، قالت: **الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ**، ومضت تعدِّد نِعَم الله على عباده، ومواقف أبيها وتضحياته في سبيل الدعوة حتَّى أنقذهم من الضَّلال وعبادة الأوثان والأصنام، ثمَّ توجَّهت إلى ذلك الحشد، وقالت:

أَنْتُمْ عِبادَ اللهِ نُصْبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دِينِهِ وَوَحْيِهِ، وأُمَناءُ اللهِ عَلى أَنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إلى الأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقٌّ لَكُمْ للهِ فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ. كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللّامِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إِسْماعُهُ. بِهِ تُنالُ حُجَجُ اللهِ الْمُنَوَّرَةُ، وَعَزائِمُهُ الْمُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ الْمُحَذَّرَةُ، وَبَيِّناتُهُ الجالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ الْمَنْدوبَةُ، وَرُخَصُهُ الْمَوْهُوبَةُ، وَشَرايِعُهُ الْمَكْتُوبَةُ.

فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيرًا لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزِيهًا لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْقِ، والصِّيامَ تَثْبيتًا للإِخْلاصِ، والحَجَّ تَشْييدًا لِلدِّينِ، وَالعَدْلَ تَنْسيقًا لِلْقُلوبِ، وَطاعَتَنا نِظامًا لِلْمِلَّةِ، وَإِمامَتَنا أَمانًا مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْجِهادَ عِزًّا لِلإِسْلامِ،

وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجابِ الأَجْرِ، وَالأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ، وَبِرَّ الْوالِدَيْنِ وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ، وَصِلَةَ الأَرْحامِ مَنْماةً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصاصَ حِصْنًا لِلدِّماءِ، وَالْوَفاءَ بِالنَّذْرِ تَعْرِيضًا لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَةَ المَكاييلِ وَالمَوازينِ تَغْيِيرًا لِلْبَخْسِ، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الخَمْرِ تَنْزِيهًا عَنِ الرِّجْسِ، وَاجْتِنابَ الْقَذْفِ حِجابًا عَنِ اللَّعْنَةِ، وَتَرْكَ السَّرِقَةِ إِيجابًا لِلْعِفَّةِ. وَحَرَّمَ اللهُ الشِّرْكَ إِخلاصًا لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، فـ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، وَ أَطيعُوا اللهَ فيما أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

ثُمَّ قالت: أَيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أَنِّي فاطِمَةُ، وَأَبي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، أَقُولُ عَوْدًا وَبَدْءًا، وَلا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطًا، وَلا أَفْعَلُ ما أَفْعَلُ شَطَطًا، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، فَإِنْ تَعْزُوه وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أَبي دُونَ نِسائِكُمْ، وَأَخا ابْنِ عَمّي دُونَ رِجالِكُمْ، وَ لَنِعْمَ المَعْزِيُّ إِلَيْهِ صلى الله عليه وآله، فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعًا بِالنِّذارَةِ، مائِلًا عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِبًا ثَبَجَهُمْ، آخِذًا بِأَكْظامِهِمْ، داعِيًا إِلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، يَكْسِرُ الأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوا الدُّبُرَ، حَتَّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ، وَخَرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطِينِ، وَطاحَ وَشيظُ النِّفاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ، وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الإِخْلاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبيضِ الْخِماصِ، وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، مُذْقَةَ الشّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ الْوَرَقَ، أَذِلَّةً خاسِئِينَ، ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾، فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بَعْدَ اللُّتَيَّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾، أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخاهُ فِي لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُودًا فِي ذاتِ اللهِ، مُجْتَهِدًا فِي أَمْرِ اللهِ، قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللهِ سِيِّدَ

أَوْلياءِ اللهِّ، مُشْمِّرًا ناصِحًا، مُجِدًّا كادِحًا وأَنْتُمْ فِي رَفاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادِعُونَ فاكِهُونَ آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنا الدَّوائِرَ، وتَتَوَكَّفُونَ الأَخْبارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزالِ، وَتَفِرُّونَ عِنْدَ القِتالِ. فَلَمَّا اخْتارَ اللهُ لِنَبِيِّهِ دارَ أَنْبِيائِهِ وَمَأْوى أَصْفِيائِهِ، ظَهَرَ فيكُمْ حَسيكَةُ النِّفاقِ، وَسَمَلَ جِلبْابُ الدِّينِ، وَنَطَقَ كاظِمُ الْغاوِينِ، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقَلِّينَ، وَهَدَرَ فَنيقُ الْمُبْطِلِين، فَخَطَرَ فِي عَرَصاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ..

إلى آخر كلامها المقدَّس، فإنَّها بيَّنت في خطبتها العظيمة فضل أبيها وبعلها، وكذلك انتشال للأمَّة من الضياع وعبادة الأوثان، فكانت بحقّ المرأة المثاليَّة صاحبة الفضل الكبير والإيمان العميق، فيعلم الله حيث يجعل رسالته، فقد زُقَّت العلم زقًّا، فلقد أخرست القوم بخطبتها، وفصاحة لسانها، ووضوح بيانها، وقوَّة حجَّتها، وعذب منطقها، ولم يصل أحد من العرب لبلاغتها، عدا أبيها وزوجها، وأقول بحقٍّ إنَّ السيِّدة الزَّهراء مفخرة للإسلام بشكلٍ عامٍّ، وللتشيُّع بشكلٍ خاصّ، وبهذا المعنى قال عنها حفيدها الشريف الرضيّ:

قَومي هُمُ الناسُ لا جيلٌ سَواسِيَةٌ
الجودُ عِندَهُمُ عارٌ إِذا سُئِلوا
أَبي الوَصيُّ وَأُمّي خَيرُ والِدَةٍ
بِنتُ الرَسولِ الَّذي ما بَعدَهُ رُسُلُ

وفي قصيدة أخرى:

يُفاخِرُنا قَومٌ بِمَن لَم يَلِدهُمُ
بِتَيمٍ إِذا عُدَّ السَوابِقُ أَو عَدي
أَخَذنا عَليهِم بِالنَبِيِّ وَفاطِمٍ
طِلاعَ المَساعي مِن مَقامٍ وَمَقعَدِ

الاتِّزان الانفعاليّ والحكمة عند السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

الباحثة أحلام كاظم جواد الهنداويّ

ملخَّص البحث

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم والحمد لله الواحد المعبود، الذي عمَّ بحكمته الوجود، وشملت رحمته كلَّ موجود، وأزكى الصلاة والسلام على نبيِّنا صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، وعلى بضعته وأهل بيتها الرُّكَّع السجود، وعجِّل يا ودود فرجهم المنشود.

لأهميَّة موضوع الاتِّزان الانفعاليّ في دراسات علم النفس، وأثره في السلوك الفرديّ، أصبح المحدِّد لمعالم الشخصيَّة الإنسانيَّة، ليس ذاتيًّا فقط، مثل السيطرة على الانفعالات، وضبط الميول والنزعات، ولكن يتمظهر أيضًا بالتوافق مع البيئة المحيطة على الصعيد الاجتماعيّ.

وباستقراء السيرة العطرة للحوراء الإنسيَّة عليها السلام، نجدها أجلى مصداق للاتِّزان الانفعاليّ وضبط النفس في نفسها الشريفة من جهة، ومثالًا للتوافق الأسريّ والاجتماعيّ من جهة أخرى .

وجميع المصطلحات الواردة في شرح الاتِّزان الانفعاليّ نراها متمثِّلة في حياة السيِّدة الطاهرة، إمَّا بالقول أو الفعل، واضعةً للأجيال أسس ترويض النفس، وطرق صناعة الإنسان فوق أنقاض الإنسان المتهالك.

وقد بلغت عليها السلام القمَّة في استعمال مفهوم الحكمة، حيث إنَّه يتبلور في تجسيد هذه المصطلحات العصريَّة على أرض الواقع، بحيث تصل إلى ترجمة الأفكار، وإعطائها القوَّة في التجذُّر والثبات، هنا تكمن فكرة البحث المتواضع في توضيح هذا المزج بين ما يسمَّى اليوم الاتِّـزان الانفعاليّ، ومديات الحكمة، وإثبات جذورهما التاريخيَّة، وعمقهما الأصيل في حياة السيِّدة الطاهرة عليها السلام.

سيكون البحث بعونه تعالى متضمِّنا لمقدِّمة وتمهيد ومحوَرَين أساسيَّين، يتناول الأوَّل شرح مجمل لمصطلح الاتِّزان الانفعاليّ في المطلب الأوَّل، ونعرِّج في المطلب الثاني على مفهوم الحكمة وبعض مصاديقها، ثمَّ يشرع المحور الثاني متبرِّكا ببيان التجسيد الواقعيّ لهذه المصطلحات في حياة الحوراء الإنسيَّة عليها السلام في مطلبه الأوَّل، ليثبت أنَّ قصور الحداثة، ووقوفها عاجزة عن تطبيق علومها التجريبيَّة، يرجع إلى بُعدِها عن الروح الإسلاميَّة، ونهجها السليم المتمثِّل بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ثمَّ يبيِّن المطلب الثاني لملمة لأطراف البحث بالتركيز على انعكاسات الموضوع على المرأة المسلمة المعاصرة.

الكلمات المفتاحيَّة: الاتِّزان الانفعاليّ، الحكمة، السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربِّ العالمين عدد أنفاس الخلائق، وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وزد وبارك على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسرِّ المستودع فيها، كأفضل ما صلَّيت وسلَّمت وباركت وتحنَّنت على أحد من أنبيائك ورسلك وخاصَّة عبادك من خلقك. اللهمَّ وصلِّ على وليِّ أمرك القائم المؤمَّل، والعدل المنتظر، وحفَّه بملائكتك المقرَّبين، وأيِّده بروح القدس يا ربَّ العالمين.

يقول الامام الخمينيّ قدس سره مخاطبًا زوجة ولده السيِّد أحمد عندما طلبت منه أن يكتب شيئًا عن سيِّدة نساء العالمين عليها السلام: ابنتي العزيزة فاطمة، تريدين من عجوز بائس، خالي الوفاض من المعارف والمعالم الإلهيَّة، ما لا يستطيع العرفاء الكبار والفلاسفة العظام الاقتراب منه. وماذا يستطيع المرء أن يقول أو يدرك حول شخصيَّة تتمتَّع بآلاف الأبعاد الإلهيَّة، يعجز عن تبيان كلٍّ منها القلم واللسان[1].

لذا ستكون أي محاولة عقيمة من الأساس للكتابة حول أي مفصل من حياة السيِّدة الطاهرة الزَّهراء عليها السلام، ولكن سأتناول في هذا البحث المتواضع ذرَّة من كثيب فضائل هذه الحوراء الإنسيَّة؛ لعلِّي أتبرَّك به، ويكون ذخرًا في يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلَّا من أتى الله عزوجل بحبِّ فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها.

(١) الإمام الخمينيّ قدس سره، روح الله، من معين الزَّهراء عليها السلام، شبكة المعارف الإسلاميَّة، ٢٨ تشرين الثاني ٢٠٢٢.

عند البحث والدراسة في تداعيات المجتمع الحالي ومشاكله بأنواعها، نجد الباحثين يركّزون على الأبعاد النفسيَّة للأفراد، ودورها الأوَّل في تأجيج المشاكل أو تهدأتها، فتركيبة الشخص النفسيَّة تؤثّر على سلوكيَّاته ونمط حياته، فكان الوصول لحالة الاتّزان الانفعاليّ السبيل الأمثل لإنتاج أفراد متَّزنين ومؤهَّلين لإنجاح المجتمع، بل وقيادته لبرِّ الأمان، ليس في زمان معيَّن، بل يمكن أن يكون للشخص المتَّزن والقياديّ القدرة على إدارة الأجيال اللاحقة بفضل قدرته الخلَّاقة، كما لاحظناها وقرأناها في سيرة سيِّدة النساء السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

من هذا المحور من حياتها الطاهرة، يتجلَّى موضوع البحث، باستقراء النبوغ الذهنيّ لسلوكيَّات البضعة الطاهرة عليها السلام، نجد تجلِّيات المصطلح المعاصر (الاتّزان الانفعاليّ) واضحة في كلِّ حياتها الشريفة، في السرَّاء والضرَّاء والشدَّة والرخاء، في بيتها وأسرتها هي الزوجة المثاليَّة والأم الحنون، في مجتمعها معلِّمة وقائدة، والحلقة الواصلة بين النبوَّة والإمامة.

أمَّا إشكاليَّة البحث، فلم تكن مصاديق مصطلح الاتّزان الانفعاليّ حديثة كما يتصوَّر بعض الباحثين في علم النفس بل هو أجلى صور الحكمة في مفاصل حياة الزَّهراء وأهل البيت عليهم السلام، وكان هذا الاتّزان هو نتاج الحكمة المكنونة عندهم، والتي استمدُّوها من جدِّهم صلوات ربِّي وسلامه عليه، والتي تلقَّاها من لدن الحكيم العليم جلَّ وعلا.

أمَّا هدف البحث، فهو رسم دلائل تشير إلى المصدر الحقيقيّ للطبِّ النفسيّ، وتقويم الذات، وإصلاح السلوك عن طريق الرجوع إلى جادَّة الحقِّ، وهم (فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها) عليهم الصلاة والسلام، والارتشاف من معينهم الصافي، والسَّير على نهجهم القويم الذي يتضمَّن برامج حديثة ممنهجة للطبِّ النفسيّ استنادًا للمواعظ الأخلاقيَّة والتوصيات الروحانيَّة التي اطَّلعت عليها الباحثة في كتب السيرة العطرة للسيِّدة الطاهرة عليها السلام.

أمَّا محاور البحث، فعلى محورين، الأوَّل: ضمَّ شرح مجمل عن مفردة الاتِّزان الانفعاليّ في المطلب الأوَّل، ثمَّ بيان تعريف الحكمة ومصاديقها في المطلب الثاني.

وتستمر الباحثة في عرض مفاصل بحثها المتواضع في المحورالثاني، بالحديث عن الأدوار العمليَّة، في المطلب الأوَّل، والمعبِّرة عن الاتِّزان الانفعاليّ بالمصطلح المعاصر، ومصاديق الحكمة في سلوكيَّات السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، أمَّا المطلب الثاني ففيه يتمُّ عرض الأفكار المستوحاة من النهج الفاطميّ لاستخدام الطبِّ الروحانيّ (النفسيّ) في تقويم النفس بتحصينها الأخلاقيّ عن طريق عرض مجمل لأهمِّ روايات أهل البيت والسيِّدة الطاهرةعليهم السلام.

وخاتمة البحث ستحتوي على الفوائد المهمَّة المبتنية عليها محاور هذا البحث المتواضع، الذي كتبته وأقدِّمه بين يدي مولاي صاحب الزمانعجل الله تعالى فرجه الشريف أوَّلًا، ثمَّ أقدِّمه بين أياديكم الكريمة، بضاعةً مزجاة؛ ليوف لنا الكيل، وتتصدَّق علينا جدَّته الصدِّيقةعليها السلام؛ ليجزي الله المتصدِّقين شرفًا فوق الشرف، ورفعةً عند ذي العرش المتين، والحمد لله ربِّ العالمين.

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله ربِّ العالمين حمد النسمات وتسبيح ذوي الثفنات لله ربِّ الآخرة والدنيا، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، نذيرًا وبشيرًا، وعلى ابن عمِّه ووصيِّه عليّ المرتضى وآله الأطهار وأمّهم الزَّهراء، لاسيما يوسفها المنتظر؛ لينشر البشرى.

عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **خلق الله نور فاطمة قبل أن يخلق الأرض والسماء.**

فقال بعض الناس: يا نبي الله، فليست هي إنسيَّة؟ فقال: **فاطمة حوراء إنسيَّة.**

قالوا: يا نبي الله، وكيف هي حوراء إنسيَّة؟ قال: **خلقها الله عز وجل من نوره قبل ان يخلق آدم، إذ كانت الارواح، فلمَّا خلق الله عز وجل آدم، عرضت على آدم.**

قيل: يا نبيَّ الله وأين كانت فاطمة؟ قال: **كانت في حقَّة تحت ساق العرش.**

قالوا: يا نبي الله فما كان طعامها؟ قال: **التسبيح والتقديس والتهليل والتحميد؛ فلما خلق الله عز وجل آدم واخرجني من صلبه، واحب الله ان يخرجها من صلبي، جعلها تفاحة في الجنة، واتاني بها جبرئيل عليه السلام، فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا محمَّد، قلت وعليك السلام ورحمة الله حبيبي جبرئيل.**

فقال: يا محمَّد؛ إنَّ ربَّك يقرئك السلام، قلت: منه السلام وإليه يعود السلام، قال: يا محمَّد إنَّ هذه تفَّاحة أهداها الله عز وجل إليك من الجنَّة، فاخذتها وضممتها إلى صدري؛ قال: يا محمَّد يقول الله جلَّ جلاله كُلها، ففلقتها فرأيت نورًا ساطعًا ففزعت منه، فقال:

يا محمَّد ما لك لا تأكل؟ كلها ولا تخف، فإنَّ ذلك النور (للمنصورة في السماء، وهي في الأرض فاطمة)[1].

وانتقلت المنصورة من صُلب النبيّ صلوات ربِّي وسلامه عليه إلى أطهر رحم لسيِّدة نصرت الإسلام بنفسها ومالها، وساندت نبيَّها في دعوة الحقِّ، هي السيِّدة خديجة بنت خويلدعليها السلام، مناضلة بالفطرة، احتضنت في أحشائها المنصورة؛ لتنمو متغذِّية على اسمى المكارم وأرقى القيم، وتزداد نورًا أرضيًّا إلى نورها السماويّ الذي أشرق على الدنيا في العشرين من جمادي الآخرة؛ ليملأها خيرًا متَّصلًا إلى يومنا هذا.

لتبقى المنصورة فاطمة سلام الله عليها قدوة لكلِّ من تريد أن ترتقي مدارج الكمال نحو سعادة الدَّارَين.

(١) البحراني -عبد الله، كتاب عوالم العلوم والمعارف والاحوال، السيِّدة الزَّهراء.ج١١- ص٨٧، شبكة الفكر للكتب الإلكترونيَّة.

المحور الأوَّل

المطلب الأوَّل: الاتِّزان الانفعاليّ

إنَّ لمصطلح الاتِّـزان الانفعاليّ أهميَّة كبيرة في نظريَّات علم النفس؛ لكونه من الأهداف الأساسيَّة التي سعى هذا العلم لترسيخها في شخصيَّة الأفراد، فهو عامل مهم في إنتاج سلوكيَّات منظَّمة تتميَّز بما يسمَّى (الثبات الانفعاليّ)، ويكون الشخص بعيدًا عن الغضب والتهيُّج العصبيّ، رغم شدَّة العوامل الخارجيَّة المؤثِّرة.

«وقد ظهرت له تسميات متعدِّدة، مثل: النضج الانفعاليّ، الـذات والصحَّة النفسيَّة، وقوَّة الأنا، التي اعتبرها فرويد الجهاز الإداريّ والمسيطر المنظِّم للشخصيَّة، وأكَّد أنَّ لهذا الجهاز قدرة كبيرة في السيطرة على منافذ السلوك، وملائمته مع الجوانب البيئيَّة المناسبة له»

وبيَّن ماسلو، الذي يعدُّ زعيم حركة علم النفس الإنسانيّ أنَّ للإنسان طبيعة جوهريَّة، وهي إما أن تكون طبيعة خيِّرة أو محايدة، لكنَّها ليست شريرة، وأنَّ النمو الصحيح يقوم على تحقيق هذه الطبيعة باتِّجاه النضج، كما أنَّه يحتاج إلى ظروف بيئيَّة سليمة، فالبيئة غير السليمة أو التي تعيق الفرد، ولا تسمح بتحقيق رغباته وتطلُّعاته واختياراته، قد تجعله عرضة لانهيار الصحَّة النفسيَّة.

وأشار البورت، مؤسِّس نظريَّة السمات، إلى أنَّ الأهداف بعيدة المدى هي التي تميِّز الشخصيَّة السويَّة عن الشخصيَّة الانفعاليَّة المضطربة، باعتبار أنَّ هذه الأهداف تعدُّ أمرًا جوهريًّا لشخصيَّة المتَّزن.

أمَّا النظريَّة الوجوديَّة فتعتقد أنَّ دراسة الانفعال هو الطريق الوحيد الذي من خلاله يمكن الوصول إلى حقيقة الإنسان، وترى أنَّ الشخص الأصيل (الشخص المتَّزن) متكامل بشكل جيِّد، وهو قادر على اختيار سلوكه في أيِّ وقت، وقادر على تحمُّل مسؤوليَّة أفعاله والقرارات التي يتَّخذها، وقادر على إيجاد معنى للحياة، كما أن توجُّهه الأساسيّ نحو المستقبل، وبكلِّ ما يرتبط به من مجهول أو عدم يقين، وهذا المجهول يقوده للقلق، لكنَّه يتقبَّل هذا القلق كضرورة لاستمرار الحياة، وهذا القبول يأتي من الشجاعة التي يبديها الفرد في مواجهة مستقبله، كما أنَّ الشخص الأصيل (المتَّزن) يُبدي قدرة على إقامة علاقات صادقة مع الآخرين، ويعبِّر عنها بشكل أصيل.

وأكَّد برنهارت على أهميَّة الاتِّزان الانفعاليّ، وعدَّه شرط من شروط الكفاءة والسعادة في التعامل مع البيئة المحيطة بالفرد، حيث أشار إلى أنَّ هناك نوع من الموازنة بين العقل والانفعال، ففي حين يرتفع أحدهما ينخفض الآخر، وكلَّما كان الفرد أكثر انفعالًا، كان أقل كفاءة. فالعمل الإبداعي ينخفض بشكلٍ كبيرٍ عندما يرتفع التوتُّر النفسيّ عند مستوى معيَّن، «إذ إنَّ الاضطرابات الانفعاليَّة حين تحصل، يستحيل معها العمل بتعقُّل وذكاء وكفاءة»[1]

علاقة الوعي بالانفعال

لهذه العلاقة جوانب مختلفة باختلاف الأبعاد النفسيَّة للأفراد، ويمكن فهمها عن طريق جعلها أحد العوامل التي يؤثِّر الاتِّزان الانفعاليّ فيها بشكلٍ ملموس وواضح، حيث وجدت الباحثة: «أنَّ معرفة الحالة الانفعاليَّة للفرد تؤثِّر في أدائه من خلال معرفة انفعالات الفرد، ومعرفة جوانب القوَّة والضعف لدى الفرد، والإحساس القويّ بقيمة الذات وقدراتها، ويرتبط الوعي الانفعاليّ بالوعي بالذات، ويعني الأخير إدراك

(١) مقالة بعنوان (الاتِّزان الانفعاليّ)، سعد سوسة، موقع الحوار المتمدِّن الإلكترونيّ (آب، ٢٠٢٠).

المرء للانفعالات التي يشعر بها، مع معرفة الأسباب التي أدَّت إليها. ويتضمَّن الوعي بالذات أيضًا: الأمانة مع الذات؛ معرفة المضامين السلبيَّة والمضامين الإيجابيَّة لما يشعر به المرء والاستجابة السويَّة لكِلَا النوعَين في إطار الثقة بالجدارة والأهليَّة والقدرات الشخصيَّة.

الإنسان بصفة عامَّة لا يعيش في عزلة اجتماعيَّة، بل إنَّ وجوده مرتبط بالآخرين، وأنَّ الجانب الانفعاليّ مهم ومؤثِّر في الشخصيَّة الإنسانيَّة، إذ تتأثَّر قدرة الفرد على مواجهة المعوِّقات والمشكلات، والقدرة على حلِّها بما يتمتَّع به من ضبط انفعاليّ ينعكس في قدرته على اتِّخاذ القرار المتعلِّق بحلِّ هذه المشكلات، ولهذا فالمشكلات والصعوبات التي يواجهها الفرد، تتطلَّب مشاركة أفراد الجماعة داخل الأسرة والمجتمع، لإحداث التغيُّر الفعَّال في المواقف التي يتعرض لها الفرد، وإحداث التعديل في سلوكيَّاته نحو كيفيَّة معالجة هذه الأحداث من خلال عمليَّاته العقليَّة، حتَّى يمكن للجماعة والفرد الإحساس بالقدرة على حلِّ المشكلات، وبما أنَّ حلّ المشكلات ليس إلَّا عمليَّة يمكن تعلُّمها وإجادتها بالممارسة والتدريب، ممَّا يتطلَّب أن يتمتَّع الشخص القادر على حلِّ المشكلات بجملة من الخصائص، منها الاتِّجاهات الإيجابيَّة نحو المواقف الصعبة والثقة الكبيرة بإمكانيَّة التغلُّب عليها، التأمُّل وتجنُّب التخمين والسير في معالجة المشكلة خطوة خطوة والإجادة في اختيار الإستراتيجيَّة المناسبة، هذا كلُّه يتطلَّب أن يتمتَّع الشخص بصفات شخصيَّة قائمة على الانفتاح على الآخر، وقبول رأي الآخر، وعدم الانغلاق ورفض أفكار الآخرين، والتمسُّك بالرأي الواحد، والضبط والاتِّزان الانفعاليّ القائم على فهم الفرد لانفعالاته، وإدراكه لهذه الانفعالات»[1].

وعند النظر في السيرة العطرة للسيِّدة الطاهرة سلام الله عليها، نجد مصاديق كثيرة ورائعة لضبط الانفعال والوعي العالي للأحداث الجارية، ومن أبرزها حالها عند وفاة

(١) مجلَّة جامعة بابل، العلوم الإنسانيَّة، مج٢١، العدد٣، ٢٠١٣.

أبيها صلوات ربِّي وسلامه عليه، وعلاقتها بزوجها عليهما السلام.

بعض الناس يظنُّ أنَّ فاطمة لـمَّا حصل لها هذا الحادث المأساويّ في هجوم الدار، صارت لا تتكلَّم وكئيبة وحزينة ولا تبتسم، وصار الإمام عليّ يعيش مع امرأة حزينة كئيبة باكية، لا يرى منها أي بسمة، لا، الرواية تقول: «فاطمة إذا خرج عليّ بكت وأنَّت، وبمجرد أن يعود استقبلته بالابتسامة»، ما رآها إلَّا وهي مبتسمة، إلَّا وهي تبتسم في وجهة وتُقبِل عليه، كانت تخفِّف عنه هذه الآلام كلَّها، كانت ترفع منه هذا الألم كلُّه ببسمتها، أتدرون ما هي ابتسامة فاطمة؟ ابتسامة فاطمة ابتسامة الجنَّة، لأنَّها تفَّاحة من الجنَّة، كما كان الرسول يشتاق إليها، ويقول: إذا شممتها شممت رائحة الجنَّة، كانت بسمتها ابتسامة الجنَّة، إذا ابتسمت لعليّ، أحسَّ كأنَّ الجنة أمامه بأفيائها وألوانها ومفاتنها، ابتسامة فاطمة لعليّ كان لها أثر كبير على نفس عليّ عليه السلام: «ما فارقتها الابتسامة».

من شدَّة حنان الزوجة على زوجها، ما فارقتها الابتسامة أبدًا، وهذا يؤكِّد لنا مرآتيَّة ذاتها لذات الله، وحنان الأم على أولادها، حنان البنت على أبيها «حنان فاطمة»، حنان الزوج على زوجها «حنان فاطمة»، حنان الأم على أولادها «حنان فاطمة»، أي حنان أغدقت به حسنًا وحسينًا وزينبًا وأمّ كلثوم، ما كان حنانًا ماديًّا ولا حنانًا دنيويًّا، وإنَّما كان حنانًا روحيًّا، ربَّت هؤلاء الأربعة على أن يكونوا أبطال التاريخ، لم تكتفِ أن تربِّيهم على الصلاة أو الصوم أو النافلة، ربَّتهم على أن يكونوا أبطال التاريخ وكوكبة التاريخ، يقودون مسيرة التاريخ «حسنٌ وحسين وزينب وأمّ كلثوم» نساءً ورجالًا قادوا مسيرة التاريخ كما ربَّتهم فاطمة، ربَّتهم على العطاء أن لا شيء في الكون اسمه أنانيَّة أو احتكار واستقلال، هناك عطاء وبذل وتضحية، منذ صغرهم ينذرون ثلاثة أيَّام صومًا وعندما ينتهي يوم الصوم، أطفال صغار صائمون يعشقون قرصًا من الرغيف حتَّى يسدُّوا به جوعتهم، لكن بمجرَّد أن يُقبِل المسكين ثمَّ اليتيم ثمَّ الاسير «ما تحتاج الزَّهراء

تقول لأولادها: تصدَّقوا بأقراصكم» وَلكن نراهم يبادرون بأنفسهم ويتسابقون في التصدُّق[1]، وبالنتيجة توصَّلت الباحثة إلى مديات تأثير وأهميَّة الاتِّزان الانفعاليّ في إعداد الشخصيَّة الإنسانيَّة الحقيقيَّة التي لها التأثير الحقيقيّ في المجتمع، بل وأكثر من ذلك، لتكون هي القائدة والموجِّهة له في خضمِّ الصراع العنيف الذي يخوضه المجتمع في وقتنا الحاضر.

لذا كان من اللازم معرفة الطرق الموصلة للتحلِّي بالاتِّزان الانفعاليّ، فضلًا عن اتِّخاذ القدوة والمثل الأعلى في هذا الطريق، ولا يخفى على أيِّ متتبِّع النور الساطع لرصانة سلوكيَّات السيِّدة الطاهرة الزَّهراء عليها السلام. فتستمرُّ الباحثة في عرض شعاع من أشعَّة نورها عليها السلام.

الحكمة، تعريفها، أقسامها

في شرح الحكمة، والإحاطة بتعريفها أوَّلًا، ثمَّ مصادرها، وكيفيَّة تحصيلها:

تعتبر الحكمة من الغايات التي يسعى الإنسان للوصول إليها، فقد امتدحها القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩)، ولأجل هذه الرغبة في الوصول إلى حالة التكامل والصعود إلى تكوين شخصيَّة قويَّة ومتوازنة، عليه أن يكون حكيمًا في سلوكه وفي تفكيره واستنتاجاته، وأفضل تعبير نطلقه على الإنسان المتكامل هو إنسان حكيم.

الحكمة لغةً: وردت عدَّة تعريفات عند أهل اللغة، يقول ابن منظور في لسان العرب: «الحكم والحكيم هي بمعنى الحاكم، وهو القاضي، فهو فعيل بمعنى فاعل،

(١) محاضرة للسيِّد منير الخباز، شبكة المنير، (٢٧/ ٦/ ٢٠٠٨).

أو هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها، فهو فعيل بمعنى مفعل، وقيل: الحكيم ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم»[1].

وقال الراغب الأصفهانيّ: «الحكمة إصابة للحقِّ بالعلم والعقل، فالحكمة لله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وهذا هو الذي وصف به لقمان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[2].

الحكمة اصطلاحًا: عرَّفها بعض العلماء الكبار، فقال العلَّامة الطباطبائيّ في تفسيره: «الحكمة هي القضايا الحقَّة المطابقة للواقع، من حيث اشتمالها بنحوٍ على سعادة الإنسان كالمعارف الحقَّة الإلهيَّة في المبدأ والمعاد، والمعارف التي تشرح دقائق العالم الطبيعيّ من جهة مساسها بسعادة الإنسان، كالحقائق الفطريَّة التي هي أساس التشريعات الدينيَّة[3].

وقال السيِّد عبد الأعلى السبزواريّ في كتابه مواهب الرحمن: «الحكمة هي المطالب الحقَّة التي ترتسم في النفس، وتوجب التوفيق بين الاعتقاد والعمل والسوق إلى الكمال المنشود للإنسان»[4].

ولتوضيح معنى الحكمة نقول: إنَّ العلماء قسَّموا الحكمة على قسمَين:

الحكمة النظريَّة: وهي في المسائل التي لا تأثير لقدرة الإنسان في وجودها، وتشمل الإلهيَّات والطبيعيَّات.

الحكمة العمليَّة: وهي في المسائل التي للإنسان تأثير في وجوده، وتشمل الأخلاق، وتدبير المنزل والسياسة.

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، تحقيق عبدالله عليّ الكبيري وآخرون، ج٢، من (ح إلى د)، ص٩٥٢-٩٥٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانيّ، مكتبة نزار مصطفى الباز، ص١٢٧.

(٣) تفسير الميزان، العلَّامة الطباطبائيّ، مكتبة الشيعة، ج٢، ص٣٩٥.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الأعلى السبزواريّ، مكتبة مدرسة فقاهة ج٤، ص٣٧١.

اختلفت المصادر عند علماء الكلام ورجال الفلسفة في تحديد مفهوم الحكمة؛ لاختلاف مصاديقها، وسعة استخدامها، ولكن أبسط توضيح لمراعاة الحكمة أنَّها «أن يضع الإنسان كلَّ شيء موضعه، ويتجنَّب الخطأ في الحياة، وذلك لأنَّ الحياة مبنيَّة على سنن محدَّدة تفضي فيها أمور محدَّدة إلى نتائج مناسبة لها، كما نجد ذلك في عالم الطبيعة، حيث تؤدِّي النشاطات الطبيعيَّة، الكيميائيَّة والفيزيائيَّة والحيويَّة، إلى آثار معيَّنة، فتؤدِّي الجراثيم والفيروسات مثلًا إلى الأمراض، كما تؤدِّي الخلايا السليمة إلى الصحَّة والسلامة، فسلوكيَّات الإنسان تؤدِّي إلى نتائج محدَّدة أيضًا في المستوى النفسيّ والعقليّ والجسديّ.

وعليه فإنَّ من الضروريّ أن يراعي الإنسان في سلوكه ما يحقِّق له غاياته التي ينظر إليها، فلا يختار متعة قصيرة توجِب مضرَّة طويلة، ولا يتخذنَّ قرارًا عاجلًا يؤدِّي إلى الندم آجلًا، فتناسب سلوك الإنسان مع الغاية التي يريدها، هو أمر بديهيّ انطلاقًا من الغاية ذاتها. فلا ينبغي للإنسان بعد قدرته على التفكير وامتلاكه الإرادة الحرَّة، أن يعيش لحظيًّا وفق ما تمليه غرائزه وطباعه في حينه، كما هو حال الحيوانات، بل عليه أن يستحضر غايته، وينسِّق أفكاره وسلوكياته معها.

وتتألَّف الحكمة من عنصرين، وهما: التشخيص الصائب المتبوع بالعمل السديد، ولا يكفي صواب المرء في تشخيص الموقف في أن يكون حكيمًا، فمن عَلِم أنَّ التدخين يضرُّه فقد علم بالرأي الصائب، ولكنَّه إذا لم يعتبر به، لم يتصف بالحكمة، بل كان رأيه حجَّة عليه ودلالة على ضعف فيه»[1].

وستتطرَّق الباحثة إلى عرض مجمل لآراء أشهر الفلاسفة اليونان، حيث كانت مسيرة الحكمة والاهتمام بها يسير بشكلٍ متوازٍ مع الفلسفة وأقسامها:

(١) تجربتي التربويَّة في الحياة، الأستاذ محمَّد باقر السيستانيّ، شبكة الفكر، القسم الأوَّل (الحكمة)، ص١٠.

أمَّا الحكمة عند أفلاطون: فهي ما تُمكِّن الإنسان من اتِّخاذ القرارات الصحيحة التي لها علاقة بالعالم المحسوس، وهي أيضًا مسار الحياة الذي يسلكه الإنسان، ويكون مُتَّسمًا بالثبات، والنقاء، والوحدة، والأبديَّة، والخلود.

لذا قرَّر أفلاطون أنَّ الحكمة يجب أن تكون الشغل الشاغل للإنسان إذا أراد أن يعيش سعيدًا في المجتمع.

الحكمة عند أرسطو: الحكمة بالنسبة إلى أرسطو هي إدراك المرء للمبادئ الرئيسة في الحياة، والحقائق العامَّة، وهي شرطٌ أساسٌ لنيل المعرفة، كما اعتبر أنَّ امتلاك الإنسان للحكمة تمنحه الميزة والقدرة أن يكون معلِّمًا للآخرين؛ لأنَّه من خلالها يعرف كلَّ شيء، ويعرف الأسباب الكامنة وراء الأشياء في هذا العالم.

ثمَّ نأتي لشرح موجز عن الحكمة عند العرب، التي كان لها اهتمام كبير عند المسلمين خاصَّة؛ لارتباطها بالخير الكثير في قوله عزَّ من قائل: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩).

قال ابن سينا: «الحكمة صناعة نظر يستفيد بها الإنسان في تحصيل ما عليه الوجود كلّه في نفسه، وما عليه الواجب ممَّا ينبغي أن يكسبه فعله، لتشرف بذلك نفسه، وتستكمل وتصير عالمًا معقولا، مضاهيًا للعالم الموجود، وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة، وذلك بحسب الطاقة الإنسانيَّة.

لذلك انقسمت الحكمة عند ابن سينا إلى قسم نظريّ مجرَّد، وقسم عمليّ. أمَّا غاية القسم النظريّ فهي حصول الاعتقاد اليقينيّ بحال الموجودات التي لا يتعلَّق وجودها بفعل الإنسان، ويكون المقصود منها حصول رأي فقط، مثل علم الهيئة، أمَّا القسم

العلمي فالمقصود منه حصول رأي لأجل عمل مثل علم الأخلاق، فغاية النظري هي الحق، وغاية العملي هي الخير»[1]

السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

ولِدت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في العشرين من جمادى الآخرة من السنة الخامسة للبعثة النبويّضة، في أحضان النبوَّة، ترتوي من معين الأب الحنون أصول الرسالة ومعارف الوحي، ومن أمِّها السيِّدة خديجة عليها السلام دروس الصبر والإيثار، فنشأت فاطمة الإنسيَّة عليها السلام سيِّدة متكاملة الصفات، ومتناسقة التصرُّفات.

كانت عليها السلام ومنذ نعومة أظافرها رمزًا للعفَّة والحياء، ودرسًا للنساء، حين صرَّحت إنَّ خيرًا للمرأة أن لا ترى رجلًا ولا يراها رجل، وهي التي تلبس الحجاب أمام الأعمى؛ لأنَّها تراه، وإن لم يكن يراها.

كانت خير سند لأبيها صلوات ربِّي وسلامه عليه، في نشر رسالته، وتسليته عمَّا كان يبدر من الأذى وسوء التصرُّف من المشركين، كانت تؤازره في السلم والحرب، تودِّعه إلى ساحات الحرب بوجهها المستبشر، وتستقبله بعد عودته تمسح وتضمِّد جروحه الكريمة، وتهوِّن آلامه ومتاعبه.

كلُّ هذه العناية والرِّفق بنبيِّ الرحمة صلى الله عليه وآله جعلتها سلام الله عليها تستحقُّ وبجدارة كنيتها أمِّ أبيها[2]، الاسم الذي يتضمَّن العديد من الدلالات والاستحقاقات، «فكلمة أم هو الأصل، كما هو معروف في لسان القرآن الكريم، حيث عبَّر عن مكَّة المكرَّمة بـ(أمّ القرى)، أي أصل القرى في الجزيرة العربيَّة، ومنها انطلقت روح الحياة كي تغذِّي القرى ومَن حولها، وتقوم برعايتها، وذلك لما لها من موقع جغرافيّ مهم في قلب الجزيرة العربيَّة ممَّا جعلها قطب الرحى لبقية القرى، على هذا الأساس نفهم معنى هذا الحديث

(١) دراسة نقديَّة في آراء الفلاسفة في الحكمة، موقع مراجع جامعيَّة.
(٢) المناقب، ابن المغازليّ، عليّ بن محمَّد، دار الآثار، صنعاء، اليمن، ٢٠٠٣، ص٣٩٢.

(أم أبيها)، حيث نستطيع تفسير أنَّ فاطمة عليها السلام كانت مصدر ذريَّة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنبع نسله، والامتداد الطبيعيّ له سيكون عن طريقها امتدادًا للرسالة السماويَّة، لذا كان الرسول يقول: «**حسين منِّي وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسينًا**»، أي إنَّ الحسين ابني وامتدادي الطبيعيّ، فهو قرَّة عيني وثمرة فؤادي، وفي نفس الوقت أنا من حسين، إنَّ هذا الامر يعني أنَّ استمرار الرسالة وإحياء معالم الدين والعقيدة، إنَّما هو بوجود الحسين وذريَّة فاطمة من الأئمَّة المعصومين. لذلك قيل إنَّ الإسلام محمَّديّ الوجود، حسينيّ البقاء»[1].

هذا التقرير المحمَّديّ لحجيَّة السيِّدة الطاهرة عليها السلام، هو إسنادًا لدورها بعد وفاة أبيها وغياب قمرها، لتتصدَّى وحيدة لاسترداد حقِّها، ليس فقط المادِّيّ في فدك، بل حقّ زوجها وإمام زمانها العقائديّ في الولاية الإلهيَّة.

المطلب الثاني: حكمة السيِّدة الزَّهراء في القرآن الكريم

ومن النظر في ما تقدَّم من السرد والكلام في الآراء، أرادت الباحثة الوصول إلى النقاط الجوهريَّة في البحث، وهي: نجد كلَّ التعاريف الآنفة الذِّكر والخصائص الأخلاقيَّة ومظاهرها من الاتِّزان الانفعاليّ وضبط قوَّة الأنا والحكمة العمليَّة والنظريَّة جميعًا متجلِّية بأجمل صورة في السيرة السلوكيَّة العطرة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام. قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣).

لقد جعل الله سبحانه وتعالى أجر الرسالة مودَّة أهل البيت، ومنهم فاطمة الزَّهراء، فالآية نزلت في قربى الرسول، وهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين، كما نقل ذلك أعلام الحديث والتفسير، مثل الحاكم الحسكانيّ الحنفيّ في شواهد التنزيل، ج٢، ص١٣٠، والحاكم النيسابوريّ في المستدرك.

(١) الأسرار الفاطميَّة، المسعوديّ، محمَّد فاضل، ص٢٧١-٢٧٢، مؤسَّسة الأنوار الفاطميَّة.

فالحكمة ومصدرها ومنبعها الحقيقيّ استنادًا على تفسير آيات الذِّكر الحكيم عندنا الشيعة الإماميَّة، فقد ورد في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩)، أنَّها نزلت في تلك المخدَّرة الكبرى، والمستورة العظمى التي هي مصدر الخير الكثير.

وفي قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ (النحل: ١٢٥)، الحكمة التي أمر النبيّ أن يدعو الناس بها هي ولاية فاطمة وذريَّتها ومحبَّتهم. وجميع ما ذُكِر للحكمة من معانٍ من: العقل، والعلم، والمعرفة بحقائق الأشياء، ومعرفة الأصول الثانية، والفهم، ومعرفة أحكام القرآن، كلُّها موجودة بلا أدنى شبهة في تلك الآية الإلهيَّة المحكمة، ففاطمة الزَّهراء عليها السلام هي الحكمة الإلهيَّة، والعقل الكامل، والعلم الجامع، والحجَّة البالغة الحقَّة التي أمر الخلق من الأوَّلين والآخِرين بمعرفتها وولايتها، بعد الاقتداء بالنبوَّة العظمى والولاية الكبرى. قال تعالى في حقِّ لقمان: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ (لقمان: ١٢)، أي آتيناه العقل والفهم، ولم يكن نبيًّا، فلا يبعد أن تتعلَّق الحكمة الإلهيَّة بإعطاء فاطمة الزكيَّة تمام الحكمة العلميَّة والعمليَّة، وهي الكلمة الجامعة الإلهيَّة.

ومن الكمالات التي تجلَّت في السيرة الفاطميَّة العطرة والهبات الإلهيَّة العظيمة ذكرها في آيات القران الكريم في شأن فاطمة الزَّهراء عليها الصلاة والسلام وأبيها وبعلها وبنيها صلوات الله عليهم أجمعين، آية التطهير، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)، فهم عليهم السلام أطهار ذاتًا، لا لأنَّهم لا يقتربون المعاصي أو لا يفكرون فيها فحسب، بل لأنَّ طينتهم طاهرة، فلا يقترفون معصية كبيرة ولا صغيرة، ولا يفعلون مكروهًا، بل كلُّ ما يفعلونه أو يتركونه من قول أو فعل أو تقرير يكون برضى الله سبحانه، وفي سبيله عزَّ وجلَّ، وفي سبيل أفضل طاعاته تعالى.

وقد صرَّح الفريقان بنزول آية التطهير فيهم عليهم السلام، قال الفيروزآباديّ: عن الطحاويّ الحنفيّ في كتاب مشكل الآثار بسنده عن أمِّ سلمة قالت: نزلت هذه الآية في رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وأورد أيضًا عن أبي داوود الطيالسيّ في مسنده بإسناده عن أنس عن النبيّ أنَّه صلى الله عليه وآله كان يمرُّ على باب فاطمة شهرًا قبل صلاة الصبح، فيقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ..﴾[1].

إنَّ بيتًا فيه الزَّهراء عليها السلام أُمًّا وزوجة هو بحق مؤسَّسة ثقافية من الطراز المتميِّز والمتفرِّد في نوعه وزمانه ومكانه، من هذا البيت الذي تجسَّدت فيه الحكمة وجميع مقوِّمات الاتِّزان الانفعاليّ على أرض الواقع؛ لتثمر لنا قادة الكون ونواميس الدهور من نور إلى نور، وصولًا إلى النور الذي يطلُّ علينا من وراء السحاب، المهدي المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشريف، لا لأنَّهم المنصَّبون من المولى جلَّ وعلا فقط، بل لأنَّ المولى جلَّ وعلا وجد فيهم المؤهِّلات والاستعدادات الروحيَّة لهذا المنصب، فهم عرفوا الله حقَّ معرفته، فأصبحوا بعرشه محدِقين.

(١) آيات في الزَّهراء عليها السلام، شبكة المعارف الإسلاميَّة.

المحور الثاني

المطلب الأوّل: تجلّيات الاتّزان الانفعاليّ والحكمة في السلوك الفاطميّ

إنَّ المقياس الحقيقيّ هو مدى تأثير وجود الإنسان في إنجاز المهمِّ الذي رصده لنفسه، ورصد نفسه له.. فقد يعيش الإنسان دهرًا طويلًا، بانتظار الفرصة المتاحة لتسجيل موقف هو أهم من ذلك العمر كلّه، فاستشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وصلح الإمام الحسن عليه السلام، وغير ذلك هو الذي صان دين الله، وقد كان لا بدَّ من انتظار كلِّ إمام منهم عليهم السلام عشرات السنين، ليحين الوقت المناسب لتحقيق هذا الإنجاز العظيم. والزَّهراء عليها السلام هي التي أنجزت أعظم المهمَّات، وهي صلة الإمامة بالنبوَّة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، ولا يمكن لأحد على وجه الأرض أن يقوم بما قامت به عليها السلام؛ لما امتازت وتميَّزت به من الحكمة والتوازن النفسيّ والقدرة على ضبط تصرفاتها وفقًا لما يتطلَّبه الوضع من ثورة عارمة أو عاطفة جيَّاشة، فنراها تنتقل من البكاء المفجع الذي قَلَب الناس في المسجد رثاءً لنبيِّها وأبيها صلوات ربِّي وسلامه عليه وآله إلى تأنيب ولوم لكلِّ من تخلَّف عن بيعة إمام زمانها وزوجها عليه السلام، بعباراتها القويَّة التي كادت أن تؤدِّي إلى انقلابٍ عسكريّ بتعبيرنا المعاصر، وذلك من خلال أمرَين هما: «الأوَّل: إظهارها عدوانيَّة وغاصبيَّة مناوئي عليّ عليه السلام، بما جرى من جرأة منهم عليها، وما لحقها من أذى وظلم فاحش. الثاني: إنَّها عليها السلام قد أظهرت عدم أهليَّتهم للمقام الذي يسعون للحصول عليه، وهو الحلول في موقع خلافة الرسول صلى الله عليه وآله، والاضطلاع بمهمَّاته، وحمل أمانته، وذلك من خلال ما جرى لها معهم في قصَّة إرثها، واغتصاب أرض فدك منها، حيث ظهر أوَّلًا: إنَّهم قد خالفوا أبده البديهيَّات في الإسلام، وأبسط أحكامه، وأوضح شرائعه، وصريح آيات قرآنه، في

مسألة الإرث وملكيَّتها لأرض فدك. ثانيًا: إنَّهم إذا كانوا يجهلون حتَّى هذه البديهيَّات؛ فكيف تكون معرفتهم بغير ذلك من أحكام وشرائع الدين. أمَّا إن كانوا قد أتوا ذلك عن عمد، مع سابق معرفتهم بالأحكام، فأين هي عدالتهم وتقواهم واستقامتهم على جادَّة الحقِّ، التي تؤهِّلهم لهذا المقام العظيم، خصوصًا وأنَّهم لم يرتدعوا، ولم يعيدوا الحقَّ إلى أهله، حتَّى بعد الإعلان لهم بالتنبيه والدلالة والإرشاد، وكيف يؤمَّن هؤلاء على دين الأمَّة في إرشادها، وتربيتها، وتعليمها، وكيف يؤمَّنون أيضًا على مستقبل الأمَّة، وعلى كلِّ شؤونها، إنَّها عليها السلام قد فتحت باب المعرفة والهداية الإلهيَّة للبشريَّة جمعاء، ولم يبقَ ثمَّة من عذر لمعتذر.

ومن الواضح أنَّ هذا الإنجاز يحتاج إلى العصمة ويعتمد عليها كلَّ الاعتماد، إذ لولا ذلك لم يمكن إقناع الناس بخطأ المعتدين وظلمهم وجهلهم، وإصرارهم على الباطل، ولأمكن الشكّ في صوابيَّة موقفها عليها السلام، وفي سلامته من أن يكون قد نشأ عن اندفاعات دنيويَّة، وعواطف، وعصبيَّات، ورغبات غير مسؤولة، ولا مقبولة، هذا كلُّه بالنسبة للدور الظاهر في مجالات العمل العامَّة، أمَّا حقيقة دورها الباطن، وأثرها الواقعيّ في كلِّ الشؤون، فذلك هو الأهمُّ، وله النفع الأعمّ والأتمّ، وهو أمر لا يمكن الإحاطة به، ولا يعلمه إلَّا الله تعالى، إذ إنَّ هناك أسرارًا لوجود المعصومين، والأئمَّة الهداة الميامين، وصفوة الله في أرضه وحجَّته على عباده، لا يدرك الخلائق العاديُّون إلَّا طرفًا يسيرًا منها، ولسنا هنا بصدد البحث والتقصِّي لهذه الآثار العظيمة والمباركة، غير أنَّنا نقتصر على فقرة أوردناها في كتابنا مأساة الزَّهراء، هي التالية: إنَّ التنظير، وإعطاء الضابطة الفكريَّة، أو إصدار الأحكام لا يعطي الحكم أو الفكرة أو الضابطة من الثبات والقوَّة و التجذُّر في النفوس، ما يعطيه تجسيِّدها، وصيرورتها واقعًا حيًّا ومتحرِّكًا، لأنَّ الدليل العقليّ أو الفطريّ مثلًا قد يقنع الإنسان ويهيمن عليه، ولكن تجسُّد الفكرة يمنح الإنسان رضًا بها، وثقة وسكونًا إليها، على قاعدة: ﴿.. قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن

لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ..﴾ (البقرة: ٢٦٠)، فالقناعة الفكريَّة والعقليَّة والعمليَّة، التي تستند إلى البرهان والحجَّة القاطعة متوفِّرة وليس فيها أي خلل أو نقص، ولكن سكون النفس قد يحتاج إلى تجسيد الفكرة في الواقع الخارجيّ؛ ليتلائم السكون النفسيّ ويتناغم مع تلك القناعة الفكريَّة والعقليَّة الراسخة، ليكوِّنا معًا الرافد الثريّ للمشاعر والأحاسيس. وقد كانت الزَّهراء عليها السلام أوَّل امرأة تجسَّدت فيها الأسوة والنموذج والمثل الأعلى لكلِّ نساء العالمين، بعد مسيرة طويلة للإنسانيَّة، كمل فيها عدد من النساء حتَّى كانت فاطمة ذروة هذا الكمال، وكما تجسَّد الإنسان الكامل بآدم عليه السلام أوَّلًا ليكون واقعًا حيًّا، يعيش إنسانيَّته بصورة متوازنة، لا عشوائيَّة فيها، يعيشها بكلِّ خصائصها وميزاتها، وبكلِّ خلوصها وصفائها وطهرها، وبكلِّ طاقاتها: فكرًا، وعقلًا، وأدبًا، وحكمةً، وتدبيرًا، حتَّى كان أسوة وقدوة للبشر كلِّهم من حيث هو آدم النبيّ والإنسان، لا آدم التراب من حيث هو تراب، بل التراب الذي أصبح إنسانًا كاملًا، بما لهذه الكلمة من معنى.

واستمرت المسيرة نحو الكمال في الإنسانيَّة، فكمل رجال أنبياء عليهم السلام كثيرون، وكملت أيضًا نساء، مثل آسية بنت مزاحم، ومريم، وخديجة عليهنَّ السلام، ثمَّ بلغ الكمال أعلى الذرى في رسول الله صلى الله عليه وآله الرجل، وفي الزَّهراء المرأة، ولم تستطع أهواء النفس وشهواتها، وكذلك الطموحات والغرائز وغير ذلك من مغريات وتحديات، بالإضافة إلى الضغوطات البيئيَّة والاجتماعية وغيرها، ثمَّ بغي وجبروت الطواغيت، لم يستطع ذلك كلّه أن يمنع الإنسان من أن يجسِّد إنسانيَّته، ويعيش حياة الإيمان، وحياة الكمال والسلام الشامل.

وكانت أسوة بني البشر وقدوتهم هذه النماذج الماثلة أمامهم، التي استطاعت أن تقنع الإنسان بأن عليه أن يتحدَّى، وأن يواجه، وأن يقتحم، وأنَّ باستطاعته أن ينتصر أيضًا، ومثله الأعلى هم الأنبياء والأولياء بدءًا من آدم، وانتهاءً برسول الله صلى الله عليه وآله، وأهل

بيته الطاهرين، فهو لا يتلقَّى الفكرة فقط، بل هو يرى الحركة والموقف في الرسول والوصي، والولي[1].

ولأجل ذلك فهو لم يقتصر على الأمر والزجر كما في قوله تعالى: ﴿.. وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ..﴾ (الحشر: ٧)، بل تعدَّاه ليقول: ﴿.. لَّكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ..﴾ (الأحزاب: ٢١)، فهو يريه الحركة والموقف والصفاء والطهر متجسِّدًا أمامه في النبيّ والوصيّ، وفي نسوة واجهن أعظم المحن والبلايا، كامرأة فرعون، وفي الزَّهراء فاطمة عليها السلام، وحيث واجهتها أجواء الانحراف والشدَّة والظلم، وفي مريم بنت عمران التي واجهت ضغوط البيئة في أشدِّ الأمور حساسيَّة بالنسبة لجنس المرأة بصورة عامَّة»[2].

إنَّ هذا الكمَّ الهائل من الآلام والمآسي الذي واجهته الصدِّيقة الطاهرة صلوات ربِّي وسلامه عليها كان كفيلًا بصقل روحها الطاهرة من صغرها حتَّى آخر أيَّام حياتها، وتفاعل ذلك الكمّ مع الاستعداد النفسيّ لديها عليها السلام المتَّسم بقمَّة الاخلاص للباري عزَّ وجلَّ، ممَّا جعل لها ذلك الدور المميز كـ(سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين)، والذي تبلور كنهجٍ فاطميٍّ رصين تنتهجه النساء في كلِّ زمانٍ، بل والرجال أيضًا.

وعند الوقوف عند الجزئيَّة من البحث لنسلِّط الضوء على كينونة السيِّدة الطاهرة عليها السلام حجَّة وسيِّدة ووصيَّة على البشر جميعًا، وليس على النساء فقط، ففي الحديث النبويّ المبارك: «**فاطمة بضعة منِّي، يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها**»[3]، الدلالة الواضحة لكون السيِّدة الزَّهراء سلام الله عليها مرآة لرضا الله وغضبه، وما وصلت إلى هذا المقام الرفيع إلَّا بتمظهر سلوكيَّاتها بالكمال المطلق والحقِّ المجرَّد النابع من

(١) أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة، العامليّ، جعفر مرتضى، ط١، ١٤٢٣/ ٢٠٠٢.
(٢) مأساة الزَّهراء عليها السلام، السيِّد جعفر مرتضى العامليّ، ج١، ص٤٧-٤٩.
(٣) بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ، ج٤٣، ص٢٥.

فطرتها السليمة من جهة وروحها التي وصلت إلى مقامات القرب الإلهيّ بتزكية النفس والتدريب على ما يسمَّى الاتِّزان الانفعاليّ، وكلُّ ذلك كان منسجمًا مع الحكمة في التصرُّفات لتكون فعلًا المصداق الحقيقيّ لرضا الله عزّ وجلّ؛ لأنَّها لا تقبل بأيِّ شيء دون رضا الله عنه، ولا تستسيغ أيّ شيء في الحياة إذا كان فيه ولو أبسط مصاديق غضب الله عزّ وجلّ، ولا تخشى في الله عزّ وجلّ لومة لائم.

هنا حدَّدت الباحثة الدور الريادي للاتِّزان الانفعاليّ والحكمة عندها سلام الله عليها؛ لأنَّها ستكون المصدر والمقرّ الأوَّل لصنع قادة الأمَّة وتراجمة الوحي من بعدها الولاة السادة، الأئمَّة المعصومين صلوات ربِّي وسلامه عليهم أجمعين.

وتؤكِّد الباحثة أنَّ رجوع الأمَّة عن الحالة المزرية التي وصلت إليها من الأمراض النفسيَّة والعقد والمشاكل الأسريَّة والانحطاط في جميع المفاصل، ليس له علاج إلَّا بالرجوع إلى المصدر الأوحد للعلاج، والنبع الصافي للانتهال منه، وهو السيرة الصحيحة لـ(فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها) عليهم آلاف التحيَّة والصلاة والسلام.

المطلب الثاني: التوجيهات الفاطميَّة للرجوع إلى جادَّة الطريق المستقيم

من خطبة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام:

«فجعل الله الإيمان تطهيرًا لكم من الشرك، والصلاة تنزيهًا لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتًا للإخلاص، والحجّ تشييدًا للدين، والعدل تنسيقًا للقلوب، وطاعتنا نظامًا للملَّة، وإمامتنا أمانًا من الفرقة، والجهاد عزًّا للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامَّة، وبرّ الوالدين وقاية من السَّخط، وصلة الأرحام منسأة في العمر ومنماة للعدد، والقصاص حقنًا للدماء، والوفاء بالنذر تعريضًا للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييرًا للبخس،

والنهي عن شرب الخمر تنزيهًا عن الرجس، واجتناب القذف حجابًا عن اللَّعنة، وترك السرقة إيجابًا للعفَّة، وحرَّم الله الشِّرك إخلاصًا له بالربوبيَّة، فاتَّقوا الله حقَّ تقاته، ولا تموتنَّ إلَّا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به وما نهاكم عنه، فإنَّه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾».

ذكرت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في خطبتها مجموعة من المفردات الأساسيَّة، تعبيرًا عن جوهر الاستقرار في المجتمع: (تطهيرًا، تنزيهًا، تزكيةً، إخلاصًا، تنسيقًا، نظامًا، توازنًا، أمانًا، مصلحةً)، وأيضًا هذه المفردات وقايةً وتحصينًا ومنعًا (من السفك والفرقة والتكبُّر والرِّجس والذلّ وفقدان الحياء والبخس والسرقة والشِّرك)، هذه المفاهيم تأتي في جانبَين، الجانب الإيجابيّ والجانب السلبيّ، وتركِّز على قضيَّة أساسيَّة، وهي الطهارة الذاتيَّة التي يجب أن تكون عند الإنسان. وهذا هو أساس بناء الاستقرار في المجتمع السليم، وإلَّا فإنَّ تلوُّث النفس والقلب، بالرذائل والسيِّئات يؤدِّي إلى رداءة المجتمع، لذلك تؤكد عليها السلام على هذا الجانب: «**فجعل الله الإيمان لكم تطهيرًا من الشِّرك**».

مَن هو الكائن المختار الحرُّ المسؤول؟

الإنسان إمَّا أن يكون عبدًا مخلصًا لله تعالى، وإذا لم يكن كذلك، فيكون نسبيًّا متفاوتًا، فيتلوَّث قلبه بالسيِّئات، عندما لا يكون مؤمنًا مطلقًا، حيث يكون غير شفَّاف، غير طاهر نفسيًّا، وهذا التلوُّث يقوده إلى المزاجيَّة، والمعاصي، والأهواء، إلى التَّماس مع الأشياء التي لا ترتبط بوجوده الإنسانيّ المتعقِّل، الكائن المختار، الحرّ، المسؤول.

لذا يحتاج الإنسان إلى التطهير الذاتيّ، وهذا التطهير الذاتيّ يقي الإنسان من كلِّ عوامل الشِّرك؛ لأنَّ الشِّرك يعني الكفر بالله سبحانه وتعالى بشكلٍ مباشر، وبشكلٍ آخر عندما لا يلتزم الإنسان بأوامر الله سبحانه وتعالى، وإن كان ذلك يتمُّ لا شعوريًا.

تلوُّث الإنسان بالشرك الخفيّ

قد يكون هناك شرك خفيّ عند الإنسان، يؤدِّي إلى تلوُّث قلبه ونفسه، وبالنتيجة يؤدِّي به هذا التلوُّث إلى تآكل شخصيَّته الإنسانيَّة، واضمحلال وجوده الحرّ والمسؤول، ويتحوَّل إلى كائن مادِّيّ مزاجيّ تتحكَّم به أهوائه وغرائزه، وشهواته، وبالنتيجة لا تكون لديه مبادئ نظيفة، وليس لديه طهارة ذاتيَّة، فالتطهير الذاتيّ (تنزيهًا)، للإنسان عن الوقوع في المعاصي، في المشكلات، في الأزمات.

«**والصلاة تنزيهًا لكم من الكبر**»، أي التكبُّر والغرور، فهذا التكبُّر الذي يشعر به الإنسان، والإحساس بالاستعلاء، فيه مخاطر عليه، كذلك الهيمنة الفوقيَّة التي يمارسها هذا الإنسان عندما يشعر بنفسه إنَّه ربّ، وليس عبدًا»[1].

والغرور والاستعلاء الذي يشعر به من خلال المال أو العلم أو المنصب، هذه كلُّها بالنتيجة تلوِّث الإنسان، وتمنع عنه التنزيه، ويجعله كالماء الكَدِر غير شفَّاف، ملوَّث بالخبث والرذيلة.

هذه مشكلة خطيرة عند الإنسان إن لم يكن هناك معالجة في العمق، لذلك فإنَّ الصلاة هي التي تنزِّه الإنسان، ولا بدَّ له أن يلتزم بها، والصلاة مهمَّة؛ لأنَّها تنظِّف الإنسان من الكِبَر، ويرتقي إلى الله سبحانه وتعالى، فيشعر بنفسه عبدًا مخلصًا شاكرًا لله سبحانه وتعالى، منزَّهًا عن أن يكون متكبِّرًا أو مغرورًا.

التطهير الذاتيّ طريق للنظام العام

«وحين يكون الإنسان مطهَّرا ذاتيًّا، ومنزَّها ومزكًّى تزكيةً بالاخلاص، فسوف ينبثق من ذلك توازنًا وتنسيقًا ونظامًا، من خلال السموِّ الذاتيّ، والارتقاء المعنويّ

(١) السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وسلسلة الاستقرار الاجتماعيّ، مرتضى معاش، شبكة النبأ المعلوماتيَّة، (٢٥/ ١٢/ ٢٠٢٢).

لهذا الإنسان بالتغاضي عن نفسه وتضحية بذاته والتنازل عن متطلَّباته تحقيقًا للتعاون والتنسيق والتكامل مع الآخرين، فالإيثار يؤدِّي إلى التعاون على البرِّ والخير والتَّقوى، والتنسيق لتكريس النظام العام»[1].

هيكليَّة السلوك الفاطميّ المؤدِّي للاتِّزان الانفعاليّ

أوَّلًا: ورد في(شرح نهج البلاغة) قولها صلوات ربِّي وسلامه عليها: «**من أصعدَ إلى الله خالص عبادته، أهبط الله ﷻ له أفضل مصلحته**»[2].

وفيه الدلالة الجليَّة على الترابط بين الإخلاص، وجعل العبادة مجرَّدة من الشوائب، وبين فيوض الباري ﷻ في تحصيل الإنسان التوفيق لما فيه مصلحته وفائدته على أرض الواقع، وليس من الجانب المعنويّ والغيبيّ فقط.

ثانيًا: جاء في كتاب بحار الأنوار، قولها عليها السلام: «**البشرى في وجه المؤمن يوجِب لصاحبه الجنَّة، والبشرى في وجه المعاند يقي صاحبه عذاب النار**»[3].

نرى هنا الحرص على التوافق السلميّ في المجتمع من أجل تحصيل الوحدة التي ينشدها أهل البيت عليهم السلام على جميع الفئات الإنسانيَّة.

بعد هذا العرض الموجز لنصائح السيِّدة الطاهرة سلام الله عليها ووصاياها؛ للنهوض بالأجيال جميعًا على مر التأريخ وإلى يوم يبعثون، النهج الفاطميّ، هو موسوعة علميَّة طيِّبة لنيل الاستقرار النفسيّ من خلال انعكاس تصرُّفات الفرد على المجتمع إيجابيًّا.

---

(١) السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وسلسلة الاستقرار الاجتماعيّ، مرتضى معاش، شبكة النبأ المعلوماتيَّة، (٢٥/ ١٢/ ٢٠٢٢).

(٢) شرح نهج البلاغة، المعتزليّ، ابن أبي الحديد، ج١٦، ص٢١١.

(٣) بحار الأنوار، المجلسيّ، محمَّد باقر، ج٧٢، ص٤٠١.

هذه العمليَّة المتوالية تؤدِّي إلى بناء التوازن الاجتماعيّ، وحماية الميزان الاجتماعيّ، هذا الميزان الذي يؤدِّي إلى السير في الطريق السليم، والاستقامة، والاعتدال في مناهج الحياة، بالنتيجة يؤدِّي ذلك بالإنسان إلى التقدُّم والتطوُّر، والقيام بوظيفته الإلهيَّة في السعي والترقِّي في مدارج الكمال، وتحقيق العلَّة الغائيَّة لنيل رضا الله سبحانه وتعالى، وسعادة الدارين.

وصلت الباحثة إلى الهدف من البحث، حيث أصبح واضحًا جدًّا في هذه النقطة من البحث دور الاتِّزان الانفعاليّ والحكمة، ليس في بناء الفرد المتميِّز فقط، بل في إرساء قواعد مجتمع راقي يكون هو القائد نحو حضارة جديدة، فلم تتقهقر الأمَّة في منافستها للحضارت الأخرى إلَّا بتخلِّيها عن النهج المحمَّديّ الفاطميّ، وابتعادها عن نصرة إمام زمانها، فأصبحت تخوض مع الخائضين، وأمست محطَّةً للغزو الثقافيّ الإلكترونيّ، لتعيش مغبَّة التدهور والانحطاط النفسيّ والأخلاقيّ والثقافيّ للمجتمع والأسرة ككل، والركيزة الأهم، وهي المرأة بشكلٍ خاصٍّ؛ لأنَّها المصدر الأساس في إنتاج الأجيال، فهي الأمُّ أوَّلًا، ثمَّ الأخت والزوجة.

الخاتمة

بعد إفراغ ما كان يدور في لبِّ الباحثة على وريقات هذا البحث المتواضع الذي تناول جوانب الحكمة التي أدَّت إلى الاتِّزان الانفعاليّ في جميع محاور حياة السيِّدة الطاهرة عليها السلام.

ترجو الباحثة أن تكون أحاطت بطرحها، بتوضيح الهدف والموضوع الرئيس من حيث اعتماد السيرة الفاطميَّة التي وجدنا فيها قمَّة الاتِّزان الانفعاليّ، وأخذها مرجعًا في تقويم المجتمعات، وتهذيب الأفراد.

وتبقى المحاولات هي ذرَّة في رحاب العترة الطاهرة، لكنَّ الهدف هو التبرُّك بتراثهم، والسير على آثارهم، لعلَّنا نصل إلى جادَّة الطريق القويم، ونصبح على النهج الصحيح.

وفي الختام أرجو أن يديم الله سبحانه وتعالى علينا نعمة المشاركة والبحث في حياة مولاتنا السيِّدة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام؛ لتبقى نورًا في ظلام حياتنا الدنيا الدنيَّة، فنمشي على هداها، ونخرج من متاهات أنفسنا الأمَّارة بالسوء، إلى رحاب النفس المطمئنَّة بحول الله وقوَّته تعالى عزَّ وجلَّ.

نتائج البحث

من أهمِّ النتائج التي توصَّلت لها الباحثة، هي:

١. لا ينبغي للإنسان بعد قدرته على التفكير وامتلاكه الإرادة الحرَّة، أن يعيش لحظيًّا وفق ما تمليه غرائزه وطباعه في حينه، كما هو حال الحيوانات، بل عليه أن يستحضر غايته، وينسِّق أفكاره وسلوكيَّاته معها.

٢. يجب أن يتمتَّع الشخص بصفات شخصيَّة قائمة على الانفتاح على الآخر، وقبول رآي الآخر، وعدم الانغلاق، ورفض أفكار الآخرين، والتمسُّك بالرأي الواحد، والضبط والاتِّزان الانفعاليّ القائم على فهم الفرد لانفعالاته، وإدراكه لهذه الانفعالات.

٣. الدلالة الواضحة لكون السيِّدة الزَّهراء سلام الله عليها مرآة لرضا الله وغضبه، وما وصلت إلى هذا المقام الرفيع إلَّا بتمظهر سلوكيَّاتها بالكمال المطلق والحقِّ المجرَّد النابع من فطرتها السليمة من جهة، وروحها التي وصلت إلى مقامات القرب الإلهيّ بتزكية النفس والتدريب على ما يسمَّى الاتِّزان الانفعاليّ، وكلُّ ذلك كان منسجمًا مع الحكمة في التصرُّفات؛ لتكون فعلًا المصداق الحقيقيّ

لرضا الله عزّ وجلّ؛ لأنَّها لا تقبل بأيِّ شيء دون رضا الله عنه، ولا تستسيغ أيّ شيء في الحياة إذا كان فيه ولو أبسط مصاديق غضب الله عزّ وجلّ، ولا تخشى في الله عزّ وجلّ لومة لائم.

٤. إنَّ رجوع الأمَّة عن الحالة المزرية التي وصلت إليها من الأمراض النفسيَّة والعقد والمشاكل الأسريَّة والانحطاط في جميع المفاصل، ليس له علاج إلَّا بالرجوع إلى المصدر الأوحد للعلاج، والنبع الصافي للانتهال منه، وهو السيرة الصحيحة لـ(فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها) عليهم آلاف التحيَّة والصلاة والسلام.

٥. البحث عن دور الاتِّزان الانفعاليّ والحكمة، ليس في بناء الفرد المميَّز فقط، بل في إرساء قواعد مجتمع راقي يكون هو القائد نحو حضارة جديدة، فلم تتقهقر الأمَّة في منافستها للحضارات الأخرى إلَّا بتخلِّيها عن النهج المحمَّديّ الفاطميّ، وابتعادها عن نصرة إمام زمانها، فأصبحت تخوض مع الخائضين، وأمست محطَّة للغزو الثقافيّ الإلكتروني؛ لتعيش مغبَّة التدهور والانحطاط النفسيّ والأخلاقيّ والثقافيّ للمجتمع والأسرة ككل، والركيزة الأهم، وهي المرأة بشكلٍ خاصٍّ؛ لأنَّها المصدر الأساس في إنتاج الأجيال، فهي الأمُّ أوَّلًا، ثمَّ الأخت والزَّوجة.

٦. يجب أن يكون هناك سعي لتكوين لجان طبيَّة في المجال النفسيّ مشابهًا للإرشاد الأسريّ أو الجلسات النفسيَّة؛ ليتمَّ فيها عرض وشرح ثمار العمل بتوجيهات ونصائح السيِّدة الزَّهراء وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، وبيان سلوكيَّاتهم الحياتيَّة.

المصادر

* القرآن الكريم.

١. الأسرار الفاطميَّة، المسعودي، محمَّد فاضل، مؤسَّسة الأنوار الفاطميَّة.

٢. البحرانيّ، عبد الله، عوالم العلوم والمعارف والأحوال، السيِّدة الزَّهراء، ج١١، شبكة الفكر للكتب الإلكترونيَّة.

٣. السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وسلسلة الاستقرار الاجتماعيّ، مرتضى معاش، شبكة النبأ المعلوماتيَّة (٢٥/ ١٢/ ٢٠٢٢).

٤. الإمام الخمينيّ قدس سره، روح الله، من معين الزَّهراء عليها السلام، شبكة المعارف الإسلاميَّة، ٢٨ تشرين الثاني ٢٠٢٢.

٥. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانيّ، مكتبة نزار مصطفى الباز.

٦. المناقب، ابن المغازليّ، عليّ بن محمَّد، دار الآثار، صنعاء، اليمن، ٢٠٠٣.

٧. أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة، العامليّ، جعفر مرتضى، ط١، ١٤٢٣/ ٢٠٠٢.

٨. آيات في الزَّهراء عليها السلام، شبكة المعارف الإسلاميَّة.

٩. بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ، ج٤٣.

١٠. تجربتي التربوية في الحياة، الأستاذ محمَّد باقر السيستانيّ، شبكة الفكر، القسم الأوَّل (الحكمة).

١١. تفسير الميزان، العلَّامة الطباطبائيّ، مكتبة الشيعة، ج٢.

١٢. دراسة نقديَّة في آراء الفلاسفة في الحكمة، موقع مراجع جامعيَّة.

١٣. لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبد الله عليّ الكبيريّ وآخرون، دار المعارف.
١٤. مأساة الزَّهراء عليها السلام، السيِّد جعفر مرتضى العامليّ، ج١.
١٥. محاضرة للسيِّد منير الخبَّاز، شبكة المنير (٢٧/ ٦/ ٢٠٠٨).
١٦. مجلَّة جامعة بابل، العلوم الإنسانيَّة، المجلَّد ٢١، العدد ٣، ٢٠١٣.
١٧. مقالة بعنوان (الاتِّـزان الانفعاليّ)، سعد سوسة، موقع الحـوار المتمدِّن الإلكترونيّ، آب، ٢٠٢٠.
١٨. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الأعلى السبزواريّ، مكتبة مدرسة فقاهة، ج٤.

السيِّدة الزَّهراء عليها السلام القدوة الحسنة

الباحثة أسماء عبيد عبَّاس

ملخَّص البحث

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيِّدنا رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله.

الأسوة هي القدوة، والتأسِّي هو الاقتداء، وهو أمر فطريٌّ يميل إليه الإنسان ويبحث عنه تلقائيًّا، فهو يميل إلى أن يكون أمامه نموذج حيّ يقتدي به، يُجسِّد المفاهيم، ويأخذ المواقف، ويتبنَّى القرارات، ويجري عمليًّا على طبقها، بحسب ظروفها ومقتضياتها، لفظًا، وعملًا، وموقفًا.

فالأسوة العمليَّة الحسنة هي الحقُّ متحرِّكًا ومتمثِّلًا في شخصيَّة متكاملة، متحرِّكة أمامك: ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، فالنبيّ أسوة عمليَّة حسنة بتزكية وشهادة ربَّانيَّة، القرآن الكريم هو خير شاهد على صفات فاطمة الزَّهراء، وذكر ذلك في العديد من آيات القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قمَّة عالية، مهما حاولنا، فنحن نحوم حول حقيقتها، بل نحن أقل من أن نتكلَّم عنها، وهي الآية العظمى التي رآها الرسول صلى الله عليه وآله حينما

أُسري به إلى السماء، حيث قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾، التي قيل في تفسيرها: إنَّها الزَّهراء عليها السلام، فالسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام جسَّدت قيم السماء ومبادىء الشريعة، رغم صغرها، وأنَّها سيِّدة نساء العالمين، فضلًا عن أنَّها حجَّة الله على الحجج المعصومين عليهم السلام، حيث قال الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام: «**نحن حجج الله، وفاطمة الزَّهراء حجَّة الله علينا، بل إنَّها حجَّة الله على الخلق أجمعين، من الأوَّلين والآخِرين**»، وبالرغم من وجود نساء أُخريات في بيت الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، لكنَّها نالت مرتبة سامية وعالية عند الله سبحانه وتعالى، وفي المجتمع الإسلاميّ، وذلك بفضل اصطفائها من عند الله، وإخلاصها وزهدها وعبادتها وإنفاقها وجهادها وصبرها وتحمُّلها في سبيل الله، فأدَّت عليها السلام الدَّور الملقى على عاتقها بأحسن وجه، فاستحقَّت أن تكون سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين.

الكلمات المفتاحيَّة: فاطمة عليها السلام، القدوة الحسنة، الأسوة الحسنة، القرآن الكريم، الأحاديث النبويَّة.

المقدِّمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيِّدنا رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله.

الأسوة هي القدوة، والتأسِّي هو الاقتداء، وهو أمر فطريٌّ يميل إليه الإنسان ويبحث عنه تلقائيًّا، فهو يميل إلى أن يكون أمامه نموذج حيّ يقتدي به، يُجسِّد المفاهيم، ويأخذ المواقف، ويتبنَّى القرارات، ويجري عمليًّا على طبقها، بحسب ظروفها ومقتضياتها، لفظًا، وعملًا، وموقفًا. فالأسوة العمليَّة الحسنة هي الحقُّ متحرِّكًا ومتمثِّلًا في شخصيَّة متكاملة، متحرِّكة أمامك ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]، فالنبيّ أسوة عمليَّة حسنة بتزكيةٍ وشهادةٍ ربَّانيَّة.

القرآن الكريم هو خير شاهد على صفات فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وذكر ذلك في العديد من آيات القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[2].

السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قمَّة عالية مهما حاولنا، فنحن نحوم حول حقيقتها، بل نحن أقلّ من أن نتكلَّم عنها، وهي الآية العظمى التي رآها الرسول صلى الله عليه وآله حينما أُسريَ به

(١) الأحزاب: ٢١

(٢) آل عمران: ٦١.

إلى السماء، حيث قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾[1]، التي قيل في تفسيرها أنَّها الزَّهراء عليها السلام، وأنَّها ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾[2].

السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام جسَّدت قيم السماء ومبادىء الشريعة، برغم صغرها، وأنَّها سيِّدة نساء العالمين، فضلًا عن أنَّها حجَّة الله على الحجج المعصومين عليهم السلام، حيث قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «**نحن حجج الله، وفاطمة الزَّهراء حجَّة الله علينا، بل إنَّها حجَّة الله على الخلق أجمعين من الأوَّلين والآخِرين**»، حيث ورد في الحديث: «**على معرفتها دارت القرون الأولى**».

وبالرغم من وجود نساء أُخريات في بيت الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، لكنَّها نالت مرتبة سامية وعالية عند الله سبحانه وتعالى، وفي المجتمع الإسلاميّ، وذلك بفضل اصطفائها من عند الله، وإخلاصها وزهدها وعبادتها وإنفاقها وجهادها وصبرها وتحمُّلها في سبيل الله، فأدَّت عليها السلام الدور الملقى على عاتقها بأحسن وجه، فاستحقَّت أن تكون سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخرين.

(١) النجم: ١٨.
(٢) النجم: ٥٦.

المبحث الأوَّل

مفهوم القدوة في الفكر الإسلاميّ وخصائصها

القدوة الحسنة في الاسلام منبعها الرسولﷺ، ومنهجها يبدأ بالتحلِّي بالاخلاق الحسنة، وهي: الصدق، الأمانة، العدل، احترام النفس والآخرين، التواضع وعدم التكلُّف، تقديم العون والمساعدة للآخرين بقدر الاستطاعة.

المطلب الأوَّل: مفهوم القدوة في الفكر الإسلاميّ

القُدْوَةُ اسم من اقتدى به، إذا فُعِل مثل فعله تأسِّيًا، وفلان قُدْوَةٌ، أي يُقتدى به[1].

أمَّا في معنى الْأُسْوَةُ، فقالوا: هي «كالقدوة، وهي الحالة الَّتى يكون الإنسان عليها في اتِّباع غيره»[2].

وعليه، فالاقتداء والتأسِّي هو التبعيَّة للمُقتدى به، والتسنُّن بسنَّته من قول أو فعل.

القدوة هو الذي يُقتَدى ويُحتذى به من حيث جعله أسوة ومثالًا ونموذجًا لسلوكيَّات الآخرين وتصرُّفاتهم. وفي لسان العرب: يقال قدوة لما يُقتَدى به. وقال أيضًا: والقدوة ما تسنَّنتَ به[3].

(١) المصطفوي، الشيخ حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مؤسَّسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، أيران ١٤١٧ه، ط١، ج٩، ص٢٣٨.

(٢) المصطفون، ج١، ص٩٩.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، الناشر أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ.ق، ج١٥، ص١٧.

والاقتداء هو طلب موافقة الغير في فعله، واتِّباع شخصيَّة تنتمي إلى نفس القيم التي يؤمن بها المقتدي، وعادةً ما يمثِّل شخص المقتدَى به قدرًا من المثاليَّة والرُّقي والسمو عند أَتباعه ومحبِّيه، والقدوة تنطوي في داخلها على نوع من الحبِّ والإعجاب الذي يجعل المقتدِي يحاول أن يطبِّق كلَّ ما يستطيع من أقوال وأفعال.

تحدَّثت آيات القرآن الكريم والروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام حول القدوة، قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[1].

يقول العلَّامة الطباطبائيّ في تفسيره: والمعنى من حكم رسالة الرسول وإيمانكم به أن تتأسّوا به في قوله وفعله، وأنتم ترون ما يقاسيه في جنب الله، وحضوره في القتال، وجهاده في الله حقَّ جهاده[2].

وقال صاحب تفسير الأمثل: «فإنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله خير نموذج لكم، لا في هذا المجال وحسب، بل وفي كلِّ مجالات الحياة[3].

كما حثَّ الله تعالى الناس على الاقتداء بالأنبياء والرسل، وطلب اتِّباعهم، قال الله تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[4].

وهناك العديد من الآيات الشريفة التي تحدَّثت عن الاقتداء بالأنبياء والرُّسل والمؤمنين؛ لما يشكِّلون من قيمة في حياتهم، سواء على مستوى السلوك أو الفكر، فإذا كان هدف الأنبياء هداية البشر، فإنَّهم سيؤدُّون هذا الدور بسلوكهم وأفكارهم، إذ ينبغي أن يكون وجودهم وسيلة للهداية.

(١) الأنعام: ٩٠.
(٢) الطباطبائيّ، محمَّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة، قم، ج١٦، ص٢٨٨.
(٣) الشيرازيّ، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٣، ص١٩٧.
(٤) الممتحنة: ٤.

عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**مَن سنَّ سنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمِل بها إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجورهم شيء**»(١).

قال صلى الله عليه وآله: «**في القلوب نور لا يضيء إلَّا من اتِّباع الحقِّ، وقصد السبيل، وهو نور من المرسلين الأنبياء مودَع في قلوب المؤمنين**»(٢).

عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**لا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الاقتداء؛ لأنَّه المنهج الأوضح والمقصد الأصحّ**».

قال الله عزّ وجلّ لأعزِّ خلقه محمَّد: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾، فلو كان لدين الله تعالى عزّ وجلّ مسلك أقوم من الاقتداء؛ لندب أنبياءه وأولياءه إليه(٣).

(١) الكلينيّ الرازيّ، محمَّد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، مطبعة حيدري، طهران، ط٥، ١٣٦٣هـ.ش، ج٥، ص٩.

(٢) المجلسيّ، محمَّد باقر، بحار الأنوار، مؤسَّسة الوفاء، لبنان، ط٢، ١٩٨٣، ج٢، ص٢٦٥.

(٣) الكاشانيّ، محمَّد محسن الفيض، التفسير الآصفيّ، مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميَّة، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم، ١٣٧٦هـ.ش، ج١، ص٣٣٢.

المطلب الثاني: خصائص القدوة في الفكر الإسلاميّ

أوَّلًا: أهميَّة القدوة

القدوة واحدة من أهمِّ أساليب التربية، وإذا كان المقصود في الاجتماع البشريّ الوصول إلى مرحلة إنتاج فرد سليم ومفيد للمجتمع، فإنَّ ذلك لن يتحقَّق من دون العمل على جعل الأفراد سالمين مفيدين، فتكون القدوة أهم وسيلة لتحقيق ذلك.

وفي هذا الإطار يفيد التذكير بما توجَّه به الله تعالى إلى نبيِّه صلى الله عليه وآله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾، على أساس أنَّ المهتدين من المتقدِّمين على الرسول صلى الله عليه وآله يحملون من القيم والسلوكيَّات والعقائد السويَّة ما يجعل ما يحملون محلَّ تقدير وأهميَّة على مستوى الواقع، لذلك طُلِب من الرسول صلى الله عليه وآله الاقتداء بهم، والسَّير في نفس الطريق السويّ والسليم الذي يعبِّر عن حقيقة رسالة الله تعالى، التي جوهرها الهداية للمجتمعات البشريَّة.

والقدوة بهذا المعنى وهذه الصورة حالة ضروريَّة لجميع الأفراد، بغضِّ النظر عن الكبير والصغير والمتعلِّم والأمِّي، بل هي ضروريَّة للجميع، إذ كما قلنا تقدِّم نموذجًا تربويًّا تحتاجه البشريَّة في جميع تفاصيل الحياة.

وبعبارة أخرى: إذا أدرك الشخص وجود كمال أكبر من الكمال المادِّيّ، وأدرك حقيقة وجوده في الشخص الفلانيّ والمكان الفلانيّ والعقيدة الفلانيَّة. قد لا يترك الكلام أثره على الشخص مهما طلب من الناس التحلِّي بالفضائل والإقبال عليها، ولعلَّ السبب في ذلك يعود إلى صعوبة التصديق بها، والاقتناع بجدواها، إلَّا أنَّ العمل بها ووجودها في شخص القدوة يدفع الإنسان للرضوخ لها لا، بل فهمها والعمل بها. ولعلَّ هذا الأمر

من خصائص السلوك البشريّ الذي لا يُقبِل على أيِّ عادة أو فكرة إلَّا بعد ان يدرك ويفهم أنَّها حقيقة واضحة وواقعيَّة.

تأتي هذه القدوة من اتِّباع الإنسان غيره في الخير، ومحاسن الأخلاق في الأقوال والأفعال، فبالقدوة الحسنة يكون المؤمن أسوة لأتباعه، يقودهم بالفعل والقول، ويتأثَّرون بعمله الجميل ولفظه الحَسَن، فيحذون حذوه، فإن كان الصدق مطلوبًا من كلِّ إنسان، فإنَّه في القدوة أكثر طلبًا، وإن كان الجدُّ مطلوبًا من كلِّ مسلم، فإنَّه في القدوة أكثر حاجة؛ لأنَّ الناس مجبولون على عدم الانتفاع بمن خالف قوله فعله، وأوَّل علامة النجاح في القدوة أن يقوم بما يأمر به، وينتهي عمَّا ينهى عنه[1].

الأنبياء والرسل هم صفوة الخلق ودعاة الحقِّ، وقد حثَّ الله تعالى على الاقتداء بهم، والسَّير على نهجهم، وتتبُّع سننهم، والتأسِّي بأخلاقهم وأفعالهم.

أمر الله سبحانه وتعالى نبيَّه بالاقتداء بالأنبياء السابقين، والآية الشريفة تجعل منهاج الأنبياء العظام قدوة ترافقها الهداية، لا بل هي من لوازمها غير المنفكَّة. يقول صاحب تفسير الأمثل: «تؤكِّد هذه الآية مرَّة أخرى على أنَّ أصول الدعوة التي قام بها الأنبياء واحدة، بالرغم من وجود بعض الاختلافات الخاصَّة والخصائص اللازمة التي تقتضيها الحاجة في كلِّ زمان ومكان، وكلُّ دينٍ تالٍ يكون أكمل من الدين السابق. ولكن ما المقصود من أمر النبيّ ﷺ أن يهتدي أولئك الأنبياء.

يقول بعض المفسِّرين إنَّ المقصود قد يكون هو الصبر وقوَّة التحمُّل والثبات في مواجهة المشاكل، ويقول بعض آخر إنَّه التوحيد وإبلاغ الرسالة، ولكن يبدو أنَّ للهداية معنًى واسعًا يشمل التوحيد وسائر الأصول العقائديَّة، كما يشمل الصبر»[2].

(١) موسوعة الأخلاق، الخراز، ص٤٢٤.

(٢) الشيرازيّ، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٤، ص٣٧٣-٣٧٤.

وهناك العديد من الآيات الشريفة التي تحدَّثت عن الاقتداء بالأنبياء والرسل والمؤمنين؛ لما يشكِّلون من قيمة في حياتهم، سواء على مستوى السلوك أو الفكر، فإذا كان هدف الأنبياء هداية البشر، فإنَّهم سيؤدُّون هذا الدور بسلوكهم وأفكارهم، إذ ينبغي أن يكون وجودهم وسيلة للهداية.

ثانيًا: أركان القدوة

لا تتحقَّق القدوة في الشخص إلَّا إذا اجتمعت لديه مجموعة من الأركان والخصائص التي تجعله قدوة في نظر الآخرين، ومن أركان القدوة:

الصلاح:

وهي حالة أو هيئة تظهر عند الشخص، تكون نتيجة عوامل متعدِّدة، من أبرزها الأيمان وحسن الاعتقاد بالدين الذي ينتسب إليه، والفضائل التي ينادي بها. وكذلك لا بدَّ من توفر العبادة، وهي العمل بأحكام ذلك الدين والشرائع التي سُنَّت فيه، وبالتالي الابتعاد عن كلِّ ما هو مخالف لهذه الشريعة، ثمَّ إنَّ الصلاح يحصل من خلال الإخلاص، الذي هو الأساس المهم للصلاح؛ لأنَّه هو العنصر الذي يظهر ويتجلَّى في حركات وسكنات المقتدى، فبواسطته يبتعد المقتدى عن الأهواء النفسانيَّة والأغراض الدنيويَّة قولًا وعملًا، وبه تتجلَّى حقيقة العبادة.

حسن الخلق:

لعل حسن الخلق عامل أساسيّ في شخصيَّة القدوة، يتجلَّى ويظهر عند تعامل المقتدى مع الناس.

ومن هنا جاء قول الرسول صلى الله عليه وآله: «**إنَّما بُعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق**»[1]، للدلالة على جوانب القدوة في شخصيَّته، إذ يبيِّن ما تحتويه وما تختزنه هذه الشخصيَّة من مكارم

(١) المجلسيّ، محمَّد باقر، بحار الأنوار، ج١٦، ص٢١٠.

وفضائل، ولتبيِّن أهداف البعثة، التي هي إيصال الأخلاق إلى أوجها، ممَّا يجعل هذه الشخصيَّات محطَّ أنظار الغير، ومؤثِّرة في حركتها وحياتها الاجتماعيَّة.

من جهة أخرى، تحدَّث الإسلام وحدَّد بعض المفاهيم التي تندرج في إطار تحسين الأخلاق في التعامل مع الآخرين، ومن أبرز ما جاء: الصدق، الصبر، الرحمة، الرأفة، الشفقة، التواضع.

موافقة القول العمل:

وقد تحدَّث القرآن الكريم حول أهميَّة الموافقة بين القول والعمل، موجِّهًا خطابه إلى المؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[1]، وقد توجه النبي شعيب عليه السلام إلى قومه كما يحدثنا القرآن الكريم: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾[2].

الابتعاد عن مواطن الشبهات:

قد يكون الشخص صالحًا حسن الأخلاق، عاملًا بما يقول، ولكنَّه لا يؤثِّر في الآخرين؛ لكثرة اقترابه من مواطن يشتبه بها، بحيث لا يمكن للآخرين التمييز فيها بين الحقِّ والباطل، وبين نسبة الفعل الباطل، فقد ينسبون ذلك إلى الإنسان الصالح جهلًا، وهنا يترتَّب على الإنسان مسؤوليَّة الابتعاد عن مواطن الشبهات. «**مَن وضع نفسه في مواطن الشبهة فلا يلومنَّ من أساء به الظنَّ**»[3].

طبعا المسؤوليَّة هنا مزدوجة، حيث ينبغي على المؤمن الابتعاد عن مواطن الشبهة، وعليه أيضًا الابتعاد عن سوء الظنِّ، والتسرُّع في نسبة الأحكام.

(١) الصف: ٣-٢.

(٢) هود: ٨٨.

(٣) نهج البلاغة، خطب الإمام عليّ، شرح الشيخ محمَّد عبده، مطبعة النهضة، قم، ط١، ص٤١.

عدم التكلُّف:

من جملة الأمور التي يمكن الحديث عنها كأساس وأصل للقدوة، أن لا يتكلَّف الشخص ذلك، فلا يفعل ليُري الناس وليماري في عمله، بل القدوة هو الذي يؤمن ويعتقد ويعمل بذلك من دون تكلُّف ولا مجاراة ولا طلب من أحد، فهو شخص يعيش ضمن إطار قناعاته، فيتصرَّف على أساس ذلك في السرِّ والعلن. ولعلَّ هذا الأمر موقوف وإلى درجة كبيرة على مقدار تربية الشخص نفسه، وجعلها تتحرَّك في إطار الكمالات، وذلك في كافَّة تفاصيل الحياة الاجتماعيَّة.

المبحث الثاني

السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنموذج القدوة الحسنة

من تكريم الله تعالى للمرأة أن جعل لها نساء مؤمنات صالحات تتخذ أسوة وقدوة، تتأسى بهنَّ في حياتها العباديَّة والسلوكيَّة والزوجيَّة والاجتماعيَّة والأخلاقيَّة، وهذا في الواقع شرف عظيم للمرأة المؤمنة، والقرآن الكريم جعل امرأة فرعون قدوة في الصبر والثبات على الإيمان، وذكر أمّ موسى رمزًا للتضحية، وأكَّد على سيرة السيِّدة مريم هذه المرأة الطاهرة العظيمة التي تفتخر بها جميع البشريَّة، والأعظم منهنَّ هي السيِّدة الأكمل والأفضل التي تفتخر مريم وآسية أن تكونا خدمًا عندها، وهي السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فالزَّهراء عليها السلام هي النموذج الكامل للأسوة الحسنة والقدوة الصالحة، التي تتمكَّن كلِّ امرأة في أيِّ ناحية من نواحي الحياة، تتكامل إن اقتدت بها، فالزَّهراء عليها السلام هي البنت البارَّة لأبيها، حتَّى قال عنها أمُّ أبيها، وهي الزوجة المخلصة لزوجها، وهي المرأة التي تربَّى على يديها سيِّدا شباب أهل الجنَّة، وهي مَن قدَّمت خيرة النساء من بعدها الحوراء زينب عليها السلام، والزَّهراء عليها السلام هي التي شاركت في الدفاع عن الإسلام حتَّى استشهدت في سبيل ذلك، وقدَّمت نفسها قربانًا في سبيل الله تعالى، ويعجز القلم أن يذكر جوانب حياة هذه السيِّدة العظيمة، وكلُّ ما نتمكَّن من قوله هو أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام إنسانة كاملة حازت على جميع الصفات الكماليَّة، وأصبحت محورًا لكلِّ خير، كيف لا وهي التي جمعت بين منزلَتَي النبوَّة والإمامة، فأصبحت عليها السلام الحبل الرابط بين النبوَّة والإمامة، وأصبح بقاء النبوَّة مرهونًا بوجودها، وكذلك استمرار الإمامة مرهونًا بها،

فكلُّ امرأة عاشقة للكمال والشرف والكرامة والفضيلة، وتريد أن ترتقي للأحسن في حياتها، فعليها اتِّباع الزَّهراء عليها السلام، والتأسِّي بسيرتها وعبادتها وحجابها وجهادها وعفَّتها وصبرها وتربيتها وأخلاقها، وفي كلِّ ناحية من نواحي الحياة، وهذا ليس مجرَّد ادِّعاء ومبالغة؛ لأنَّ هذا الشي أمر بسيط جدًّا مع ما جاء في الروايات الشريفة التي تحدَّثت عن الزَّهراء في كافَّة الجوانب، أذكر منها ثلاث روايات تتحدَّث عنها في ثلاثة جوانب من شخصيَّتها المقدَّسة.

المطلب الأوَّل: السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام تقتدي بأبيها

سطَّرت السيِّدة فاطمة عليها السلام حياةً مليئة بالعَظَمة والجلال مع قِصَر مدَّتها، فلا تكاد تطَّلع على موقف قامت به الزَّهراء عليها السلام دون أن تُدهشك عظمة نفسها ورفعة أخلاقها، فهي وإن عاشت حياة تشبه حياة الجميع من حيث أبعادها، فقد كانت بنتًا وزوجةً وأُمًّا ومبلِّغة، وكانت تقوم بالأعمال المنزليَّة، إلَّا أنَّها عليها السلام انفردت وتميَّزت بتحويل تلك الحياة إلى مظهر لعظمة لا مثيل لها، مبيِّنة كيف يمكن لأيِّ إنسان أن يتحوَّل إلى عظيم في أبسط تفاصيل حياته وفي أخطرها، فهي التي لم تقبل أن تقدِّم ثوبها القديم لسائلة جاءتها، بل آثرتها على نفسها، وأعطتها ثوب عرسها الجديد الذي كان هديَّة من الرسول صلى الله عليه وآله.

ويسأل الإمام عليّ عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: «**يا رسول الله! أيُّ أهلك أَحبُّ إليك؟** قال صلى الله عليه وآله: **فاطمة بنت محمَّد**». ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله ليس من باب العاطفة، والعلاقة الرحميَّة الخاصَّة، بقدر ما هو توجيه للأُمَّة وتعريفها بالمقام الخاصِّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام عند الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وآله، والدور المُلقَى على عاتقها خلال حياة أبيها، والوظيفة التي ينبغي أن تقوم بها بعد وفاته صلى الله عليه وآله، وتكبر فاطمة وتشبُّ، ويشبُّ معها حبُّ أبيها لها، ويزداد حنانه عليها، وتبادله فاطمة هذا الحبَّ، وتملأ قلبه بالعطف والرعاية فيسمِّيها (أمُّ أبيها).

(أمُّ أبيها) كنية ما أعظمها! فهي تعبِّر عن عمق العلاقة الروحيَّة بين المانح العظيم المقدَّس، والممنوحة الطاهرة المطهَّرة بحكم التنزيه عن كلِّ رجسٍ ودَنَس، هذه الكنية هتاف ملأ الكون بصداه، ونداء لكلِّ جيل يتدبَّر معناه، وتنبيه للأمَّة بما ينبغي لها من توقير البتول وحفظ مقامها الشامخ في قلب الرسول صلى الله عليه وآله. وكانت الزَّهراء عليها السلام،

أحبَّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي بهجة قلبه وبضعة منه، يغضب لغضبها، ويرضى لرضاها، ويغضبه ما يغضبها، ويبسطه ما يبسطها، ويُؤذيه ما يُؤذيها، ويسرُّه ما يسرُّها.

السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قدوة وأُسوة تربويَّة واجتماعيَّة وجهاديَّة بكلِّ ما للكلمة من معنى. إنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام مارست أدوارًا أُسريَّة واجتماعيَّة وجهاديَّة وسياسيَّة استحقت أن تُمنح لقب قدوة يُقتدى بها، وكانت كلُّ تلك الأبعاد حاضرة في حياتها، حيث تجلَّت عظمتها الظاهريَّة من خلال تلك الأدوار، فهي التي جسَّدت إرادة الحقِّ في الدُّنيا بكلِّ أفعالها، بدءًا من حياتها الأسريَّة، وصولا إلى حياتها الجهاديَّة.

المطلب الثاني: السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قدوة للمرأة المؤمنة

عن النبيّ صلى الله عليه وآله: **وأمَّا ابنتي فاطمة (سلام الله عليها) فإنها سيِّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله زهر من نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزّ وجلّ لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيِّدة إمائي قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أني قد آمنت شيعتها من النار».**

الأخلاق الفاضلة مطلب ينبغي توفُّره في عالمنا الصغير بدايةً من المنزل إلى المحيط الخارج، وللمنزل دوره في ترسية أركان العلاقة بين الفرد وربِّه، وبينه وبين أفراد أسرته، والأم تعلم أهميَّة تعليم الطفل أساسيَّات هذه العلاقة، وتبذل الكثير حسب مقدرتها في إعداد الأجيال المؤمنة، وهذه الأجيال تصبح قادرة للسير على نفس المنوال أو أكثر؛ لإعداد أجيال أخرى، وهكذا تبقى المسألة استمراريَّة إلى ما شاء الله تعالى. وتدرُّج الفرد خلال مسيرة حياته تجعله قادرًا للمثول بين أقرانه بدرجة يعتمد عليه كعضو ناضج مثمر، كالأمّ المثاليَّة إن صحَّ التعبير، ودورها في المجتمع الصغير والكبير، الأمّ تعدُّ لنا أجيالًا من ذكور وإناث، الذكور لهم دورهم، والإناث أيضًا، وعلى الأنثى تقع مسؤوليَّة الإعداد الأوَّلي، وهي بدورها تحاول خلق جو منسجم مع تعاليم السماء، كما هو دور السيِّدة الزَّهراء (سلام الله عليها) وعلاقتها بربِّها أوَّلا، ثمَّ ببعلها سيِّد المتَّقين الإمام عليّ عليه السلام وأولادها عليهم السلام، أمَّا علاقتها بربِّها فحدِّث ولا حرج، فقد كانت تقوم في عبادتها

حتَّى تتورَّم قدماها، وقد مرَّ علينا ما رواه الإمام الحسن عليه السلام، حيث قال: **رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتَّى اتَّضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسمِّيهم وتُكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت: يا أمَّاه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثمَّ الدار**». وفي ارشاد القلوب، كانت فاطمة عليها السلام تنهج في صلاتها من خوف الله تعالى[1].

وكان من دعائها هذا المقطع الذي تقول فيه: «**اللهمَّ فرِّغني لما خلقتني له، ولا تشغلني بما تكفَّلت لي به، ولا تعذِّبني وأنا أستغفرك، ولا تحرمني وأنا أسألك، اللهمَّ ذلِّل نفسي في نفسي، وعظِّم شأنك في نفسي، وألهمني طاعتك والعمل بما يرضيك، والتجنُّب ممَّا يسخطك يا أرحم الراحمين**».

وفي سلوكها وأدعيتها وتسبيحها وتعقيباتها مسلك للمؤمنين والمؤمنات، وأمَّا في منزلها عليها السلام، يقول أحد العلماء: لقد جعلت من بيتها حضنًا ومهدًا للرسالة، ومنزلًا إسلاميًّا يفيض بالخشوع والرَّحمة، وتتألَّق فيه القيم الإسلاميَّة، جعلته بيتًا لله، وللطهارة والحقِّ والعدل والرحمة والمحبَّة، من خلال روحانيَّتها وعبادتها وزهدها وفكرها وعقلها واستقامتها التي منحتها لهذا البيت، فصار جوُّه جوًّا إسلاميًّا متكاملًا، بحيث استطاع عليٌّ أن يجد فيه الراحة والسعادة». انتهى.

وروي عن الإمام عليه السلام قوله: «**ما أغضبتها مدَّة حياتي معها، ولم تغضبني، ولم تعصِ أمري مدَّة حياتها معي**». ومن كلامها معه عليها السلام في آخر حياتها: «**ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عرفتك**»، فقال لها: «**أنت أبر وأتقى وأعرف بالله من أن أوبّخك في شيء من ذلك**».

ومن الصعوبة أن يجد الزوج للحزن مكانًا في قلبه، لكون الفراق صعبًا على قلبه بعد

(١) إرشاد القلوب، ص٢٩٤.

أيَّام قضاها في راحة واطمئنان، وقد يتسنَّى لكثير من الناس هذه الحالة الروحيَّة لتوأمَين عاشا كروح واحدة. يقول أحد العلماء: لقد كان عليّ يشعر بالسكينة والاطمئنان وهو إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمَّا غاب الرسول صلى الله عليه وآله بقي يعيش السكينة والطمأنينة الروحيَّة مع الزَّهراء البتول، فلمَّا غابت الزَّهراء عليها السلام وأفل نجمها، شعر عليّ بالغربة وأحسَّ بالوحدة، وامتلأ قلبه بالحزن الكبير، لا من جهة فقدِ قرابةٍ هنا أو قرابةٍ هناك، بل لأنَّه لم يعدْ يوجد إنسان يعيش معنى عليّ عليه السلام، ويعيش عليّ عليه السلام معناه، لم يعد يوجد إنسان يلجأ إليه عليّ عليه السلام، كما كانت فاطمة عليها السلام، لأنَّها كانت كفؤًا لعليّ عليه السلام، كما كان عليّ عليه السلام كفؤًا لها، كان عقلها عقله، وقلبها قلبه، فهما صنيعتا رسول الله وتلميذاه اللذان نهلا من معين علمه، ولهذا أحسَّ عليّ بفقدها أنَّه فقد كيانه، ومن يفقد كيانه فلا بدَّ أن يشعر بالغربة عن هذا العالم».

لذا قال عليه السلام بعد دفنها، كنايةً عن حزنه عليها وعلى أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أمَّا حزني فسرمد، وأمَّا ليلي فمسهَّد**».

الخاتمة

الاستنتاجات والتوصيات: كشفت هذه الدراسة عن عدد من الاستنتاجات والتوصيات أعرضها مختصرة في النقاط الآتية:

١. دلَّت هذه الدراسة على أنَّ القدوة والاقتداء سلوك له اثنان.

٢. إنَّ سلوك الاقتداء والتأثُّر بالمحيط سلوك فطريّ نابع من أصل تكوين الإنسان، لا يمكن للمرء أن يسلم منه؛ لأنَّه يصادف رغبة ملحَّة تدفع البشر جميعًا مهما كانت أعمارهم أو مستوياتهم العلميَّة إلى سلوك الاقتداء والتقليد لغيرهم، وإن اختلفت درجات التأثُّر والاقتداء.

٣. تبيَّن لنا من البحث أهميَّة القدوة، وأثرها على الأفراد والمجتمعات.

٤. كشفت هذه الدراسة أنَّ نماذج القدوة الحسنة في القرآن الكريم كثيرة متنوِّعة يصعب الإحاطة بها، فكلُّ الشخصيَّات والقصص التي ذُكِرت في القرآن الكريم، التي تمثِّل جانب الخير، سواء كانوا أفرادًا أو جماعات، رجالًا أو نساءً، هي في الحقيقة نماذج للقدوة الحسنة، وهذا يكشف لنا أحد أهمّ الجوانب قصص القرآن الكريم؛ لأنَّ الله تعالى إنَّما ذكرها لأخذ العبرة منها، والاقتداء بالمحسنين من أهلها.

٥. إنَّ من تبعات التعظيم والحبِّ اللَّذين جسَّدا قواعد سلوك السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام تجاه أبيها صلى الله عليه وآله أن تسعى بحوائجه، وأن تقوم بما يحقِّق رضاه.

٦. لقد اعتنت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بأبيها عناية لا مثيل لها، وأحاطته بمحبَّة منقطعة النظير، حتَّى كنِّيت بـ(أمِّ أبيها).

٧. لقد كانت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام خير أُسوة للمرأة الصالحة في أعمالها وفضائلها وتقواها وتربيتها وحجابها، وفي كلِّ شؤونها، وهي أسوة في كلِّ جوانب حياتها، فهي في سلوكها الشخصيّ أسوة، وفي سلوكها مع زوجها وأبيها، فهي امرأة مثاليَّة تفوق جميع نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين، وهي أسوة لجميع النساء، فعلى جميع النساء أن يقتدين بها في كلِّ شيء.

المصادر

١. المصطفويّ، الشيخ حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مؤسَّسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، إيران، ط١، ١٤١٧هـ.

٢. ابن منظور، لسان العرب، الناشر أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ.ق.

٣. الطباطبائيّ، محمَّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة، قم.

٤. الشيرازيّ، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مكتبة اهل البيت عليهم السلام.

٥. الكلينيّ الرازيّ، محمَّد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، مطبعة حيدري، طهران، ط٥، ١٣٦٣هـ.ش

٦. المجلسيّ، محمَّد باقر، بحار الأنوار، مؤسَّسة الوفاء، لبنان، ط٢، ١٩٨٣.

٧. الكاشانيّ، محمَّد محسن الفيض، التفسير الآصفيّ، مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميَّة، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم، ١٣٧٦هـ.ش.

٨. الخراز، موسوعة الأخلاق.

٩. نهج البلاغة، خطب الإمام عليّ، شرح الشيخ محمَّد عبده، مطبعة النهضة، قم، ط١.

١٠. إرشاد القلوب، للديلميّ

السمات القياديَّة والمسؤوليَّة الاجتماعيَّة في شخصية الزَّهراء عليها السلام

الباحثة إيمان ستَّار عليّ

الملخَّص

تعدُّ المرأة أهمّ عناصر المجتمع؛ لأنَّها الوعاء الذي يحفظ النوع الإنسانيّ ويحتويه؛ لذلك كرمها الله تعالى، وأكَّد على خطر منزلتها وكرامتها أنَّ البيت الرفيع الذي يبنى على أساس الإيمان بالله وطاعته، له دور كبير في توفير أفضل الفرص للمنتمين إليه، كما على الرجل واجبات، كذلك على المرأة، إلَّا ما استثناه الشرع بالنصِّ، كالقتال أو ما ينافي دورها في إدارة البيت الرساليّ، وتوعية المرأة، وحينما تنهض المراة تعطي زخمًا متماسكًا لنهضة الأمَّة؛ لأنَّ دورها الرساليّ، لا يقتصر على جيلها، وإنَّما أيضًا على الجيل الواعد، وعلينا اليوم أن نهيِّئ لنهظة حازمة، نستيطع من خلالها إعاده المرأة الى الميدان القياديّ، إذ كانت فاطمة الزَّهراء عليها السلام إلى جانب القيام بمهامِّ البيت، ورعاية شؤون أسرتها، تشارك في عمليَّة الرسالة الإسلاميَّة، والدور الإصلاحيّ للمجتمع.

وفي ضوء ما تقدَّم، كُرِّس الفصل الأوَّل من البحث للتعرُّف على الدور القياديّ للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، موضِّحة فيه المعنى اللغويّ والاصطلاحيّ للقيادة، وما هو المنعى الذي تميَّزت به الزَّهراء عليها السلام، وما هي أهم مصاديق مفهوم القيادة، وأيُّهما أنسب لها عليها السلام، كما تطرَّقنا إلى المسؤوليَّة الرساليَّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، قبل وبعد وجود

النبيّ صلى الله عليه وآله، كما بيَّنا في محور آخر أثر التربية على الفرد والمجتمع، موضِّحة من خلاله الحوار الأسريّ، وأثره وثماره في الأسرة من منظور السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

وكرِّس مبحث ثانٍ لبيان علاقة الزَّهراء عليها السلام بالرسول صلى الله عليه وآله، وعلاقتها بأولادها، بالإضافة إلى علاقتها بزوجها أمير المؤمنين عليه السلام، كما بحثنا أهمَّ الأمور التي تتَّصف بها، والتي من خلالها نقتدي بها، ومن أهمها: حسن التبعُّل، والقيام بالأعمال المنزليَّة، كذلك مراعاة الظروف الماديَّة للإمام عليّ عليه السلام، بالإضافة إلى تبادل المودَّة والرحمة بينهما عليهما السلام خرجنا بأهمِّ النتائج والتوصيات التي توصَّل إليه البحث.

راجين من الباري تبارك وتعالى أنَّ يتقبل منَّا هذا القليل، والحمد لله ربِّ العالمين.

المقدِّمة

الحمدُ للهِ الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصى نعمائه العادُّون، والصلاة والسلام على خير الخلق محمَّد المصطفى وآله الطيِّبين الطاهرين.

أمَّا بعد..

فإنَّ من المهمِّ دراسة شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام ودورها الكبير في بناء الدين الإسلاميّ، وتدعيم قواعده، وتثبيت أركانه، فقد وقفت جنبًا إلى جنب مع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لإتمام الدعوة الإسلاميَّة، وساهمت مساهمة كبيرة في توجيه النساء وإرشادهنَّ إلى طريق الإسلام، من خلال تربية مجتمعٍ نسويٍّ فذٍّ، يمتلك جميع المقوِّمات التي تؤهِّله لبناء جيلٍ واعٍ يمتلك القوَّة الكافية للحفاظ على الهيكل الإسلاميّ للأمَّة، ونستطيع القول بأنَّ السيِّدة الزَّهراء سلَّطت الضوء على أهميَّة وجود المرأة في حياة الرجل، ومدى تأثيرها في الحياة الأسريَّة، سواء كانت ابنةً أو زوجةً أو أمًّا.

فنشاهد مواقفها العظيمة مع الرسول صلى الله عليه وآله في نشر الدعوة الإسلاميَّة، وكذلك دورها الكبير مع زوجها أمير المؤمنين عليه السلام.

وهكذا يقدِّم الإسلام المرأة في مقام وموقع قياديّ، ليؤكِّد قابليَّتها واستعدادها للكمال والتفوُّق، كما هو الحال بالنسبة للرجل، لذلك من واجب النساء المسلمات القياديَّات ردّ الاعتبار الإسلاميّ، وتعديل الانحراف الذي لحِق الشخصيَّة المسلمة في الساحة العالميَّة، عن طريق زيادة الوعي، وتسليط الضوء على القدوات الإسلاميَّة اللائي تركن بصمة كبيرة في التاريخ، وتبقى إرادة المرأة في تحدِّي الصعوبات والوصول

إلى المبتغى الإلهيّ، هو العامل المساعد الأكبر لتحقيق ذاتها، خصوصًا إذا كان الهدف ساميًا، وقربةً إلى الله تعالى، وبلا شك حينما ستتحوَّل الصِّعاب بالصبر إلى حلاوة، ويزهر طريق الأمَّة بوجود نماذج قياديَّة قدوتهنَّ الزَّهراء عليها السلام، يسِرْن على خطاها في المساهمة في بناء هيكل إسلاميّ متكامل تربويًّا واجتماعيًّا، بزرع أصوله في ربوع العالم.

المبحث الأوَّل

الزَّهراء عليها السلام المثل الأعلى للقيادة النسويَّة

المطلب الأوَّل: الزَّهراء عليها السلام وقيادة المجتمع

إنَّ اختلاف الرؤى للقيادة ساهم في رسم أوجه متعدِّدة لمفهوم واحد، ولم يكن ذلك وليد الصدفة، ولكن لأهميَّة القيادة، وما تشغله من مواقع تجعلها متصدِّرة لكافَّة الأنشطة، ولقِدَم هذا المصطلح وتطوُّر مهامِّه وتعدُّدها وتوسُّعها.

القيادة لغةً: مصدر من قادَ يقودُ، وأصلها قود.

(القَوْدُ): نقيض السوق، يقود الدابَّة من أمامها، ويسوقها من خلفها، فالقود من أمام، والسوق من خلف[1].

القيادة اصطلاحًا: للقيادة تعريفات متعدِّدة، منها:

١. صفة تدلُّ على هيئة نسبيَّة بين شخص يقوم بعمل جماعيّ، وأشخاص يتبعون عمله، ويسيرون على مثاله؛ لتحقيق غاية مشتركة، فيكون أحد الطرَفين قائدًا، والآخر مقودًا[2].

٢. عمليَّة توجيهيَّة لمجموعة من الأفراد نحو أهداف محدَّدة.

(١) لسان العرب، ابن منظور، محمَّد بن مكرم الأنصاريّ (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: ١٢/ ٢١٦.

(٢) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعيَّة، د. أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٨٢م: ٤٧٢.

فالقائد هو كلُّ من يقوم بتوجيه جماعة من الناس والسير بهم للوصول إلى أهداف محدَّدة، وسواء كان معتمدًا في هذه القيادة على قدرات شخصيَّة، أو التزام أدبيّ، أو سلطة ممنوحة له.

٣. الأخذ بالزمام، والسير نحو غاية مرسومة، والقائد عند العرب الأقدمين، هو المرشد، الدليل، الهادي[١].

٤. القدرة على تحريك الناس نحو الهدف[٢].

٥. الفن الذي تستطيع بواسطته التأثير في الآخرين؛ لتوجيههم إلى هدف معيَّن بطريقة تحصل بها على ثقتهم واحترامهم وطاعتهم وتعاونهم المخلص[٣].

التعريف الإجرائيّ:

عند النظر في التعريفات التي سبقت، يتبيَّن لنا أنَّ أقربها وأوضحها هو التعريف الأخير، وهو أنَّ القيادة فنُّ التأثير بالآخرين.

مفهوم القيادة في الإسلام

يحمل معنى القيادة في الفكر الإسلاميّ بعضًا من المعاني المتعلِّقة بهداية الناس وإرشادهم، وتولِّي أمورهم، فمن المعاني الإسلاميَّة للقيادة:

الإمامة: الإمامُ من يأتمُّ الناس به من رئيس أو غيره، ومنه إمام الصلاة، وتعني أيضًا: الخليفة، وهي رئاسة المسلمين[٤].

(١) القيادية والأزمة الحضاريَّة، جميل كاظم المناف، دار الحريَّة، العراق، ط١، ١٩٨٠م: ٤٠.
(٢) مفهوم القيادة وأهميَّتها، د. طارق السويدان، الموقع الإلكترونيّ: .https:\\suwaidan.com
(٣) فن القيادة في الإسلام، أحمد عبد ربَّه مبارك بصبوص، مكتبة المنار، الزرقاء، ط١، ١٩٨٧م: ٢٨.
(٤) المعجم الوجيز، إبراهيم بيُّومي مذكور (ت١٩٩٦هـ)، مجمع اللغة العربيَّة، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م: ٢٨.

قال تعالى مخاطبًا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[1].

الإمارة: وتعني في اللغة منصب الأمير، أولوا الأمر: أي الرؤساء، والعلماء ومن يتولَّى قيادة الناس، ومنها الأمير أي من يتولَّى الإمارة، وقد وردت عبارة أولوا الأمر في القرآن في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[2].

الولاية: وتعني في اللغة السلطان، ومنها الوليّ، وهو كلُّ من ولي أمرًا أو قام به، وكذلك الوالي، أي الذي يتولَّى أمر البلاد والعباد ويرعى شؤونهم، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**كلُّكم راعٍ ومسؤول عن رعيَّته، فالإمام راعٍ، وهو مسؤول عن رعيَّته، والرجل في أهله راعٍ، ومسؤول عن رعيَّته، والمرأة في بيت زوجها راعية، ومسؤولة عن رعيَّتها، والخادم في مال سيِّده راعٍ، وهو مسؤول عن رعيَّته**»[3].

ممَّا سبق، يتبيَّن أنَّ القيادة في الإسلام تعني: كلُّ من يتولَّى شيئًا من أمور المسلمين العامَّة، فالقيادة هي المسؤوليَّة التي توجِب على من يحملها أن يقوم بها بأمانه وإخلاص، ويرعاها حقَّ رعايتها؛ ليصل بالمجموعة التي يتولَّى شؤونها إلى الأهداف التي تطمح في الوصول إليها.

القيادة في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة

لم تُذكر كلمة القيادة بلفظها أو مشتقَّاتها، ولكن وردت بمعناها، فقد وردت بمعنى:

(١) سورة البقرة: ١٢٤

(٢) سورة النساء: ٥٩

(٣) صحيح البخاريّ، أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٣٧هـ: ٣/ ١٢، ٢٤٠٩

- **الإمامة:** ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[1].
- **الحُكم:** ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾[2].
- **الخلافة:** ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾[3].

أمَّا في السنَّة الشريفة، فلم ترِد كلمة القيادة بلفظها، ولكن وردت مشتقَّاتها أكثر من ٣٣٠ مرَّة، منها:

- عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**أنا قائد المرسلين ولا فخر**»[4].
- عن أبي سعيد أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**إذا خرج ثلاثة في سفر، فليؤمِّروا أحدهم**»[5].
- عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**اللهمَّ من ولي من أمر أمَّتي شيئًا فشقَّ عليهم، فاشفق عليه، ومن ولي من أمر أمتِّي شيئًا فرفق بهم، فأرفق به**»[6].

قيادة الزَّهراء عليها السلام

إنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام تولَّت قيادة المجتمع بدفاعها عن خلافة وولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وبذلت مهجتها في هذا السبيل، برغم الظروف التي سادت المدينة بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله، فإذا ببنت النبيّ تأتي إلى المسجد في تلك الظروف، وتلقي تلك الخطبة

(١) سورة الفرقان: ٧٤
(٢) سورة الجاثية: ١٦.
(٣) سورة ص: ٢٦
(٤) سنن الدارميّ، أبو محمَّد عبد الله بن عبد الرحمن الدارميّ (ت٢٥٥هـ)، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربيَّة السعودية، ط١، ١٤١٢هـ: ١/ ١٩٦.
(٥) سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزديّ (ت٢٧٥هـ)، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ: ٢/ ٢٤٠.
(٦) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجَّاج النيسابوريّ (ت٢٦١هـ)، دار إحياء الكتب العربيَّة، القاهرة، ط٤، ١٣٧٤هـ: ٢/ ١٤٥٨.

الغرَّاء، وتتصدَّى لتبيِّن الحقائق، إضافة إلى خطبتها في نساء المدينة، وهي على فراش المرض، فقد قامت الزَّهراء عليها السلام بدور القائد الحقيقيّ، كما قال السيِّد الخمينيّ قدس سره: «لو كانت الزَّهراء رجلًا، لكانت نبيًّا»[1].

لقد مارست الزَّهراء عليها السلام دورها القياديّ النسويّ وقت حياة الرسول صلى الله عليه وآله، كما مارست دور المعارضة بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وفي هذه الحالة تكون الزَّهراء عليها السلام قد مارست القيادة النسويَّة في الخطوط غير المنظورة وغير المعلنة، كما مارست دورها العلنيّ أثناء خطبتها في المسجد، والذي وضعت فيه النقاط على الحروف، وبيَّنت أهليَّتها وأهليَّة الإمام عليّ عليه السلام وبقيَّة أهل بيت العصمة عليهم السلام، وأنَّها قادرة على الوقوف بجرأة في وجه الظالمين، ولم تخشَ في الله لومة لائم.

(١) صحيفة الإمام، السيِّد روح الله الخمينيّ (ت١٤٠٩هـ)، مؤسَّسة تنظيم ونشر أثار إمام خميني، طهران، ط١، ١٤٢٩هـ: ٧/ ٣٣٧.

المطلب الثاني: الزَّهراء عليها السلام والمسؤوليَّة الرساليَّة

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

تشير الآية القرآنيَّة إلى مفهوم التأسِّي برسول الله صلى الله عليه وآله، والاقتداء والسير على نهجه ونهج أهل بيته، باعتبارهم الهداة الذين جعلهم الله تعالى وسائط فيض للبشريَّة؛ ليتعلَّموا منهم ويقتدوا بهم، ويسيروا على خطاهم؛ لأنَّ الإنسان لم يُخلَق عبثًا، ولا سدًى، وإنَّما خُلق لأجل غاية عظمى عليه أن يحقِّقها؛ ليصل إلى كماله وسعادته المنشودَتَين، فلا بدَّ له من وسائل عبرها يحقِّق أهدافه التي رسمها الله تعالى، وأهل البيت عليهم السلام هم الذين يمكن أن يصل عبرهم إلى تحقيق هذا الخطِّ الربَّانيّ «من أتاكم نجا، ومن لم يأتكم هلك، إلى الله تدعون، وعليه تدلُّون، وبه تؤمنون، وله تسلِّمون، وبأمره تعملون، وإلى سبيله ترشدون..»[2].

والزَّهراء عليها السلام التي يقول في حقِّها الإمام العسكريّ: «**نحن حجج الله على خلقه، وجدَّتنا فاطمة عليها السلام حجَّة الله علينا**»[3]، هي قدوة للبشرية فهي تمثل الانسان الكامل الذي يأخذ بيد الناس إلى سبيله تعالى باعتبار مقامها ومنزلتها وعصمتها؛ ولذلك أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله بها وبين أن رضاها رضا الله وغضبها غضب الله.

(١) سورة الأحزاب: ٢١.
(٢) البلد الأمين، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن عليّ بن حسن العامليّ (ت٩٠٠هـ)، مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ: ٣٠٠.
(٣) أطيب البيان في تفسير القرآن، عبد الحسين الطيِّب الأصفهانيّ (ت١٤١١هـ)، مؤسَّسة الثقافة الإسلاميَّة، طهران، ط٢، ١٣١٧هـ: ١٣/ ٢٢٦.

لقد بدأت الزَّهراء عليها السلام مشوار الدعوة لله والتضحية في سبيل الرسالة منذ أن فتحت عينيها على النور، فهي حتَّى في مرحلة طفولتها كانت تعيش همَّ الإسلام وأهداف الرسالة، فقد عاشت الحصار مع أبيها في شِعب أبي طالب، وكانت تشاهد ما تفعله قريش بأبيها العظيم، فتزيح عنه الأذى وتواسيه وتغسل جراحه، فقد روي عن عبد الله بن مسعود أنَّه قال: بينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم قائمًا يصلِّي بمكَّة وأناس من قريش في حلقة فيهم أبو جهل بن هشام، فقال: ما يمنع أحدكم أن يأتي الجزور التي نحرها آل فلان فيأخذ سلاها ثمَّ يأتي به حتَّى إذا سجد وضعه على ظهره، قال عبد الله: فانبعث أشقى القوم وأنا انظر إليه، فجاء به حتَّى إذا سجد وضعه على ظهره، قال عبد الله: لو كانت لي يومئذ منعة لمنعته، وجاءت فاطمة عليها السلام، وهي يومئذ صبيَّة، حتَّى أماطته عن ظهر أبيها»[1].

هكذا كانت فاطمة في طفولتها وبعد الهجرة عندما استقرَّت دعائم الإسلام في المدينة المنوَّرة، لم يكن جلوسها في بيتها مقتصرًا على أداء الوظائف المنزليَّة فحسب، بل أدَّت وظائفها الرساليَّة، فقد كانت تعلِّم النساء القرآن والأحكام الشرعيَّة، وتجيب عن أسئلة النساء الفقهيَّة، روي عن الإمام العسكريّ عليه السلام: حضرت امرأة عند الصدِّيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فقالت: إنَّ لي والدة ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسالك، فأجابتها فاطمة عن ذلك، ثمَّ ثنت فأجابت ثمَّ ثلثت فأجابت عليها إلى أن عشَّرت فأجابت، ثمَّ خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشقُّ عليك يا بنت رسول الله، قالت فاطمة عليها السلام: **هاتي وسَلي عمَّا بدا لك، أرأيت من اكترى يومًا يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراؤه مئة ألف دينار أيثقل عليه؟** فقالت: لا، فقالت: **اكتريت أنا لكلِّ مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤًا، فأحرى أن لا يثقل عليَّ،**

(١) الأمالي، الشريف المرتضى، أبو القاسم عليّ بن الحسين الموسويّ (ت٤٣٦هـ)، دار إحياء التراث، القاهرة، ط١: ٢/ ١٩.

سمعت أبي رسول الله يقول: إنَّ علماء شيعتنا يُحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدِّهم في إرشاد عباد الله حتَّى إذا يخلع على الواحد منهم ألف ألف خلعة من نور»[1].

وفي رواية أخرى تبيِّن كيف أنَّ فاطمة عليها السلام كانت تعين بعض المؤمنين على غيرهم، وتنتصر للحقِّ، روي عن العسكريّ عليه السلام: «**قالت فاطمة وقد اختصمت إليها امرأتان تنازعتا في شيء من أمر الدين، إحداهما معاندة، والأخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجَّتها فاستظهرت على المعاندة، ففرحت فرحًا شديدًا، فقالت فاطمة عليها السلام: إنَّ فرح الملائكة باستظهارك عليها أشدّ من فرحك، وإنَّ حزن الشيطان ومردته بحزنها عنك أشدّ من حزنها، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ قال للملائكة: أوجبوا لفاطمة بما فتحت لها، واجعلوا هذه سنَّة في كلِّ من يفتح على أسير مسكين، فيغلب معاندًا ألف ألف ما كان معدًّا من الجنان**»[2].

وأيضًا بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله كان لفاطمة دور رساليّ بارز جدًّا في خضمِّ تلك الأحداث التي حدثت بعد رحيله، فكانت تحاول إرجاع التائهين والضالِّين إلى الطريق المستقيم، فقد روى المؤرِّخون أنَّها كانت تخطب في المهاجرين والأنصار، وتذكِّرهم بوصايا رسول الله؛ لإرجاعهم إلى الخطِّ الذي انحرفوا عنه، في وقتٍ قلَّ فيه الثابتون على الحقِّ.

وفي بعض الروايات أنَّها كانت تخرج مع أمير المؤمنين، وبيدها الحسن والحسين عليهما السلام وتأتي أبواب المهاجرين والأنصار لتذكِّرهم بالإمامة والولاية التي لا بَّد أن يتمسَّكوا بها.

(١) منية المريد، الشهيد الثاني، زين الدين بن عليّ العامليّ (ت٩٦٥هـ)، تحقيق: رضا المختاريّ، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم، ط١، ١٤٠٩هـ: ٥٠.

(٢) تفسير الإمام العسكريّ، منسوب للإمام الحسن العسكريّ (ت٢٦٠هـ)، مدرسة الإمام المهدي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ: ٣٤٠.

ولو أنعمنا النظر في التاريخ؛ لشاهدنا مواقفها الرساليَّة تتجلَّى في مواضع كثيرة، ناصعة وجليَّة من خطبها في مسجد أبيها إلى تذكيرها الدائم للقوم بحقِّ عليعليه السلام، بل حتَّى بكاءها الدائم على أبيها لم يكن بكاءً نابعًا من عاطفة بنت على أبيها، بل كان بكاءً رساليًّا واعيًا يريد أن يُثير العقول الخاملة والأرواح المستسلمة للظلم، والمنحرفة عن جادَّة الحقِّ.

المبحث الثاني

التربية وأثرها في حياة الزَّهراء عليها السلام

المطلب الأوَّل: الأسس التربويَّة في سيرة الزَّهراء عليها السلام

إنَّ المرأة عندما تختزن حيويَّة الفكر في شخصيَّتها، فإنَّها لا تنطلق من شخصيَّتها كامرأة، بل كإنسان يحمل بعض العناصر التي تميِّزه عن الرجل؛ لكنَّها تشترك معه في القاعدة العامَّة التي تنتج الفكر والحركة، ولذا فإنَّ المرأة الأنموذج هي المرأة التي تكون قدوة للرجل والمرأة على حدٍّ سواء، والعكس صحيح.

فمن هذا المنطلق، نرى القرآن الكريم قد رسم الخطوط التي يتفاعل معها الرجل والمرأة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1]؛ لأنَّهما يتحرَّكان أمام الله تعالى من مسؤوليَّتهما معًا لتنفيذ تعاليمه ووصاياه ووصايا رسوله الكثيرة.

من هذا المنطلق، تنعطف على الزَّهراء عليها السلام في تحرُّكاتها؛ لأنَّها القدوة لكلِّ الذين يتحرَّكون داخل مجتمعهم؛ ولأنَّها من أهل البيت عليهم السلام الذين أذهبَ الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيرًا.

ولذا فهي مظهر الفضائل والقيم، ورمز الطهارة والعفَّة في كلِّ كلماتها وأعمالها، في زهدها وعبادتها في أخلاقها ومشاعرها، في إيمانها وتقواها، ولذلك هي الاسم الذي

(١) سورة الأحزاب: ٣٦.

عندما نذكره أو تتذكَّره فإنَّه يوحي لنا بالطهارة كأصفى ما تكون الطهارة، وبالنقاء كأعذب ما يكون النقاء، وبالإنسانيَّة التي تعطي الإنسان قيمته، وبالعصمة التي تتمثَّلها فكرًا في فكرها، وخلقًا في أخلاقها، وسلوكًا في كلِّ حياتها، وشجاعةً في الموقف مع الحقِّ، شجاعة رساليَّة لا شجاعة انفعاليَّة، لذلك عندما تتذكَّر مسيرة الرسالة، ودور الزَّهراء فيها، ونذكر حركة الإسلام في القضايا المتحرِّكة التي كانت فيها عنصرًا حيويًّا تُشعرنا أنَّها معنا في كلِّ قضايانا، وأنَّها حيَّة تعيش بيننا؛ لأنَّها تقع في قمَّة الأشخاص الذين تحركوا مع الإسلام إلى برِّ الأمان، ولذا فإنَّنا لا نستطيع أن نذكر رسول الله صلى الله عليه وآله إلَّا ونذكرها؛ لأنَّها بضعته وروحه التي بين جنبيه، ولا نستطيع أن نذكر عليًّا إلَّا ونذكرها؛ لأنَّها شريكة في الحياة والمعاناة، ولا نستطيع أن نذكر الحسن والحسين وزينب عليهم السلام إلَّا ونذكرها؛ لأنَّها سرُّ الطُّهر في طفولتهم وشخصيَّتهم مدى الحياة؛ لأنَّ الإسلام يكمل بعضه بعضًا.

نقل الطبريّ بسنده عن عبد الله بن مسعود، قال: «جاء رجل إلى فاطمة فقال: يا بنت رسول الله هل ترك رسول الله عندك شيئًا تطرفينه؟ فقالت: يا جارية هات تلك الجريدة، فطلبتها فلم تجدها، فقالت: ويحك اطلبيها فإنَّها تعدل عندي حسنًا وحسينًا، فطلبتها فإذا هي قد قمَّتها- أي كنستها- في قمامتها، فاذا فيها، قال النبيّ صلى الله عليه وآله:

ليس من المؤمنين مَن لم يأمن جاره بوائقه.

مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفه.

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره.

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت.

إنَّ الله يحبُّ الحييَّ الحليم العفيف المتعفِّف، ويبغض البذيء السؤال الملحف.

إنَّ الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنَّة، والفحش من البذاء، والبذاء في النار»[1].

في هذا الحديث ما يدلُّ على القيمة العالية التي تراها فاطمة الزَّهراء عليها السلام لأحاديث أبيها، وتشير أيضًا إلى أنَّ الأحاديث الأخلاقيَّة لا ينبغي التعامل معها على أنَّها أمور مستحبَّة فقط، وإنَّما هي منهاج حياة وطريقة عيش يقرِّرها الدين للإنسان من العلاقة الآمنة مع الجار، وإكرام الضيف، إلى السلوك الشخصي، ويقينًا لو كلّ إنسان التزم بمثل هذه التوصية، وضبط بها كلماته ومناقشاته في المجتمع؛ لاستراح المجتمع من كثير من النزاعات والمشاكل الاجتماعيَّة، وتوفَّر الكثير من الوقت للناس فيما هو نافع ومفيد.

(١) المعجم الكبير، الطبرانيّ، سليمان بن أحمد بن أيوب الشاميّ (ت٣٦٠هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ: ١٠/ ١٩٦.

المطلب الثاني: الواقع الأسريّ من منظور السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

إنَّ الحوار بين أفراد الأسرة يُعدُّ بمثابة المفتاح الذي يوصلهم إلى سبيل التفاهم والانسجام، وكذلك هو القناة التي تُوصل أفراد الأسرة بالآخر، فعندما يتحاور الأبناء مع الوالدين، إنَّما يعبِّرون عن جوهر شخصيَّتهم، وهذا بحدِّ ذاته يحقِّق الاتِّزان الانفعاليّ لدى أفراد الأسرة، فالحوار داخل هذه المؤسَّسة العظيمة له أهميَّة كبيرة وضروري لأفراد الأسرة في مختلف مراحل الحياة، مثلما أنَّ انعدام الحوار والمناقشة داخل الأسرة يؤدِّي إلى عدم التفاهم والتباعد بين أفرادها، ويؤدِّي إلى حدوث مشاحنات وصراعات، ممَّا يؤثِّر في نفسيَّة الفرد وسلوكيَّاته.

إنَّ المتتبِّع لسيرة الزَّهراء عليها السلام يجد أنَّها مدرسة متكاملة في مختلف أبعاد الحياة، فهي القدوة للجميع للنساء والرجال، إذ إنَّها أعطت دروسًا مهمَّة في بناء الذات البشريَّة التي تشكِّل القاعدة الأساس التي يقوم عليها الحوار الأسريّ الفعَّال الشامل الذي يعدُّ أحد العناصر الرئيسة لبناء شخصيَّة الإنسان، ولذلك كان من الضروريّ التمسُّك بالمثال القويم والمتكامل المتجسِّد في شخصيَّة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام؛ لأنَّنا بأمسِّ الحاجة اليوم إلى مراجعة هذا الأنموذج الصالح الذي قال فيه الباري عزَّ وجلَّ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[1].

ففي ربيع البيت الفاطميّ تنتشر رياحين الجمال والجلال، فتخضرُّ أغصان فاطمة عليها السلام اليانعة، فتشمُّ ثمرتها الطيِّبة بعطر التفَّاحة التي وهبها الله تعالى إلى بيته من الجنَّة، فسرى عطرها في أبنائها بعين الرعاية والمحبَّة، فتلاعِب فاطمة الزَّهراء عليها السلام الإمام الحسن عليه السلام، وتقول:

(١) سورة النور: ٣٦.

أشـــبـــه أبـــــاك يـــا حـســن
واخـــلـــع عـــن الحـــقِّ الـرســن
واعـــبـــد إلـــهًـــا ذا مـنـن
ولا تـــــوالِ ذا الإحـــــسن[1]

نلاحظ أنَّ التربية الفاطميَّة حتَّى في طريقة مؤانستها ومداعبتها لصبيتها تطبِّق برنامجًا متَّسمًا بالسخاء والجود، وإظهار الأسرار الكامنة عنده، وهو تخطيط لنا من أجل بناء الحوار الفعَّال، وممارسة التربية الصحيحة.

إذن لا بدَّ من التأمُّل في هذه الشخصيَّة العظيمة، والوقوف عليها، خاصَّة مع ما نعانيه اليوم من تفكُّك أسريّ، وعنف بمختلف أشكاله.

الزَّهراء عليها السلام نموذج إسلاميّ ناطق بسلوكه وأخلاقه بكتاب الله تعالى، فإذا أردنا أن ننظر إلى الزَّهراء عليها السلام الأم سوف ننير ضياء طريق الكثير من الأسر الإسلاميَّة إذا ما سارت على خطى هذه الأمّ العظيمة، السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مصداق كامل للمرأة المسلمة، وهي في أعلى مقام يمكن أن تبلغه، وهو القيادة مع وجود هذه العظمة، فإنَّ دور الأم والزوجة وربَّة البيت كان واحدًا من أدوار ومهامِّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام المهمَّة.

إلى جانب فيوضات السيِّدة الزَّهراء والمقامات المعنويَّة لها، توجد نقطة مهمَّة في حياتها اليوميَّة، وهي الجمع بين حياة امرأة مسلمة في سلوكها مع زوجها وإبنائها وقيامها بمسؤوليَّاتها في البيت من جهة، وبين مسؤوليَّات الإنسان المجاهد الغيور الذي لا يعرف التعب في التعامل مع الأحداث السياسيَّة المهمَّة بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، حيث جاءت إلى المسجد وخطبت واتَّخذت المواقف ودافعت وتحدَّثت، وكانت مجاهدة بكلِّ ما للكلمة من معنى، لا تعرف التعب، وتتقبَّل المحنة والصعاب كذلك، ومن جهة

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن شهر أشوب المازندرانيّ (ت٥٨٨هـ)، المكتبة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ط١، ١٣٧٦هـ: ٣/ ١٥٩.

ثالثة كانت عابدة ومقيمة الصلاة في الليالي الحالكة، وتقوم لله خاضعة خاشعة له، وفي محراب العبادة كانت امرأة إلهيَّة كالأولياء الإلهيِّين، تناجي ربَّها وتعبده، هذه الأبعاد الثلاثة مجتمعة تمثِّل النقطة الساطعة في حياة الزَّهراءعليها السلام، لم تفصل بين هذه الجهات الثلاث.

تعتبر شخصيَّة الزَّهراءعليها السلام في الأبعاد السياسيَّة والاجتماعيَّة والجهاديَّة شخصيَّة مميَّزة، بحيث إنَّ جميع النساء المجاهدات الثوريَّات في العالم يمكنهنَّ أن يأخذن الدروس والعِبَر من حياتها القصيرة المليئة بالمحتوى والمضمون، فحياة الزَّهراءعليها السلام، وإن كانت قصيرة، ولم تبلغ أكثر من عشرين سنة، لكنَّها من جهة النضال والدرس والتعليم والتربية والخطابة والدفاع عن النبوَّة والإمامة والنظام الإسلاميّ، هي بحر مترامٍ من السعي والجهاد والعمل، وفي النهاية الشهادة، فهي حياة عظيمة واستثنائيَّة، وستبقى في أذهان البشر ساطعةً واستثنائيَّة.

علاقة الزَّهراءعليها السلام بالرسولصلى الله عليه وآله

لم تهنأ الزَّهراء بالعيش الرغيد مع أمِّها وأبيها بعد خروجهم من مخمصة الشِّعب إلَّا نحو عام واحد، حيث فجعت بوفاة أمِّها الرؤوم التي كانت تمنحها الدفء والحنان.

روي عن الإمام الصادقعليه السلام أنَّه قال: «**فجعلت تلوذ برسول اللهصلى الله عليه وآله، وتدور حوله وتسأله: يا أبتاه أين أمِّي؟ فكان النبيّ لا يجيبها، ورسول الله لا يدري ما يقول، فنزل جبرائيلعليه السلام فقال: إنَّ ربَّك يأمرك أن تُقرأ على فاطمة السلام، وتقول لها: إنَّ أمك في بيت قصب كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران. فقالت فاطمةعليها السلام: إنَّ الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام**»[1].

(١) الخرائج والجرائح، القطب الراونديّ، أبو الحسين سعيد بن عبد الله الراونديّ (ت٥٧٣هـ)، مؤسَّسة النور للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ: ٢/ ٥٢٩.

روى مسلم في الصحيح عن عبد الله قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وآله ساجد وحوله ناس من قريش، إذ جاء عتبة بن أبي معيط بسلى جزور، فقذفه على ظهر الرسول، فلم يرفع رأسه حتَّى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره، ودعت على من صنع ذلك، فقال صلى الله عليه وآله: **اللهمَّ عليك الملأ من قريش، أبا جهل بن هشام، وعتبة بن أبي معيط، وشيبة بن ربيعة، وأميَّة بن خلف**. قال عبد الله: فلقد رأيتهم قُتلوا يوم بدر فأُلقوا في القليب»[1].

ومن هنا نرى أنَّ هذه النصوص تكشف لنا عن أداء الزَّهراء عليها السلام لدورها الرساليّ في الوقوف إلى جانب أبيها منذ مطلع الدعوة، والذبِّ عنه وحمايته ونصرته وعونه في مواقف تنكص فيها الشجعان عن المواجهة، وتتردَّد فيها الرجال عن المنازلة، هذا على الرغم من صغر سنِّها.

علاقة الزَّهراء عليها السلام بأولادها

إنَّ التربية تعني اهتمام الوالدين بجعل أبنائهم أفضل الأبناء، سواء من الناحية الدينيَّة أو العلميَّة أو الأخلاقيَّة أو الاجتماعيَّة، وأنَّ الناظر فيما وصل إليه سيِّدا شباب أهل الجنَّة من هذه المكانة الدينيَّة والاجتماعيَّة، وكيفيَّة تعلُّق الناس بهم إلى زماننا هذا، يطرح تساؤلًا: من أين اكتسبوا هذه التربية التي جعلتهم من الأكرمين الأخيار؟ فالحقائق التاريخيَّة تؤكِّد لنا أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام قد أنشأت بطريقتها التربويَّة أعلى مدرسة تربويَّة مثاليَّة، تخرَّج منها الحسنان وزينب عليهم السلام، فقد ذكرت الروايات كيف أنَّ الزَّهراء عليها السلام كانت تعلِّم الحسنان خطب رسول الله صلى الله عليه وآله، وهما لم يبلغا الخامسة من العمر، وقد شاهد التاريخ المستوى الرفيع من نوعه الذي بلغه هذان الإمامان الفذَّان في العلم والخطابة والخلق الحسن.

ومن الآثار المهمَّة التي تركت أثرا كبيرًا هو اعتماد الإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام

(١) صحيح مسلم: ٣/ ١٤١٩.

على نفسيها، وعدم الاتّكال على أحد، وترى ذلك واضحًا في شخصيَّة الإمامَين عليهما السلام، فالزَّهراء ربيبة الوصيّ والنبوَّة، تعرف جيِّدًا مناهج التربية الإسلاميَّة، فأعدَّت الحسن ليتحمَّل مسؤوليَّة قيادة المسلمين، وكانت الزَّهراء عليها السلام تحترم شخصيَّة أطفالها، وتعاملهم معاملة الرجال ممَّا جعلهم يشعرون بمنزلتهم ويطَّلعون على مكانتهم، وينمُّون شخصيَّتهم، وهذا ما نراه غائبًا اليوم في واقعنا، فنجد الكثير من الأمَّهات تعامل أبناءها معاملة سيِّئة، وهذا مخالف لما جاءت به شريعتنا الغرَّاء.

علاقة الزَّهراء عليها السلام بزوجها

تمثِّل السيِّدة الزَّهراء الأنموذج والمثال الأكمل للزوجة الصالحة، حيث عاشت مع أمير المؤمنين عليه السلام في حدود التسع سنوات حياة زوجيَّة ناجحة مليئة بالسعادة والاطمئنان، رغم الظروف الصعبة التي مرت بها في حياتها جراء تحمل أعباء الرسالة والوقوف مع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وهناك أمور ترتبط بالحياة الزوجيَّة للسيِّدة الزَّهراء والمقوِّمات الوثيقة التي سارت عليها في تعاملها مع زوجها من خلال الأمور الآتية:

١. **حسن التبعُّل للزوج**: والمقصود به إطاعة الزوج وحسن التعامل والعشرة معه، وكانت الزَّهراء عليها السلام تدير حياتها الزوجيَّة بحسن التدبير وحسن التبعُّل حتَّى قال عنها أمير المؤمنين عليه السلام: «**ولا أغضبتني ولا عصت لي أمرًا**»[1].

٢. **القيام بالأعمال المنزليَّة**: المقوِّم الثاني من مقوِّمات الحياة الزوجيَّة الناجحة هو القيام بالأعمال المنزليَّة، فرغم مكانة الزَّهراء عليها السلام وعظمة مقامها الرفيع، إلَّا أنَّها لم تستنكف من القيام بالأعمال المنزليَّة، فكانت تطحن بالرحى حتَّى مجلت يداها، وتنظِّف البيت وتطبخ وتعجن وتخبز؛ لما في ذلك من الأجر والثواب، وبما ينتج عنه أُلفة ومودَّة وتماسك وانسجام.

(١) بحار الأنوار، المجلسيّ، محمَّد باقر بن محمَّد تقي المجلسيّ (ت١١١١هـ)، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ: ٤٣/ ١٣٤.

٣. **مراعاة ظروف الزوج الماديَّة**: لقد كانت الزَّهراء عليها السلام لا تكلِّف زوجها شيئًا ولا تطلب منه أيَّ شيء، وعندما يعلم أمير المؤمنين عليه السلام بعدم وجود الطعام، يقول لها: «**يا فاطمة ألا كنت أعلمتني فآتيكم به**. فتقول: **يا أبا الحسن إنِّي لأستحي من أن تكلِّف نفسك ما لا تقدر عليه**»(١).

٤. **تبادل المودَّة والمحبَّة بين الزَّوجَين**: لقد كانت الزَّهراء عليها السلام تحزن وتبكي عندما يفارقها الإمام عليه السلام للخروج في إحدى الغزوات شفقةً ومحبَّةً له، وعندما يعود تستقبله بوجه مشرق وباسم، إذ قال أمير المؤمنين عليه السلام عنها: «**وقد كنت انظر إليها؛ فتنكشف عنِّي الهموم والأحزان**»(٢).

(١) كشف الغمَّة، الأربلِّيّ، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح (ت٦٩٣هـ)، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م: ٢/ ٩٧.

(٢) بحار الأنوار: ٣/ ١٣٤.

النتائج

بعد هذه الرحلة العطرة لذِكر المختار وآل بيته الأطهار، التي تزيَّنت بذِكر سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام، توصَّل البحث إلى نتائج عدَّة، من أهمِّها:

١. مساهمة الشخصيَّة القياديَّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في تنمية الجانب الشخصيّ للمرأة المسلمة، وذلك برفع معنويَّاتها وتحميلها المسؤوليَّة ومشاركتها الفعليَّة في قيادة أسرتها ومجتمعها.

٢. كانت الزَّهراء عليها السلام نِعَم المرشد التربويّ والمصلح الاجتماعيّ للدفاع عن الرسالة الإسلاميَّة، وتحمُّل أعبائها في حياة الرسول وبعده.

٣. أعطت الزَّهراء عليها السلام نموذجًا متكاملًا في تنمية الجانب التربويّ والقياديّ، وذلك من خلال رفع الروح المعنويَّة، وتحميلهم المسؤوليَّة لبناء الإنسان السويّ، وتعديل السلوك.

٤. تعزيز روح المسؤوليَّة الاجتماعيَّة على مستوى الفرد والمجتمع؛ لهداية الناس وإرشادهم وتولِّي أمورهم.

التوصيات

وفي ضوء استنتاجات البحث، نصل إلى مجموعة من التوصيات، منها:

١. ضرورة تعميم الأساليب القياديَّة التي تجسَّدت في شخصيَّة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، واتِّخاذها منهجًا أساسيًّا للأمَّهات والمربِّيات، عن طريق تفعيلها عبر وسائل ومؤسَّسات التربية الاجتماعيَّة.

٢. السَّير والاقتداء بالمنهج الفاطميّ في بناء أسرة صالحة ومتكاملة فكريًّا وأخلاقيًّا وتربويًّا؛ لإعداد عناصر وأفراد فعَّالة لبناء مجتمعٍ واعٍ، فضلًا عن بعض الجوانب العمليَّة في سلوكها الذي ترك أثرًا في نفوس أبنائها عقائديًّا وعباديًّا وعلميًّا.

٣. ضرورة الاستفادة من سيرة الزَّهراء عليها السلام لتعزيز دور المرأة في المجتمع تربويًّا واجتماعيًّا للنهوض وإعداد جيلٍ واعٍ لإصلاح المجتمع والدفاع عن الرسالة الإسلاميَّة.

٤. رسم خطٍّ لكلذِ النساء الرساليَّات في إيصال قضيَّتها ونصرة دينها، إذ إنَّ الدفاع عن الدين والحقِّ هو أعظم دور جهاديّ للمرأة.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. أطيب البيان في تفسير القرآن، عبد الحسين الطيِّب الأصفهانيّ (ت١٤١١هـ)، مؤسَّسة الثقافة الإسلاميَّة، طهران، ط٢، ١٣١٧هـ.

٢. الأمالي، الشريف المرتضى، أبو القاسم عليّ بن الحسين الموسويّ (ت٤٣٦هـ)، دار إحياء التراث، القاهرة، ط١.

٣. إنسان بعمر ٢٥٠ سنة، السيِّد عليّ الخامنئيّ، جمعية المعارف الإسلاميَّة، ط١، ٢٠١٣م.

٤. بحار الأنوار، المجلسيّ، محمَّد باقر بن محمَّد تقي المجلسيّ (ت١١١١هـ)، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٥. البلد الأمين، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن عليّ بن حسن العامليّ (ت٩٠٠هـ)، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٦. تفسير الإمام العسكريّ، منسوب للإمام الحسن العسكريّ (ت٢٦٠هـ)، مدرسة الإمام المهدي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ.

٧. الخرائج والجرائح، القطب الراونديّ، أبو الحسين سعيد بن عبد الله الراونديّ (ت٥٧٣هـ)، مؤسَّسة النور للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.

٨. خصائص القيادة الإسلاميَّة، رمضان الزيَّان، الجامعة الإسلاميَّة، غزَّة.

٩. الزَّهراء القدوة، السيِّد محمَّد حسين فضل الله (ت٢٠١٠م)، دار الملاك للطباعة والنشر، لبنان، ط٢، ١٤٢٢هـ.

١٠. سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزديّ

(ت٢٧٥هـ)، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ.

١١. سنن الدارميّ، أبو محمَّد عبد الله بن عبد الرحمن الدارميّ (ت٢٥٥هـ)، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربيَّة السعوديَّة، ط١، ١٤١٢هـ.

١٢. السيِّدة الزَّهراء بين العصمة وقيادة نساء الأمَّة، محمود الربيعيّ، وكالة أنباء براثا.

١٣. صحيح البخاريّ، أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٣٧هـ.

١٤. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجَّاج النيسابوريّ (ت٢٦١هـ)، دار إحياء الكتب العربيَّة، القاهرة، ط٤، ١٣٧٤هـ.

١٥. صحيفة الامام، السيِّد روح الله الخمينيّ (ت١٤٠٩هـ)، مؤسَّسة تنظيم ونشر أثار إمام خميني، طهران، ط١، ١٤٢٩هـ.

١٦. فاطمة الزَّهراء قدوة الصدِّيقين، السيِّد محمَّد تقي المدرِّسيّ، دار البصائر للثقافة والنشر، ط١، ٢٠١٥م.

١٧. فنُّ القيادة في الإسلام، أحمد عبد ربَّه مبارك بصبوص، مكتبة المنار، الزرقاء، ط١، ١٩٨٧م.

١٨. القيادية والأزمة الحضاريَّة، جميل كاظم المناف، دار الحريَّة، العراق، ط١، ١٩٨٠م.

١٩. كشف الغمَّة، الأربلِّيّ، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح (ت٦٩٣هـ)، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

٢٠. لسان العرب، ابن منظور، محمَّد بن مكرم الأنصاريّ (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢١. مفهوم القيادة وأهميَّتها، د. طارق السويدان، الموقع الإلكترونيّ:
https:\\suwaidan.com.

٢٢. المعجم الوجيز، إبراهيم بيُّومي مدكور (ت١٩٩٦هـ)، مجمع اللغة العربيَّة، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

٢٣. المعجم الكبير، الطبرانيّ، سليمان بن أحمد بن أيوب الشاميّ (ت٣٦٠هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٤. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعيَّة، د. أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٢٥. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن شهر آشوب المازندرانيّ (ت٥٨٨هـ)، المكتبة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ.

٢٦. منية المريد، الشهيد الثاني، زين الدين بن عليّ العامليّ (ت٩٦٥هـ)، تحقيق: رضا المختاري، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم، ١٤٠٩هـ.

فهرس المحتويات

محورُ الدِّراساتِ التَّربويَّة والاجتِماعيَّة ٥

شخصيَّة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وأثرها في قدوة النُّخب النسويَّة ٧

د. وفاء كاظم جبَّار عبد البديريّ

جامعة بغداد/ قسم علم النَّفس

الكرامات الإلهيَّة سمة المؤمنين (فاطمة الزَّهراء أنموذجًا) ٥١

م.م. حسين عبد الحسن ضامن

مديريَّة تربية ميسان

اسْتِجْلَاءُ مَبَادِئ التَّعَايشِ السِّلْمِيّ في المجتمع مِن أَقْوَالِ الزَّهراء عليها السلام ١٠٣

أ.م.د. عبد الهادي كاظم كريم

جامعة بابل/ كليَّة التربية الأساسيَّة

مشكاة الأنوار ومستودع الأسرار الزَّهراء عليها السلام ودورها في بناء المجتمع المثاليّ؛ المواعظ والعِبَر ١٣٩

أ.م.د. ساجد صبري نعمان

الجامعة العراقيَّة/ كليَّة العلوم الإسلاميَّة

البُعد التربويّ في الخطاب الفاطميّ (خطبة فدك أنموذجًا) ١٦٧

الباحث الإسلاميّ السيِّد فاضل حاتم الموسويّ

الأسرة المثاليَّة في بيت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام ودورها في تعزيز ديناميكيَّة الإصلاح ١٩٧

م.د. وسن صاحب عيدان

جامعة الكوفة/ كليَّة الآداب

الحوار الإنسانيّ البنَّاء في سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام ٢٣٣

د. منى محمَّد يونس

أستاذ في كليَّة التربية، الجامعة اللبنانيَّة

حقوق الإنسان في الإسلام وحمايتها في ضوء الخطبة الفدكيَّة ٢٦٧

م.م. ياسمين سالم مطرود سند

جامعة البصرة/ كليَّة هندسة النفط والغاز

فاطمة الزَّهراء عليها السلام الأنموذج الأمثل للزَّوجة الصالحة ٢٩٣

م.م. حسن جبار عبَّاس الدلفيّ

علوم قرآن وحديث

الاتِّزان الانفعاليّ والحكمة عند السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ٣١٥

الباحثة أحلام كاظم جواد الهنداويّ

السيِّدة الزَّهراء عليها السلام القدوة الحسنة ٣٤٧

الباحثة أسماء عبيد عبَّاس

السمات القياديَّة والمسؤوليَّة الاجتماعيَّة في شخصية الزَّهراء عليها السلام ٣٦٩

الباحثة إيمان ستَّار عليّ